

ذخائر العرب

٢٥

الموازنة

بين شعير أبي تمام والبُحتري

لأبي الفاسم الحسن بن بشر الأمدى

— ٣٧٠ هـ

تعقيق

السيد أحمد صقر

الطبعة الرابعة



دار المعارف



المسيرة رفيعاً هجلاً

غفر الله له ولوالديه

2009-02-16

ذخائر العرب

٢٥

الموازنة

بين شعراًبي ثمام والبُحترى

لأبي الفاسم الحسن بن بشر الأمدى

— ٣٧٠ هـ

تحقيق

السيد أحمد صقر

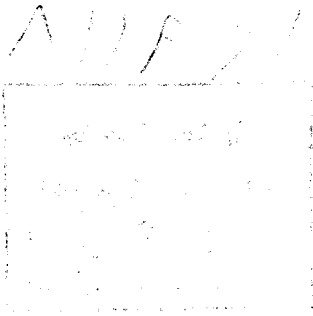
١

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الموازنة



الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله سبحانه وتعالى إذ قدر لي أن أكون أول طابع لكتاب الموازنة بين
الطائيين ، الذي ألفه أبو القاسم : الحسن بن بشر الآمدي المتوفى ، سنة سبعين
وثلاثمائة .

ولست أرتاب في أن قول هذا سيقع من نفس القارئ وعقله موقع العجب
والإنكار . ولكني على ثقة من أن عجبه سيزول ، وإنكاره سيحول إذا
ما مضى في قراءة هذه السطور . وإنما قلت ذلك وأنا أعلم أني قد سبقت إليه ، وأنه
قد طبع عدة مرات أولاها في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة ١٢٨٧ هـ عن
نسخة خطية كتبها عبد الكريم بن أحمد بن إدريس الصفدي ، في شهر صفر
من سنة ١١٢٩ هـ . وكانت هذه الطبعة هي الأصل لكل الطبعات التي
صدرت بعدها .

وثانيها في مطبعة جريدة الإقبال ببغروت سنة ١٣٣٢ هـ .

وثالثها في مطبعة محمد صبيح وهي غير مؤرخة .

ورابعها في مطبعة حجازي بالقاهرة سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م .

ثم أعيد طبعها سنة ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م .

وجميع هذه الطبعات ناقصة ومملوءة بالتحريف . ومن عجب أنها تشتمل
على نصوص تشير إلى ذلك النقص .

ألم يقل الآمدي : « وأنا أبتدئ بذكر مساوي هذين الشاعرين لأختم بذكر
محاسنهما ، وأذكر طرفاً من سرقات أبي تمام وإحالاته ، وغلطه ، وساقط شعره ،
ومساوي البحري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام ، وغير ذلك من غلط في
بعض معانيه . ثم أوازن من شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية
وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ؛ فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك . ثم
أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فنجوده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد

باباً لما وقع في شعريهما من التشبيه ، وباباً للأمثال أختم بهما الرسالة ، ثم أتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما ، وأجعله مؤلفاً على حروف المعجم ؛ ليقرب تناوله . . . » .

وكل من يقرأ كلام الآمدي لابد أن يقول لنفسه : وأين باب التشبيه ، وباب الأمثال اللذان قال الآمدي : إنه سيختم بهما كتابه ؟ وأين المختارات من شعر الشاعرين المجردة عن الموازنة ، والمؤلفة على حروف المعجم ؟ إن هذه الأبواب الثلاثة لا وجود لها في النسخ المطبوعة . ومعنى ذلك بدهة أن الكتاب ناقص تعوزه الموضوعات التي لم ينشر حرف منها من قبل . على أن بعض تلك الزيادة موجودة في النسخة الخطية الوحيدة الموجودة بدار الكتب المصرية . وتبتدئ الزيادة في طبعتنا هذه من صفحة ٤٥٨ ، وهي تشمل على سبعة أبواب ، هي :

محو الرياح للديار .

ماقالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً .

باب آخر في وصف الديار وساكنيها .

الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات .

مايخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها .

ماقالاه في الوقوف على الديار وفي تعنيف الأصحاب لإياها على ذلك .

ماجاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه .

وقد ملأت هذه الأبواب في هذه الطبعة ثمانين صفحة ، غير الزيادات التي جاءت في ثانيا القسم المطبوع قبلها .

والزيادة ليست مقصورة على هذه الأبواب فقط . ولكنها زيادة عظيمة تستغرق الجزء الثاني والثالث من طبعتنا هذه .

ومن أجل ذلك رأيت أن أنقل بعضها ، ليعلم القارئ أي خير زاده عنه الطابعون للكتاب من قبل ؟

أما الزيادة التي تستغرق الجزء الثاني ، فهذه عناوينها :

ذكر الفراق والوداع والرحل عن الديار والبكاء على الظاعنين .
ما قالاه في البكاء على الظاعنين .
ما لأبي تمام في البكاء على النساء المفارقات .
ومن ابتداءاتهما من باب الفراق في معان شتى .
البكاء على الظاعنين .
بكاء النساء المفارقات .
ما ذكره من استيلاء النوى على الأحباب المفارقين .
ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق .
زوال الصبر وقلة التجلد .
ما قالاه في قتل الفراق للمفارق وسفك دمه .
ما قالاه في الغزل من أوصاف النساء ونعوتهن وشدة الشوق والتذكر والوجد والغرام .

ذكر ابتداءاتهما بتشبيه النساء بالظباء والبقر .
ابتداءاتهما بذكر الثغور .
ابتداءاتهما بذكر البكاء والدموع .
ابتداءاتهما بذكر السهر وطول الليل .
باب آخر في الابتداءات .
مما افتتحه البحري بالمهجر .
ومما جاء في ابتداءاته من ذكر العيون .
ومن ابتداءات البحري في التشوق .
ومن ابتداءات البحري في معان شتى وهي كثيرة .
ذكر ما قالاه في الجمال والبهجة وحسن الوجوه .
ما قالاه في وصف الثغور .
ما قالاه في وصف القلود والخصور والأخصاف ونقل الأرداف وحسن المشى .

ما قالاه في شدة الحب والوجد والتشوق والغرام والحزن وانتجاز المواعيد ،
وإخلاصها ، ونحو ذلك . وفي الشوق والصبابة .
ما قيل في ائتلاف المحبين .

باب في نوح الحمام .
باب في وصفهما للأيام التي خلت ، والأزمان التي حمداها ، والتذكر لها ،
والأسى عليها .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من هذا الباب .
ما جاء عنهما في طروق الخيال .
ما قالاه في الشيب والشباب .

ما جاء عنهما في وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب .
كره النساء للمشيب .
نزول الشيب قبل حينه .

البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا .
الاعتذار من الشيب .
مدح الشيب والتعزى عنه .

ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال .

● باب في ذكر الزمان ، وذكر ظلمه واعوجاجه ، وتعذر الرزق على ذوى
الحزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز . وفي التعزى والصبر والقناعة . وما
قالاه في ضد ذلك من بعد الهمة ، والنهوض في طلب الرزق ، والسير على الإبل ،
وقطع الفيافي . وفي مواعظ وآداب .

ماقالاه من هذه المعاني في وسط الكلام .
في المواعظ والآداب .
في الصبر والقناعة .

ذم ذوى الغنى على البخل ، وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل ، وتحامله على
أهل الفضل والعقل .
ماقالاه في طلب الرزق والنهوض إليه .

وما ذكرنا فيه سرى الإبل .
باب الشحوب والتغير من الأسفار .
• الأبواب التي خرجا فيها من النسب إلى المديح .
وجه آخر من الخروج ، وهو خروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء .
وجه آخر من خروجهما إلى المدح ، وهو وصف الرياح ، وتشبيه أخلاق
الممدوح بها .
وجه آخر من خروجهما إلى المدح .
• باب المديح .
أول ما بدأ به من مدائحهما :
ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر .
ثم ما يخص الخلفاء من ذلك دون غيرهم :
من ذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها .
ذكر الملك والدولة .
وذكر ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون من سواهم :
من ذلك ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم .
وذكر الآلة التي كانت للنبي عليه السلام فصارت إليهم .
وذكر الآثار .
وذكر علو القدر ، وعظم الفضل .
وذكر تأييد الدين وتقوية أمره .
وذكر الرأفة والرحمة .
وذكر الجلال والجمال والبهاء والجمالة والهيبة .
وذكر ما ينبغي أن يمدح به الخلفاء من الجود والكرم .
وذكر ما ينبغي أن يمدحوا به من الشجاعة والبأس .

* * *

وبانتهاء هذه الموضوعات ، تنهى مخطوطة دار الكتب المصرية .

وأما موضوعات الجزء الثالث التى جاءت فى النسخ الأخرى ، فإنها تكاد تكون ضعف موضوعات الجزء الثانى . وكنت على نية سردها ، لولا أنى رأيت المقام قد طال ، وخشيت على القارئ الملل ؛ فرأيت أن أشير إلى بعض الموضوعات الهامة التى تناولها الآمدى بالدرس والموازنة ؛ ليعلم القارئ من علمها ، ويتصور مقدار عظمها .

فمن تلك الموضوعات :

كتاب الجود ، والوصف ، والفخر ، والعتاب ، والوعيد ، والهجر ، والاعتذار ، والشراب ، ومعاطاة الندمان ، ووصف الغلمان ، والتوجع من العلل والنكبات ، ووصف قصائد هما والبأس والتجدة ، والمرأى .

وكل باب من هذه الأبواب يحتوى على عدة فصول ترعك كثرتها إذا ما ذكرت لك تفصيل بعضها وحسبى . أن أقتصر على التمثيل بثلاثة أبواب : وهى باب الجود ، وباب المرأى ، وباب البأس والتجدة .

أما باب الجود فقد قال الآمدى فى صدره : « هذا باب يعول عليه الشعراء فى المديح ؛ لأن الجود قد يكون فى الملك والسوقة والشرىف والدون .

وأنا الآن أميز فى هذا الكتاب أنواع الجود والكرم ، وأنتزع من القصائد الأبيات المتجانسة ، وأبويبها أبواباً ، وأوازن بينها ليصح القول ويلوح التفضيل .

فأبتدئ بما قالاه فى الرجاء والتأميل ، وفى الوعد وإنجازه ، وفى الابتداء بالعطاء وفى البشر عند السؤال ، وفى الإكثار من العطاء ، والقصد والإسراف ، وتعجيل العطاء ، ومتابعة العطاء ، وتشبيه جود الجواد بالسحاب والغيث والأنواء وبالبحر ، وفى خبط الجواد بنائله من غير تمييز ، وفى عذل الجواد على الجود ، وفى تعجرف الجواد على ماله حتى يتلفه ، ودفع جود الجواد وعطاياه لنواب الدهر ، وإعطاء الجواد حتى لا يجد من يعطيه . وفى التناذ الجواد بالجود ، وإغناء الجواد للسائلين حتى يكونوا مسئولين ، واكتساب الشرف بالعطاء ، وفى اعتذار الجواد بعد العطاء والاعتذار له ، وفى إخفاء الجواد لنائله ، وفى شفاعاة الجواد إلى غيره مما يوجد به ، وفيما استن

الكريم للناس من الكرم حتى اقتلوا به ، وفي نوادر من باب الجود ، وفي الاعتداد
بنعم المملوحين ، وفي الشكر والثناء .

وأما باب المراثي فقد بدأه الآمدى بقوله :

« قد جرت العادة في كل باب أن تعتبر فيه الابتداءات ، فيجب أن أقدم
ابتداءات هذا الباب . قال أبو تمام :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر وليس لعين لم يفيض ماؤها علر
قد عابه قوم من متقدمي الشيوخ بهذا ، وقالوا : قوله : ” كذا “ إشارة إلى
مجهول غير معروف ، وقالوا : كان ينبغي أن يقول كما قال البحرى :

انظر إلى العلياء كيف تضام ومآثم الأحساب كيف تقام
فأوضح المعنى بقوله : ” ومآثم الأحساب كيف تقام “ . وليس هذا العجز
بمبين عن معنى صدره كما ذكروا ، وإنما هو قسم منسوق على قسم آخر له معنى
غير معناه . فقله : ” انظر إلى العلياء كيف تضام “ مثل قول أبي تمام :
” كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر “ وإنما نظر كل واحد منهما إلى الجيوب
تشقق ، والمستور تهتك ، والأعلام تمزق ، والرماح تكسر . فإن مثل هذا يفعل
عند هلاك السادة من الأمراء وغيرهم ، والحيل إنما تعقر عند قبورهم ، وأشياء هذا .
فلما عاين هذان الشاعران من الأمر ما عايناه ، قال هذا : ” فليجل الخطب
وليفدح الأمر “ وقال ذاك ” انظر إلى العلياء كيف تضام “ . ونظر البحرى
إلى كثرة النساء وعظم أقدارهن وانها كهن وما يفعلن بأنفسهن ، فآثم البيت بأن قال :
” ومآثم الأحساب كيف تقام “ لأن المآثم هي اجتماع النساء في الفجائع ومساكنة
بعضهن لبعض . فما على أحدهما فيما قاله طعن .

ولما عنيت بإيراد هذا النص لأهميته في توثيق الكتاب ، ولأن الآمدى
قد أشار إليه في القسم المطبوع منه بقوله ص ٣٩١ : « وذكر أبو عبيد الله : محمد بن
داود بن الجراح في كتابه ، أن مما عيب من ابتدئات الطائي قوله : كذا فليجل
الخطب وأما قوله : ” كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر “ فليس بمعيب
حندي ، وقد ذكرته في ابتدئات المراثي وأخبرت بمعناه .

وكان هذا القول خليقاً بأن يلفت نظر الطابعين إلى خلو طبعتهم من باب المرائي .
وبعد أن فرغ الآمدى من الموازنة بين الابتداءات فى المرائي ، وازن بينهما فى
أنواع تلك المعانى ، وهى :

عموم الفجيرة وجلالة الرزة .

البكاء على الفقيد .

زوال الصبر على المفجوع

ذم الدهر والأيام لاخترامهما الفقيد .

تولى العيش وذهابه وتغير الأشياء لفقده .

تخطى المنايا إلى الأشرف فالأشرف ، والأفضل فالأفضل .

ذكر السؤدد والمجد والعلا وبكائها على الميت وقبحها بعده .

ذكر انقطاع الأمل والرجاء من الطالبين وقعودهم عن الطلب .

ذكر سقوط الحزن وخفة المصائب بعد الفقيد .

ذكر شماتة الأعداء والحساد وتهديد القاتلين .

ذكر صبر المقتول واختياره القتل على الفرار .

ذكر تحقير القاتل وتهوين أمره .

ذكر القبور والدعاء لها بالسقيا وتشجيع الميت ، وذكر النعش والكفن .

الذكر الجميل وحسن الحديث بعد الفقيد .

ذكر تعديل مناقب الميت بعده .

ذكر من يخلف الميت ويسد مسده .

مرثية الصغار .

* * *

وأما « باب البأس والنجدة » فيشتمل على الفصول الآتية :

ما قالاه فى وصف الجيش وكثافته .

ما قالاه فى الرأى والتدبير فى الحرب والمكر والخديعة وإمضاء العزم .

ما قالاه فى وصف الحرب .

ذكر وصف رجال الحرب .
 ذكر تشبيه الأبطال بالسباع .
 ما قالاه في وصف الدروع .
 ذكر وصف القوانس والبيض .
 ذكر وصف السرايات .
 ذكر وصف الخيل في الحرب .
 ذكر المسير إلى أرض العدو والتزول عليها ، والظفر والفتوح .
 ذكر من انهزم ونجا بمحاشته ، ومن أسر .
 ذكر الصلب على الجذوع وحمل الرؤوس .
 ذكر الحرب في البحر .
 ما قالاه في حرب ذوى الأرحام ، والحض على صلحهم والصفح عنهم .
 ما قالاه في أوصاف الخيل .

* * *

وفي هذه الأمثلة ، ما يظهر على ضخامة القسم الذى لم يسبق نشره من
 كتاب الموازنة .

* * *

ومن أجل ذلك كله ، قلت في صدر كلامي: إني أحمد الله إذ قدر لي أن
 أكون أول طابع لكتاب الموازنة ، وأظن أن عجب القارئ من قوى ذلك وإنكاره
 له قد زال الآن .

* * *

والحق الذى لا مرية فيه أن كتاب الموازنة خليق بإعجاب القراء ، جدير
 بإكبارهم . ولا أحسب أن أحداً منهم بعد قراءته له في هذه الطبعة سينكر على
 قولى : إن الآمدى أعظم نقاد الأدب العربى ، وإمامهم الذى لا يضارع ولا
 يجارى . وإنه في تاريخ النقد أمة وحده في دقة منهجه ، وأصالة رأيه ، وعمق فكره

وحسن عرضه ، ونصاعة أسلوبه ، وشدة إخلاصه للمهمة الشاقة التي جرد عزمه لها ، وانتدب نفسه للنهوض بها ، وصبرها على تحمل أعبائها ، حتى خرج الكتاب من بين يديه مستحصداً قوياً ، واثقاً بالفرض الذي أراغ إليه ، جامعاً لأشتات المعاني ، ملماً بأطراف الأحاديث التي يتطلبها مثل هذا البحث الكبير ؛ كما سنين ذلك عند تحليل الكتاب ، وترجمة صاحبه ، ووصف مخطوطاته في مقدمة الجزء الأخير إن شاء الله .

• • •

ولاريب في أن ظهور كتاب الموازنة في هذه الطبعة الكاملة سيرفع من قدر الأملى ، وينبه من ذكره وما كان خاملاً ، ولكن بعض الذكر أنه من بعض ، كما يقول الشاعر القديم . وسيكون ظهورها كذلك فتحاً مبنياً ، ومصدراً خصيباً للأبحاث الجديدة في النقد الأدبي ، وستكشف أضواءه القوية مسارب الهم ، ومزالق الخطأ فيها كتبه المحدثون عنه . وإن في نصوصه ثقافاً متيناً يقيم متادها ، ويصلح معوجها ، وسلاحاً صلياً يأتي على معظمها ، ويقلبه رأساً على عقب ، ويحفز الأحياء من كتابها إلى إنشائها من جديد ، وتأسيسها على دعائم قوية من الأفكار والآراء التي اشتمل عليها الكتاب ، ولم يظهروا عليها إلا في هذه الطبعة الكاملة التي بذلت وسعى في نشرها ، وعاقى مقامى في الكويت عن تصحيح ملازمها في أثناء طبعها .

• • •

وإني - على نهجي الذي انتهجت منذ أول كتاب نشرت - أدعو النقاد إلى إظهارى على أوهامى فيها ، وتبيين ما دق عن فهمى من معانيها ، أو ندد عن نظرى من مبانيها ؛ وفاء بحق العلم عليهم ، وأداء لحق النصيحة فيه ، لأبلغ بالكتاب فيما يستأنف من الزمان ، أمثل ما أستطيع من الصحة والإتقان .

والنشر فن خفي المسالك ، عظيم المزالق ، جم المصاعب ، كثير المضايق ؛ وشواغل الفكر فيه متواترة ، ومتاعب البال وافرة ، ومبهضات العقل غامرة ، وجهود الفرد في مضماره قاصرة ؛ يؤودها حفظ الصواب في سائر نصوص الكتاب ، ويعجزها ضبط شوارد الأخطاء ، ورجعها جميعاً إلى أصلها ؛ فيأتي الناقد وهو موفور الجحام فيقصد قصدها ، ويسهل عليه قصصها .

ومن أجل ذلك قلت - وما أزال أقول - : إنه يجب على كل قارئ للكتب
القديمة أن يعاون ناشرها بذكر ما يراه فيها من أخطاء ؛ لتخلص من شوائب
التحريف والتصحيح الذي منيت به ، وتخرج للناس صحيحة كاملة . والله
ولى التوفيق .

السيد أحمد صقر

الكويت في } ٢٧ من ذي الحجة ١٣٧٩ هـ
٢٢ من يونيو ١٩٦٠ م

الموازنة

بين شعراء أبي تمام والبُحتري

لأبي الفاسم الحسن بن بشر الأمدى

Handwritten text in Arabic script, mostly illegible due to extreme fading and bleed-through from the reverse side of the page. The text appears to be a continuous paragraph or a list of items.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو القاسم: الحسنُ بنُ بشرِ بنِ يحيى الأمدِيُّ :
 هذا ما حُثَّتْ - أدام الله لك العز والتأييد والتوفيق والتسديد - [عليه
 وبعثتني] ^(١) على تقديمه ، من الموازنة بين أبي تمام: حبيب بن أوس الطائي ،
 وأبي عبادَةَ : الوليد بن عبيد ^(٢) البُحْتُري في شعرهما .
 وقد رسمتُ من ذلك ما أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة ،
 وأحسن في اعتماد الحق ، [وتحرى الصدق] ^(٣) وتجنب الهوى - المعونة بمنه ^(٤) ورحمته .
 ووجدتُ - أطال الله بقاءك ^(٥) - أكثر من شاهدته ورأيتُه من رواة أشعار ^(٦)
 المتأخرين ، يزعمون أن شعر أبي تمام : حبيب بن أوس الطائي لا يتعلّق
 بجيده ^(٧) جيّد أمثاله ، وردّه مطرَح ^(٨) مرذول ؛ فلهذا كان ^(٩) مختلفاً لا
 يتشابه ، وأن شعر الوليد بن عبيد البحتري صحيحُ السبك ، حسن الديباجة ^(١٠) ،
 ليس فيه سفسافٌ ولا ردى ولا مطروح ^(١١) ، ولهذا صار ^(١٢) مستويّاً يشبه
 بعضه بعضاً .

-
- (١) الزيادة من « ك »
 (٢) م ، ك « عبيد الله البحتري »
 (٣) الزيادة من ك
 (٤) ط « منه »
 (٥) ط ، ك « عمرك »
 (٦) ط « الأشعار »
 (٧) م « بجيد »
 (٨) ط « مطروح ومرذول »
 (٩) م ، ك « ولهذا ما صار »
 (١٠) ط « الديباجة »
 (١١) م « متطرح » و ك « مطرح »
 (١٢) في ك : « ماصار »

وجدتهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما ، وكثرة جيدهما وبدائعهما ، ولم يتفقوا على أيهما أشعر ؟ كما لم يتفقوا على أحد ممن وقع التفضيل بينهم من شعراء الجاهلية والإسلام والمتأخرين ، وذلك لميل من ^(١) فضل البحترى ، ونسبه إلى حلاوة اللفظ. ^(٢) ، وحسن التخلص ^(٣) ، ووضع الكلام في مواضعه ^(٤) ، وصحة العبارة ، وقرب المأتى ^(٥) ، وانكشاف المعاني . وهم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة .

وميل ^(٥) من فضل أبا تمام ، ونسبه ^(٦) إلى غموض المعاني ودقته ، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج . وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ومن يميل إلى التدقيق وفلسفى الكلام ^(٧) . وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة ، وذهب ^(٨) إلى المساواة بينهما ، وإنهما لمختلفان ؛ لأن البحترى أعرابى الشعر ، مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ، وكان يتجنب التعقيد ومُسْتَكْرَه الألفاظ ^(٩) ووَحْشِيَّ الكلام ؛ فهو بآن يُقَاسُ بِأَشْجَعِ السُّلَمِيِّ ومنصور [النمرى] وأبى يعقوب المكفوف [الخريمى] وأمثالهم من المطبوعين - أولى .

ولأن أبا تمام شديد التكلف ، صاحبُ صنعة ، ويستكره ^(١٠) الألفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ، ولا على طريقتهم ؛ لما فيه من

(١) فى ط ، م : « ذلك كن فضل »

(٢) فى ط ، م « النفس »

(٣) فى ك : « التلخيص »

(٤) ط « المآق »

(٥) فى ط ، م « ومثل »

(٦) سقطت من ك

(٧) فى ك : « ولئن »

(٨) فى ك : « وذهب قوم »

(٩) م ، ك « اللفظ »

(١٠) ط « ويستكره »

الاستعارات البعيدة ، والمعاني المولدة ، فهو بأن يكون في حيز مسلم بن الوليد ومن هذا حدوه - أحق وأشبه .

وعلى أنى لا أجد من أقرنه به ؛ لأنه ينحط عن درجة « مسلم » ؛ لسلامة شعر « مسلم » وحسن سبكه ، وصحة معانيه . ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب ؛ لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته .

* * *

ولست أحب أن أطلق القول بأيهما^(١) أشعر عندى ؟ لتباين الناس في العلم ، واختلاف مذاهبهم في الشعر ، ولا أرى أن يفعل ذلك فيستهدف لزم أحد الفريقين^(٢) ؛ لأن الناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر ؟ فى امرئ القيس والنابعة وزهير والأعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأخطل ، ولا فى بشار ومروان [والسيد] ، ولا فى أبي نواس وأبى العتاهية ومسلم [والعباس ابن الأحنف]^(٣) ؛ لاختلاف آراء الناس فى الشعر ، وتباين مذاهبهم فيه . فإن كنت - أدام الله سلامتكم^(٤) - ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك ، وحسن العبارة ، وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرونق ؛ فالبحترى أشعر عندك ضرورة .

وإن كنت تميل إلى الصنعة ، والمعاني الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تداوى على ما سوى^(٥) ذلك ؛ فأبو تمام عندك أشعر لا محالة .

(١) فى ك : « فأقول أيهما »

(٢) م ، ك « إحدى الفرقتين »

(٣) م ، ك « والأحنف »

(٤) فى ك : « كرامتكم »

(٥) ط « على غير »

فأنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكنى أوازن^(١) بين قصيدة وقصيدة^(٢) من شعرهما إذا اتَّفَقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم أقول^(٣) : أيهما أشعر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى ؟ ثم أحكم أنت حينئذ [إن شئت] على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علماً بالجيد والردى .

* * *

وأنا أبتدئ بذكر ما^(٤) سمعته من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى ، عند تخصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر^(٥) ، وما ينهاه بغض على بعض ، لتأمل ذلك ، وتزداد بصيرة وقوة في حكمك إن شئت أن تحكم ، واعتقادك فيما لعل أن تعتقده^(٦) .

احتجاج الخصمين

١ - قال صاحب أبي تمام : كيف يجوز لقائل أن يقول : إن البحترى أشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ ، وعلى حدوه احتذى ، ومن ههنايه اشتق ؟ وتعلمذ له^(٧) . حتى قيل : الطائي الأكبر ، والطائي الأصغر ؛ واعترف البحترى بأن جيد أبي تمام خير من جيده ، على كثرة جيد أبي تمام ، فهو بهذه الخصال أن يكون أشعر من البحترى أولى من أن يكون البحترى أشعر منه .

(١) في ط ، م : « أقارن »

(٢) ط « بين قصيدتين »

(٣) ط « فأقول »

(٤) ط « بما »

(٥) في ك « صاحبه »

(٦) ط « تعتقد احتجاج الخصمين به » ! ، وفي م : « لعلك تعتقده »

(٧) ط « وباراه » !

٢- قال صاحب البحرى: أما الصحبة فما صحبه ولا تتلمذ له^(١) ولا روى ذلك أحد عنه^(٢) ، ولا نقله ، ولا رأى^(٣) قط. أنه محتاج إليه ، ودليل هذا [هو] الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند أبي سعيد : محمد بن يوسف الثغرى وقد دخل إليه البحرى بقصيدته التى أولها :

« أأفاق صبٌّ من هوى فأفريقاً »^(٤)

وأبو تمام حاضر ، فلما أنشدتها علّق أبو تمام أبياتاً كثيرة منها ، فلما فرغ من الإنشاد أقبل أبو تمام على محمد بن يوسف فقال : أيها الأمير ، ما ظننت أن^(٥) أحداً يُقدم على أن يسرق شعرى وينشده بحضرك حتى اليوم ، ثم اندفع ينشد ما حفظه ، حتى أتى على أبيات كثيرة من القصيدة ، فبهت البحرى ، ورأى أبو تمام الإنكار فى وجه أبي سعيد : محمد بن يوسف ، فحينئذ قال أبو تمام : أيها الأمير ، والله ما الشعر إلا له ، ولقد أحسن فيه الإحسان كله ، وأقبل يُقرظه ويصف معانيه ، ويذكر محاسنه ، ثم جعل يفخر باليمن ، وأنهم ينبوع الشعر ، ولم يقنع من محمد بن يوسف حتى أضعف للبحرى الجائزة .

فهذا الخبر الشائع^(٦) يُبطل ما ادعيم ؛ إذ كان من يقول هذه القصيدة التى هى من عين شعره وفاخر كلامه ، وهو لا يعرف أبا تمام إلا أن يكون بالخبر ،

(١) ط ، ك « ولا تلمذ »

(٢) سقطت من م ، ك

(٣) ط « ولا رأى »

(٤) عجزه كما فى ديوانه ٧٢٢ « أم خان عهداً أم أطاع صديقاً » وانظر أخبار بى تمام ١٠٥

والأغاني ١٨/١٦٩

(٥) سقطت من م

(٦) ط « وإنه أحسن الإحسان »

(٧) فى ط « الخبر الشنيع » وهو تحريف شنيع !

يستغنى عن أن يَصْحَبَهُ أو يتلمذ له أو لغيره في الشعر .

وقد^(١) أخبرني أنا رجلٌ من أهل الجزيرة يكنى أبا الوضاح - وكان عالماً
شعر أبي تمام والبحترى وأخبارهما - أن القصيدة التي سمعها أبو تمام من
البحترى عند محمد بن يوسف - وكان اجتماعهما وتعارفهما - القصيدة التي
أولها :

فِيمَ أَنْتِدَارُكَمَا الْمَلَامَ وَلَوْعَا [أَبَكَيْتَ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعًا]^(٢)
وأنه لما بلغ إلى قوله :

فِي مَنْزِلِ ضَنْكَ تَخَالُ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَيْنَ ضُلُوعًا^(٣)
نَهَضَ إِلَيْهِ أَبُو تَمَامٍ فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : سروراً به ، وَتَحَفُّيًا^(٤) بالطائفة ،
ثم قال : أبا الله إلا أن يكون الشعر يَمِينًا .

قال صاحب البحترى^(٥) : إلا أنا - مع هذا - لا تُنْكِرُ^(٦) أن يكون قد
استعار بعض معاني أبي تمام ؛ لقرب البلدين ، وكثرة ما كان يطرق سمع
البحترى من شعر أبي تمام فَيُعَلِّقُ شيئاً من معانيه ، معتمداً للأخذ أو غير
معتمد .

(١) سقطت من م ، ك

(٢) ديوانه ٢٥٧

(٣) في ك والديوان ص ٢٥٩ « في معرك ضنك »

(٤) في ك : « وتحققا »

(٥) في ط «صاحب أبي تمام» وعلق عليها الشيخ محمد محيي الدين بقوله : « في المطبوعات كلها :
صاحب البحترى ، وليس بذلك ! »

وأدنى تأمل يدل على أن تغييره لما اتفقت عليه النسخ هو الذي ليس بذاك ، فإن كلام صاحب
البحترى لم ينته بعد ، وإنما قال الآمدي : قال صاحب البحترى لأنه ذكر رواية أخرى لم يروها
صاحب البحترى وهي التي بدأها بقوله : وقد أخبرني أنا ، ولما فرغ منها رجع إلى سرد بقية الكلام الأول
وأشار إلى ذلك بقوله : قال صاحب البحترى

(٦) ط « إلا أنه . . . لا ينكر »

وليس^(١) ذلك بمانع من أن يكون البحترى^٢ أشعر منه ؛ فهذا^(٣) كثير قد أخذ عن جميل ، وتلمذ له ، واستقى من معانيه ، فما رأينا أحداً^(٤) أطلق على كثير أن جميلاً أشعر منه ، بل هو - عند أهل العلم بالشعر والرواية - أشعر من جميل .

وهذا ابن سلام^٥ الجُمجِي ذكره في كتاب « الطبقات » في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام^(٦) وجعله مع البُعَيْث والقُطَامِي ، وذكر^(٧) أنه عند أهل الحجاز خاصة أشعر من جرير والفرزدق والأخطل ، وجعل جميلاً في الطبقة السادسة مع عبد الله بن قيس الرقيّات والأخوص ونصيب^(٨) ، إلا أنه قال : إن جميلاً يتقدّمه في النسب^(٩) .

وهذا غير مقبول منه ؛ لأنه إنما يحكيه عن نفسه ، وأهل الحجاز إنما قدموا كثيراً من أجل نسيبه ، وحسن تصرفه فيه . و [قد] حكى عن جرير في بعض الروايات أنه قال : كثير أنسبنا .

(١) الكلام في جميع النسخ متصل من قول صاحب البحترى ، ولكن الشيخ محي الدين حذف واو « وليس » وزاد قبلها قال صاحب البحترى ، وصدرها برقم ٤ ليصح له تغييره السابق للنص فهو وهم على وهم !

(٢) في ك . « هذا »

(٣) في ط ، م : « أن أحداً »

(٤) راجع طبقات الشعراء ٤٥٢

(٥) م ، ك « وحكى »

(٦) طبقات الشعراء ٥٣٩

(٧) نص عبارة ابن سلام في الطبقات ٤٦١ « وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر ، وجميل مقدم عليه وعلى أصحاب النسب جميعاً في النسب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصبابة ، وكان كثير يتقول ولم يكن عاشقاً »

ويدلّ على تقدمه في النسب قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها أبا سعيد الكاتبي^(١) أولها :

• مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَنْ لَا تُجِيبَا^(٢) •

لَوْ يُفَاجِي ذِكْرُ الْمَدِيحِ كَثِيرًا بِمَعَانِيهِ خَالَهُنَّ نَمْسِيَا^(٣)
طَابَ فِيهِ الْمَدِيحُ وَالْتَدَّ حَتَّى فَاقَ وَصْفَ الدِّيَارِ وَالتَّشْبِيهَا^(٤)
أَرَادَ أَنْ كَثِيرًا لَوْ فَاجَأَهُ هَذَا الْمَدِيحُ - عَلَى حُسْنِ نَمْسِيهِ - لَخَالَه نَمْسِيًا
[من حسنه]

ونخصّ كَثِيرًا [بهذا] لشهرته [بحسن] النسب وبراعته [فيه] ،
فاتحتمل ضرورة الشعر ، وردّ كَثِيرًا إلى التكبير فقال : كَثِيرًا ؛ ولم يقل
جَمِيلًا ولا جَرِيرًا ولا غيرهما ، مما لا ضرورة في اسمه .

وعلى أن «كُثِيرًا» [قد]^(٥) ذكر اسمه [في شعره] مكبرًا : إما^(٦)
ضرورة ، وإما اعتمادًا لتفخيم اسمه وأن لا يأتي به مُحَقَّرًا ، فقال :
وَقَالَ لِي الْوَأَشُونَ : وَيَحْكُ ! إِنَّهَا بِغَيْرِكَ حَقًّا يَا كَثِيرُ تَهْمُ
وقد ذكر أبو تمام كُثِيرًا في مواضع آخر ، فجاء به مكبرًا في قصيدة يمدح
بها الحسن بن وهب ويصفه بالبلاغة ، وذلك قوله^(٧) :

-
- (١) م ، ك «الصائغ» وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغري راجع ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ١٦٤/١ وأخبار أبي تمام ٢٢٧ وجه الأيام ٢٨٨
(٢) عجزه كما في ديوانه بشرح التبريزي ١٦٤/١ « فصول من مقلة أن تصويبا » قال التبريزي :
« تصوب : من صاب السحاب إذا جاء بالمطر »
(٣) في ديوانه « ذكر » كما في م وفي ط والتبريزي « ركن » والهاء في معانيه راجعة على الممدوح .
والبيت في الديوان مؤخر عن تاليه
(٤) قال التبريزي : « لأن أطيب الشعر ما كان تشبيهاً ، وقد صار مدحه ألد وأطيب » .
(٥) الزيادة من ك
(٦) في ك : « فلما »
(٧) ط « وهو »

فَكَانَ قُصَا فِي عُكَاظٍ. يَخْطُبُ^(١) وَكَثِيرَ عَزَّةٍ يَوْمَ بَيْنِ يَنْسِبُ^(٢)

وذلك لعلم أبي تمام بتقدم كُثَيْرٍ في النسب على غيره ، وشهرته بالتجويد فيه ، على^(٣) أن جميلاً لا شعر له مما يُعْتَدُّ به إلا في النسب والغزل .

فقد علمت الآن أن هذه خَلَّةٌ^(٤) لا توجب لكم تفضيل أبي تمام على البحتري من أجل أنه أخذ شيئاً من معانيه .

وأما قول البحتري : « جَيْدُهُ خَيْرٌ مِنْ جَيْدِي وَرَدِيئِي خَيْرٌ مِنْ رَدِيئِهِ »^(٥) فهذا الخبر - إن كان صحيحاً - فهو للبحتري ، لا عليه ؛ لأن قوله هذا يدلُّ على أن شعر أبي تمام شديد الاختلاف ، وشعره شديد الاستواء ، والمستوى الشعر أولى بالتقدمة من المختلف الشعر ، وقد أجمعنا^(٦) - نحن وأنتم - على أن أبا تمام يعلو علواً حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً ، وأن البحتري يعلو ويتوسط^(٧) ، ولا يسقط . ومن لا يسقط ولا يُسْفِسُفُ أَفْضَلُ ممن يسقط ويسفسف .

* * *

والذي أرويه^(٨) عن أبي علي : محمد بن العلاء السجستاني - وكان

(١) هذا صدر بيت عجزه : « وَكَانَ لَيْلِ الْأَغِيلَةِ تَنْدُبُ »

(٢) وهذا صدر البيت الذي يليه وعجزه : « وَابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي الْيَتِيمَةِ يَسْهَبُ » راجع ديوانه بشرح

التبريزي ١٤٢/١ و ص ٤٠ بيروت

(٣) في ك : « هذا على »

(٤) ط « حالة »

(٥) قال ذلك للحسين بن علي الياقطاني وقد سأله : أيما أشعر أنت أو أبو تمام ، كما رواه الصولي في أخبار أبي تمام ٦٧ وقد عقب عليه بقوله : « وقد صدق البحتري في هذا ، جيد أبي تمام لا يتعلق به أحد في زمانه ، وربما اختلف لفظه قليلاً لا معناه ، والبحتري لا يختل » وانظر الأغاني ١٨/١٦٨ .

(٦) ط « اجتمعنا »

(٧) ط « بتوسط »

(٨) ط « فرويه » ، ك : « أرويه أنا » .

صديق البحتري - أنه قال ، سُئِلَ البحتريُّ عن نفسه وعن أبي تمام ، فقال :
كان^(١) أغوص على المعاني [منى] ، وأنا أقومُ بعمود الشعر [منه] . وهذا
الخبر هو الذى يعرفه الشاميون ، دون غيره .

وسمعت أبا على : محمد بن العلاء أيضاً يقول : كان البحتريُّ عند
نفسه أشعر من أبي تمام و [من] ^(٢) سائر الشعراء المحدثين [أو أكثر الشعراء
المحدثين] .

وقد ذكر أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح فى كتابه الذى ذكر
فيه أخبارَ الشعراء نحواً من ذلك^(٣) .

قال أبو على : محمد بن العلاء : كان البحتري إذا شرب وأنس أنشد
شعره^(٤) وقال : ألا تسمعون ؟ ألا تعجبون ؟ قال : وكان - مع هذا - [من]
أحسن الناس أدب نفس ، لا يُذكر [له] شاعر محسن أو غيرُ محسن
إلا قرَّظَه ، ومدحه ، وذكر أحسن ما فيه .

قال أبو على : ولم لا يفعل ذلك ؟ وقد أسقط فى أيامه أكثر من
خمسمائة شاعر ، وذهب بخبزهم^(٥) ، وانفرد بأخذِ جوائز الخلفاء والملوك^(٦)
دونهم . فلو لم يفعل ذلك إلا استِكْفافاً [لهم] ^(٧) وحذراً من بيت واحد يندر
فيبقى على الزمان - لكان من الحظ له أن يفعله .

(١) ط « هو »

(٢) الزيادة من ك

(٣) وهو غير كتاب « الورقة » ، على ما نعتقد

(٤) فى ك : « شعر نفسه »

(٥) ط « بخبزهم »

(٦) ليست فى ك .

(٧) الزيادة من ك

[قال] : وكذلك كان أبو علي : دُعِبِلُ بن علي الخزاعي يهجو الملوك والخلفاء ولا [يكاد] يعرض لشاعر^(١) إلا ضرورة ، وقد حذّر في أول كتابه الذي ألفه في الشعراء من التعرض للشاعر ، ولو كان من أدّون الناس طبقة^(٢) في الشعر ، وقال : رُبَّ بيت جرى على لسان مُفَحَّم قيل فيه : «رُبَّ رمية من غير رام»^(٣) فسارت به الركبان ، ولذلك يقول في بعض شعره :

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لِأَمْرِي طَبَنٍ مَارَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ^(٤)
فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٍ مَشْثُومَةٍ لَمْ يُرَدَّ إِنْمَاؤُهَا نَمَتِ

* * *

ثم نرجع إلى قول الخصمين :

* * *

٣- قال صاحب أبي تمام : فأبو تمام انفرد بمذهب اخترعه ، وصار فيه أولاً وإماماً متبوعاً ، وشُهر به حتى قيل : مذهب أبي تمام^(٥) ، وطريقة أبي تمام ، وسلك الناس نهجَه ، واقتَفَوْا أثرَه . وهذه فضيلة عَرِيَ عن^(٦) مثلها البحتري .

* * *

٤- قال صاحب البحتري : ليس الأمر في اختراعه لهذا المذهب على ما

(١) ط «لشاعري»

(٢) ط «الشاعر . . . صنعة»

(٣) مثل يضرب للمخطئ يصيب أحياناً ، راجع جمهرة الأمثال ١١٠ وجميع الأمثال ٣١٠/١

(٤) الموشح ٣٨٠ والسبعة ٦١/١ وذيل أمالي القالي ١١٢ والكامل ٣٥٤/١ وأمال المرتضى

٢٧٠/٢ وديوان دعبيل ١٣٧

(٥) في ط ، م : «هذا مذهب أبي تمام»

(٦) في ك : «من»

وصفتم^(١) ولا هو بأول فيه ، ولا سابق إليه ، بل سلك في ذلك سبيل مُسلم ، [بن الوليد]^(٢) ، واحتذى حذوه ، وأفرط وأسرف وزال عن النهج المعروف ، والسَّنن المألوف ، وعلى أن مسلماً أيضاً غير مبتدع لهذا المذهب ، ولا هو أول فيه ، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسمُ البديع - وهي : الاستعارة ، والطباق ، والتجنيس - منشورة^(٣) متفرقة في أشعار المتقدمين ، فقصدتها ، وأكثر في شعره منها ، وهي في كتاب الله عز وجل [أيضاً] موجودة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَشْتَعَلُ الرَّأْسُ شَيْباً ﴾^(٤) وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾^(٥) وقال : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾^(٦) فهذا من الاستعارة التي هي [مجاز] في القرآن .

* * *

وقال امرؤ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِجُوزِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّكَلٍ^(٧)
فَجَعَلَ اللَّيْلُ يَتَمَطَّى ، وَجَعَلَ لَهُ أَرْدَافًا^(٨) وَكُلِّكَلًا .

وقال زهير :

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ
وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ^(٩)

(١) ط « لاختراعة . . . ما وصفته »

(٢) من ك

(٣) ط « منشورة »

(٤) سورة مريم : ٣ والبديع ١٩ وإعجاز القرآن ١٠١ والصناعتين ٢٧٢ .

(٥) سورة يس : ٣٧ والبديع ١٩ وإعجاز القرآن ٤٠٤ والصناعتين ٢٧٣ .

(٦) سورة الإسراء : ٢٤ والبديع وإعجاز القرآن ١٠١ .

(٧) البديع ٢٥ والصناعتين ٢٨٣ ونقد الشعر ٦٧ والعمدة ٢٤٥/١ والموشح ٣١ ودلائل الإعجاز

٦٢ وطبقات الشعراء ٧١ وديوانه ١٠٠ وسر الفصاحة ١١٣ وإعجاز القرآن ١١٢ وقراءة الذهب ١٥ .

وفى ك : « تَمَطَّى بصلبه »

(٨) فى ك : « أَرْدَافًا »

(٩) البديع ٢٦ وديوانه ٢٤ وسر الفصاحة ١١٥ وإعجاز القرآن ١١٣ والوساطة ٣٣ ، ٢٠٦

والصناعتين ٢٨٢ وقراءة الذهب ١٦ ومعاهد التنصيص ١٧١/٢ وأسرار البلاغة ٢٦ ، ٤٥

والمصباح ٦٣

فجعل للصبأ^(١) أفراساً ورّواحل .

[وقال طفيل الغنوى :

وجعلت كورى فوق ناجية يقتات شحم سنامها الرجل^(٢)

فجعل الرجل يقتات السنام] .

وقال لبيد الجعفرى^(٣) :

وغداة ربيع قد كَشَفْتُ وقرّة إذ أَصْبَحْتُ بِبَيْدِ الشَّامِ زِمَامُهَا^(٤)

فجعل للشّام يداً ، وللغداة زماماً .

فهذه كلها استعارات .

* * *

وقال عز وجل في الجناس^(٥) : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٦)

[وقال] : ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾^(٧) .

وقال النبي عليه السلام : « عُصْبَةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَغَفَارٌ غَفَرَ اللَّهَ

لَهَا ، وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهَ »^(٨) .

وقال القطامي :

فلما رَدَّهَا فِي الشُّوْلِ شَالَتْ بِذِيَالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعاً^(٩)

(١) ط « الهوى »

(٢) البديع ٣٠ وديوانه ص ٦٢ ونقد الشعر ٦٧ والصناعتين ٢٨٣ وسر الفصاحة ١١٣ والسان

٣٧٩/٢ والعمدة ٢٤٤/١ وأسرار البلاغة ٤٣

(٣) في ط « الحق » وهو تحريف

(٤) البديع ٣٣ وشرح القصائد العشر ١٥٨ والعمدة ٢٣٩/١ والوساطة ٣٣ والصناعتين ٢٨٥

وأسرار البلاغة ٤٣ . وفي ط « لغداة يداً وللشّام زماماً » وهو خطأ واضح .

(٥) ط ، ك « التجنيس »

(٦) سورة النمل : ٤٤ والبديع ٥٥ وإعجاز القرآن ١٢٧ والصناعتين ٣٢٢

(٧) سورة الروم : ٤٣ والبديع ٥٦ والصناعتين ٣٢٢ وإعجاز القرآن ١٢٧

(٨) البديع ٥٦ والصناعتين ٣٢٣ وإعجاز القرآن ١٢٧ وإمتاع الأسماع ١٧٢/١ - ١٧٣

(٩) البديع ٥٦ وديوانه ٤٣ والصناعتين ٣٢٨ وإعجاز القرآن ١٣٠ . والشول : طروقة الفحل .

ردّها : لأنه ظن أنها لم تحمل فشالت بذنبها لأنها لا تمح . وذيال : ذنب طويل ولفاع : ثوب تلتصق به

وقال أيضاً :

كَنِيَّةُ الْحَيِّ مِنْ ذِي الْقَيْظَةِ أَحْتَمَلُوا مُسْتَحْقِبِينَ فَوَادًا مَالَهُ فَادٍ^(١)

وقال جرير :

وَمَا زَالَ مَعْقُولًا عَقَالٌ عَنِ النَّدَى وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسُ^(٢)

وقال ذو الرمة :

كَأَنَّ الْبُرَى وَالْعَاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ عَلَى عَشْرِ نَهَى بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحُ^(٣)

وقال امرؤ القيس :

لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَا حُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلَبَّسَا^(٤)

وقال الفرزدق :

خُفَافٌ أَخَفَّ اللَّهُ عَنْهُ سَحَابُهُ وَأَوْسَعُهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَحَاصِبُ^(٥)

ذكر ذلك كله أبو العباس : عبد الله بن المعتز في « كتاب البديع » .

وقال : ومن الطباق قولُ الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾^(٦) .

(١) ديوانه ٨ وسر الفصاحة ١٨٤ والشعر والشعراء ٧٠٣/٢ وفي ط « القَيْظُ فاحتملوا »
وفي ديوانه ٨ « من ذى الغضبة . . . أسيراً ماله » احتملوا من مرعى تذر عليهم حتى نزلوا في مكان
غيره ، كنية الحى ، يقول : ما للكواعب ودعتى كما ودعتى حتى كنت كلفاً بهم فظعنوا واستحقبوا فوادي
وهو الأسير الذى لا يفديه أحد . أراد : ماله من يفديه . ويروى من ذى الغضبة ، وهو مكان »

(٢) ديوانه ٣٢٦ « عن العل » البديع ٥٦ « عن المجد حابس » سر الفصاحة ١٨٤ وأخبار أبي تمام
٢٦٤ والصناعتين ٣٢٨ وفي زهر الآداب ٣٦٩/٢ عقال بن محمد ، جد الفرزدق وحابس بن عقال ،
أبو الأقرع بن حابس أحد المؤلفات قلوبهم .

(٣) البديع ٥٧ نقد الشعر ٦١ العمدة ٢٩٣/١ والصناعتين ٣٢٧ والكامل ٦٩٢/٢ وفي ديوانه
٨١ « البرى : الخلاخيل . والعاج : أسورة تتخذها نساء الأعراب من العاج ، وواحد البرى : برة ،
وكل حلقة تسمى العرب برة . عيجت : لويت على العشر . والعشر : شجر ناعم لين ، شبه سوقها
وسواعدها به فى استوائه ولينه . نهى به السيل أبطح ، يقول : ينهى الأبطح السيل بالعشر إلى مكان ينبت
فيه . والأبطح : بطن الوادى .

(٤) البديع ٥٩ والصناعتين ٣٢٥ والكامل ٧٤٠/٢

(٥) البديع ٥٩ ونقد الشعر ٦١ والصناعتين ٣٢٥ ديوانه ٢٩/١ « جفاف أجف »

(٦) سورة البقرة ١٧٩ والبديع ٧٤ والصناعتين ١٧٥ وإعجاز القرآن ١٢٢ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم [للأنصار] ^(١) «إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْدُلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ» ^(٢).

وقال زهير :

لَيْتُ بَعَثَ بِضَطَّادِ الرِّجَالِ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا ^(٣)
فطابق بين الصدق والكذب .

وقال طُفَيْلُ الْعَنَوِيُّ :

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَا جَاهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرُّوعِ مَبْذُولٌ ^(٤)
فطابق بين قوله « يسان » وبين قوله « مبدول » .

فتتبع مسلم بن الوليد هذه الأنواع واعتمدها ^(٥) ، ووُشَّح شعره بها ، ووضعها في مواضعها ^(٦) ، ثم لم يَسْلَمْ مع ذلك من الطعن ، حتى قيل : إنه أول من أفسد الشعر ، روى ذلك أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، قال : حدثني محمد بن قاسم بن مهرويه ، قال : سمعت أبي يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، ثم اتبعه أبو تمام ، واستحسن مذهبه ، وأحب أن يجعل كل بيت من شعره غير خال من بعض هذه الأصناف ، فسلك

(١) من ذلك

(٢) البديع ٧٤ البيان والتبيين ١٦/٢ والصناعتين ٣٠٩ وإعجاز القرآن ١٢٣

(٣) ديوانه ٥٤ والبديع ٧٨ ونقد الشعر ٢٣ والعمدة ٦/٢ كذب : لم يصدق في الحملة ، والقرن : الكفء في القتال ، وعثر : جبل بتبالة أو من ديار مذحج أو واد بالعقيق ؛ كما في معجم البكري : ٩٢١/٣ .

(٤) البديع ٧٩ والصناعتين ٣١٢ والعمدة ٦/٢ وديوانه ٣٣ . بساهم الوجه : أي قليل لحم الوجه لطول غزوه ولتقته . والأبجل : عرق في الرجل ، لم تقطع أباجله : لم يفصده البيطار لداء أصابه .

(٥) ط « واعتمدها »

(٦) في ط ، م : « موضعها »

طريقاً وعرّاً ، واستكره الألفاظ والمعاني ، ففسد شعره ، وذهبت طلاقته ، ونشف ماؤه .

وقد حكى عبد الله بن المعتز في هذا الكتاب الذي لقبه [بكتاب] البديع^(١) أن بشاراً وأبناً نواس ومُسلم بن الوليد ومن تَقَبَّلَهم لم يَسْبِقُوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم . ثم إن الطائي تفرَّع فيه ، وأكثر منه ، فأحسن في بعض ذلك ، وأساء في بعض ، وتلك عُقْبَى الإفراط ، وثمرة الإسراف .

قال : وإنما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة ، وربما قرئ من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت واحد بديع ، وكان يُسْتَحْسَن ذلك منهم إذا أتى نادراً ، ويزداد حُظوة بين الكلام المرسل . وقد كان بعضهم يشبه الطائي في البديع بصالح بن عبد القدوس في الأمثال . ويقول : لو أن صالحاً^(٢) نشر أمثاله في تضاعيف شعره وجعل بينها فصولاً من أبياته ، لسبق أهل زمانه وغلب على ميدانه . قال ابن المعتز : وهذا أعدل كلام سمعته .

* * *

قال صاحب البحتري : فقد سقط الآن احتجاجكم باختراع أبي تمام لهذا المذهب وسبقه إليه ، وصار استكثاره منه وإفراطه فيه من أعظم ذنوبه ، وأكبر عيوبه ، وحصل للبحتري أنه مافارق عمود الشعر وطريقته المعهودة ، مع مانجده كثيراً في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة ، وانفرد بحسن العبارة ،

(١) راجع ص ١٥ - ١٦

(٢) ط « كان صالح »

وحلاوة الألفاظ^(١) ، وصحة المعاني : حتى^(٢) وقع الإجماع على استحسان شعره واستجادته ، وروى شعره واستحسنه سائر الرواة على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم ؛ فمن نَفَقَ على الناس جميعاً أولاً بالفضل^(٣) ، وأحقُّ بالتقدمة .

* * *

٥ - قال صاحب أبي تمام : إنما أعرض عن شعر أبي تمام من لم يفهمه ؛ لدقة معانيه ، وقصور علمه عنه ، وفهمته العلماء وأهل النَّفَازِ^(٤) في علم الشعر ، وإذا عَرَفَتْ هذه الطبقةُ فضله لم يضره^(٥) طعن من طعن بعدها عليه .

٦ - قال صاحب البَحْثِرى : فابنُ الأعرابيِّ وأحمد بن يحيى الشيباني - وقبلهما دَعْبِلُ بن عليٍّ الخُزَاعِي - قد كانوا علماء بالشعر وبكلام العرب ، وقد عرفتم مذاهبهم في أبي تمام وإرذالهم لشعره^(٦) وطعن دعبيل عليه ، وقوله^(٧) : إن ثلث شعره محال ، وثلثه مسروق ، وثلثه صالح . رواه^(٨) أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح في كتاب الشعراء ، عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبيل .

[وحكى أيضاً] عن دعبيل أنه قال : ما جعله الله من الشعراء ، بل شعره بالخطب وبالكلام المنشور أشبه منه بالشعر . ولم يُدْخَلْ في كتابه المؤلف في الشعر .

(١) في ك : « اللفظ »

(٢) ط « وحيث »

(٣) في ط ، م : « بالفضيلة »

(٤) ط « فهمه عنه وفهم العلماء والنقاد »

(٥) في ك : « لم يضره »

(٦) ط « وازدراهم بشعره »

(٧) ط « وقولهم »

(٨) ط « وروى »

وقال ابن الأعرابي في شعر أبي تمام : إن كان هذا شعراً فكلام العرب باطل ، روى ^(١) ذلك أبو عبد الله : محمد بن داود ، عن البحتري ، عن ابن الأعرابي .

وحكى محمد بن دواد أيضاً عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة ابن محمد - وكان عالماً بالشعر - أنه قال : أبو تمام يريد البديع فيخرج إلى المحال .

وروى [أيضاً] عنه أنه قال : دخل إسحاق بن إبراهيم الموصلي على الحسن بن وهب وأبو تمام يُنشد ، فقال له إسحاق : يا هذا لقد شددت على نفسك . وذكر أيضاً ذلك أبو العباس : عبد الله بن المعتز بالله في كتاب البديع ^(٢) .

وغير هؤلاء العلماء ممن أسقط ^(٣) شعره كثير : منهم أبو سعيد الضرير ، وأبو العميثل الأعرابي صاحباً ^(٤) عبد الله بن طاهر [والقيمان بأمر خزانة الحكمة] بخراسان ، وكانا من أعلم الناس بالشعر ، وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر إلا إذا امتحناه وعرض عليهما ^(٥) شعره ورضياه ، فقصدتهما أبو تمام بقصيدته التي يمدح فيها عبد الله بن طاهر وأولها :
هُنَّ عَوَادِي يُوُسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمًا فَقِدَمًا أَدْرَكَ الثَّارَ طَالِبُهُ ^(٦)

(١) م «وروى كذلك»

(٢) ص ١٠٣ وانظر الوساطة ٧٠ والصناعتين ٤٦

(٣) ط «أفسدوا»

(٤) ط «صاحب»

(٥) ط «وأنشدتهما»

(٦) ط ، لك «النجاح» وديوانه بشرح التبريزي ٢٢٣/١ «أدرك السؤل» وهما روايتان . وانظر أخبار أبي تمام ١١٥ وهما مشاهير .

فلما سمعا هذا الابتداء أعرضا عنه ، وأسقطا القصيدة ، حتى عاتبهما أبو تمام ، وسألهما [استقام] النظر فيها . فلولا أنهما مرا^(١) ببيتين مسروقين فيها استحسانهما فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر وأخذاه الجائزة -

لكان^(٢) قد افتضح وخابت سَفَرته ، وخسرت صفقته . والبیتان :
وركب كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهُ
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ^(٣)
أخذ معنى البيت الأول من قول البعيث :

أَطَافَتْ بِشُعْثٍ كَالْأَسِنَّةِ هُجِدَ بِخَاشِعَةِ الْأَصْوَاءِ غُبِرَ صُحُونُهَا^(٤)
وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر :

غُلَامٌ وَغَى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى فَخَانَ بِلَاءُهُ الدَّهْرُ الْخَوْثُونَ^(٥)
فَكَانَ عَلَى الْفَتَى الْإِفْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتِ الْمُنُونُ^(٦)
ولما أوصلا إليه الجائزة قالاه : لم لاتقول ما يفهم ؟ فقال لهما : لم لا تفهما ما يقال ؟ فكان بهذا مما استحسن من جوابه .

وهذا أبو العباس : محمد بن يزيد المبرد [كان معرضاً عنه] ، وما

(١) ط « ظفرا »

(٢) م ، ك « كان »

(٣) ذكر أبو هلال في ديوان المعاني ١٤٠/١ وقال : ليس في المضاء والعزيمة أجود منهما .

(٤) م ، ك « أطاف » ، م : « الأصوات » أى ساكنة الأصوات ومنه قوله تعالى : « وخشمت الأصوات للرحمن » ، أى سكنت والأصواء والصوى : أعلام من حجارة منصوبة في القياق المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها . ومعنى غبر مصونها : لا يهتدى للسير في أوساطها . وفى ك فوق مصونها : « متونها »

وانظر أخبار أبي تمام ١١٧ .

(٥) اللسان ١٧/٣٠٤ وديوان المعاني ١٤٠/١ وأخبار أبي تمام ٥٣ ، ١١٨ وفى م ، ك

« بلاءه الزمن » والصناعتين ٢٠٦

(٦) في اللسان « قال ابن برى : المنون : يريد بها الدهور بدليل قوله في البيت قبله : فخان

بلاءه الدهر الخنون » .

علمناه دُونَ^(١) له كبير شيء ؛ وهذه كتبه وأماله وإنشاداته تدلُّ على ذلك ، وكان يفضل البحتري ، ويستجيد شعره ، ويكثر إنشاده ، ولا يُمليه ؛ لأن البحتري كان باقياً في زمانه .

وأخبرنا أبو الحسن الأخفش رحمه الله قال : سمعت أبا العباس : محمد بن يزيد المبرد يقول : ما رأيت أشعر من هذا الرجل — يعني البحتري — ولولا أنه ينشدني كما ينشدكم^(٢) لمألتُ كُتُبِي وأمالَ من شعره . قال صاحب البحتري^(٣) : فقد بطل احتجاجكم بالعلماء ، وتفضيلهم لشعره^(٤) .

* * *

٧- [قال صاحب أبي تمام : أما احتجاجكم بدعبل فغير مقبول ولا معول^(٥)] عليه ؛ لأن دِعْبِلًا كان يشنأ أبا تمام ويحسده ، وذلك مشهور معلوم منه ؛ فلا يقبل قول شاعر في شاعر .
وأما ابن الأعرابي فكان شديد التعصب عليه ؛ لغرابة مذهبه ، ولأنه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه ، فكان إذا سُئل عن شيء منها يأنف أن يقول : لا أدري ؛ فيعدل إلى الطعن عليه .
والدليل على ذلك أنه أنشد يوماً أبياتاً من شعره وهو لا يعرف^(٦) قائلها ، فاستحسنها وأمر بكتبتها ، فلما عرف أنه قائلها قال : خرّقوا .

(١) م ، ك « روى »

(٢) ط « لما أنشدكم »

(٣) ط « صاحب أبي تمام » وهو خطأ بين !

(٤) ط « وتفضيلكم شعره عليه ، لأن دعبلا »

(٥) في ك : « معول »

(٦) ط « لا يعلم »

والأبيات من أرجوزته التي أولها :

وعاذِلْ عَدْلُتُهُ فِي عَذْلِهِ فَظَنْ أَنِّي جَاهِلٌ مِنْ جَهْلِهِ^(١)

و [إذا] كان ابنُ الأعرابي - مع علمه وتقدمه - قد حمل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر ، فما تُنكرون أن تكون حالُ سائر من ذكروهم أيضاً كحالهِ^(٢) ؟

* * *

٨ - قال صاحب البحرئ : لا يلزم ابن الأعرابي من الظلم والتعصب ما ادَّعيتُم ، ولا يلحقه نقصٌ في قصور فهمه عن معاني [شعر] شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب [المألوفة] إلى الاستعارات البعيدة المُمخرجة للكلام إلى الخطأ أو الإحالة ، بل العيبُ والنقص في ذلك يلحقان أبا تمام ؛ إذ عدل عن المحجة إلى طريقة يجهلها ابنُ الأعرابي وأمثاله .

وأما ما أستحسنه ابن الأعرابي من شعر أبي تمام [على أنه لأعرابي] وأمر بكتبه^(٣) ، ثم بتخريقه لما علم أنه قائله - فذلك غير مُنكر ، ولا مُدخل^(٤) ابن الأعرابي في التعصب ولا الظلم ؛ لأن الذي يورده الأعرابي - وهو محتذٍ على غير مثال - أحلى في النفوس ، وأشهى إلى الأسماع ، وأحق بالرواية^(٥) والاستجادة مما يورده المتحذى على الأمثلة وعُذرُ ابن الأعرابي في هذا واضح^(٦) ، وقد سبقه الأصمعي وذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنشد الأصمعي :

(١) ديوانه ٥٠٤ وأخبار أبي تمام ١٧٥ وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٢/٤ والجليس

والأنيس (مخطوط) ومروج الذهب ٧٣/٤

(٢) ط « أيضاً أن تكون . . . مثل حاله »

(٣) م « بكتبته »

(٤) ط « ولا يدخل »

(٥) ط « بالزيادة »

(٦) ط « في هذا إذا قد صح »

هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكَ سَبِيلُ فَيُرَوِّى الصَّدَى وَيُشْفَى الْعَلِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ الْقَلِيلُ

فقال له [الأصمعي] : لمن تنشدين ؟ فقال : لبعض الأعراب ، قال :
والله هذا هو الدُّبَّاجُ الخسرواني ، قال : فإنهما ليلتھما ، فقال : لا جرم
والله إن أثر الصنعة والتكلف بين عليهما^(١) .

حدثنا بهذا الحديث أبو الحسن علي بن سليمان الأنخس النحوي ، قال :
حدثنا أبو الحسن المهراني^(٢) ، قال : حدثني أبو خالد : يزيد بن محمد
المهلبی ، قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال : أنشدت الأصمعي ،
إلا أنه ذكر عن إسحاق أنه [لما] قال له : فإنهما ليلتھما ، قال الأصمعي :
أفسدتھما [على]^(٣) .

فالأصمعي في هذا غير ظالم : لأن إسحاق - مع علمه بالشعر ، وكثرة
روايته - لا ينكر له أن يُورد مثل هذا ؛ لأنه يقوم في النفس أنه قد اختذاه
على مثال ، وأخذه من^(٤) متقدّم ، وإنما يُستطرف مثله من الأعرابي الذي
لا يعوّل إلا على طبعه وسليقته .

وابن الأعرابي في أبي تمام أعذر من الأصمعي في إسحاق ؛ لأن أبا تمام
كان مُغرماً مشغولاً بالشعر ، وانفرد به ، وجعله وكده ، وألف فيه كتباً ،
واقتصر من كل علم عليه ، فإذا أورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك [منه] .

(١) راجع تاريخ بغداد ٣٤٢/٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢٤٤/٢ وأخبار أبي تمام
١٧٥ - ١٧٦ والوساطة ٤٩ وأمالی القائل ١٩٦/١ وسط اللآلئ ١٠/١ ، ٤٧٢ ، والأغاني ٧٥/٥ -
٧٦ ومعجم الأدباء ٤٠/٦ والصناعتين ٣٩٥

(٢) ط « البهراني »

(٣) من ك

(٤) في ط ، م : « عن »

بيدع^(١) ؛ لأنه يأخذ المعاني ويحتذيها ، فليست له^(٢) في النفوس حلاوة ما
يورده الأعرابي [القح] .

* * *

٩— قال صاحب أبي تمام : فقد أقررتم لأبي تمام بالعلم بالشعر^(٣) والزواية ،
ولا محالة أن العلم في شعره أظهر منه في شعر البحتري ، والشاعر العالم
أفضل من الشاعر غير العالم .

* * *

١٠— قال صاحب البحتري : قد^(٤) كان الخليل بن أحمد عالماً شاعراً ،
وكان الأصمعي عالماً شاعراً ، وكان الكسائي كذلك ، وكان خلف بن حيّان
الأحمر أشعر العلماء ، وما بلغ بهم العلم طبقة من كان في زمانهم من الشعراء
غير العلماء ؛ فقد صار^(٥) التجويد في الشعر ليست علته العلم ، ولو كانت
علته العلم لكان من يتعاطاه من العلماء أشعر ممن ليس بعالم .
فقد سقط . فضل أبي تمام من هذا الوجه على البحتري ، وصار [البحتري]
أولى بالفضل^(٦) ؛ إذ كان معلوماً شائعاً أن شعر العلماء دون شعر الشعراء .
ومع ذلك فإن أبا تمام تعمد^(٧) أن يدلّ في شعره على علمه باللغة وبكلام
العرب ، فتعمد لإدخال^(٨) ألفاظ غريبة في مواضع كثيرة من شعره ، وذلك
نحو قوله :

(١) ط « بيدع له »

(٢) « فليس لها »

(٣) ط « والشعر »

(٤) ط « فقد »

(٥) ط « كان »

(٦) ط « أفضل وأولى بالسبق »

(٧) ط « يعمل [على] أن »

(٨) ط « فيعمد لإدخال »

هُنَّ البَجَارَى يَا بُجَيْرُ أَهْدَى لَهَا الْأَبْوَسُ الْغَوِيرُ^(١)
قوله :

• قَدْكَ اتَّيَّبَ أَرْبَيْتَ فِي الْغَلَوَاءِ^(٢) •

وقوله :

• أَقْرَمَ بَكَرُ تُبَارَى أَيُّهَا الْحَفْصُ^(٣) •

وهذا في شعره كثير موجود ، والبحترى لم يقصد هذا ولا اعتمده ، ولا كان له عنده فضيلة ، ولا رأى أنه علم ؛ لأنه نشأ ببادية منبج ، وكان يعتمد^(٤) حذف الغريب والوخشي من شعره ليقربه على فهم من يمدحه^(٥) ، إلا أن يأتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة في موضعها من غير طلب لها ، ويرى أن ذلك أنفق له ، فتنفق ، وبلغ المراد والغرض ، ويدلك على ذلك أنه كان يُكنى أبا عبادة ، ولما دخل العراق تكنى بابي الحسن ؛ ليزيل العنجهية والأعرابية ، ويساوي في مذاهبه أهل الحاضرة ، ويتقرب^(٦) بهذه الكنية إلى أهل النباهة^(٧) والكتاب من الشيعة .

(١) الوساطة ٢٢

والأبوس : جمع بأس ، والغوير غار ، يشير إلى المثل المشهور « عسى الغوير أبوسا » وهو يضرب للرجل يخبر بالشئ فيتهم فيه . راجع جمهرة الأمثال ١٤٣

(٢) ديوانه بشرح التبريزي ٢٢ - ٢٥ والموشح ٣٠٥ والصناعتين ٤٣٥

وعجزه : « كم تمذلون وأنتم سجرائ » ومعنى قدك : حسبك واكتب : استحي ، مأخوذ من الإبة هي الحياء ، والمراد بالغلواء : الزيادة في اللوم ، وقد خرج بقوله : كم تمذلون ، من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع . والسجراء الأصدقاء . يقول : كم تمذلونني وأنتم أصحابي وغلطائي وتعلمون ما بي .

(٣) عجزه في ديوانه ١٨٠ « ونجمها أيها الهاك الحرض » وهو مطلع قصيدة يملح بها خالد ابن يزيد الشيباني وهجو رجلا فاخره في المجلس . وفي هامش م « خ : تباهي » والقرم : السيد العظيم وتبارى : تفاخر ، والحفص : الضميف القليل الشأن . والحرض : السافل الذي لا يرجى خيره ولا يخاف شره .

(٤) في ك : « يتعمل » وهو تصحيف

(٥) « من فهم من يمدحه »

(٦) ط « ويقرب »

(٧) م « التناية »

وقد ذكر بعضهم أنه كان يكنى أبا الحسن ، وأنه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه [في التعصب] ^(١) عدل إلى أبي عبادة . والأول أثبت .

وقد حكى أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح [في كتاب الشعراء] أن « أبا عبادة » كنية البحترى القديمة .

فشتان ماهما ^(٢) من حضري تشبه بأهل البدو فلم ينفق في البادية ولا عند أكثر الحاضرة ، وبدوي تحضر فنفق في البدو والحضر .

* * *

١١ — قال صاحب أبي تمام : فقد عرفناكم أن أبا تمام أتى في شعره بعبان فلسفية ، وألفاظ عربية ^(٣) ، فإذا سمع بعض شعره الأعرابي لم يفهمه ، وإذا ^(٤) فسر له فهمه واستحسنه .

* * *

١٢ — قال صاحب البحترى : هذه دعاؤ منكم على الأعراب في استحسان شعر صاحبكم إذا فهموه ، ولا يصح ذلك إلا بالامتحان ^(٥) ، ولكنكم معترفون ومجمعون مع من هو معكم وعليكم أن لصاحبكم إحساناً وإساءة ^(٦) ، وأن الإحسان للبحترى دون الإساءة ، ومن أحسن ولم يسمى أفضل ممن أحسن وأساء .

* * *

(١) يريد تمصبه على آل البيت ، راجع مقال الطالبين ٥٩٧ .

(٢) ط « ما بينهما » وهما سواء ، وإن كان الأصمعي قد أبى شتان ما بينهما ، راجع اللسان

٣٥٤ - ٣٥٣/٢

(٣) ط « غريبة »

(٤) ط « فإذا »

(٥) في ك : « إلا بالامتحان »

(٦) ط « إحسانات وإساءات »

١٣- قال صاحب أبي تمام : ما أجمعنا معكم [على] (١) أن صاحبكم لم

يسئ ، بل هو (٢) قد أساء في قوله :

يُخْفِي الرُّجَاةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَاعَةٌ بِغَيْرِ إِنْاء (٣)

وهذا وصف للإناء ، لا للشراب ؛ لأنه لومٌ (٤) الإناء ديبساً لكان هذا وصفه (٥) .

وقال :

ضَحِكَاتٌ فِي إِثْرِ هِنِّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهِ (٦)

فأقام البرق مقام الضحك ، والرعد مقام العطايا ، وإنما كان يجب أن يُقيم الغيث مقام العطايا ، لا الرعد . وله لُحُونٌ في شعره معروفة منها قوله :

* وَنَصَبَتْهُ عَلَمًا بِسَامِرَاءَ * (٧)

وقوله :

* نِبرَاتٍ مَعْبَدَةٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ * (٨)

(١) من ك

(٢) ليست في ك

(٣) ديوانه ٧٤٥

(٤) ط « ملأ »

(٥) في م ، ط : « صفته »

(٦) ديوانه ٥٧٦ والموشح ٣٤٢

(٧) صدره كما في ديوانه ٧٤٦ « أخليت منه البذ وهي قراره » والضمير في منه يعود على بابل المذكور في الأبيات السابقة . والبذ : حصن بابل بأذربيجان أو بينها وبين أران ؛ على ما في معجم البكري ٢٣٥/١ والقاموس ٣٥٠/١

(٨) صدره كما في ديوانه ٧٣٢ ، ١٧٤٨/٣ « هزج الصهيل كأن في نغماته » والهجز : صوت مطرب ، والصهيل : صوت الفرس

وانظر ديوان المغان ١٦٦/٢ وزهر الآداب ٣٠٨/١ ونهاية الأرب ٥١/٠

وقد ذكر أبو العلاء هذا البيت في عتب الوليد ٨٧ وعقب عليه بقوله : « الذي يوجهه وأي أهل البصرة كسر الدال في معبد ، ويمحوز الفتح على مذهب أهل الكوفة . . . »

[وقوله :

عَرَّجَ بِذِي سَلَمٍ فَثَمَّ الْمَنْزِلُ لِيَقُولَ صَبًّا مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ] (١)

وقوله :

عَرَّجَ عَلَى حَلَبٍ [فَحَيَّ مَحَلَّةً مَأْنُوسَةً فِيهَا لِعَلْوَةٌ مَنَزِلُ] (٢)
وأشباه لهذا كثيرة ؛ فقد تساويا في الغلط .

* * *

١٤ - قال صاحب البحرى : ما نَعَيْنَا على أبي تمام اللحن - وهو في

شعره أكثر وأشنع (٣) - فتنعوا مثله على البحرى ؛ لأن اللحن لا يكاد يعزى
منه أحد من الشعراء المحدثين ، ولا سلم منه شاعر من شعراء الإسلاميين (٤) ،
وقد جاء في أشعار المتقدمين ما علمتم من [الإقواء وغير الإقواء] (٥) مما لا يقوم
العدرُ فيه إلا بالتأويلات البعيدة .وعلى أنه ليس شيء مما عبت به البحرى [من اللحن] (٦) خارجاً عن
مقاييس العربية ولا بعيداً من الصواب ، بل قد جاء مثله كثيراً (٧) في
أشعار القدماء والأعراب والفصحاء ، ولو كان هذا وضع ذكره لذكرناه .
ونحن لو رُمْنَا أَنْ نُخْرِجَ مَا فِي شِعْرِ أَبِي تَمَامٍ مِنَ اللَّحْنِ (٨) لكثير ذلك

(١) الذى فى ديوانه ١٥٧/٣ ، ٢٤ بيروت :

لولا تعنفنى لقلت المنزل معنى تبيينه ومعنى مشكل

وبوقفة يشقى غليل صباة ويقول صب ما أراد ويفعل

ولا وجود للشطر الأول فيهما . وفيه طبع المعارف ١٧٧٥/٣ معنى . . . ومعنى «

(٢) لم يرد هذا البيت فى م ، ك وورد فى ط « وقوله : عرج على حلب » وقد أكلت البيت من

ديوانه ٢٣ بيروت ومصر ١٥٦/٢

(٣) ط « كثير لو تتبع »

(٤) ط « ولا يسلم . . . من الشعراء »

(٥) ط « من الألفاظ مما »

(٦) من ك

(٧) ط « كثير »

(٨) ط « اللحن »

واتسع ، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ، ولا يجد المتأول له مخرجاً منه إلا بالطلب والحيلة والتمحل الشديد^(١) ، وذلك نحو قوله :

ثانيه في كبد السماء ، ولم يكن لاثنتين ثان إذ هما في الغار^(٢)
معنى هذا البيت أن بابك صار في الصلْب جاراً لمازيار ، وهو ثانيه في كبد السماء ، ولم يكن ثانياً لاثنتين إذ هما في الغار : أى هو ثاني اثنين في الصلْب الذى^(٣) هو رذيلة ، وليس هو ثانياً [لاثنتين] في الغار ؛ لأن تلك فضيلة^(٤) ؛ فكان يجب أن يقول في البيت^(٥) : « ولم يكن لاثنتين ثانياً » لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمّر فيها ؛ فليس إلى غير النصب سبيل في البيت ، وإلا بطل المعنى وفسد ، وفسادُهُ أنك إن^(٦) أخليت « يكن » من ضمير بابك وجعلت قوله « ثاني » اسمها كان ذلك خطأ ظاهراً قبيحاً : لأنك إذا قلت : كان زيد وعمرو اثنين ، ولم يكن لهما ثان ، كنت مخطئاً ؛ لأن الاثنين^(٧) أحدهما ثان للآخر ، وكذلك إذا قلت : كانوا ثلاثة ، ولم يكن لهم ثالث ، كنت مخطئاً ؛ لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم ، وإنما تكون مصيباً إذا قلت : كانا اثنين ، ولم يكن لهما ثالث ، [أو كانوا]^(٨) ثلاثة ، ولم يكن لهم رابع .

وأيضاً فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن في البيت فائدة ألبتة ؛ لأنه كان

(١) م ، ك « واتمحل والشدة »

(٢) ديوان أبي تمام ١٥٤ ودلائل الإيجاز ٦٦ ، وقيله :

ولقد شق الأحشاء من برحائها أن صار بابك جزار مازيار

(٣) م ط « لمازيار الذى »

(٤) ط « لأن هذه »

(٥) م « وكان يجب أن يقول لاثنتين »

(٦) ط « إذا »

(٧) ط « اثنين »

(٨) ط « ثالث وثلاثة »

يكون المعنى حينئذ أن بابك ثانی ما زیار [فی كبـد السماء ، ولم یكن للـثنین اللذین كانا فی الغار ثان] ، فـأی فائدة فی هذا مع ما فیـه من الخطأ الفاحش؟ وأی تعلق لهذا المعنى بما قبله فی البيت ؟

وقال فی آخر قصیده^(١) :

شامتُ بُرُوقِكَ آمالی بِمَضَرٍ ، وَلَوْ أَضَحْتُ عَلَى الطُّوسِ لَمْ تَسْتَبْعِدِ الطُّوسَا^(٢)
فأدخل فی طوس الألف واللام ، وهی اسم بلدة معرفة^(٣).

وقال :

* إخذی بنی بکَرِ بْنِ عَبْدِ مَنْاهِ^(٤) *

ولمّا هی مناة [بالثناء] فی الإدراج ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾^(٥) ولمّا تكون هاء فی الوقف ، لا مع^(٦) الحركة والتّرج .

* * *

وقال فی هذه القصيدة :

* لَوْ لَا صِفَاتُ فِي كِتَابِ الْبَاهِ^(٧) *

ولمّا هی الباءة یا هذا^(٨) فی تقدير الباعة ، وإن كان قد حکى الباه فی بعض اللغات الرديئة ، والرديء لا یُقْتَدَى به^(٩).

(١) م م « فی قصیدته » وفی ك : « وفی قصیده »

(٢) فی دیوان أبی تمام ١٧٢ « أضحت بطوس لما قصرت عن طوسا » وفی ك : « أستبعد »

(٣) ط « معرفة »

(٤) عجزه كما فی دیوانه ٣٤١ « بین الكثیر الفرد فالأمواه »

(٥) سورة النجم : ٢٠

(٦) ط « بالهاء . . . لا فی »

(٧) صدره « لم یجتمع أمثاله فی موطن » وفی م « حتى صفات »

(٨) ط « الباءة بالمد فی تقدير »

(٩) ط « لا یعتد به »

وقال :

فَكَمْ لِي مِنْ هَوَاءٍ فِيكَ صَافٍ غَذِيَّ جَوْهٍ وَهَوًى وَبَى^(١)
فشدد « غذى » وهو مخفف^(٢).

وقال في قصيدة^(٣) :

* على الأعادى ميكال وجبريل *

فأوقع الإعراب على [الباء من] الأعادى ، وذلك غير جائز لتأخر .

وقال :

تسعين ألفاً وتسعيناً ومثلهما ككائب الخيل تحميمها الأراجيل^(٤)
فنون النون من « تسعين »^(٥) وهذا لا يسوغه محدث . ونحو هذا مما
ليست بنا حاجة إلى ذكره ؛ لأننا لم ننتبعه ولا عبناه به ؛ لما وصفناه به^(٦)
في باب اللحن وكثرته في أشعار المتأخرين ، وإنما عبناه بخطائه في معانيه .
ولإحالاته وبعد^(٧) استعاراته ، وكثرة ما يورده من الحافظ والغث البارد ،
مع سوء سبكه ، ورداءة طبعه ، وسخافة لفظه ، مما سئذكره في باب آخر من
الاحتجاج عليكم .

وأما ما عبتم البحتري به في قوله :

يُخْنَى الزُّجَاجَةُ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ

(١) ديوان أبي تمام ٣٤٣ « في هواء »

(٢) ط « فقل : غذى وهو غذ بالتخفيف »

(٣) م « في قصيدته »

(٤) ط « ستين ألفاً وسبعيناً »

(٥) ط « سبعين »

(٦) ط « وصفنا في باب »

(٧) ط « وإحالاته في استعارات »

فما زالت الرواة وشيوخُ أهل العلم والأدب يستحسنون^(١) هذا البيت ويستجيدونه له ، وذكره عبد الله بن المعتز - وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر - في باب ما اختاره من التشبيه في كتابه الذي نسبه إلى البديع^(٢) ، ولكنكم تأولتم في إنشاده ، ثم أعظمت^(٣) وأكبرتم أن تنعوا على شاعر مُحسن [مكثر] بيتاً واحداً ، فما زلتم تبحثون^(٤) وتحملون حتى وجدتم له ثانياً يحتمل من التأويل ما احتمل^(٥) الأول ، وهو قوله :

صَحِكَاتٌ فِي إِثْرِ هِنِّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهِ^(٦)
وكلا البيتين إلى الصواب أقرب ، ومن الخطأ أبعد .
وأما قوله :

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ
فإنما قصد إلى وصف هيئة الشراب في الإناء ، ولم يقصد وصف الشراب خاصة ، ولا الإناء^(٧) ، كما ادعيتُم ، ولو أراد وصف الإناء لكان مصيباً ، لأن الزجاجة أيضاً توصف كما يوصف ما^(٨) فيها ، وتقع المبالغة في نعتها ، وقد جاء في أوصاف^(٩) أواني الشراب ما جاء ، ومن أحسن ما قيل في ذلك قول علي بن العباس بن جريج الرومي يصف قدحاً :

(١) م « يسحسن »

(٢) البديع ٧٣ - أوربا ، ١٢٩ مصر وانظر ما سبق ص ٢٦ - ٢٧

(٣) ط « ولكنكم أبيتم إلا إفساده ، ثم أجلبتم وأكثرتم »

(٤) ط « تتمعنون » !

(٥) ط « وجدتم أبياتاً تحتل . . . ما يحتمله »

(٦) ديوان البحري ٥٧٦

(٧) ط « ولم يقصد إلى وصف . . . ولا إلى الإناء »

(٨) ط « يوصف ما فيها » وفي م : « توصف بما فيها »

(٩) ط « في وصف »

تَنْفُذُ الْعَيْنُ فِيهِ حَتَّى تَرَاهَا أَخْطَأَتْهُ مِنْ رَقَةِ الْمُسْتَشْفِ^(١)
 كَهَوَاءِ بِلَا هَبَاءٍ مَشُوبٍ بَضِيَاءٍ ، أَرْقَى بِذَاكَ وَأَصْفِ
 وَسَطَ الْقَدَرِ ، لَمْ يُكْبَرْ لِحَرْعٍ مُتَوَالٍ ، وَلَمْ يُصَغَّرْ لِرَشْفِ
 لَا عَجُولَ عَلَى الْعُقُولِ جَهُولِ بَلْ حَلِيمٌ عَنْهُمْ فِي غَيْرِ ضَعْفِ^(٢)
 [مَا رَأَى النَّاظِرُونَ قَدْأً وَشَكْلًا فَارِسًا مِثْلَهُ عَلَى بَطْنِ كَفٍ]^(٣)

فالزجاجة إذا صَفَتْ وِرَقَتْ وسَلِمَتْ مِنَ الْكَدْرِ اشْتَدَّ صَفَاؤُهَا^(٤) ، وَبَرِيقُهَا ،
 فَإِذَا وَقَعَ فِيهَا الشَّرَابُ الرَّقِيقُ اتَّصَلَ الشَّعَاعَانِ ، وَامْتَزَجَ الضِّيَاءَانِ^(٥) ، فَلَمْ
 تَكِدْ الزَّجَاجَةُ تَتَبَيَّنُ لِلنَّاظِرِ ، وَلَوْ صَبَبْنَا^(٦) دَبْسًا أَوْ عَسَلًا أَوْ لَبَنًا أَوْ مَاءً
 كَثِيرًا فِي إِنَاءٍ هَذِهِ صِفَتُهُ^(٧) فِي الرِّقَّةِ لَمَا خَفِيَ الْإِنَاءُ عَلَى النَّاظِرِ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ
 لَا شُعَاعَ لَهَا وَلَا ضِيَاءَ يَتَّصِلُ بِشُعَاعِ الْإِنَاءِ وَضَوْئِهِ .

وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ فَقَالَ :
 كَانَ يَدُ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا شُعَاعًا لَا تُحِيطُ عَلَيْهِ كَأْسُ
 وَقَالَ الْآخَرُ - أَنْشَدْنَاهُ^(٨) أَبُو الْحَسَنِ : عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ - :
 فَإِذَا مَا مُزِجَتْ فِي كَأْسِهَا فَهِيَ وَالْكَأْسُ مَعًا شَيْءٌ أَحَدٌ^(٩)
 فَانْتَمَ فِي هَذِهِ الْمَعَارِضَةِ بِالْخَطِّ أَجْدَرُ ، وَبِالْعَيْبِ أُخْرَى .

(١) ديوانه ٣٣ وأمالى القالى ٢٨٠/١ وزهر الآداب ٨٦٧/٢

(٢) ط « من غير »

(٣) هذا البيت من ك

(٤) م ، ك « صقالها »

(٥) ط « الضووان »

(٦) ط « ولو جعلها »

(٧) م ، ك « هذا وصفه »

(٨) ط « آخر أنشده » م « أنشدناه على »

(٩) ط « وإذا »

وأما^(١) قوله :

* وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهِ *

فإنه أقام الرعد مقام الغيث ؛ لأنه مقدمة له ، وعلم من أعلامه ، ودليل من أقوى دلائله ، ألا ترى أن برق الخُلب لا رعد [معه ، فإذا كان البرق ذا رعد فقلماً يخلف] ؛ وقد قال الأعشى :

وَالشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا أَنَّهُ تَنْزَلُ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّيْلًا^(٢)
فجعل الرعد هو الذي يستنزل المطر .

وقال الكميت :

وَأَنْتَ فِي الشَّتَوَةِ الْجَمَادُ إِذَا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدُهَا
وإذا كان البرق ذا رعد فقلماً يخلف .

ومثل هذا في كلام العرب - عما ينوب [فيه]^(٣) الشيء عن الشيء ، إذا كان متصلاً به ، أو سبباً من أسبابه ، أو مجاوراً له - كثير ؛ فمن ذلك قولهم للمطر : سماء ، وقولهم^(٤) : ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم^(٥) ، قال الشاعر :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعِينَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا^(٦)

(١) ط « فأما »

(٢) ديوانه ١٥٧ والسيل : المطر بين السحاب والأرض

(٣) في ك : « كثير »

(٤) ط « ومنه »

(٥) الأمل ١٨١/١

(٦) ط « إذا نزل » البيت لمعود الحكماء من قصيدة له في المفضليات ٣٥٩ وهو له في معجم الشعراء ٣٩١ والاقتضاب ٣٢٠ واللسان ١٢٣/١٩ والخزانة ١٧٤/٤ ، وهو غير منسوب في مشكل القرآن ١٠٢ والأمل ١٨١/١ ومقاييس اللغة ٩٨/٣ والصناعتين ٢٧٦ ، وصدره كذلك في الصاحبي ٦٣ ونسبه ابن رشيق لجرير في العمدة ٢٣٧/١ .

أراد إذا سقط المطرُ رعيناه ، أى^(١) رعيننا النَّبْتَ الذى يكون عنه ،
ولهذا ما سَمَوْا^(٢) النَّبْتَ نَدَى ؛ لأنه عن الندى يكون .

وقالوا : ما به طَرَقُ ، أى ما به قوة ، والطَّرَقُ : الشَّحْمُ ، فوضعه موضع
القوة ؛ لأن القوة عنه تكون .

وقولهم للمزادة : راوية ، وإنما الراوية : البعيرُ الذى يستقى^(٣) عليه
فسميت باسم البعير لأنه يحملها^(٤) .

ومن ذلك الحَفْضُ متاعُ البيتِ ، فسمى البعير الذى يَحْمِلُهُ حَفْضاً .
ومن ذلك قول المسيَّب بن عَلس :

• وَتَمَدُّ ثِنْنِي جَدِيلَهَا بِشِرَاعٍ^(٥) •

أراد بدَقْل ، فقال : بشِرَاع ؛ لأن الشِرَاع عليه يكون .
وهذا باب واسع ، وأشهر^(٦) من أن يحتاج إلى استقصائه .

* * *

وبعد ، فلو كان هذان البيتان خطأ — كما [زعمتم و] ادعيتهم وأخذتم
على هذا الشاعر المجمع على إحسانه ، غلطاً فى غيرهما من^(٧) شعره — لما
كان بذلك داخلاً فى جملة المسيئين ، ولا الخاطئين^(٨) فى الشعر ؛ لجودة

(١) ط « يريد إذا . . . يريد رعيننا »

(٢) ط « ولهذا سمي »

(٣) فى ط ، م : « يسقى عليه الماء »

(٤) فى ط ، م : « فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه » والكلمة الأخيرة سقطت من م .

(٥) صدره ، كما فى ديوانه ٣٥٤ « وكان غاربها رباوة مخرم » والمفضليات ٦٢ والصناعتين ٧١

والوساطة ١٢ وفى الشعر والشعراء ١٣٠/١ « أراد تمد جديدها بعنق طويلة ، والجديل : الزمام . وأراد أن
يشبه العنق بالدقل فشبهها بالشراع . قال ابن الأعرابي : لم يعرف الشراع من الدقل . وليس هذا عندى
غلطاً ، والشراع يكون على الدقل ، فسمى باسمه ، والعرب تسمى الشيء باسم غيره إذا كان معه وبسببه ... »

(٦) فى ط ، م : « وأيسر »

(٧) ط « المجمع . . . من غيرهما فى »

(٨) فى ك : « الخطائين »

نظمه ، واستواء نَسْجِه ، ووقوع لفظه في موقعه ، ولأن معانيه تصح في النقد^(١) ، وتخلُص على [السبرو] السبك ، وأبو تمام يتبهرجُ شعره عند التفتيش والبحث ، ولا تصح معانيه على التفسير والشرح .

١٥ - قال صاحب أبي تمام : لئن أسرفتم في الذم ، وبالغتم على صاحبنا في الطعن ، وتجاوزتم الحد الذي يقف عنده المحتج المناظر ، إلى مذهب المستقط المغالط ، والمتعصب المتحامل - فلسنا ندفع^(٢) أن يكون صاحبنا قد أوهم في بعض^(٣) شعره ، وعدل^(٤) عن الوجه الأوضح في كثير من معانيه . وغير منكر لفكر نتج من المحاسن [مثل]^(٥) ما نتج ، ولّد من البدائع [مثل] ما ولّد - أن يلحقه الكلال في الأوقات ، والزلل في الأحيان ، بل من الواجب لمن أحسن إحسانه أن يسامح في سهره ، ويتجاوز له عن زلله ، فما رأينا أحداً من شعراء الجاهلية [والإسلام] سلم من الطعن ، ولا من أخذ الرواة عليه الغلط والعيب ، هذا الأصمعي قد عاب أمراً القيس بقوله :
وَأَرْكَبُ فِي الرُّوعِ خَيْفَانَةً كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ^(٦)

وقال : شبه شعر الناصية بسعف النخلة ، والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريماً ، وذلك هو الغمم ، والذي يُحمد من الناصية الجثلة ، وهي^(٧) التي لم تفرط في الكثرة فتكون الفرس غمّاء ، والغمم مكروه ، ولم

(١) ط « بالنقد »

(٢) م « فلسنا » ط « نمنع »

(٣) في ك : « بعض من شعره »

(٤) ط « قدوهم . . . وعدا »

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٨٠ واللسان ٤٥١/١٠ والوساطة ١٠ والموشح ٣٥ ، ٨٩ وعيار الشعر ٩٩ وصبح

الأعشى ١٩٩/٢

والخيفانة : الجرادة ، ويقال : فرس خيفانة على التشبيه لها بالجرادة لحفتها وضموها .

(٧) سقطت من م

تفرط في الخفة فتكون الفرس سفواء ، والسفء أيضاً مكروه في الخيل ،
والجيد ما قال عبيد [بن الأبرص] ^(١)

مُضَبَّرٌ خَلَقُهَا تَضْبِيرًا يَنْشَقُّ عَنْ وَجْهَهَا السَّبَبُ ^(٢)
روى ذلك عنه أبو حاتم : سهل بن محمد السجستاني .

وقال أيضاً : سمعت الأصمعي يقول : أخطأ امرؤ القيس في قوله :
لَهَا مَتْنَتَانِ خَطَّاتَا كَمَا أَكَبَّ عَلَى سَاعِدَيْهِ النَّجْرُ ^(٣)
لأن المتن لا يوصف بكثرة اللحم يُستحب منه التعريق ، وكذلك
الوجه كما قال طُفَيْلُ الغنوي ^(٤) :

* مُعَرِّقَةُ الْأَلْحَى تَلُوحُ مُتُونُهَا * ^(٥)

وأخذ عليه ^(٦) قوله في وصف الفرس :

فَلِلْسَوِّطِ الْأُهْبُ وَلِلْسَاقِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعٌ أَخْرَجَ مُهْذِبٌ ^(٧)

(١) من ك

(٢) ديوانه ٩ وشرح المعلقات العشر ٣١٠ وجمهرة أشعار العرب ١٠١ والموشح ٣٥ ويقال :

فرس مضبر الخلق : أي موثق الخلق مدمج والسبب : شعر الناصية

(٣) ديوانه ٨١ واللسان ٢٨٤/١٧ والمتن : الظهر وفيه لغة أخرى وهي المتن ، ويذكر يؤنث .
والخاطي : الكثير اللحم ، انظر مذهب الكسائي والفراء واختلاف العلماء في أصل قوله : خطاتا في اللسان

٢٥٤/١٨ - ٢٥٥

(٤) ليست في م ولا في ط

(٥) عجزه كما في ديوانه ١٥ « تثير القطا في منقل بعد مقرب »

ويروى : « في منهل » وهي رواية اللسان ١٦٢/٢ حيث ذكره شاهداً علم أن المقرب : سير الليل .
وفي الديوان : معرقة الألقى : قليلة لحم الوجوه ، وليس على متونها لحم فكان موضع اللحم يلوح . أراد أنها
ملحوبة الظهور ؛ لأن الفرس إذا كثر لحم متنه فهو هجين . والمنقل : الطريق في الجبل . والمقرب
الطريق يختصر لقربه .

(٦) ط « عليه في قوله »

(٧) م « مذهب » ديوانه ٣٨ وقد « أهوج منعب » وهي رواية اللسان ٢٦٢/٢ وانظر الصنائع

٧٤ واللسان ٢٤١/٢ ، ٢٨١ والموشح ٢٩ ، ٨٧ وبيان الشعر ٩٦ وصبح الأعشى ٩٩/٢ والمعاني
الكبير ٨١/١ .

والهوب : يعني جريه حين زجره ، والساق درة : أي إذا غمزد بالجرى . والأخرج : الظلم ، وهو
ذكر النعام . ومهذب : أي مسرع في سيره . يقول : إذا ضرب بالسياط التهب في جريه ، وإذا مرى بالساق در .

وقالوا^(١) : هذه فرس بطيئة ؛ لأنها تُخَوِّجُ إلى السوط ، وإلى أن تُركض بالرجل وتزجر .

ويقال : إن أول من عابه هذا البيت زوجته لما احتكم إليها هو وعَلَقْمَةُ الفَحْل ، فغَلَبَتْ علقمة [عليه]^(٢) ، فطلقها^(٣) .

وقد أَخَذَ أيضاً عليه قوله :

أَغْرَكَ مِنِّي أَنَّ حُبَّكَ قَاتِلِي [وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ]^(٤)
وقالوا : إذا لم يَغُرْها^(٥) هذا فَيَأْتِ شَيْءٌ يَغُرُّ ؟

وعيب زهير بن أبي سُلمى بقوله^(٦) :

يَخْرُجُنْ مِنْ شَرَبَاتٍ مَاؤُهَا طَحْلٌ عَلَى الْجُدُوعِ يَخْفَنُ الْغَمْرَ وَالْغَرَقَا
وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء خوف الغمر والغرق ، وإنما ذلك^(٧) لأنها تَبْيِضُ في الشمطوط^(٨) .

وعيب على كعب ابنه قوله :

-
- (١) ط « وقال »
(٢) من ك
(٣) راجع الأغاني ١٧٤/٢١
(٤) ديوانه ١٢٨ شرح المعلقات العشر ٢٢ والصناعتين ٧٣ والبصائر والذخائر ٢٦ والموشح ٣٦ والمقد ٣٥٧/٥ وما بين القوسين من ك
(٥) ط « وقال إذا لم يغرى »
(٦) في ك : « وعيب على زهير قوله »
(٧) ديوان زهير ٤٠ والشعر والشعراء ١٠١/١ وصبح الأعشى ١٩٨/٢ والوساطة ١٠ واللسان ٤٧٢/١ ، ٤٢٤/١٣ والمعدة ٢٣٩/٢ والصناعتين ٧٢ والموشح ٤٧ - ٤٨ والمقد ٣٥٨/٥
وفي ط « الغم » وهي كذلك في المزهري ٥٠٢/٢ . يخرجن : أي الضفادع المذكورة في البيت السابق والشربات : الأحواض التي تحفر حول جذوع النخيل ، طحل : كدر
(٨) هذا النص منقول من الشعر والشعراء ١٠١/١ .

* ضَخْمٌ مُقْلَدُهَا فَعَمٌ مُقَيِّدُهَا * (١)

وقالوا : إنما توصف النجائب بدقة (٢) المذبح .

* * *

وأخذ على النابغة قوله يصف عنق المرأة بالطول :

إِذَا أَرْتَعَثْتُ خَافَ الْجَبَانَ رِعَائِهَا وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَيْثُ عُلِّقَ يَفْرَقُ (٣)

[فجعل القرط يخاف ويفرق] .

وهذا قريب من قول أبي نؤاس :

[وأخفت أهل الشرك حتى إنه] لَتَخَافُكَ النَّطْفُ النَّثِي لَمْ تُخْلَقِ (٤)

بل أبو نؤاس أعذر ؛ لأن قوله (٥) «لتخافك» يريد لتكاد تخافك ،
والشعراء تسقط «تكاد» في الشعر وهي تريدها .

وجاء في القرآن مثل ذلك ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِلتَّزْوُلِ مِنْهُ
الْجَبَالُ ﴾ (٦) [أى لتكاد تزول !] .

(١) عجزه : « في خلقها عن بنات الفحل تفضيل » ديوانه ١٠ وشرح بانث سعاد لابن هشام
١٢٢ والمعدة ٢٣٦/٢ والشعر والشعراء ١٠٢/١ وقال الأصمعي في قوله : ضخم مقلدها : هذا خطأ
من الصفة ، لأنه قال : هي غليظة الرقبة ، وخير النجائب ما يدق مذهبه ويعرض منجره ، وفعم مقيدها :
ممثل رسنها . وبنات الفحل : يعنى بها النوق ، أى لها فضل عليهن في عظم خلقها وفي م «مقبلها» وهو
تحرير

(٢) ط «برقة» وما في م يوافق ما في الشعر والشعراء الذى نقل عنه المؤلف هذا التعليق

(٣) الشعر والشعراء ١٢٣/١ وديوانه ٧٦ بيروت

وارتعثت المرأة : تحملت بالرعاث ، وهو القرط ، ويفرق : يخاف

(٤) ديوانه ٦٢ والوساطة ٦٠ ، ٤٤١ ونقد الشعر ١٨ والموشح ٧٨ ، ٢٤٥ ، ٢٦٩ والمعدة
٥٩/٢ وعبارة الشعر ٤٨ والشعر والشعراء ٧٧٦/٢ والعقد ٤٥/١ ، ٣٣٤/٥ وما بين القوسين من ك
(٥) ط «لقلوه»

(٦) سورة إبراهيم : ٤٦ وانظر مشكل القرآن ١٣٠ والصناعتين ٣٥٧ وقد قرأ على وابن عباس
وابن مسعود : « وإن كاد » كما في القراءات الشاذة لابن خالويه ٦٩ .

وقال الشاعر :

يَتَقَارِضُونَ إِذَا التَّقَوَّا فِي مَوْطِنٍ نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِنَ الْأَقْدَامِ^(١)
 (أى : نظراً يكاد يُزيل^(٢) ، فأضمر يكاد ، واللام إذا جاءت كانت
 أدلّ عليها ، قال تعالى : ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾^(٣) أى : كادت .

* * *

وأخذ على النابغة قوله :

أَلِكْنِي يَا عُيَيْنَ إِلَيْكَ قَوْلًا سَتَحْمِلُهُ الرُّوَاةُ إِلَيْكَ عَنِّي^(٤)
 وقالوا : قوله أَلِكْنِي ، أى كُنْ لى رسولا ، فكيف يكون أَلِكْنِي [إليك قولا
 أى كن رسولاً إلى نفسك ، ثم يقول ستحملة الرواة] إليك عني ؟ فاعتذر له
 الأصمعي ، وقال : هذا مما حملته الرواة على النابغة ! كأنه يدفع أن
 يكون قاله .

* * *

وأخذ على المسيب قوله :

وَقَدْ أَتَنَاسَى أَلْهَمٌ عِنْدَ أَحْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمٌ^(٥)
 وقالوا : الصيعرية سمّة^(٦) للنوق ، لا للفحول ، فسمعه طرفة بن العبد

(١) البيت غير منسوب في مشكل القرآن ١٣٠ واللسان ٨٣/٩ ، ١٠/١٢ ، والبيان والتبيين ١١/١ والصناعتين ٣٥٧ وعجزه كذلك في مقاييس اللغة ٢١/٣ وشرح الحماسة للمرزوق ٢٢١/١

(٢) ما بين الرقمين ساقط من م

(٣) سورة الأحزاب : ١٠ وانظر مشكل القرآن ١٣٠ والصناعتين ٣٥٧

(٤) الصناعتين ٧٧ وفي ديوانه ١٠٨ ، ١١٣ مصر « سأهديه إليك إليك عني » .

(٥) البيت للمسيب في ديوانه ٣٥٩ واللسان ١٢٧/٦ ، ٢٤١/١٢ وعيار الشعر ٩٦ والموشح ٧٦ ، ٨٧ ونسبه أبو هلال في الصناعتين ٨٥ للمتلمس ، ولكنه قال بعد ذكر قصته مع طرفة ٨٦ : « وروى هذا الحديث له مع المسيب بن علس » ونسبه ابن قتيبة للمتلمس في الشعر والشعراء ١٣٥/١ وكذلك أبو الفرج في الأغاني ٢٠٣/٢١ نقلا عن المفضل الضبي ثم عاد فنقل عن ابن السكيت روايتين تنسب أولاهما البيت إلى المتلمس ، وتنسبه الثانية إلى المسيب

(٦) ط « قال . . . صفة » .

- وهو صبي - فقال : استنوق الجمل ، وضحك منه [فذهبت مثلاً]^(١) .
ويقال : إن المسيب قال [له] : أَخْرِجْ لسانك يا فتى ، فَأَخْرَجَهُ ،
فقال : وَيْلٌ لهذا من هذا ، يعنى رأسه من لسانه .

* * *

وَأَخَذَ عَلَى الْمَرْقُشِ [الْأَصْغَرُ] قَوْلَهُ :
صَحَا قَلْبُهُ عَنْهَا سِوَى أَنَّ ذِكْرَهُ إِذَا خَطَرَتْ دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ قَائِمًا^(٢)
وقالوا : مَنْ إِذَا ذُكِرَتْ لَهُ^(٣) دَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، لَيْسَ بِصَاحٍ .

* * *

وَأَخَذَ عَلَى عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ قَوْلَهُ :
* يَبْذُ الْجِيَادَ فَارَهَا مُتَتَابِعًا *^(٤)
وقالوا : لَا يُقَالُ لِلْفَرَسِ فَارَهُ ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهُ : جَوَادٌ ، وَكَرِيمٌ . وَالْفَارَةُ :
لِلْبَغْلِ وَلِلْحِمَارِ .

وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَيْضًا قَوْلُهُ فِي صِفَةِ الْخَمْرِ :
وَالْمُشْرِفُ الْهِنْدِيُّ يُسْقَى بِهِ أَخْضَرُ مَطْمُوئًا بِمَاءِ الْحَرِيصِ^(٥)

- (١) جمهرة الأمثال ١٤ والبيت فيها للمتلمس .
(٢) الأغاني ١٩٤/٥ والشعر والشعراء ١٦٧/١ ، ١٦٩ والصناعتين ٧٣ وصبح الأعشى ١٧٩/٢
وفي م « منها » وط « ذكره » !
(٣) ط « ذكر دارت » !
(٤) صدره : « فصاف يفرى جله عن سرائه » أى صاف هذا الفرس يكاد يشق جلده عما تحته
من السمن ، لسان ١١/٢٠ ، ٤١٧/١٧ وانظر الشعر والشعراء ١٨٢/١ وشعراء النصرانية ٤٧٢
والعقد ٣٦٠/٥ وفي م ، ط « متتابعاً » والتصويب من اللسان ، ومعنى متتابعاً : مسرعاً .
(٥) المشرف : قدح لهم كانوا يشربون فيه ، ويروى : « والمشرّف المصقول » ، « المشمول » أى
الطيب ، ويقصد بأخضر : شراباً أخضر ، وهو أجود الخمر ، والمطموث : المزوج ورواية العقد
٦٣٠/٥ واللسان ٢٨٩/٨ والمعاني الكبير ٤٤٩/١ والشعر والشعراء ١٨٢/١ « بماء الخريص » ورواه
ابن الأعرابي « كماء الخريص » والخريص : الخليلج ، وماء خريص : أى بارد وفي الصناعتين ٩٦ : « كماء الخريص »
وكان صدر البيت سليماً في المطبوعة التى طبع عنها الشيخ محمد محيى الدين ، ولكنه غيّر إلى
« المشرف الهيدب يسمى به » وشرح الهيدب بأنه « الذى عليه أهداب تتذبذب من بمجاد ونحوه » ثم قال : =

الحريص : سحابة تحرص وجه الأرض : أى تقشره لشدها ، ويقال :
الحريص اسم نهر بناحية الحيرة ، فوصف الخمر بالخضرة ، وما وصفها بذلك
أحد غيره .

* * *

وأخذ على الأعشى قوله :
وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي شَاوٍ مِثْلُ شُلُولٍ شُلْشُلٍ شَوْلٍ^(١)
وقالوا : هذه الألفاظ. كلها التى بعد «شاو» متقاربة فى المعنى^(٢).

* * *

وقرئ على الأصمعى قول أبى ذؤيب الهذلى :
قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشُرِّجَ لَحْمُهَا بِالنِّىِّ فَهَيَّ تَشُوخُ فِيهَا الْإِصْبَعُ^(٣)

= وكان فى أصول هذا الكتاب « والمشرى الهندى يسقيه » وهو تحريف من عدة وجوه ، ووقع على
الصواب فى الصناعتين !
والصواب الذى رآه الشيخ واقعاً فى الصناعتين هو الخطأ المحض كشرحه للهيدب الذى يفسد به
المعنى . وقد أخطأ ناشر الصناعتين كذلك فى شرح الهيدب بأنه : « سحاب يقرب من الأرض كأنه مستدل
يكاد يمسكه من قام براحته » ومصدر خطأ الأساتذة هو تعليق المرحوم محمد أمين الخانجى على هذه اللفظة
فى طبعته لكتاب الصناعتين ص ٧١ فقد شرحها بثلاثة شروح ، نقل الأول ناشر الموازنة ، ونقل الثانى ناشر
الصناعتين ، والشرح الثالث خطأ كذلك فقد قال : الهيدب : العباء من الأقوام القدم « وإنما
نصصت عليه لثلاث يأتى ناشر آخر فينقله دون تبصر ولا إدراك .

(١) ديوانه ٤٥ واللسان ١٣ / ٣٨٥ والخزانة ٥٤٧ / ٣ والشعر والشعراء ١٦ / ١ ، ٢٢٠ والتبيان
٣ / ١٧٦ وشرح المعلقات العشر ٢٧٩ والصناعتين ٣٣٥ والمقد ٥ / ٣٦٠ وإعجاز القرآن ٣٢٦ والمعاني
الكبير ١ / ٣٧٩ وفيه : الشاوى : الشواء ، والمشل : السائق السريع السوق ، والشلول : المسرع
والشلل : الخفيف ، وشول : خفيف أيضاً ، ويروى : شمل : أى طيب النفس والريح »

(٢) فى اللسان ٣ / ٣٨٥ « والألعاظ متقاربة ، أريد بذكرها والجمع بينها المبالغة »
(٣) ديوان الهذليين ١ / ١٦ وجمهرة أشعار العرب ١٣٢ والمفضليات ٤٢٧ - ٤٢٨ والشعر
والشعراء ٢ / ٦٣٧ واللسان ٣ / ٤٨٨ ، ٢٠ / ٢٢٤ والصناعتين ٧٨ والفصول والغايات ٤٧٢
والوساطة ١١

ومعنى قصر : حبس اللبن للفرس ، شرح لحمها : أى صار شرجين شحماً ولحماً ، والنى : الشحم ،
وتشوخ : تغيب ، مثل تسوخ . والمعنى : لو أدخلت فيه إصبع من كثرة لحمها لدخلت .

تَأْبَى بِلِرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُكْرِهَتْ إِلَّا الْحَمِيمُ فَإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ^(١)
 فقال : هذه الفرس [لا] تُسَاوِي دِرْهَمِينَ ، لِأَنَّهُ جَعَلَهَا كَثِيرَةَ اللَّحْمِ ،
 رِخْوَةً تَدْخُلُ فِيهَا الإِصْبَعُ ، حَرُونَا ، إِذَا حُرِّكَتْ قَامَتْ ، إِلَّا الْعَرَقُ فَإِنَّهُ
 يَسِيلُ .

* * *

وَقَرَأَ عَلَى الْأَصْمَعِيِّ [أَيْضاً]^(٢) قَوْلَ أَبِي النَجْمِ :

* يَسْبِغُ أَخْرَاهُ وَيَطْفُؤُا أَوَّلَهُ *^(٣)

فَقَالَ : حِمَارُ الْكَسَّاحِ - إِذَا - أَفْرَهُ مِنْهُ .

* * *

وَعَابَ الْأَصْمَعِيُّ ذَا الرِّمَةِ فِي قَوْلِهِ :

حَتَّى إِذَا دَوَّمَتْ فِي الْأَرْضِ أَذْرَكَهَ كَبِيرٌ وَلَوْ شَاءَ نَجَّى نَفْسَهُ الْهَرَبُ^(٤)

وَقَالَ : الْفَصْحَاءُ لَا يَقُولُونَ دَوَّمَ فِي الْأَرْضِ^(٥) ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ : دَوَّمَ فِي

(١) البيت في اللسان ٤٥/١٥ ، وفيه ٣٦٢/٩ « إِذَا مَا اسْتَفْضَيْتَ » « يَتَبَضَّعُ : يَتَفَتَّحُ بِالْعَرَقِ وَيَسِيلُ مَقْطَعاً ، وَكَانَ أَبُو ذُؤَيْبٍ لَا يَجِدُ فِي وَصْفِ الْخَيْلِ ، وَظَنَّ أَنَّ هَذَا مَا تَوْصَفُ بِهِ . قَالَ ابْنُ بَرِي : تَأْبَى هَذِهِ الْفَرَسُ أَنْ تَدْرَكَ بِمَا عِنْدَهَا مِنْ جَرَى إِذَا اسْتَفْضَيْتَهَا ؛ لِأَنَّ الْفَرَسَ الْجَوَادَ إِذَا أُعْطِيَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْجَرَى عَفَوْا فَأَكْرَهَتْهُ عَلَى الزِّيَادَةِ - حَمَلَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ عَلَى تَرْكِ الْعَدُوِّ . يَقُولُ : هَذِهِ تَأْبَى عِنْدَ إِكْرَاهِهَا وَلَا تَأْبَى الْعَرَقُ »

(٢) مِنْ كَ

(٣) الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ٥٨٦/٢ وَالْوَسَاطَةُ ١١ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ٣٦٦/٥ وَالْمَعَانِي الْكَبِيرُ ٣٠/١ وَالْأَغَانِي ٨٣/٩ وَكُلُّهَا تَوَافُقُ رِوَايَةِ الْمَخْطُوطَةِ وَمَطْبُوعَةِ الْجَوَائِبِ ١٨ وَلَكِنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ الْإِسْمَاعِيلِ الْإِسْطَهْرِيَّ فِي غَيْرِهَا إِلَى « يَسْبِغُ أَوْلَادَهُ وَيَطْفُؤُا آخِرَهُ » مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشِيرَ إِلَى مَا فَعَلَ لِيُؤَافِقَ مَا فِي الصَّنَاعَتَيْنِ ! وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ الْبَيْتَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الْمَغْيَرَةِ يَخْلُو مِنَ الْعَيْبِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِ الْأَصْمَعِيُّ ؛ فَإِنَّ الْجَوَادَ إِنَّمَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ تَسْبِغُ أَوْلَادَهُ وَتَلْحَقُ رِجْلَاهُ ، وَلَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ تَسْبِغُ أَخْرَاهُ ، لِأَنَّهُ إِذَا سَبِغَ أَخْرَاهُ كَانَ حِمَارَ الْكَسَّاحِ أَسْرَعَ مِنْهُ عَلَى حَدِّ عِبَارَةِ الْأَصْمَعِيِّ .

(٤) دِيَوَانُهُ ٢٤ « رَاجِعُهُ كَبِيرٌ » وَكَذَلِكَ جَمْعُهُ أَشْعَارُ الْعَرَبِ ١٨٤ وَاللَّسَانُ ١٠٥/١٥ حَدِيثٌ ذَكَرَهُ شَاهِدًا عَلَى أَنَّ دَوَّمَ الْكَلَابِ : أَمْنَعْتُ فِي الْغَيْرِ ، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ١٨/١٠ وَهُوَ مُصَدِّرُ الْأَمْدَى فِي هَذَا النَّصِّ .

(٥) رَاجِعُ فَقَدْ عَلَى بَنِ حِمَزَةٍ لِرَأْيِ الْأَصْمَعِيِّ هَذَا فِي اللَّسَانِ ١٠٥/١٥

السَّاءُ^(١) ، إذا حَلَقَ ، ودَوَّى في الأرض ، إذا ذهب .

وكان الأصمعى أيضاً يعيبه في قوله :

* ونَقَرِي عبيط الشَّخْمِ والماءِ جامِسُ *^(٢)

ويقول : إنما يقال للماء : جامد ، وللسمن وما أشبهه^(٣) : جاسس .

وروى ذلك عنه أبو حاتم .

* * *

وحكى أبو نصر عن الأصمعى قال : كنا نظن الطَّرِمَاحَ شيئاً حتى قال :

وَأَكْرَهُ أَنْ يَعْيبَ عَلَى قَوِي هَجَائِي الْأَرْدَلِينَ ذَوِي الْحِنَاتِ^(٤)

لأنها إْحْنَةٌ وإِحْنٌ ، ولا يقال حنات .

* * *

وأخذ على الآخر قوله :

فَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ عَلَى الْبَكْرِ يَمْرِيه بِسَاقٍ وَحَافِرٍ^(٥)

فسمي رجل الإنسان حافراً ، وهذه استعارة في نهاية القبح .

وكذلك قول الآخر :

قَدْ أَفْنَى أَنَامِلُهُ عَصُهُ فَأُمْسَى يَعْصُ عَلَى الْوُظَيْفِ^(٦)

(١) م « وإنما دوم » ط « في الهواء »

(٤) صدره : « نغار إذا ما الروح أبدى عن البرى » ديوانه ٢٢٣ « ونقرى سديف » وكذلك في

حماسة ابن الشجرى ٥٤ والمختار من شعر بشار ٢٢٣ ورواية المخطوطة توافق رواية اللسان ٣٤١/٧ والصناعتين ١١٠ والسديف : شحم السنام ، والعبيط من اللحم : ما كان سليماً من الآفات .

(٣) ط : « وقال . . . للجامد من السمن وما أشبهه »

(٤) ديوانه ١٣٤

(٥) البيت لبحيئه الأشجعي من قصيدة في حماسة ابن الشجرى ٢٨٥ واللسان ٢٨٣/٥ وهو غير

منسوب في مشكل القرآن ١١٦ والصناعتين ٣٠١ والموشح ٩١ ونقد الشعر ٦٧ وسر الفصاحة ١٥١ وفي

عيار الشعر ١٠٣ لمزرداعي الزنج (؟)

(٦) قاله صخر الفى ، كما في ديوان الهذليين ٧٣/٢ « أنامله أزمه » أفنى أنامله ، يقول : يعض

على يديه من الغيظ ، والأزم : العض ، والوظيف : الذراع . وهو غير منسوب في الصناعتين ٣٠١ في

ط ، ك « فأضحى » .

فجعل له وظيفاً مكان الرجل .

وكذلك قول الآخر :

سَأْمَنْعُهَا أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تُشَقِّقْ^(١)

وقال الحطيئة :

قَرُّوا جَارَكَ الْعَيْمَانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرُهُ^(٢)

* * *

وعيب على أيمن^(٣) بن خُرَيْمٍ قوله يمدح بشر بن مروان :

فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا أُمَّ بَشِيرٍ كَأُمِّ الْأَسَدِ مَذْكَارًا وَلُودًا^(٤)

وقالوا : أخطأ في أن جعل أم الأسد ولوداً ؛ لأن الحيوانات الكريمة عسرة نَزْرَةِ النَّتَاجِ .

والصوابُ قول الآخر^(٥) :

بَغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فِرَاحًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتُ نَزُورٍ^(٦)

وقال جرير :

صَارَتْ حَنِيفَةً أَثْلَاثًا فَثَلْثُهُمْ مِنْ الْعَبِيدِ وَثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيهَا^(٧)

(١) قاله عقفان بن قيس بن عاصم ، اللسان ١١/١٣٤ وسمط اللآلي ٢/٧٤٦ وهو غير منسوب في الصناعتين ٣٠١ وأبواب مختارة ٣٨ وأمالى القالي ٢/١٢٠ ومشكل القرآن ١١٦

(٢) ديوانه ١٢ « لما تركته » وعيار الشعر ١٠٣ والموشح ٩١ والصناعتين ٣٠١ ومشكل القرآن ١١٧ والعيمة : شهوة اللبن ، والعطش

(٣) ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/١٨٧ - ١٨٩

(٤) الموشح ٢٢٣ ونقد الشعر ٧٢ والصناعتين ١٠٠

(٥) ط « قول كثير »

(٦) البيت في اللسان ٢/٣٧٧ لكثير أو غيره ، ٤٢٣ لعباس بن مرداس ، وكذلك حماسة أبي تمام بشرح المرزوق ٣/١١٥ ونسبه أبو عبيد البكري في اللآلي ١/١٩٠ لمعود الحكماء ، والحصري في زهر الآداب ١/٣٥٥ لكثير ، وهو في ديوانه ٢٠٣ وغير منسوب في العقد ١/٣٢٤ ونقد الشعر ٧٣ والصناعتين ١٠٠ والموشح ٢٢٣

(٧) ديوانه ٣٠٠ ونقد الشعر ٧٧ وسر الفصاحة ٢٢٥ والموشح ٨٤ ، ١٢٦ والصناعتين ٣٤٣

ف قيل لرجل من بنى حنيفة : من أى الأثلاث أنت ؟ فقال : من الثلث
الملغى .

وسمع إسحاق بن إبراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد لجرير :
لَمَّا تَذَكَّرْتُ بِالْدَّيْرَيْنِ أَرْقَنِي صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ النَّوَاقِيسِ^(١)
فقال : أخطأ والله أبوك ، التاذنين لا يكون [إلا] فى أول الليل ، وقال
من طلب العذر لجرير : أراد^(٢) [أرقنى]^(٣) انتظار صوت الدجاج .

* * *

وعاب الأخطل الفرزدق فى قوله :
أَبْنَى غَدَانَةَ إِنْنِي حَرَرْتُكُمْ قَوْهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةِ بْنِ جَعَالٍ^(٤)
لَوْلَا عَطِيَّةٌ لَاجْتَدَعْتُ أَنْوَفَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمِّ أَعْيُنٍ وَسِبَالٍ^(٥)
قال : وكيف يهيبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء ؟ وقال عطية حين
بلغه الشعر : ما أسرع ما رجع أخى فى هبته^(٦) !

ومدح الفرزدق الحجاج - وقد دخل عليه - ببیت واحد ، فقال :
وَمَنْ يَأْمَنُ الْحَجَّاجَ - وَالطَّيْرُ تَتَّقِي عُقُوبَتَهُ - إِلَّا ضَعِيفُ الْعَزَائِمِ^(٧)
فقال له الحجاج : الطير تتقى الثوب ، وتتقى الصبي ، ما جئت بشيء !
ولمّا أراد الفرزدق الطائر الذى يطير فى السماء فليست تناله يد .

* * *

-
- (١) ديوانه ٣٢١ والصناعتين ١١٠
(٢) ليست فى ط
(٣) من ك
(٤) ديوان الفرزدق ٧٢٦ والأغاني ٢٩٥/٨ (دار الكتب) ، ٥٠/١٩ بلاق والعمدة
٢٢٨/٢ وقد أخطأ أبو هلال العسكري فى الصناعتين ٨٨ فنسبه إلى جرير
(٥) فى ديوانه والأغاني وغيرهما : « آنف وسبال »
(٦) نقل المؤلف هذا النص من الشعر والشعراء ٤٥٣/١
(٧) الموشح ١١٢ والصناعتين ١٠١

وعيب على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان^(١) :
 وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَافَةَ مِنْهُمْ لَا بَيْضَ لَا عَارِيَ الْخَوَانِ وَلَا جَذَبِ^(٢)
 وقالوا : هذا لا يُمدح به خليفة .
 وأراد أن يمدح رجلاً^(٣) من بني أسد كان أجاره ، فهجاه ، وكان يقال
 لقوم الرجل : الْقُيُونُ ، يُعَيَّرُونَ بذلك ، فقال :
 قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَيْنًا وَأُنْبِؤُهُ فَاَلْيَوْمَ طَيْرٌ عَنْ أَثْوَابِهِ الشَّرِّ^(٤)
 أى : فالיום نفي ذلك عن نفسه ، فما زاد على أن نبه عليه ، وقد كان
 له في المماذج مُتَّسَعٌ .

وأراد أن يهجو سُويْدَ بن مَنجُوفٍ [السدوسي]^(٥) فمدحه ، وذلك قوله :
 فَمَا جَذَعُ سُوءِ خَرَبِ السُّوسِ وَسَطَهُ لِمَا حَمَلْتَهُ وَائِلُ بِمُطِيقِ^(٦)
 [فقبيل له : والله ما يرضى قومه أن يحملوه أمرهم ، فكيف وائل كلها ؟]

* * *

وأخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن أبي سود^(٧) :
 إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ أَبْصَرْتَ لَوْنَهُ مُضِيئًا ، وَأَعْنَاقُ الْكُمَاةِ خُضُوعُ^(٨)

- (١) ط ، ك « وأخذ » م « قوله في المدح »
 (٢) ديوانه ٢١ « فيكم بأبيض » والموشح ١٤١ « لأزهر » والصناعتين ٧٥ « لأبلج » والشعر
 والشعراء ٤٦٠/١ ، وفي ك : « فيهم »
 (٣) هو سمالك بن مخزومة ، راجع الأغاني ١٨٤/٧ وديوانه ٢٢٢
 (٤) م « الشررا » والبيت في ديوانه ٢٢٣ والشعر والشعراء ٤٦٠/١ والموشح ١٣٤ والصناعتين
 ٨٦ وطبقات فحول الشعراء ٤٠٤
 (٥) من ك
 (٦) ديوانه ١٩٥ « السوس أصله » ، ط « فاجذع » والشعر والشعراء ٤٦١/١ والصناعتين ٨٦
 والأغاني ١٨٤/٧ والموشح ١٣٥
 (٧) م « ابن أبي أسود » ط « ابن أبي سويد » وقد رثاه الفرزدق بقوله :
 لقد رزئت حزنا وحلما ونائلًا تميم بن مر يوم مات وكيع
 (٨) ط وديوانه ٥٠٩ « أبصرت وجهه » ونسبه في الصناعتين ٣٤٣ خطأ لجرير

فقالوا : أساء القِسْمة ، وأخطأ الترتيب ؛ وإنما كان يجب ^(١) أن يقول :
أبصرته سامياً وأعناق الكماة ^(٢) خضوع ، أو أبصرت لونه مضيئاً وألوان
الكماة كاسفة .

* * *

ومن خطأ الشعر قول عدي بن الرقاع يذكر الله تبارك اسمه :
وكفك سبْطَةً ونَدَاكَ سَحٌّ وَأَنْتَ الْمَرْءُ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ ^(٣)
فجعل ربه مرءًا .

وعابه الأصمعي في قوله :
لَهُمْ رَايَةٌ تَهْدِي الْجُمُوعَ كَأَنَّهَا إِذَا خَطَرَتْ فِي ثَغْلِبِ الرَّمْحِ طَائِرٌ ^(٤)
وقال : الراية لا تخطر ، إنما الخطران للرمح .

* * *

ومن فاسد اللفظ وقبيحه قولُ ذى الرمة :
فَأَضَحَّتْ مِبَادِيهَا قِفَارًا رُسُومُهَا كَانَ لَمْ-سَوَى أَهْلٍ مِنَ الْوَحْشِ-تُوْهَلِ ^(٥)
أراد : كَانَ لَمْ تُوْهَلِ سَوَى أَهْلٍ مِنَ الْوَحْشِ .

* * *

ومن خطأ المدح قولُ الكميّ يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

-
- (١) في ط ، م : « ينبغي »
(٢) ط « الملوك » وفي م : « الرجال »
(٣) ط « بسطة » م « سمح » والصناعتين ١٠١ « ونذاك غمر »
(٤) ط والصناعتين ٩٦ « لهم » وفي اللسان ٢٣١/١ « والثعلب : طرف الرمح الداخل في جية
السنان » .

- (٥) ديوانه ٥٠٦ « قفارا بلادها » وتأويل مشكل القرآن ١٦٠ وهو الذي غفل عنه المؤلف ،
وشرح شواهد المعنى للسيوطي ٢٣٣ والخزانة ٦٢٦/٣ « فأضحت معانيها » ومباديها : حيث يبدون في
الربيع ، والبلاد : جميع بلدة ، وهي القطعة من الأرض ، وتوهل : تعمر بأهلها
الموازنة - أول

إِلَى السَّرَاجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدَ لَا تَعْدِلُنِي رَغْبَةً وَلَا رَهَبٌ^(١)
عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ الذُّ اسْ إِلَى الْعُيُونِ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ : أَفَرَطْتُ ، بَلْ قَصَدْتُ ، وَلَوْ عَنَّفَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِيكَ الضَّجَاجُ وَاللَّجْبُ

فمن [ذا]^(٢) يعتقه ويؤنبه على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
يكثر عليه فيه الضَّجَاجُ واللَّجْبُ ؟ وهذا لو كان قاله بين المشركين وفي صدر
الإسلام لعل العذر كان يتسع له فيه ، وقد اعتذر له معتذر واحتج
محتج بأن قال : إنه^(٣) لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم خاصةً بهذا الخطاب ،
وإنما أراد أهل بيته ؛ لأنه قال فيهم من الشعر ما قد قال ولأن بني أمية
كانت تعنف من يمدحهم ، وتنكر أشد النكير على من يتحقق بهم^(٤) ويغرق
في الثناء عليهم والوصف لهم .

وعيب أيضاً الكمية بأن جمع بين^(٥) كلمتين لا تشبه إحداهما الأخرى ،
وذلك قوله :

وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا خَوْدًا مُنْعَمَةً رُودًا تَكَامَلَ فِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ^(٦)
وقالوا : [الدُّ لا يكون مع الشَّنْب] إنما يكون مع الغَنَجِ أو نحوه ،

(١) الهاشميات ٥٨ - ٥٩ وشرح شواهد الشافية ٣١١ وتفسير الطبري ٣٨٣/١ - ٣٨٤ والعمدة
١٣٥/٢ - ١٣٦ وجمع البيان ١٨٢/١ وأمال المرتضى ٨٠/٢ والحيوان ١٧٠/٥

(٢) من ك

(٣) من ك

(٤) ط «أشد الإنكار على من يتخونهم»

(٥) من ك

(٦) الموضح ١٩٣ «منعمة ييضا» ورودا : مشوقة حسنة الشباب . والشَّنْب : برد القم

الأسنان .

والشَّنْبُ إنما يكون مع اللَّعْسِ أو ما يجرى مجراه من أوصاف الشجر والفم [والشفة] ؛ والجيد ما قاله ذو الرمة :

لَمِيَاءٌ فِي شَفَتَيْهَا حَوَّةٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أَنْبَاهَا شَنْبٌ^(١)
ولو استقصينا هذا الباب لَطال جداً ، وإنما أوردنا ههنا منه مثلاً لتعلموا
أن فحول الشعراء - الذين غلبوا عليه ، وافتتحوا معانيه ، وصاروا قُدُوءَ [فيه] ،
واتبعهم الشعراء ، واحتذوا على حذوهم ، وبنوا على أصولهم - ما عُصِمُوا من
الزَّلْزَلِ ، ولا سلموا من الغلط .

هذا في المعاني التي هي المقصد والمرمى والغرض .

وأما ما بوبه النحويون من عيوب الشعر في الإقواء والإكفاء والسناد ،
وغير ذلك مما هو عيبٌ في اللفظ - دون المعنى - فليست بنا حاجة إلى ذكره ؛
لكثرة وشهرته .

وكذلك ما أخذته الرواة على المتأخرين - من الغلط والخطأ واللحن -
فاش^(٢) أيضاً وأكثر من أن يحتاج إلى أن نبرهنه أو ندل عليه^(٣) ؛ فلم
يكن أحد من متقدم ولا متأخر في خطئه ولا سهوه ولا غلطه بمجهول الحق ،
ولا مجرود الفضل بل عفى عندكم إحسانه على إساءته ، وغطى^(٤) تجويده
على تقصيره ، فكيف خصصتم أبا تمام دون غيره بالطعن ، وعبتموه دون من
سواه بالزلزل والوهم^(٥) ؟ ولم يك في ذلك بدعاً ، ولا به منفرداً ، ولا إليه

(١) ديوانه ٥ واللسان ٤٨٨/١ ، ٩١/٨ ، ٢٢٦/١٨ وفي م « بيضاء في » واللحس : سواد
يعلو شفة المرأة البيضاء ، والحوه : سمة الشفة .

(٢) ط « واللحن أشهر أيضاً »

(٣) ط « على ذلك »

(٤) ط « وعلا »

(٥) ط « والوهن »

سابقاً ؛ وبخستموه^(١) حق الإحسان الذى انتشر فى الآفاق ، وسارت به الركبان . وتمثل به المتمثل ، وتأدب بحفظه وإنشاده المتأدب ، مما إن ذكرناه لم تنكروه ، وأقررتم بفضيلته ، وأجمعتم [معنا] على استجادته ، واستحسانه فهل الظلم المستقبِح والتعصُّب المستبشع^(٢) إلا ما أنتم مُرتكبوه وخابطون فيه ؟

* * *

١٦ - قال صاحب البحرى : أما أخذ السهو والغلط على من أخذ عليه^(٣) من المتقدمين والمتأخرين فى البيت الواحد والبيتين والثلاثة ، وربما سلم الشاعر الكثير من ذلك ألبتة ، وتعرى^(٤) منه حتى لا تؤخذ عليه لفظه ، وأبو تمام لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة أبيات يكون فيها مخطئاً ، أو مُحيلًا ، أو عن الغرض عادلاً ، أو مستعيراً اسنعة قبيحة ، أو مفسداً للمعنى الذى يقصده بطلب الطباق والتجنيس ، أو مُبهما [له]^(٥) بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم . ولا يوجد له مخرج ، مما لو عددناه لما أتى عليه الإحصاء كثرة فكيف يكون ما أخذ على الشعراء من الوهم وقليل الغلط عنراً لمن لا تُحصى معايبه ومواقف الخطأ فى شعره ؟ وعلى أن أكثر ما عُدَّتُموه - مما أخذته الرواة على الشعراء - صحيح ، والسهو فيه إنما دخل على الرواة ، ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه .

* * *

١٧ - قال صاحب أبى تمام : فِيم تدفعون^(٦) قول البحرى يرى أبا تمام ودِعِلاً ويدُم من بقى بعدهما من الشعراء^(٧) :

(١) ط « فبخستم حق »

(٢) ط « المستهجن » وم « فهذا الظلم ... غير ما أنتم »

(٣) م « أخذ من »

(٤) م « وربما الشاعر ... بته وبعرى »

(٥) من ك

(٦) ط « تدافعون » ، وفى ك : « فيماذا تدفعون »

(٧) فى ك بعد هذا : حيث يقول

قَدْ زَادَ فِي كَلْفِي وَأَوْقَدَ لَوْعَتِي مَثْوَى حَبِيبٍ يَوْمَ مَاتَ وَدُغِبِلِ^(١)
 وَبَقَاءُ ضَرْبِ الْخُثْعَمِيِّ وَشَبْهِهِ مِنْ كُلِّ مُضْطَرَبِ الْقَرِيحَةِ مُجْبِلِ^(٢)
 أَهْلُ الْمَعَانِي الْمُسْتَحِيلَةِ - إِنْ هُمْ طَلَبُوا الْبَرَاعَةَ - وَالْكَلامِ الْمَقْفَلِ^(٣)
 أَخَوِي لَا تَزَلِ السَّمَاءُ مُخِيلَةً تَغْشَا كَمَا بَحْيَا السَّحَابِ الْمُسْبِلِ^(٤)
 جَدْتُ لَدَى الْأَهْوَازِ يَبْعُدُ دُونَهُ مَسْرَى النَّعْيِ وَرِمَةٌ بِالْمَوْصِلِ^(٥)

فمحال أن يرى البحتري أبا تمام ويذكر مَنْ بَعْدَهُ من الشعراء بأن قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة وعنده أن أبا تمام تلك صفته ، فلم تنكرون فضل من يعترف البحتري بفضله ، ويشهد في الشعر له به ، وتنسبون العيب إليه وهو ينفيه عنه^(٦) ، وتلحقونه به وهو يبرئه منه ؟ !

* * *

١٨ - قال صاحب البحتري : وَلِمَ لَا يَفْعَلُ الْبَحْتَرِيُّ ذَلِكَ وَقَدْ كَانَ هُوَ وَأَبُو تَمَامٍ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمَا وَتَعَارُفِهِمَا مُتَصَافِيَيْنِ^(٧) عَلَى الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ ، وَتَحَابِّينِ مُتَلَاثِمِينَ عَلَى الدُّنُو وَالشَّحَطِ ، يَجْمَعُهُمَا النَّسَبُ وَالطَّلَبُ وَالْمَكْتَسَبُ ، وَلَمْ يَكُنْ [أَيْضاً]^(٨) فِي زَمَانِهِمَا شَاعِرٌ مَشْهُورٌ يَفِدُ عَلَى الْمُلُوكِ وَيَجْتَدِي بِالشَّعْرِ وَيَنْتَسِبُ

(١) الأبيات في ديوانه ١٧٩٠/٣ وأخبار أبي تمام ٢٧٤ والأول في شذرات الذهب ١١٢/٢ وهو مع الرابع والخامس في هبة الأيام ٥٠ ومعاهد التنصيص ٢٠٦/٢ وفي ط « زاد في حزفي »

(٢) ط « نجبل » وأخبار أبي تمام « مهمل » والخثعمي هو أحمد بن محمد الخثعمي قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ٤٣٨/٤ كنيته أبو عبيد الله ويقال : أبو العباس ، كان يتشيع ويهاجى البحتري

(٣) في أخبار أبي تمام « المفضل » وفي ك : « البداعة »

(٤) في أخبار أبي تمام « بجيا مقم مسبل » وفي هبة الأيام « بساء مزن »

(٥) فيهما : « على الأهواز » والمدفون بها دعبل ، وبالموصل أبو تمام

(٦) ط « وهذه صفته عنده »

(٧) م « متصافين يجمعهما النسب والطلب والمكسب »

(٨) من ك

إلى طيِّ سواهما ، فليس بمنكر أن يشهد أحدهما بالفضل لصاحبه ، ويصفه بأحسن ما فيه ، وينحله ما ليس له ، وخاصةً في الشعر ؛ ولا سيما^(١) تأبين الميت ؛ فإن العادة جرت بأن يُعطى من التقريظ والوصف وجميل^(٢) الذكر أضعاف ما كان يستحقه [حياً]^(٣) ، فلا تدفعوا العيان فلن يمحو وصف^(٤) البحترى أباً تمام في حياته وتأبينه إياه بعد وفاته — ما ظهر من مقابحه وفضائح شعره .

* * *

١٩ — قال صاحب أبي تمام : فقد علمتم وسمعت الرواة وكثيراً من العلماء بالشعر يقولون : جيد أبي تمام لا يتعلق به^(٥) جيد أمثاله ، وإذا كان كل جيد دون جيده لم يضره ما يؤثر من رديئه .

* * *

٢٠ — قال صاحب البحترى : إنما صار جيد أبي تمام موصوفاً لأنه يأتي في تضاعيف الرديء الساقط . فيجىء رائعاً لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالإضافة ، ولهذا ، ما قال له أبو هفان : إذا طرحت دُرَّةً في بحر خُرءٍ فمن الذى يغوص عليها ويخرجها غيرك؟

والمطبوع الذى هو مستوٍ الشعر قليلُ السقط. لا يبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة ، ومن أجل ذلك صار جيد. [شعر]^(٦) أبي تمام معلوماً وعدده^(٧) محصوراً .

(١) في ط ، م : « ثم في تأبين الميت »

(٢) م « والجميل من الذكر »

(٣) من ك

(٤) ط « يحق »

(٥) م ، ك « به وإذا »

(٦) من ك

(٧) م ، ك « وعدداً »

وهذا عندي - أنا - هو الصحيح ؛ لأنني نظرت في شعر أبي تمام والبحترى [في سنة سبع عشرة وثلثمائة ، واخترت جيدهما] وتلقّطت محاسنهما ، ثم تصفحت شعرهما بعد ذلك على مر الأوقات ؛ فما من مرة إلا وأنا ألحق في اختيار شعر البحترى ما لم أكن اخترته من قبل ، وما علمت أنني زدت في اختيار شعر أبي تمام ثلاثين بيتاً على ما كنت اخترته قديماً .

* * *

٢١- قال صاحب أبي تمام : أفتنكرون كثرة ما أخذَه البحترى من أبي تمام ، وإغراقه في الاستعارة من معانيه ؟ فأياً^(١) أولى بالتقدمة : المستعير ، أم المستعارُ منه ؟

* * *

٢٢- [قال صاحب البحترى] : قد ابتدأنا بالجواب عن هذا في صدر كلامنا ، ونحن نُتِمُّه^(٢) في هذا الموضع إن شاء الله تعالى .
أما ادّعاؤكم كثرة الأخذ منه فقد قلنا : إنه غير منكّر أن يكون أخذ منه لكثرة^(٣) ما كان يرد على سمع البحترى من شعر أبي تمام فيعتلق^(٤) . معناه : قاصداً للأخذ ، أو غير قاصد ، ولكن ليس كما ادّعيتم وأدعاه أبو الضياء بشر بن يحيى^(٥) في كتابه ؛ لأننا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه ، وتجري طباع الشعراء عليه ، فجعله مسروقاً ، وإنما السَّرَق يكون في البديع الذي ليس للناس فيه اشتراك ، فما كان من هذا الباب فهو الذي

(١) في م ، ط : « فأيهما »

(٢) في ك : « نتممه »

(٣) ط « من كثرة »

(٤) في ط ، م : « فيعتلق »

(٥) ط « ابن تميم »

أخذه البحتري من أبي تمام ، لا ما كثر فيه ^(١) أبو الضياء وحشا به كتابه .
وأنا أذكر هذين البابين ^(٢) في موضعهما من [هذا] الكتاب ^(٣) ، وأبين
ما أخذه البحتري من أبي تمام على الصحة ، دون ما اشتركا فيه ؛ إذ كان
غير منكر لشاعرين [مكثرين] متناسبين ومن أهل بلدين متقاربين أن
يتفقا في ^(٤) كثير من المعاني ، ولا سيما ما تقدم الناس فيه ، وتردد في الأشعار
ذكره ، وجرى في الطباع والاعتقاد من الشاعر وغير الشاعر استعماله .

وبعد :

فينبغي أن تتأملوا محاسن البحتري ، ومختار شعره ، والبارع من معانيه ،
والفاخر من كلامه ؛ فإنكم لا تجدون فيه على غزوه وكثرته حرفاً واحداً مما
أخذه عن أبي تمام ، وإذا كان ذلك إنما يوجد في المتوسط . من شعره فقد قام
الدليل على أنه لم يعتمد أخذه ، وأنه إنما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره
فيورده .

تم احتجاج الخصمين بحمد الله .

(١) ط « لا ما ذكره »

(٢) ط « هذين الشيتين »

(٣) في ك : « هذه الرسالة »

(٤) في ط ، م : « على »

منهج الآمدى فى الكتاب

وأنا أبتدى بذكر مساوى هذين الشاعرين لأختم [بذكر] ^(١) محاسنهما .
وأذكر طرفاً من سرقات أبى تمام ، وإحالاته ، وغلظه ، وساقط شعره ،
ومساوى البحتري فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام ، وغير ذلك من غلظه فى
بعض معانيه .

ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة ^(٢) إذا اتفقنا فى الوزن والقافية
وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى ؛ فإن محاسنهما تظهر فى تضاعيف
ذلك [وتنكشف] .

ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوده ^(٣) من معنى سلكه ولم
يسلكه صاحبه .

وأفرد باباً لما وقع فى شعريهما من التشبيه ، وباباً للأمثال ، أختم بهما
الرسالة .

ثم أتبع ^(٤) ذلك بالاختيار المجرى من شعريهما ، وأجعله مؤلفاً على حروف
المعجم ؛ ليقرب تناوله ^(٥) ، ويسهل حفظه ، وتقع الإحاطة به ، إن شاء الله
تعالى .

(١) من ك

(٢) ط « بين قصيدتين »

(٣) م « بجودة »

(٤) ط « وأضع ذلك » وهو تحريف

(٥) ط « متناوله »

سركات أبي تمام

كان أبو تمام مُسْتَهْتَرًا^(١) بالشعر، مشغوفاً به ، مشغولاً مدةَ عمره بتبحره^(٢) ودراسته ، وله كتبُ اختيارات [مؤلفة] فيه مشهورة معروفة .

فمنها « الاختيار القبائلي الأكبر » اختار فيه من كل [قبيلة] قصيدة ، وقد مر على يَدَيَّ هذا الاختيار .

ومنها اختيار آخر ترجمته^(٣) القبائلي اختار فيه قطعاً من محاسن أشعار القبائل ، ولم يورد فيه كبيرَ شيء [للشعراء] المشهورين .

ومنها الاختيار الذي تُلَقِّط فيه محاسنَ شعراء^(٤) الجاهلية والإسلام ، فأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة ، وهو اختيار مشهور معروف [يعرف] باختيار شعراء الفحول .

ومنها اختيار تُلَقِّط فيه أشياء من [أشعار] المقلِّين والشعراء المغمورين غير المشهورين ، وبَوَّبَه أبواباً ، وصدره بما قيل في الشجاعة وهو أشهر اختياراته ، وأكثرها في أيدي الناس ، ويُلقب بالحماسة .

ومنها اختيار المقطعات ، وهو مُبَوَّب على ترتيب^(٥) الحماسة ، إلا أنه ذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين ، وصدره بذكر الغزل ، وقد قرأتُ هذا^(٦) الاختيار ، وتلقت منه نُتفاً وأبياتاً كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره .

(١) مستهترا : مولعا به ، وفي م ، ط : « مشهرا » وهو تحريف

(٢) ط « بتخيره »

(٣) م « ترجمته اختار قطعاً »

(٤) سقطت من م وفي ط « شعر »

(٥) في ك : « تأليف »

(٦) م « في هذا الكتاب وهذا الاختيار منه نتفاً »

ومنها اختيار مجرد في ^(١) أشعار المحدثين ، وهو موجود في أيدي الناس .
فهذه الاختبارات تدل على عنايته بالشعر ، وأنه اشتغل به ، وجعله
وَكْدَةً [وغرضه] ^(٢) ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ، وإنه ما فاته
كبير شيء ^(٣) من شعر جاهلي ولا إسلامي ولا محدث إلا قرأه وطالع فيه ^(٤) ،
ولهذا ما أقول : إن الذي خفي من سرقاته أكثر مما ظهر منها ^(٥) ، على
كثرتها .

وأنا أذكر ما وقع إلي في كتب الناس من سرقاته ، وما استنبطته أنا
منها واستخرجته ؛ فإن ظهرت بعد ذلك منها على شيء الحقته بها ، إن
شاء الله .

١ - قال الكميت الأكبر ، وهو الكميت بن ثعلبة :

فَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الضَّجَاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا ^(٦)
أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ :

* السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ ^(٧) *

وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتقد لا يفتح عمورية ،
وراسلته الروم : إنا نجد في كتبنا أن مدينتنا هذه لا تفتح إلا في وقت

(١) في ط ، م : « من »

(٢) من ك

(٣) ط « فإنه ما شيء كبير » وفي م « مافاته كثير من »

(٤) ط ، ك « واطلع عليه »

(٥) ط « مما قام »

(٦) ذكره المؤلف في المؤلف والمختلف ١٧٠ والمرزباني في معجم الشعراء ٣٤٧ وابن قتيبة في
الشعر والشعراء أثناء ترجمة سالم بن دارة ٣٦٣/١ والبحترى في حماسه ١٥ . وفي ط « ولا . . . اللجاج »
والضجاج : المجادلة والمشاقة . وفي ط « فيه »
(٧) ديوانه ٧ وأخبار أبي تمام ٣٠

إدراك التين والعنب ، وبيننا وبين ذلك الوقتِ شهورٌ يمنعك من المُقام فيها
البردُ والثلج . فأبى أن ينصرف ، وأكبَّ عليها حتى فتحها فأبطل ما
قاله ، فلذلك قال الطائي :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
وهو أحسن ابتداءاته .

٢- وقال النابغة يصف يوم حرب :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ^(١)
أخذَه الطائي ، وذكرَ ضوءَ النهار وظلمة الدخان في الحريق الذي وصفه
فقال^(٢) :

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحَى شَجَبٍ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا ، وَقَدْ أَفْلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا ، وَلَمْ تَجِبِ
٣- وقال الأعشى :

وإِنَّ صُدُورَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقٌ^(٣)
أخذَه الطائي فقال :

مِنَ الْقِلَاصِ الدَّوَاتِي فِي حَقَائِبِهَا بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الْكَلِمِ^(٤)
٤- وقال مسلم بن الوليد في وصف الخمر :

قَتَلْتُ وَعَاجَلُهَا الْمَدِيرُ فَلَمْ تُقَدِّ فَإِذَا بِهِ قَدْ صَبَّرَتْهُ قَتِيلًا^(٥)

(١) ديوانه ٦١ وأمال المرتضى ٥٢/١ والصناعتين ١٩٧

(٢) م « وصفه فقال »

(٣) ديوانه ١٤٩ « وإن عتاق »

(٤) ديوانه ٢٦٨ والقلاص : جمع قلوص وهي الناقة الشابة ، وغير مزجاة أى جيدة كاملة

(٥) ط « ولم يقد » ديوانه ٤٨ « فلم تفظ » يقول : قتلت بالمزاج ، وعاجلها المدير بالشرب ولم

تفظ بعد ، فإذا به قد صبرته قتيلا ، أى قد أسكرته .

أَخَذَهُ الطَّائِي فَأَحْسَنَ الْأَخْذَ ، فَقَالَ :

إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بِوَتَرٍ تَوَقَّرْتُ عَلَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَقَادَتْ مِنَ الرَّجُلِ^(١)
فَإِنْ كَانَ أَخْذُهُ^(٢) مِنْ دِيكَ الْجَنِّ فَلَا إِحْسَانَ لَهُ [فِيهِ] ؛ لِأَنَّهُ أَتَى
بِالْمَعْنَى بَعِينَهُ ، قَالَ دِيكَ الْجَنِّ :

تَظَلُّ بِأَيْدِينَا تَتَعَتَّعُ رَوْحُهَا وَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ ثَارَهَا^(٣)
كَذَا وَجَدْتُهُ فِيمَا نَقَلْتُ ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ نَقْطَعَ عَلَى أَيِّهِمَا أَخْذَ مَنْ
صَاحِبِهِ ؟ لِأَنَّهُمَا كَانَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ .

* * *

٥- وَقَالَ الْأَعْشَى :

وَأَرَى الْغَوَايَ لَا يُوَاصِلُنَّ امْرَأً فَقَدْ الشَّبَابَ وَقَدَوِيصِلُنَّ الْأَمْرَدَا^(٤)
فَأَخَذَ الطَّائِي الْمَعْنَى وَالْطُفْهَ^(٥) ، فَقَالَ :

أَخْلَى الرَّجَالَ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً مَنْ كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا^(٦)
٦- وَقَالَ الْبَعِيثُ [الْحَنْفَى] :

وَأَنَا لَنُعْطِيَ الْمَشْرِفِيَّةَ حَقَّهَا فَتَقْطَعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتُقْطَعُ^(٧)
فَقَالَ الطَّائِي :

فَمَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ لَا فَيَ ضَرِيبَةً فَقَطَّعَهَا ثُمَّ أَنْشَى فَتَقَطَّعَا^(٨)

(١) ديوانه ٤٢٠ وم « توفرت . . . من الدحل » وهو تحريف

(٢) ط « وإن . . . أخذه »

(٣) التشبيهات ١٨١ وفي م « نفل » و ط « تقمقع »

(٤) ديوانه ١٥٠

(٥) ط « والصفة »

(٦) ديوانه ٨٨ وقال الشريف المرتضى في الشهاب ١٠ « ولعمري إن بين البيتين تشابهاً ، إلا أن
أبا تمام زاد على الأعشى بقوله : من كان أشبههم بهن خدوداً ، فعلم ميل النساء إلى المرد ، والأعشى
أطلق من غير تعليل »

(٧) الوساطة ٣٢٩ وأخبار أبي تمام ١٠٠

(٨) ديوانه ٣٧٥ وأخبار أبي تمام ٩٨ ومروج الذهب ٧٢/٤

٧- وقال الطائي :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلَهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَابُهُ^(١)
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ
أخذ صدر البيت الأول من قول كثير :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَجُوا فَلَا تَيْصُ فِي أَضْلَابِهِنَّ نُحُولُ^(٢)

ويشبه قول البعيث :

أَطَافَتْ بِشُعْثٍ كَالْأَسِنَّةِ هُجِدَ بِخَاشِعَةِ الْأَصْوَاءِ غَيْرِ صُحُونِهَا^(٣)

وأخذ معنى البيت الثاني من قول الآخر :

غُلَامٌ وَغَى تَقَحَّمَهَا فَأَبْلَى فَخَانَ بَلَاءَهُ الزَّمَنُ الْخَوُونُ^(٤)
فَكَانَ عَلَى الْفَتَى الْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتِ الْمَنُونُ

٨- وقال جرّان العود يصف الخيال :

سَقِيًّا لِرِزْوَدِكَ مِنْ زَوْرٍ أَتَاكَ بِهِ حَلِيثُ نَفْسِكَ عَنْهُ وَهُوَ مَشْغُولُ^(٥)
فذكر العلة في طروق الخيال ، وهو السابق إلى هذا^(٦) المعنى ، فأخذه

العباس بن الأحنف فقال :

خَيَالُكَ حِينَ أَرْقُدُ نُصَبَ عَيْنِي إِلَى وَقْتِ أَنْتَبَاهِي مَا يَزُولُ^(٧)

(١) راجع ص ٢١

(٢) ديوانه ٧ وفي ظ « عرسوا »

(٣) راجع ص ٢١

(٤) راجع ص ٢١

(٥) ديوانه ٥٥ وحماسة ابن الشجري ١٧٧

(٦) في م ، ط : « لهذا »

(٧) أمالي القائل ١/ ٢٢٩

وليس يزورني صلة ، ولكن حديث النفس عنك به الوُصول^(١)
فتبعه الطائي فقال :

زَارَ الْخِيَالُ لَهَا ، لا ، بَلْ أَزَارَكَهُ فِكْرٌ إِذَا نَامَ فِكْرُ النَّاسِ لَمْ يَنْمِ^(٢)
وقال أيضاً في هذا المعنى :

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ^(٣)
٩- وقال أبو تمام الطائي :

أَمَّا الْهَيْجَاءُ فَدَقَّ عَرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ ، كَمَا عَلِمْتَ ، جَلِيلُ^(٤)
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عَرْضِكَ إِنَّهُ عَرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ
أخذه من قول [أبي] هشام المعروف بالخلق^(٥) ، أحد الشعراء البصريين ،
يهجو بشار بن برد :

بِذِلَّةٍ وَالِدَيْكَ كَسَبْتَ عِزًّا وَبِاللُّؤْمِ اجْتَرَأْتَ عَلَى الْجَوَابِ^(٦)

(١) ط « هو الوُصول »

(٢) ديوانه ٢٦٨ « فكر الخلق » وفي ط « فكر الخلو » وأمال المرتضى ٥٤٢/١ وأمال القالي ٢٢٩/١ وحماسة ابن الشجري ١٧٦

(٣) ديوانه ٤٥٩

(٤) ليسا في ديوانه ، وقد أوردهما البيهقي في هبة الأيام ١٦٠ ضمن أهاجي أبي تمام لأبي المغيث موسى ، وقبلهما :

أمويس قل لي : أين أنت من الوري لا أنت معلوم ولا مجهول

ثم قال : « والبيتان الأخيران ينسبان لغير أبي تمام » والأبيات في ديوان المعاني ١٧٨/١ لمسلم ابن الوليد وهي له في هجاء دعبل ، كما قال أبو الفرج في ترجمة مسلم المنقولة من الأغاني في آخر ديوانه ١٦٤ (طبع الهند) وأغرب المبرد فنسبهما لدعبل في الكامل ٧٩٨/٢ - ٧٩٩ ونسبهما الشريف المرتضى لمسلم ٤٨٨/١ وفي ط « والمديح فيك » وهو خطأ

(٥) ط « بالخلو » وفي هامش ك : « ع قال لي أبو عبيد المرزباني : هذا أبو هشام : عمرو الظالم الباهل يعرف بابن الخلق . والخلق هو أبو مسلم . كان في أيام المأمون

وفي معجم الشعراء للمرزباني ٢١٦ عمرو بن عبد الرحمن بن الخلق أبو هشام الباهل الظالم

شاعر مكث ، كان على عهد المنصور والمهدى والرشد . هاجى بشارا الأعمى فانتصف منه

(٦) البيت لأبي هشام في أخبار أبي تمام ٤٢ ونسبه الثعالبي خطأ للبحراني في المتحلي ١٤٤ وليس

في ديوانه . وفي ديوان المعاني ١٧٩/١ من غير نسبة . وفي معجم الشعراء للمرزباني ٢١٦

وأخذه إبراهيم بن العباس فقال وأجاد وأحسن^(١) :
نَجَابَكَ عِرْضُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَادِيرُهُ أَنْ يُنَالَا^(٢)

١٠- وقال الطائي :

وَالشَّيْبُ إِنْ طَرَدَ الشَّبَابَ بَيَاضُهُ كَالصُّبْحِ أَحَدَتْ لِلظَّلَامِ أَفُولَا
أَرَادَ قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبِهِ نَهَارُ^(٣)
فَقَصَّرَ عَنْهُ .

١١- وقال قيس بن ذريح :

بَلِغْ إِذَا يَشْكُو إِلَى غَيْرِهَا الْهَوَى وَإِنْ هُوَ لَاقَاهَا فَغَيْرُ بَلِغٍ
أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ :

لِمَ تُنْكِرِينَ مَعَ الْفِرَاقِ تَبَلُّدِي وَبَرَاعَةُ الْمُشْتَاكِ أَنْ يَتَبَلَّدَا^(٤)
١٢- وقال الحطيئة :

إِذَا هُمْ بِالْأَعْدَاءِ لَمْ يَثْنِ هَمُّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا لَوْلُو وَشُنُوفُ^(٥)

(١) ط « فأجاد »

(٢) ط ، ك « مقاديره » وهو في الطرائف ١٦٣ وآمال المرتضى ٤٨٨/١ وديوان المعاني ١٧٩/١ والمتل ١٣٢ وأخبار أبي تمام ٤٣ ومعاهد التنخيص ٥٣/٤

(٣) ديوانه ٤٦٧ « في السواد » وهو في الصناعتين ٢٥٤ ، ٣١٤ والأغاني ١٦/١٩ والموشح ١٠٣ وإعجاز القرآن ١٢٥ والكمال ١٨/١ والانتصاب ١٤٦ واللسان ٩٧/٧ ، ١٣٠/١٤ والشعر والشعراء ١٣/١ ووفيات الأعيان ٦/٢٤٤ ومعاهد التنخيص ١٩/١ وأساس البلاغة ٣٦/٢ ، ٤٨٥ وطبقات فحول الشعراء ٣١٢ وديوان المعاني ٨٧/٢ ونثار الأزهار ٦٥ والعمدة ٢٣٧/١ وحماسة البحتری ١٨٣ ودلائل الإعجاز ٧٥

(٤) ديوانه ١٢٥

(٥) ديوانه ٤١ « كصاب عليها » . وفي م ، ك « لؤلؤ وزبرجد » وهو خطأ ، وفي هامش ك تعليقاً عليها في شعره وشنوف . وأول القصيدة :

أمن أجل دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشون وكيف

فأخذه كثير فقال :

إذا ما أراد الغزو لَمْ يَثْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمٌ دُرٌّ يَزِينُهَا^(١)
وأخذه الطائي فخلط . ؛ لقصده إلى مجانسة اللفظ . [والمطابقة] ؛ فقال :
عَدَاكَ حُرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ ، وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ^(٢)

١٢ - وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا فَهَنْ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ^(٣)
أخذه الطائي فقال :

وَقَدْ ظَلَلْتُ عِقْبَانَ أَغْلَامِهِ ضُحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلٍ^(٤)
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلْ
فأتى في المعنى بزيادة ، وفي قوله : « إلا أنها لم تقاتل » وجاء به في
بيتين . [وأخفاً أيضاً في المعنى بقوله : « في الدماء نواهل » والنهل : هو
الشرب الأول ، والعلل : الشرب الثاني والعقبان لا تشرب الدماء ، وإنما

(١) ط « إذا هم بالأعداء . . . عليها عقد » والبيت في ديوانه ٣٤/٢ وأمالى القائل ١٣/١
والأغاني ٣٥/٨ وطبقات فحول الشعراء ٤٦٠ والمقد ٤٠٧/٤

(٢) ديوانه ١٠ و ط « الحصب » وفي شرح التبريزي ٦٨/١ « عداك : صرفك ، والثغور :
جمع ثغر ، وهو موضع مخافة العدو ، والمستضامة : التي ضامها العدو وأذلها .

والثغور الثانية : جمع ثغر وهو الفم . والمراد بالسلسال هنا : الريق ، والحصب : الذي فيه
الحصباء ، وهي صفار الحصى - وجعله الريق حصبا لأن فيه الأسنان يقول : صرفك عن برد هذا الريق
في ثغور الحسان - ما في قلبك من أمر الثغور التي أبيحت وتمكن العدو منها وفي هذا البيت مطابقة بين
الحر والبرد ، ومجانسة بين الثغور والثغور .

(٣) ديوانه ١٠ والصناعتين ٢٢٦ والشعر والشعراء ٨١١/٢ وهبة الأيام ١٩٠ وتهذيب تاريخ
ابن عساكر ٤٢٩/٥ والإبانة والذخيرة ٢٤٢/١ والصبح المنبى ٣٧ وأخبار أبي نواس ١٦٤ ومعاهد
التنصيص ٥٩/٣ .

(٤) ديوانه ٢٤٨ وأخبار أبي تمام ١٦٤ والوساطة ٢٧١ والصبح المنبى ٣٧ والإبانة . . . والخزانة
١٩٦/٢ والذخيرة ٢٤٢/١

تأكل اللحم^(١) .

وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى ؛ فأول من سبق إليه الأقوّه الأودى ،
وذلك قوله :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثِقَةً أَنَّ سَتَمَارَ^(٢)
فتبعه الذابغة فقال :

إِذَا مَا غَزَا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ قَوْفَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ^(٣)
جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبٍ
فأخذه حميد بن ثور فقال يصف الذئب :

إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَايَةً مِنْ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ^(٤)

(١) الزيادة من م ويقول الجرجاني في الوساطة ٢٧١ « نغم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : « إلا أنها لم تقاتل » فهو المتقدم ، وأحسن من هذه الزيادة عندى قوله : « في السماء نواهل » وإقامتها مقام الرايات ، وبذلك يتم حسن قوله : « إلا أنها تقاتل »

(٢) الطرائف ١٣ والوساطة ، ٢٧٠ والصناعتين ٢٢٥ وهبة الأيام ١٨٨ والذخيرة ٢٤٢/١

(٣) ديوانه ٤٣ وفي ط وهامش ك « ما غزوا » وانظر الخزانة ١٩٦/٢ وأخبار أبي نواس ١٦٤

وللائل الإعجاز ٣٨٤ وهبة الأيام ١٩٠ والصناعتين ٢٢٥ والصبح المنبى ٣٧ والشعر والشعراء ١٢١/١ وفيه أن العلماء أخذوا عليه أنه « جعل الطير تعلم الغالب من المغلوب قبل التقاء الجمعين ، والطير قد تتبع للمساكر للقتل ، ولكنها لا تعلم أيها يغلب » والذخيرة لابن بسام ٣٤٢/١ - ٣٤٣ وفيه أن ابن شهيد يرى أن كل هؤلاء الشعراء « قصر عن النابغة ؛ لأنه زاد في المعنى ودل على أن الطير إنما أكلت أعداء الممدوح ، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر ، وإن كان أبو تمام قد زاد في المعنى » ويقول الصولي في أخبار أبي تمام ١٦٥ : « ولا أعلم أحداً قال في هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة ، وهو أول بالمعنى ، وإن كان قد سبق إليه لأنه جاء به أحسن » ويرى القاضي الجرجاني في الوساطة ٢٧١ « أن الأقوّه الأودى قد فضل الجماعة بأمور : منها السبق ، وهي الفضيلة العظمى ، والآخر قوله : « رأى عين » فغبر عن قربها ؛ لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر ، وإنما يكون قربها متوقفاً للفريسة . وهذا يؤيد المعنى ، ثم قال : « ثقة أن سَمَار » فجعلها واثقة بالميرة ، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره ، وأما أبو نواس فإنه نقل اللفظ ولم يزد فيفضل »

(٤) يصف ذئباً يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجل يشب عليه ؛ لأنه من بين السباع لا يرغب في القتل ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه . والغيابة : كل شيء أظل الإنسان مثل السحابة والغبرة والظل . والبيت في الوساطة ٢٧١ والخزانة ١٩٧/٢ وأخبار أبي نواس ١٦٤/١ وهبة الأيام ١٨٨ وقد خرج الميمى من مصادر كثيرة - ليست هذه من بينها - في تعليقه على الديوان ١٠٦

وقال أبو نُوَّاس :

تَتَأَيَّا الطَّيْرُ غُدُوَّتَهُ ثِقَةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزْرَةٍ^(١)
[تَتَأَيَّا] أى : تتعمد وتقصد .

* * *

١٤ - وقال منصور النَّمْرِيُّ فى مدح الرشيد :

وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرَفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :
أَطْلَ عَلَى كُلِّ الْآفَاقِ حَتَّى كَانَ الْأَرْضَ فِي عَيْنَيْهِ دَارُ^(٢)
[وَيُرَى طَلِي] . عجز هذا البيت حَسَنٌ جَدًّا ، وبيت النمرى أَحَبُّ
إِلَى ؛ لِأَن مَعْنَاهُ أَشْرَحَ .

١٥ - وقال مسلم بن الوليد

فَلَمَّا انْتَضَى اللَّيْلُ الصَّبَاحَ وَصَلَتْهُ بِحَاشِيَةٍ مِنْ لَوْنِهِ الْمُتَوَرِّدِ^(٣)
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :
حُطَّتْ إِلَى قَبَةِ الْإِسْلَامِ أَرْحُلُهُ وَالشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْسًا عَلَى الْأَصْلِ^(٤)
[أَوْ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّمْرِى :
أَجَدَّ وَلَمَّا يَجْمَعُ اللَّيْلُ شَمْلَهُ فَمَا حَلَّ إِلَّا وَهُوَ وَرَدُّ الْمَغَارِبِ]

(١) ط « غزوته » وما فى م يوافق ما فى الديوان ٦٩ والصناعتين ٢٢٦ والذخيرة ٢٤٢/١
وفى أخبار أبي نواس « تتأى الطير » وفى الصبح المنبى ٣٧ وهبة الأيام « يتوفى الطير » وفى الوساطة ٢٧١
« تتأى » وشرحها الناشران بقولهما « تتأى تتعمد » ! وهو خطأ . ومعنى من جزره : أى من قتل المملوح
(٢) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ١٥٥/٢ « كل : جمع كلية ، واستعارها للآفاق ، لأن من
أطلع على كلية الشيء فقد خبر أمره ، إذ كانت الكلية لا تكون إلا فى الباطن »
(٣) م « وصلته » وفى ديوانه ٦٢ « من فجره » انتضى : أظهر والمتورد : الأحمر ، يعنى
الصبح يريد أنهم وصلوا سير الليل بسير النهار .
(٤) ديوانه ٢٥٠ « إلى عدة »

هذا ما ذكره ابن المنجم ، والذي أظن أنه أخذه من قول الآخر :

* وَالشَّمْسُ صَفَرَاءُ كَلَوْنِ الْوَرَسِ *

١٦ - وقال المار^(١) الْفَقْعَسِيُّ فِي وَصِفِ الْأَثَافِ :

أَثَرُ الْوُقُودِ عَلَى جَوَانِبِهَا بِخَدُودِهِنَّ كَأَنَّهُ لَطْمٌ^(٢)

فأخذه أبو تمام فقال :

أَثَافٍ كَالْخُدُودِ لُطْمُنَ حُزْنًا وَنَوًى مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارُ^(٣)
أورد المعنى في مصراع ، وأتى في المصراع الثاني بمعنى آخر يليق به فأجاد ،
إلا أن بيت المار أشرح وأظهر معنى ؛ لقوله : « أثر الوقود^(٤) على جوانبها »
فأبان المعنى الذي من أجله أشبهت الخدود^(٥) الملطومة .

١٧ - وقا أبو نَؤَاس :

فَالْخَمْرُ يَا قُوتَةُ وَالْكَأْسُ لُؤْلُؤَةٌ مِنْ كَفِّ لُؤْلُؤَةٍ مَمْشُوقَةٍ الْقَدِّ^(٦)

أخذه أبو تمام فقال وأساء :

أَوْ دُرَّةٌ بَيَضَاءُ بِكَرٍّ أَطْبِقَتْ حَبَلًا عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ^(٧)

لأن قوله : « [أطبقت] حبلًا » كلام مستكره [قبيح] جدًا .

(١) سقطت من الخطية

(٢) البيت له في أمالي المرتضى ٣٤/٢

(٣) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزي ١٥٣/٢ « وقال المرزوقي : شبه الأثافي في أن أعلاها سواد في حمرة بخدود حمر لطمت حتى اسودت ، وشبه النوى لتثلمه ودروس بعض منه وبقاء بعض منه بسوار متكسر » وانظر الوساطة ٢٤٦ وأمالي المرتضى ٤٣/٢ .

(٤) ط « وأوضح معنى . . . أثر الورود » !

(٥) ط « أشبه الخدود » وفي م « شبهت بالخدود »

(٦) ديوانه ٢٦٥ « كف جارية »

(٧) ديوانه ٣ وشرح التبريزي ٣٧/١ « شبه الكأس بدرة لم تثقب والخمر بياقوتة حمراء ،

فكانها حمل في جوفها وهي حبل بها »

١٨- وقال أبو تمام :

نَقَلَ فَوَادَكَ حَيْثُ شِثْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ (١)
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ كَثِيرٍ :

إِذَا وَصَلْتَنَا خَلَّةٌ كَيْ تَزِيلَهَا أَبِينَا ، وَقُلْنَا : الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ (٢)
وذكر محمد بن داود بن الجراح في كتابه أنه أخذ المعنى من قول ابن
الطَّشْرِيَّةِ إِذْ يَقُولُ :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِغًا فَتَمَكَّنَا (٣)
وهذا أجود ما قيل في هذا المعنى ؛ لأنه ذكر العلة .

١٩- وقال أبو تمام :

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَالِكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي (٤)
مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلِقْتُ رَكَابِي فِي الْبِلَادِ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَإِنْ جَرَّتِ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِذْحَةٍ لِيُغَيِّرَكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي (٥)

(١) ديوانه ٤٥٧ وأخبار أبي تمام ٢٦٣ والصناعتين ٢٠٤ ، ٤١٨ والبيان والتبيين ٣/٣١٣ والحيوان ١/١٦٩ والأغاني ١٧/١٤٦ والمقد ٣/٤٧٠ ، ١٠٢/٦ غير منسوب ودلائل الإعجاز ٣٧ ومعاهد التنصيص ١/٢٢٩

وانظر تخريج المستشرق ويتر لهذا البيت في أسرار البلاغة ١٠٨

(٢) الخزائن ٢/٢٨٢ والشعر والشعراء ١/٤٨٨ ودلائل الإعجاز ٢٧٩ وديوانه ٢/٣١٠ إذا أرادت خلة أن تزيلنا « وفي أخبار أبي تمام ٢٧٤ » لتزيلها «

(٣) البيت له في حماسة ابن الشجري ١٤٥ وأخبار أبي تمام ٢٦٤ والزهرة ٢٢ ويعقب عليه داود الأصفهاني بقوله : « ولعمري إن هذا من نفيس الكلام ، غير أن في البيت ضعفاً ، وذلك أنه جعل سبب تمكن الهوى من قلبه أنه صادفه خالياً لم يسبقه إليه غيره ، وليست هذه أحوال أهل التمام إذ كل من صادف محلاً لا يدافع عنه لم يتعذر عليه طريق التمكن منه » وقد نسب الجاحظ في البيان والتبيين ٢/٤٢ والحيوان ١/١٦٩ لمجنون بن عامر

(٤) ديوانه ٨٩ وشرح التبريزي ١/٣٧٨ وأخبار أبي تمام ١٤١ والوساطة ٢٤٥

(٥) ديوانه ٦٦ وأخبار أبي تمام ١٤٢ والوساطة ٢٤٤

وقد كان ابن أبي دُوَاد سألَه عن هذا المعنى حين أنشدَه القصيدة ، فقال :
أهو مما اخترعته ؟ فقال : [هو ما اخترعته ، فقال : بل] ^(١) أخذته من
قول [الحسن] ابن هاني :

* وَإِنْ جَرَتْ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِدْحَةٍ *

٢٠- وقال ابن الخياط في قصيدة يمدح بها المهدي - فأجازه جائزة فرقها
في الدار ، فباغاه فأضعف له الجائزة - :
لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى ولم أَدْر أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي ^(٢)
أخذه أبو تمام فقال :
عَلَّمَنِي جُودُكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَى مِنْ صِلَتِكَ ^(٣)
وبيت ابن الخياط أبلغ وأجود .

٢١- وقال [أبو علي] ^(٤) دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ :
وإِنَّ أَمْرًا أَسْدَى إِلَيَّ بِشَافِعٍ لَدَى يُرْجَى الشُّكْرَ مِنِّي لِأَحْمَقٍ ^(٥)
شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْحَوَائِجِ ؛ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ
فأخذه أبو تمام فقال والطف المعنى وأحسن اللفظ :
فَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلُوَ عَطَائِهِ وَلَقِيتُ بَيْنَ يَدَيَّ مُرَّ سُؤَالِهِ ^(٦)

(١) الزيادة من م .

(٢) الأغاني ٩٤/١٨ وأخبار أبي تمام ١٥٩ والوساطة ٢١٦ والصناعتين ٢٠٠ وأمال المرتضى
٥٢٢/١ . وأحكام القرآن ٤٦/١ وآداب الشافعي ١٤٠ ، ٣٣١ والبيت في الأغاني ١٥٠/٣ طبع
الدار لبشار ضمن حكاية .

(٣) البيت له في الأغاني ١٥/١٠٤ ، والوساطة ٢١٦ وأخبار أبي تمام ١٥٨ والصناعتين ٢٠٠

(٤) من ك

(٥) الصناعتين ٢١٣ وأخبار أبي تمام ٦٤ والأغاني ١٥/١٠١ وفيها « إليه ويرجو »

(٦) ديوانه ٢٤٠ ويقال : إن رجلا سأل دعبلا عن شاهد يؤيد ما كان يدعيه من أن أبا تمام
كان يتبع معانيه فيأخذها فأنشده هذا الشعر ، وإن الرجل قال له : لأن كان أخذ هذا المعنى وتبعه فما
أحسن ، وإن أخذه منك لقد أجاده فصار أول به منك ، فغضب دعبل ، راجع الأغاني ١٥/١٠١
وأخبار أبي تمام ٦٣

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعه من جأه فكأنها من ماله

٢٢ - وقال مسلم بن الوليد في الحجاب ، فأخطأ في المعنى :

كَذَلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ حَتَّى يَرَى مُسْفِرًا عَنْ وَابِلِ الْمَطَرِ
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصَدٍ مِنْكَ لِئَمْلاً إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ^(١)
إِلَّا أَنْ لَبِيتَ أَبِي تَمَامٍ وَجْهًا مِنْ الصَّوَابِ ، قَدْ ذَكَرْتَهُ فِي بَابٍ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ مَعَ مَا أَخَذَ عَلَى مُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ فِي بَيْتِهِ مِنَ الْعَيْبِ .

٢٣ - وقال النابغة الجعدي :

وَتَسْتَلِيبُ الدُّهْمِ الَّتِي كَانَ رَبُّهَا ضَنِينًا بِهَا ، وَالْحَرْبُ فِيهَا الْحَرَابُ^(٢)

فَأَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ وَقَصَرَ عَنْهُ :

لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنُ تَوَفَّلِسُ

وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ^(٣)

أَوْ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِي :

وَمُسْعِرُوا الْحَرْبِ وَأَمُّمُ الْحَرْبِ قَدْ عَلِمُوا

لَوْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ - مُشْتَقٌّ مِنَ الْحَرْبِ^(٤)

(١) ديوانه ٢٢ وديوانه المعاني ١٦١/١ وأخبار أبي تمام ٢٢٢

(٢) ديوانه ١٣٠ وأخبار أبي تمام ٥٥ وفي ديوان المعاني ٦٦/٢ « وتستلب المال » والبيت في التحذير من الحرب .

(٣) شرح التبريزي ٧٠/١ وديوانه ١٠ وط « نوفلس » وجواب لما مذكور في البيت التالي هو :

غدا يصرف بالأموال جريتها فعزه البحر ذو التيار والحدب

الحدب : ارتفاع الماء تارة وانخفاضه أخرى . يقول : لما رأى نوفلس الحرب تجرى إليه بالرجال كما تجرى السيول - بذل للمعتصم أموالا ليرجع عنه فعزه ، أى غلبه ، يريده المعتصم وجيشه »

(٤) في أخبار أبي تمام ٥٥ « هم هيجوا الحرب »

٢٤- وقالت مريم بنت طارق ترثي أخاها في أبيات أنشدناها ابن الأنباري^(١) في أماليه :

كُنَّا كَأَنَّا جُمُ لَيْلٍ بَيْنَنَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى ، فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ^(٢)

أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى [جميعاً] ، فقال :

كَانَ بَنَى نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومٌ سَمَاءَ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ^(٣)

أو أخذه من قول جرير يرثي الوليد بن عبد الملك :

أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ^(٤)

ولست أدري أيهما أخذ من صاحبه ؟ أمريم أخذت من جرير ؟ أم

جرير أخذ منها ؟

وروى دُعْبَلِ بن علي الخزاعي لأبي سُلمى المزني - من ولد زهير ، واسمه

مكنف - الذي يهجو بني القَعْقَاعِ آلَ ذُفَافَةَ العَبْسِيِّينَ^(٥) فيقول :

إِنَّ الضَّرَاطَ بِهِ تَعَاظَمَ مَجْدُكُمْ فَتَعَاظَمُوا ضَرِطاً بَنَى الْقَعْقَاعِ^(٦)

قال دُعْبَلِ : فلما مات ذُفَافَةُ رثاه أَبُو سُلمى فقال :

أَبْعَدَ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَعْتَبُ الدَّهْرُ وَمَا بَعْدَهُ لِلدَّهْرِ عُتْبَى وَلَا عُذْرُ^(٧)

[إذا ما أبا العباس خلى مكانه فلا حملت أنثى ولا مسها طهر]

(١) م « أنشدنا إياها إبراهيم الأنباري »

(٢) البيت لصفية الباهلية في عيون الأخبار ٦٦/٣ وحماة أبي تمام بشرح المزدق ٩٤٩/٢

وديوان المعاني ١٧/١ وأخبار أبي تمام ١٣٣ وفي العقد ٢٧٨/٣ لأعرابية . وروى للخنساء في بعض

نسخ ديوانها ١٣٤

(٣) ديوانه ٣٦٩ وعيون الأخبار ٦٦/٣

(٤) ديوانه ٢٩٧ وأخبار أبي تمام ١٣٤

(٥) ط « العبي »

(٦) في الأغاني ١٠٦/١٥ وأخبار أبي تمام ٢٠٠ « تصاعد جدكم »

(٧) الموشح ٣٢٨ والأغاني ١٠٧/١٥ والوساطة ١٨٨ وأخبار أبي تمام ٢٠٠ وتهذيب تاريخ

ابن عساكر ٢٥/٤ وبين هذه المصادر اختلاف كثير في ألفاظ القصيدة .

أَلَا أَيُّهَا النَّاعِي دُفَافَةٌ ذَا النَّدَى تَعِسْتَ وَشَلَّتْ مِنْ أَنَاْمِكَ الْعَشْرُ
وَلَا مَطَرَتْ أَرْضًا سَمَاءً ، وَلَا جَرَتْ نَجُومٌ ، وَلَا لَذَتْ لِشَارِبِهَا الْخَمْرُ
كَانَ بَنَى الْقَعْقَاعِ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومٌ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ^(١)
تُوفِّيَتْ الْآمَالُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ^(٢)
يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعُلَا وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْمَجْدُ وَالشُّعْرُ^(٣)
وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مَنْ قَلَّ مَالُهُ وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذَخْرُ

قال أبو عبد الله : محمد بن داود بن الجراح ؛ قال أبو محمد
اليزيدي : أنشدني دُعِيلُ هذه القصيدة ، وجعل يعجبني من الطائي في
ادعائه إياها ، وتغييره بعض أبياتها .

٢٥- وقال مسلم بن الوليد يري :

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ^(٤)
أَخَذَ أَبُو تَمَامِ الْمَعْنَى وَقَصَّرَ فِي الْعِبَارَةِ ، فَقَالَ :

وَقَفْنَا فَقَلْنَا بَعْدَ أَنْ أَفْرَدَ الثَّرَى بِهِ مَا يُقَالُ فِي السَّحَابَةِ تَقْلَعُ^(٥)
وَتَقْصِيرُهُ عَنْ مُسْلِمٍ أَنْ مُسْلِمًا قَالَ : « أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ » فَأَرَادَ
أَنْ هَذِهِ السَّحَابَةُ عَمَّتْ بِنَفْعِهَا .

وفي قول أبي تمام : « ما يقال في السحابة تقلع » لإبهام ، لأنه لم يفصح
بالثناء عليها وأنها نفعت ، وقد يقال في السحابة إذا أَقْلَعَتْ ما هو غير

(١) ط ، ك ، والوساطة « بعد وفاته »

(٢) في أخبار أبي تمام والأغاني « يوم وفاته » وفي ط وبقية المصادر « بعد دُفَافَةٍ »

(٣) هذا البيت والذي يليه ليسا في الأغاني ولا في أخبار أبي تمام

(٤) ديوانه ٢٣٨ وحماسة أبي تمام بشرح المزدوقي ٢/٩٤٥ وأمال القالي ١/٢٧٦ وزهر الآداب

٢/٦٦٥ وفي ط « السهل والأجبال » وهو تحريف

(٥) ديوانه ٣٧٣ « وقمنا فقلنا بعد أن أفراد الندى »

المدح والثناء ، إذا أنت^(١) في غير حينها ، وفي غير وقت الحاجة إليها ،
وكثيراً ما يضرُّ المطر إذا كانت هذه حاله .

وإن كان أبو تمام لم يُرد هذا القسم ، وإنما أراد القسم الآخر فقد
قَصَّر^(٢) في العبارة والشرح ، ألا ترى إلى قول الشاعر الأول ما أحسن ما
شَرَطَ ! وهو طَرَفَةٌ :

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي^(٣)
قال : « غير مفسدها » لما دعا لها بالسُّقْيَا التي تدوم .

وقال البحتري :

أَلَحَّ جُودًا فَلَمْ تَضُرُّ سَحَابُهُ وَرُبَّمَا ضَرَّ عِنْدَ الْحَاجَةِ الْمَطَرُ^(٤)
وقول أبي تمام : « ما يقال في السحابة تقلع » يحتاج إلى تفسير مع
مَرِيقته [المعنى]^(٥) .

٢٦- وقال العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بَعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدَا^(٦)
أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ :

أَأَلِفَةَ النَّجِيبِ ، كَمْ افْتِرَاقٍ أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعٍ^(٧)
وبيت الأعرابي - وهو عُروَةُ بن الوَرْد - أَجُودُ مِنْ بَيْتَيْهِمَا [ومنه أَخَذَا] :

(١) ط « نزلت »

(٢) ط « الآخر فقط ، فقصر » !

(٣) ديوانه ٦٢ « فسق بلادك » ومعاهد التنصيص ٣٦٢/١

(٤) ديوانه ٩٥٦/٢

(٥) من ك

(٦) البيت للعباس في دلائل الإعجاز ٢٠٧ ومعاهد التنصيص ٥١/١ والوساطة ٢٢٩ وصبح

الأعشى ٢٥٨/٢ وهو غير منسوب في الكامل ١٧٣/١ وفي ك : « قيل عمرو بن لُحَا »

(٧) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزي ٣٣٦/٢ والوساطة ٢٢٩ والصبح المنبى ١٥١ والكامل

١٧٤/١ وعيون الأخبار ٢٣٤/١ والصناعتين ٢٢٠ وأمال المرتضى ٢٥٦/٢

تَقُولُ سُلَيْمِيُّ : لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذِرْ أَنِّي لِلْمُقَامِ أَطُوفُ^(١)
 ٢٧- وقال أبو تمام :

أَسْرَبِلُ هُجْرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذَا لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي^(٢)
 أَخَذَ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْخَوَارِجِ^(٣) وَسَامَهُ قَطْرِيُّ بْنُ الْفَجَاءَةِ قِتَالَ
 الْحِجَاجِ فَبَئِي ، لِأَنَّ الْحِجَاجَ كَانَ مَنْ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ :

أَأَقَاتِلُ الْحِجَاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ بِيَدٍ تُقَرُّ بِأَنَّهَا مَوْلَاتُهُ^(٤)
 إِنِّي إِذَا لَأَخُو الدَّنَاءَةِ وَالَّذِي عَفَّتْ عَلَى إِحْسَانِهِ جَهْلَاتُهُ
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَبْتُ لَهُ فَعَلَاتُهُ
 أَأَقُولُ : جَارَ عَلَيَّ ؟ لَا ، إِنِّي إِذَا لَأَحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وَلَاتُهُ
 وَيُحَدِّثُ الْأَقْوَامُ أَنَّ صَنَائِعًا غُرِسَتْ لَدَيَّ فَحَدِظَلْتُ نَخْلَاتُهُ
 ٢٨- وقال قيس بن الخطيم :

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا أَلْ خَالِقُ أَنْ لَا يُكِنِّهَا سَدَفُ^(٥)
 أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ نُورِهَا فَكَاَنَّهَا لَمْ تُحْجَبْ^(٦)

(١) ديوان عروة ٩٣ والكامل ١٧٣/١ والوساطة ٢٢٩ والأغاني ١٩٤/٢
 وغير منسوب في عيون الأخبار ٢٣٤/١ والصناعتين ٢٢٠ ومعاهد التنصيص ٥٢/١ وفي الأغاني
 والديوان ، ك : « لو أقمت لسننا »

(٢) ديوانه ١٢٩ وشرح التبريزي ١١٦/٢ « ألبس » وأخبار أبي تمام ٢٠٤ ودلائل الإعجاز
 ٣٨٣ ومعاهد التنصيص ٣٦/١ وزهر الآداب ٨٥٥/٢

(٣) هو عامر بن حطان النشاري ، كما في إعتاب الكتاب ٢٦ وغرر الحصائص ٢٣٩
 (٤) زهر الآداب ٨٥٥/٢ لعمران بن حطان ، وغير منسوبة في تهذيب تاريخ ابن عساكر
 ٦٧/٤ وأخبار أبي تمام ٢٠٥ والأول والثالث كذلك في الصناعتين ٢١٥ ودلائل الإعجاز ٣٨٣ وانظر
 بقية القصيدة في غرر الحصائص

(٥) ديوانه ١٧ والأصمعيات ٢٢٧ والأغاني ١٦٨/٢ والمختار من شعر بشار ١٤٢ ومجموعة
 المعاني ٢١٣ والصناعتين ١٩٨ والوساطة ٢٩٧

(٦) ديوانه ١٢ وفي شرح التبريزي ١٠١/١ « أي نعمت من جارية كالشمس في حسن وجهها
 ونوره إلا أنها إذا حُجبت خرق نور وجهها الحجاب فبدت ، والشمس بخلاف ذلك »

أو أخذه من قول أبي نواس :

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَأْسِ ظَاهِرًا عَلَيْكَ ، وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءٍ^(١)

٢٩- وقال مسلم بن الوليد :

يُصِيبُ مِنْكَ ، مَعَ الْأَمَالِ ، طَالِبُهَا حِلْمًا وَعِلْمًا وَمَعْرِفًا وَإِسْلَامًا^(٢)

أخذه أبو تمام فقال وأبرز^(٣) عليه وإن كان بيت مسلم أجمع للمعنى :

تَرَى بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ^(٤)

٣٠- وقال أبو نواس :

تَبْكِي الْبَدُورُ لَضَحْكِهِ وَالسَّيْفُ يَضْحَكُ إِنْ عَبَسَ^(٥)

أراد بالبدور [ههنا] جمع بذرة . أخذه أبو تمام وقصر عنه فقال :

كُلُّ يَوْمٍ لَهُ وَكُلُّ أَوَانٍ خُلِقَ ضَاحِكٌ وَمَالٌ كَثِيبٌ^(٦)

فبإزاء هذا البيت قول أبي نواس : « تبكى البدور لضحكته » وقوله :

« والسيف يضحك إن عبس » ففضل .

٣١- وقال جرير :

* وَهْنٌ أَوْضَعُفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانًا*^(٧)

أخذه أبو تمام فجعله في [وصف]^(٨) الخمر ، فقال :

(١) ديوانه ٥٤ ط الحلبي ، والوساطة ٢٩٧ وفي هامش ك « في شعره : ساطعاً عليه »

(٢) ديوانه ٥٦

(٣) ط « وبرز »

(٤) ديوانه ٥٢ وشرح الصولي ٢٧٦/١ والموشح ٣٢٦ وأخبار أبي تمام ١٧٧

(٥) شرح التبريزي ٢٩٩/١ ولم يرد في ديوانه

(٦) ديوانه ٥٨ وشرح التبريزي ٢٩٩/١

(٧) صدره : « يصرعن ذا اللب حتى لا صراع به » ديوانه ٥٩٥ وشرح التبريزي ٣٤/١

والشعر والشعراء ١٢/١

(٨) من ك

وَضَعِيفَةٌ فَإِذَا أَصَابَتْ فُرْصَةً قَتَلَتْ ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّعَفَاءِ
 ٣٢- وقال رجل من بني أسد ، وكان أبو عبد الله الحرشي ^(١) أحد شعراء الشاميين أنشدنيهِ لبعض شعراء بني أسد :

تَغَيَّبْتُ كَى لَا تَجْتَوِيَنِي دِيَارُكُمْ وَلَوْلَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهَارِ لَمَلَّتْ ^(٢)
 [وظننته مصنوعاً حتى وجدت عبد الله بن المعتز بالله ، ذكر في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء عجز هذا البيت [وهو] ^(٣) : * ولو لم تغب شمس النهار لملت * للكُميت ابن زيد] ^(٤)

أخذه الطائي فقال :

فإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسِرْمٍ ^(٥)
 فَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ ^(٦) :

فإِنِّي رَأَيْتُ الْقَطَرَ يُسَامُ دَائِباً وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ ^(٧)
 فَمَنْ أُنِيَ تَمَامَ أَخْذِهِ ؛ لِأَنَّهُ مَتَأَخَّرَ بَعْدَهُ .

٣٣- وقال مسلم بن الوليد :

مُوفٍ عَلَى مُهْجٍ فِي يَوْمِ ذِي رَهْجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ ^(٨)

(١) ط « الحرشي » و م « الحوشى »

(٢) ط « لا تحتوينى »

(٣) من ك

(٤) الشطر للكُميت في ديوان المعاني ٢٣٩/٢

(٥) روضة العقلاء ٩٧ وفي ط وديوانه ١٠١ وشرح التبريزي ٢٣/٢ « إلى الناس » وكذلك في

أخبار أبي تمام ٦١ والموشى ٢٨ ونهاية الأرب ٤٢/١ وديوان المعاني ١٩٠/٢ وأسرار البلاغة ١١٢

وفي ط ، م : « إلى الخلق »

(٦) ط « قول الإيادى »

(٧) غير منسوب في الموشى ٢٨ وروضة العقلاء ٩٧ وديوان المعاني ٢٣٩/٢ وفي م « دائماً »

وفي ك « ويطلب » وقبله :

عليك بإقلال الزيارة إنها تكون سقى دامت إلى الهجر مسلماً

(٨) ط « على نهج » وفي ديوانه ٩ « واليوم ذو » يقول : هو موف على مهج يوفى عليها بالقتل

في يوم ذي رهج ، أى غبار من الحرب ، يعمل في الناس عمل الأجل في الأمل .

فأخذه الطائي فقال وقصّر :

رَأَاهُ الْعِلْجُ مُقْتَحِمًا عَلَيْهِ كَمَا اقْتَحَمَ الْفَنَاءُ عَلَى الْخُلُودِ^(١)

٣٤- وقال قَطَرِيّ بن الفُجاعة :

ثُمَّ أَنْشَنَيْتُ وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصِبْ جَذَعَ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِقْدَامِ^(٢)
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ - [وَكَأَنَّهُ عَكَسَ الْمَعْنَى وَكَلَاهُمَا جِيدَ حَسَنِ] - :
وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فَإِذَا لُقُّوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ^(٣)

وقد كرر هذا المعنى في بيت آخر فقال :

كَهْلُ الْأَنَاءِ فَتَى الشَّدَاةِ ، إِذَا عَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْغَطْرِيفَا^(٤)
٣٥- وقال الآخر :

يَبِيعُ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سَوَاهِمُ وَلَكِنْ بِالطَّعَانِ هُمْ تَجَارُ

أَخَذَهُ^(٥) الطائي فقال وقصّر وغير المعنى وجاء بغرض آخر :

لَفْظُ لِأَخْلَاقِ التَّجَارِ ، وَإِنِّهِمْ لِعَدٍ بِمَا أَدَّخَرُوا لَهُ لَتِجَارُ^(٦)

(١) ديوانه ١٠٥ وشرحه ٣٧/٢

(٢) من أبيات في حماسة أبي تمام بشرح المزدوق ١٣٨/١

(٣) ديوانه ١٤٨ وفي شرح التبريزي ١٨٧/٢ « كسر الراء أبلغ من فتحها . سقاهم من بأسه :

أى ركب فيهم من طبعه من النجدة والثبات فإذا لقوا في الحرب فكأنهم أغمار ، أى لم يجربوا الأمور »

(٤) ديوانه ٢٠٧ وشرح التبريزي ٣٨٢/٢ « كان القشيم والقشيم : المسن . والشداة : بأس

الرجل ونفاذه . والغطريف : الحدث . يقول : يتأنى فى الأمور تأنى الشيخ ، وبمعجل إلى البأس عجلة الشاب ، فهو مسن حدث فى الحالين » .

(٥) ط « ويروى بالرماح أخذه . . . »

(٦) لقد كتب تحتها فى « خ : لفدا » كما فى ط . وهما روايتان .

ويروى : « لفدا بكسب الصالحات » وفى ديوانه ١٤٨ « وإِنَّهُمْ بِكَثِيرٍ مَا فَضَّلُوا بِهِ لِنَجَارِ »

وقد شرح الشيخ « محمد محي الدين » البيت على رواية الأصل فأخطأ فى شرحه إذ يقول : « يعنى أنهم

يتركون أخلاق التجار لدناءتها ، ولكنهم لكثرة ما أحرزوا من المحامد والمكرمات ولكثرة ما اكتسبوا

بها من ثناء وحمد ، يشبهون التجار فقد اشتروا حمد الناس وثناءهم عليهم بكرم سجاياهم ، فكانوا

الراغبين » والصواب ما قاله التبريزي فى شرحه ١٧٨/٢ « أى يلفظون أخلاق التجار فى الدناءة وتدقيق=

٣٦- وقال أبو نؤاس يمدح الخصيب :

فما جازهُ جودٌ ، ولا حلَّ دونهُ ولكن يصيرُ الجودُ حيثُ يصيرُ^(١)

أخذه أبو تمام فقال [يمدح بن أبي دؤاد ، فقصر عنه] :

إليك تناهى المجدُّ من كلِّ وجهٍ يصيرُ فما يعدوك حيثُ نصيرُ^(٢)

٣٧- وقال جرير يهجو الأخطل :

مازلت تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدهم خيلاً تكثرُ عليكم ورجالاً^(٣)

أخذه أبو تمام فقال :

خيران يحسبُ سجعَ النقع من دهنٍ ستمقاً يحاذرُ أن ينقضَّ أوجرفاً^(٤)

وأخذ جرير المعنى من قول الله تعالى : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ

هُمُ الْعَدُوُّ﴾^(٥)

٣٨- وقال مسلم بن الوليد يرثي :

سلكتُ بك العربُ السبيلَ إلى العلى حتى إذا سبقَ الردى بك حاروا^(٦)

= النظر فيما يتعلق بمنافع الدنيا ، لكنهم مع ذلك تجار بالأعمال الصالحات لترجمهم عند الله سبحانه»
وفي هامش لك «ع ، سماعى : لقدأ بكسب الصالحات تجار» وهى نص فى المعنى الذى ذهب إليه
التبريزى .

(١) ديوانه ٩٩ والوساطة ٢٨٤ وفى ط «يسير . . . يسير»

(٢) ديوانه ١٦٠ وفى شرح التبريزى ٢/٢١٨ «تقديره : يصير حين تصير فما يعدوك»

(٣) ديوانه ٤٥١ ونقائض جرير والأخطل ١٨٩ والمختار من شعر بشار ٩ والحيوان ٥/٢٤٠

وشرح شواهد الشافية ١٢٥ وشرح شواهد المعنى للسيوطى ٢٢٧ وهو غير منسوب فى الصناعتين ٢٢١ وحماسة

البحترى ٢٦١ ومشكل القرآن ٧ وديوان المعانى ١/١٩٥ ونهاية الأرب ٣/٣٥٦ . وفى لك : «عليهم»

(٤) ط : «نقى بجازد» وفى ديوانه ٢٠٢ وشرح التبريزى و لك ٢/٣٦٩ «طوداً» وفيه :

«السجع : بمعنى الستر ، والنقع : الغبار ، والطود : الجبل . يقول : هذا المنهزم من خوفه يحسب

أن ستر الغبار طود يريد أن ينقض عليه أو جرف واد ، لأنه الجرفه من شأنها أن تنهار»

(٥) سورة المنافقين : ٤ وقد أخذ المؤلف فكرة أخذ جرير لمعنى الآية من ابن قتيبة فى مشكل

القرآن ٦

(٦) ترجمته من كتاب الأغاني الملحقه بآخر الديوان ٢٣٨ «حتى إذا بلغ المدى» ويروى :

«سبق المدى» وفى ط «داروا» وانظر الشعر والشعراء ١/٨١٧ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى

٩٤٥/٢ - ٩٤٦

نَفَضْتُ بِكَ الْأَحْلَاسَ نَفَضَ إِقَامَةٍ وَاسْتَرْجَعْتُ نَزَاعَهَا الْأَمْصَارُ^(١)

[أَخَذَهُ^(٢) مُسْلِمٌ مِنْ قَوْلِ النَّابِغَةِ :

وإن يَهْلِكِ النِّعْمَانُ تَعْرِ مَطِيَّةٌ وَتُخْبَأُ فِي جَوْفِ الْعُبَابِ قُطُوعُهَا] ^(٣)

أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

تُوَفِّيَتِ الْآمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ فَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ^(٤)

أَوْ أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ [قَوْلِ] أَبِي سُلَيْمٍ يَرَى ذُفَافَةَ الْعَبْسِيِّ كَمَا ذَكَرَ دِغْبِيلُ^(٥)

٣٩- وَقَالَ تَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ :

يَقُولُ أَنْاسٌ : لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُهَا^(٦)

أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ وَزَادَ فِيهِ :

لَا شَيْءَ ضَائِرٌ عَاشِقٍ ، فَإِذَا نَأَى عَنْهُ الْحَبِيبُ فَكُلُّ شَيْءٍ ضَائِرُهُ^(٧)

٤٠- وَقَالَ عَنَتَرَةُ :

فَشَكَّكْتُ بِالرَّمْحِ الْأَصْمَّ ثِيَابُهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمٍ^(٨)

(١) النزاع : جمع نازع ، وهو البعيد والغريب . يعنى أن المقيم موضعه رفض الترحال بعد موته ، والمسافر عاد إلى مقره يأساً من كسب المال .

وفى هامش ك فى قال ع : فى كتابي : « نَفَضْتُ بِكَ الْأَيَّامَ أَحْلَاسَ الْمَنَى » .

(٢) فى « لَا لَيْسَ هَذَا أَخَذَهُ »

(٣) ديوانه ٧٣ « ويلقى إلى جنب الفناء قطوعها » والقطوع : جمع قطع ، وهى الطنفسة تكون تحت الرجل على كفى البعير . يقول : إن هلك النعمان ترك كل وافد الرحلة ولم يستعمل مطيته ورمى بأدواتها إلى جنب الفئار استغناء عنها . وما بين القوسين من م

(٤) ديوانه ٣٦٨

(٥) راجع ص ٦٩ - ٧٠

(٦) آمالى القائل ٨٨/١ والشعر والشعراء ٤١٣/١ وفى ط « لَا يَضُرُّكَ »

(٧) ديوانه ١٥٥ وشرح التبريزى ٢١٠/٢

(٨) شرح القصائد العشر ١٩٦ وفى ط « الرمح الطويل » وهما روايتان .

أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

يَحْمِلُنَ كُلُّ مُدَجَّجٍ ، سُمْرُ الْقَنَا بِإِهَابِهِ أَوَّلَى مِنَ السَّرْبَالِ^(١)
 قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ عُنْتَرَةَ أَرَادَ الشَّيَابَ نَفْسَهَا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ عُنْتَرَةَ بِقَوْلِهِ
 « ثِيَابَهُ » نَفْسَهُ .

٤١ - وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ :

يَكْسُو السَّيْفَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانَ الْقَنَا الذَّبِيلِ^(٢)
 أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ - وَأَسَاءَ الْأَخْذَ وَتَعَسَفَ اللَّفْظَ - فَقَالَ :
 أَبَدَلْتُ أَرُوسَهُمْ يَوْمَ الْكَرْبَةِ مِنْ قَنَا الظُّهُورِ قَنَا الْخَطَى مُدْعَمًا^(٣)
 أَوْ أَخَذْنَا الْمَعْنَى جَمِيعًا مِنْ قَوْلِ جَرِيرٍ :

كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا غِدَاةَ الْوَعَى تَيْجَانُ كَسْرَى وَقِصْرًا^(٤)
 ٤٢ - وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ^(٥)
 أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ ، وَعَدَلَ بِهِ إِلَى وَجْهِ الْمَدِيحِ ، فَقَالَ :
 سَمًا لِلْعُلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كُلِّيهَا سُمُوَّ عُجَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ^(٦)

(١) ديوانه ٢٦١

(٢) ديوانه ١٠ « دماء الناكثين » وعجزه في ديوان المعاني ٧١/٢ . يريد بقوته يكسو السيوف
 دماء الناكثين به ، أى يطلبها يدمائهم ، فجعل تلك الدماء كسوة لسيفه ، ومن روى يكسو السيوف
 رؤوس الناكثين ، أى يحمل السيوف على رؤوس الناكثين ، ويحمل الهام تيجان القنا الذبيل : أى يجعل
 الرؤوس فى أسنة الرماح .

(٣) ديوانه ٣٠٣ وفى الوساطة ٢٢٤ « وقد عد هذا من سرقات أبى تمام ولست أراه كذلك ؛ لأنه
 ليس فيه أكثر من رفع الرؤوس على القنا ، وهذا مشترك لا يسرق ، فأما إبدال القنا بقنا فلم يعرض له
 مسلم ولا جرير ، وهى ملاحظة بعيدة . وأقرب من ذلك إليه قول أبى تمام :
 من كل ذى لمة غطت صفائرها صدر القنات قد كادت ترى علما »

(٤) الوساطة ٢٢٣ وعجزه في ديوان المعاني ٧١/٢

(٥) ديوانه ١٤٠ والشعر والشعراء ٨٥/٢

(٦) ديوانه ٤٥ وشرح التبريزي ٢٣٤

الموازنة - أول

وما قيل في إخفاء الحركة والدبيب أبلغ ولا أبرع من بيت امرئ القيس هذا .

٤٣- وقال الفرزدق يهجو جريراً :

أنتم قرارةٌ كُلُّ مَدْفَعِ سَوْءَةٍ وَلِكُلِّ سَائِلَةٍ تَسِيرُ قَرَارُ^(١)
أخذ أبو تمام اللفظ والمعنى جميعاً فقال :

وكانت لسوءةً ثم اطمأنت كَذَاكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ^(٢)

٤٤- وقال محمد بن بشير الخارجي - من خارجة عدوان - :

وإذا رأيتَ شقيقه وصديقه لم تدْرِ أيُّهُمَا ذُوو الأرحامِ^(٣)
فأخذه أبو تمام فقال :

فلو أبصرتهم والزائريهم لما مزتَ البعيدَ من الحميمِ^(٤)
فقصر عن الأول .

٤٥- وقال بعض الأعراب يصف المصلوب^(٥) ، أنشده ثعلب :

قامَ ولَمَّا يَسْتَعِينُ بِسَاقِهِ آلَفَ مَشَوَاهُ عَلَى فِرَاقِهِ^(٦)

* كَأَنَّمَا يَضْحَكُ فِي أَشْدَاقِهِ^(٧) *

(١) ديوانه ٤٦٨/٢ « دافعة تسير » وفي ديوان المعاني ١٧٥/١ « كل مددن ... تسيل قرار »

(٢) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزي ١٥٣/٢ وفي ديوان المعاني « وكانت زفرة »

(٣) من أبيات له في أمالي الزجاج ٨٩ ومعجم الشعراء ٤١٢ وحماسة أبي تمام بشرح التبريزي ٨٠٩/٢ ورويت لعمر بن عمير في معجم الشعراء ٢٤٥ ولابن هرمة في البيان والتبيين ١٦٨/١ ، ٢٣٣٢/٢

(٤) ديوانه ٢٨٩ وفي ط « الحميم من البعيد »

(٥) في الكامل ٧٦٢/٢ « وقال آخر في صفة مصلوب وهو يزيد المهلبى » وفي التشبيهات ٢٤

لابن الرومي

(٦) بعده في التشبيهات :

كَلِمَةٍ فِي السَّجِّ مِنْ وَفَاقِهِ رَأَى حَيَّامٌ بَاعْتِاقِهِ

(٧) في الكامل : « أراد يباصر الشريط في فيه » وفي ط « في إشرافه »

فأخذ أبو تمام قوله : « آلف مثواه على فراقه » فقال :
لا يبرحون ومن رآهم خالهم أبداً على سفير من الأسفار^(١)

٤٦- وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سبق إليه :
لا يستطيع يزيد من طبيعته عن المرأة والمعروف إجماعاً^(٢)
أخذ أبو تمام المعنى فكشفه وأحسن اللفظ وأجاده ، فقال :
تعود بسط الكف حتى لو أنه دعاها لقبض لم تجبه أنامله^(٣)
٤٧- وقال ذو الرمة :

وليل كجلباب العروس أدرعته بأربعة والشخص في العين واحد^(٤)
أحم علافي ، وأبيض صارم وأعبس مهري ، وأزوع ماجد
أخذه أبو تمام [فقال] وقصر وليس هو المعنى بعينه :
البيد والعيس - والليل التمام معاً ثلاثة أبداً يُقرن في قرن^(٥)
والذي تبع ذا الرمة فأحسن الاتباع [الوليد بن عبيد] البحتري في قوله :

- (١) ديوانه ١٥٤ وفي شرح التبريزي ٢٠٨/٢ « لسواد وجوههم وتشمرهم »
(٢) ديوانه ٥٥ يمدح يزيد بن يزيد الشيباني ، وفيه : « عن المنية » أي لا يستطيع يزيد من طبيعته انصرافاً عن التمتع للمنية في الحرب ، لا عدولاً عن العطاء
(٣) دونه ، ك ٢٣٢ « ثناها . . . لم تطله »
(٤) مجموعة المعاني ١٩٠ ونثار الأزهار ١٥ ، ١٩ وديوان المعاني ٣٤٢/١ والصناعتين ٢٣٣ ،
٢٤٧ وأمال المرتضى ٤٤٨/١ وأخبار أبي تمام ٨٣ والعمدة ٢٦٧/١ واللسان ١٦٢/٧ والحيوان ٢٥٠/٣

شبه سواد الليل بجلباب العروس وهو أخضر ، والخضرة الشديدة راجعة إلى السواد ولذلك تجمع العرب بينه وبين الخضرة . وجاء في ديوانه : « جبت الليل بأربعة » ثم فسر الأربعة فقال : أحم : أسود ، يعني الرجل . علافي : منسوب إلى علاف حي من العرب يعملون الرجال . والأبيض : سيف صارم قاطع . والأعيس : الأبيض ، يعني بعيره . وأشتعت يعني نفسه . والماجد : الكثير المفاخر ، هذه الأربعة شخصها في العين واحد لاجتماعها في سواد الليل والمهري من الإبل : منسوب إلى مهرة حي من عرب اليمن . والأزوع : الذي يروك بجماله وهيته .
(٥) الصناعتين ٢٣٣ وأخبار أبي تمام ٨٢ وفي ديوانه ٣٣٤ « العيس وأهم راليل »

يا خَلِيلِي بِالسَّوْاجِيرِ مِنْ وَدِّ دِ بِنِ مَعْنٍ وَبُحْتَرِ بِنِ عُتُودِ^(١)

أَطْلُبَا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُّجَى وَالْبَيْدِ^(٢)

٤٨- وقال النابغة الذبياني ، وكان الأصمعي يتعجب من جودته :

وَعَيَّرْتَنِي بَنُو ذُبْيَانَ رَهْبَتَهُ وَهَلْ عَلَى بَأْنٍ أَخْشَاكَ مِنْ عَارِ^(٣)

أخذه أبو تمام فقال وزاد [فيه] ذكر الموت :

خَضَعُوا لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ^(٤)

٤٩- وقال كعب بن زهير يمدح قريشاً :

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^(٥)

أخذه أبو تمام - على ما ذكر^(٦) - بعض الرواة - فقال يرثى بني حُمَيْد :

لَوْ خَرَّ سَيْفٌ مِنَ الْجُوزَاءِ مُنْصَلِتٌ مَا كَانَ إِلَّا عَلَى هَامَاتِهِمْ يَقَعُ^(٧)

ويروى الشاميون أن أبا تمام سئل عن هذا المعنى ، فقال : أخذته من

قول نادبة : لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما أخطأ .

فأما قول كعب : « لا يقع الطعن إلا في نحورهم » فإنه [إنما]^(٨)

أراد أنهم لا يولون الدبر ، وليس من معنى أبي تمام في شيء .

(١) ديوانه ٦٩٢

(٢) الصناعتين ٢٣٤ وأخبار أبي تمام ٨٣

(٣) ديوانه ٥٨ وفي ط ، ك « خشيته » وهما روايتان .

(٤) ديوانه ١٤٦ وشرح التبريزي ١٧٠/٢ وفيهما « خشعوا » وأخبار أبي تمام ٩٩

(٥) ديوانه ٢٥ « ما إن لهم » قال السكري : « يقال : هلك الرجل : إذا جبن في حملته . قال

الأصمعي : لا يفرون ولا يهزمون فيقع الطعن في نحورهم . وقال غيره هلك الرجال : إذا هرب . وإنما أراد أنهم يواجهون القتال » وفي ك : « ليس لهم »

(٦) ط « كما قال لي بعض »

(٧) في الموشح ٣٢٣ وأخبار أبي تمام و ط و ك : « من العيوق منصلتا » وفي ديوانه ٣٧١

« منصلت »

(٨) من ك

٥٠- وقال [أبو تمام] يصف الراية :

تَخْنِيقُ أَثْنَاوُهَا عَلَى مَلِكٍ يَرَى طِرَادَ الْأَبْطَالِ مِنْ طَرْدِهِ^(١)

أخذه من قول أبي نواس :

* تَعُدُّ عَيْنَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا *^(٢)

وأخذه أبو نواس من قول أبي النجم :

* تَعُدُّ عَانَاتِ اللَّوَى مِنْ مَالِهَا *^(٣)

٥١- وقال أبو تمام يستهذي نبيذًا :

وَهِيَ نَزْرٌ لَوْ أَنَّهَا مِنْ دُمُوعِ الصَّ بَّ لَمْ تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ الْغَلِيلِ^(٤)

أخذه من قول الآخر أو أخذه الآخر منه ، والمعنيان متشابهان :

لَوْ كَانَ مَا أَهْدَيْتُهُ إِثْمًا لَمْ يَكْفِ إِلَّا مُقْلَةً وَاحِدَةً^(٥)

٥٢- وقال يصف [غناء]^(٦) مغنية تغنى بالفارسية :

وَلَمْ أَفْهَمْ مَعَانِيَهَا ، وَلَكِنْ وَرَتْ كَبْدِي فَلَمْ أَجْهَلْ شَجَاهَا^(٧)

أخذه من قول الحسين بن الضحاك [الخليع] على ما في قول الخليل من

المنافضة :

(١) ديوانه ٩٣ أثناؤه أى أعطافه . وفي شرح التبريزي ٤٤١/١ « تخفق أفياء » قال المرزوقي :
أى أفياء هذا العلم ، فقاتلة الشجعان عنده صيد »

(٢) الشعر والشعراء ٥٨٧/٢ وديوانه المعاني ١٠٩/٢ « غير الوحش » وديوانه ٢٠٩ وقبلة :
« يأكلب تمرح في قاداتها »

(٣) الشعر والشعراء ٥٨٧/٢

(٤) ديوانه ٤٠٧ وأخبار أبي تمام ١٨٥

(٥) البيت لأبي مالك الرسني ، كما في أخبار أبي تمام ١٨٦

(٦) من ك

(٧) ديوانه ٤٦٧ الكامل ٨٥٢/٣ وديوان المعاني ٣٢٥/١ وأخبار أبي تمام ٢١٤ وزهر

الآداب ١٥٢/١ وفي ط « شجت كبدي »

وما أفهم ما يعنِي مُغْنِينَا إِذَا غَنَّى^(١)
سِوَى أَنَّى مِنْ حُبِّي لَهُ أَسْتَحْسِنُ الْمَعْنَى

لأنه قال : « وما أفهم ما يعنِي [مغنيننا] » ثم قال : « أستحسن المعنى » وإنما أراد بالمعنى اللحن ، لا معنى القول .

وأجود من ذلك كله قول حُمَيْد بن ثَوْر يصف الحمامة :
ولم أرَ مِثْلِي شاقَه صوتٌ مِثْلِهَا ولا عَرَبِيًّا شاقَه صوتٌ أعجمَا^(٢)
٥٣ - وقال الفرزدق يرثي امرأة كانت^(٣) حاملا :

وَجَفَنَ سِلَاحٌ قَدْ رُزِيتُ فلم أنُحْ عَلَيْهِ ولم أبعثْ عَلَيْهِ الْبَوَاكِيَا^(٤)
وَفِي بَطْنِهِ مِنْ دَارِمٍ ذُو حَفِيطَةٍ لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا أَمَهَلَتْهُ لِيَالِيَا
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَأَجَادَ الْأَخْذَ وَأَحْسَنَ اللَّفْظَ^(٥) وَأَصَابَ فِي التَّمْثِيلِ ،
فَقَالَ [يرثي ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر]^(٦) :

لَهْفَى عَلَى تِلْكَ الْمَخَايِلِ فِيهِمَا لَوْ أَمَهَلَتْ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلَا^(٧)
إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنَّ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلَا

٥٤ - وقال أبو تمام :
صَلَّتَانِ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلُّوا فِي حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضِرٍ^(٨)

- (١) أخبار أبي تمام ٢١٥
(٢) ديوانه ٢٧ وانظر تخريجه هناك وفي أخبار أبي تمام ٢١٥ والحيوان ١٩٧/٣
(٣) ط ، ك « امرأة له ماتت »
(٤) ديوانه ٨٩٤ « وغمد سلاح » و « وجوفه من . . . أنسأته ليااليا » وفي م « وفي طيه »
وانظر تخريجه في أخبار أبي تمام ٢٢٠
(٥) ط « فقال . . . وأجاد اللفظ وأحسن الأخذ »
(٦) الزيادة من ط
(٧) ديوانه ٣٨٠ « تلك الشواهد » و « أن سيمود بدرًا » وانظر تخريجه في هامش أخبار أبي تمام
٢١٨ وأسرار البلاغة ١٢٢ طبع ريتز
(٨) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزي ٣١١/٢ « من عزمه » وصلتان : ماض في أمره وفي ط « حيث كانوا » وهما روايتان .

فأخطأ في قوله : « مستفاض » وإنما هو مستفيض . وقد احتج له محتج بأن قال : أراد استفاض فيه ، وإنما جعلهم يُفَيضون في ذكره لأنهم أبداً على حال وجَلٍ واحتراس من إيقاعه بهم ؛ فهم لا يقطعون ذكره لشدة الخوف منه ، ألا تراه قال : « حيث حلوا » أى : هم بهذه الحال قريباً كانت دارهم منه أو بعيدة ؟

وأخذ هذا المعنى من قول [الأعرابي] أعشى باهلة يرى أخاه لأمه المنتشر :

لا يَأْمَنُ الْقَوْمُ مُمَسَاةً وَمُضَبَّحَةً فِي كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ^(١)
أَوْ مِنْ قَوْلِ عُرْوَةَ الصَّعَالِيكِ :
وَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُتَنَظِّرِ^(٢)

وهذان البيتان جميعاً أوضح^(٣) وأشرح وأجود من بيت أبي تمام .
وقد قيل : إنه أراد أن أعداءه يُقَرُّونَ بفضله ، ويُفَيضون في ذكر مناقبه .
وذلك محتمل ، والمعنى الأول أقوى [وأقيس] وأفشى في كلامهم .

٥٥ - وقال بشار بن بُرد :

شَرِينَا مِنْ فَوَادِ الدَّنِّ حَتَّى تَرَكْنَا الدَّنَّ لَيْسَ لَهُ فَوَادُ^(٤)

أخذه أبو تمام فقصّر عنه . فقال :

عَدْتُ وَهَى أَوْلَى مِنْ فَوَادِي بَعَزَمَيَّ

وَرُحْتُ بِمَا فِي الدَّنِّ أَوْلَى مِنَ الدَّنِّ^(٥)

(١) طبقات فحول الشعراء ١٧٥ والكامل ١٢٣٠/٣ وجمهرة أشعار العرب ١٤٧ والأصمعيات

٩٢ والمكائنة ١٤ وأمالى اليزيدى ١٧ وأمالى المرتضى ٢٣/٢ واختارات ابن الشجري ١٠

(٢) ديوانه ٨٠ وفي طبعة مصر ٩٣ « تشوق »

(٣) م « أصبح »

(٤) ديوانه ٥٢/٣ وفيه : « من بنات الدن »

(٥) ديوانه ٢٣٩

[وقال أبو نواس :

ما زلتُ آخذُ روحَ الزَّقِّ في لطفٍ وأستبيحُ دمًا من غيرِ مجروح^(١)
حتى غدوتُ ولى رُوحانٍ في بدني والدُّنُّ مطرَحُ جسمٍ بلا روح^(٢)

٥٦ - وقال الأخطل :

تَدِبُ دَبِيباً في العِظامِ كأنه دَبِيبُ نِمَالٍ في نقاً يتَهَيَّلُ^(٣)
أخذه أبو تمام فأفسد المعنى ، فقال :

إذا الرَّاحُ دَبَّتْ فيه تَحْسِبُ جسمه لِمَا دَبَّ فيه قَرِيَةً من قُرى النَّمْلِ^(٤)
٥٧ - وقال أبو دُوَادٍ الأيادي :

لا أَعُدُّ الإِقْتَارَ عُدْماً ولكن فَقَدْ مَنْ قَدْ رُزْنَتْهُ الإِعْدَامُ^(٥)
أخذ أبو تمام صدر [هذا] البيت ، فقال :

لا يَحْسِبُ الإِقْلَالَ عُدْماً بل يرى أَنَّ الْمُقِيلَ مِنَ الْمُرُوءَةِ مُعْدِمُ^(٦)
٥٨ - وقال أبو الهندي :

وتَرَى سُهَيْلاً في السماءِ كأنه ثَوْرٌ وَعَارَضُهُ هِجَانُ الرَّبْرِ^(٧)
أخذه أبو تمام فقال :

أُرَاعِي من كَوَاكِبِهِ هِجَاناً سَمَواً لا تَرِيعُ إلى المُسِمِ^(٨)

(١) ديوانه طبع الحلبي ٢٣٣ « روح الدن . . . وأستقى دمه من جوف مجروح »

(٢) في ديوانه : « انشئت . . . في جسد . . . جماً »

(٣) في ديوانه ٤ وغير منسوب في ديوان المعاني ٣١٣/١ وفي ط « كأنها »

(٤) في ديوانه ٤٢٠ « إذا هي دبَّت في الفقى خال جسمه »

(٥) الأصمعيات ٢١٥ والشعر والشعراء ١٩١/١ والأغاني ٩٤/١٥ والخزانة ١٩٠/٤ ، ١٩١

(٦) ديوانه ٢٨٤

(٧) الأغاني ٢٧٦/٢١ « كأنه نور » وفي ط « يعارضه » وفي اللسان ٣٩٤/١ « الربرب :

القطع من بقر الوحش »

(٨) ديوانه ٢٨٨ ، الهجاء هنا : البيضاء . والسوام : الإبل الزاهية على وجهها حيث شاءت في

المرعى . لا ترعى : لا ترجع إلى راعيها وهو المسيم . فشبها الكواكب التي يراعيها في ليلة الطويل

٥٩- وقال أبو نواس :

شُقِقْتُ مِنَ الصَّبَا وَأَشْتُقُّ مِنِّي كما أَشْتُقُّ مِنَ الْكَرَمِ الْكَرُومُ^(١)

أخذه أبو تمام فقال :

أَلَدُّ مُصَافَاةٍ مِنَ الظِّلِّ فِي الضُّحَى وَأَكْرَمُ فِي الْأَوَاءِ عُوْدًا مِنَ الْكَرَمِ^(٢)

٦٠- وقال مسلم بن الوليد :

تَمْضِي الْمَنَايَا كَمَا تَمْضِي أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فِي سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامًا^(٣)

أخذه أبو تمام فقال :

فَتَى مِنْ يَدَيْهِ الْبَأْسُ يَضْحَكُ وَالنَّدَى وَفِي سَرْجِهِ بَدْرٌ وَلَيْثٌ غَضَنْفَرُ^(٤)

٦١- وقال ابن هرمة :

اسْتَبَقَ عَيْنَيْكَ لَا يُودِ الْبُكََا بِهِمَا وَاكْتَفَى بَوَادِرَ مَنْ عَيْنَيْكَ تَسْتَبِقُ^(٥)
لَيْسَ الشُّوُونُ وَإِنْ جَادَتْ بِبَاقِيَةٍ وَلَا الْجُفُونُ عَلَى هَذَا وَلَا الْحَدَقُ

أخذه أبو تمام فقال^(٦) :

فَمَا يَبْقَى عَلَى إِذْمَانٍ هَذَا وَلَا هَذَا ، الْعُيُونُ وَلَا الْقُلُوبُ^(٧)

٦٢- وقال أبو تمام يهجو السراج :

يَا أَبْنَ الْخَبِيثَةِ لِمَ تُعْرِضُ صَخْرَةً صَمَاءً مِنْ مَجْدِي بِعَرِضِ زُجَاجٍ؟^(٨)

(١) ديوانه ٣٠٧ ط الحلبي

(٢) ديوانه ٤١١ وفي م « وألزم » وهو تحريف

(٣) ديوانه ٥٤ والكامل ٧٦١/٢

(٤) ديوانه ١٥٩ وشرح التبريزي ٢١٥/٢

(٥) في ط بعد هذا البيت : « أخذه أبو تمام فقال » ! وفي ك : « استبق دمعك »

(٦) في ط بدل هذه العبارة « وقال أيضاً »

(٧) ط « ولا يبق »

(٨) ط « بعرض » ديوانه ٣٢٩

- أخذه من قول الآخر وأظنه بشاراً :
- أَرْفُقْ بَعْمَرٍ إِذَا حَرَّكَتَ نَسْبَتَهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوَارِيرِ^(١)
- ٦٣- وقال [العديل بن الفرّج] :
- مَهَامُهُ أَشْبَاهُ كَأَنَّ سَرَابَهَا مُلَاءٌ بِكَفِ الْفَاسِلَاتِ رَحِيضُ^(٢)
- أخذه أبو تمام فقال :
- وَبِسَاطٍ كَأَنَّمَا الْآلُ فِيهِ وَعَلَيْهِ سَخْلُ الْمَلَاءِ الرَّحِيضُ^(٣)
- ٦٤- وقال أبو تمام :
- فَاشْمَعْلُوا يُلْجَلِجُونَ دُءُوباً مُضَغّاً لِلْمَكَالِ فِيهَا أَنْيَضُ^(٤)
- أخذه من قول زهير :
- تُلْجَلِجُ مُضَغَةً فِيهَا أَنْيَضُ أَصْلَتْ فَهِيَ تَخْتِ الْكَشْعَ دَاءُ^(٥)
- ٦٥- وقال أبو نواس :
- سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَندُوا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ

(١) في العقد ١٣٧/٦ « أرفق بنسبة عمرو حين تنسبه »

(٢) الشعر والشعراء ٣٧٥/١ « بأيدي » وحماسة ابن الشجري ١٩٩ والبيان ٣٩١/١ والخزانة ٣٦٨/٢ « الغانيات » والأغاني ١٢/٢٠ « الراحضات » والمختار من شعر بشار ٢٩٢ « الناصجات »

(٣) ديوانه ١٨٢ وشرح التبريزي ٢٩٠/٢ والبساط : الأرض الواسعة ، والسحل : ثوب أبيض . وفي ط « سحق » والسحق : ثوب أبيض . والرحيض : المفصول

(٤) ديوانه ١٨٢ وقد فسرّه ناشر الديوان محيي الدين الخياط بقوله : اشعملوا : ساروا متفرقين مرحاً . يلجلجون : يضجون . دؤوباً : جادين الكلال التعب ، الأنيض : الجفقان »

وقد نقل هذا الشرح الخطيء الشيخ « محمد محيي الدين » في هامش ط ٧٥ .

والصواب ما جاء في شرح التبريزي وما نقله ناشره عن الأملى والخارنجمي ٣٩١ . وهو : اشعملوا : أسرعوا وجدوا . ومضغا : جمع مضغة وهو ما يمضغ ، ولجلج المضغة في فيه : إذا أدارها ولم يسفها ، واستمار المجلبة ها هنا للدوب . والأنيض : اللحم الذي لم ينضج وتقدير الكلام : مضغاً للكلال فيها لحم أنيض ، على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه . يعنى أن الركب يلجلجون أى يديرون من الإبل أنفساً قد صارت مضغاً ، أى أقطاعاً من لحم للكلال الذي ناهلن .

(٥) ديوانه ٨٢ . الأنيض هنا : الفساد والتغير ، وأصلت : أننت ، والكشع : الحنّب . يقول : أخذت هذا المال فأنت لا تأخذه ولا ترده ، كما يلجلج الرجل المضغة فلا يتلها ولا يلقيها . فإن حبسته فقد انطويت على داء .

أخذه أبو تمام فقال :

مَضَمُوا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمْ لَكثْرَةً مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ^(١)
٦٦ - وقال في الغزل :

مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَحْتَوِيَكِ الظُّنُونُ كَيْفَ يُحَوِي مَا لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ
غَيْرَ أَنَا نَقُولُ : إِنَّكَ خَلَقْتَ حَرَكَاتٍ مَوْصُولَةً وَسَكُونُ^(٢)
أخذه من قول أبي نواس وقصر عنه :

سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ ضَعِيفٍ مَهِينٍ^(٣)
يَسُوقُهُ مَنْ قَسَرَّارٍ إِلَى قَرَارٍ مَكِينٍ^(٤)
حَتَّى بَدَتْ حَرَكَاتُ مَخْلُوقَةٍ مِنْ سَكُونٍ

٦٧ - وقال أبو العتاهية :

كَمْ نِعْمَةٍ لَا نُسْتَقِيلُ بِشُكْرِهَا اللَّهُ فِي طَى الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ^(٥)
أخذه الطائي فقال وأحسن ؛ لأنه جاء بالزيادة التي هي عكس المعنى^(٦)
الأول :

قَدْ يَنْعِمُ اللَّهُ بِالْأَبْلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَبَيَّتَلَى اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ^(٧)

(١) ديوانه ٤٧٩ و م « ما وصلوا »

(٢) ط « مفعولة »

(٣) ديوانه ١٩٩

(٤) في الديوان « من هواء » وبعده :

في الحجب شيئاً فشيئاً يحور دون العيون

(٥) ط ، ك « لا يستقل » . . . الله في طى المكاره » ديوانه ص ٦٥٠ جامعة دمشق والصناعتين

٢٢٧ و عيون الأخبار ٥٢/٣

(٦) ط « الشيء »

(٧) ديوانه ٣١٦

٦٨ - [وقال آخر :

ليست تكون المكرما ت بغير إنفاق الدراهم

فأخذ الطائي فقال :

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف امرئ والدراهم^(١)

٦٩ - وقال آخر - ولست أدري أهو قبل الطائي أم في أيامه ؟ - :

ما كنت أحسب أن بحرًا زاحرًا عم البرية كلها إرواء^(٢)

أضحى دفينًا في ذراع واحد من بعد ما ملك^(٣) الفضاء فضاء

[من قولهم : ضاءت الشمس وأضاءت

فقال الطائي وأبر عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى :

وكيف احتملى للسحاب صنيعة بإسقاطها قبرًا وفي لحيه البحر^(٤)

٧٠ - وقال آخر :

نؤى كما نقص الهلال محاقه أو مثل ما فصم السوار المعصم^(٥)

أخذه أبو تمام فقال :

* ونؤى مثلما أنفصم السوار *^(٦)

٧١ - وقال آخر في السحاب :

كان صبيين باتا طول ليلهما يستمطران على غدارنه المقل^(٧)

(١) ديوانه ٢٨٦

(٢) م « الإرواء »

(٣) ك : « ملا »

(٤) ديوانه ٣٧٠ « للفيث صنيعة » و م « بإسقاطه »

(٥) أمال المرتضى ٣٤/٢ ، وشرح ديوان المتنبي المنسوب للمكبرى ١٤٢/٢ .

(٦) سبق أنه أخذه من المزار الفقعي : ص ٦٤ - ٦٥

(٧) ط « كان عنين »

فقال الطائي وحول المعنى وأجاد :

كَأَنَّ الْغَمَامَ الْغُرَّ غَيَّبَنَ تَحْتَهَا حَبِيباً فَمَا تَرَقَّى لَهُنَّ مَدَامُ^(١)
٧٢ - وقال الطائي :

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسُ عِنْدِي وَلَا هِيَ مِنْكَ بِالْبُكَرِ الْكَعَابِ^(٢)
أخذه من قول الفرزدق :

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ يُرِيدُ عَطَاءَهُمْ رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمْ فَقْرًا^(٣)
قُعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طَلَابِ حَاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٍ بِكْرًا^(٤)
٧٣ - وقال آخر وهو منقذ الهلالي^(٥) :

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كُنْتُ مِنْهُ بَيْنَ حِلٍّ وَبَيْنَ وَشَكِ الرَّحِيلِ؟^(٦)
كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِدُخُولِ
فقال الطائي :

كَأَنَّ لَهُ دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الْأَرْضِ أَوْ تَارًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبٍ^(٧)
٧٤ - وقال آخر ، وأنشده ابن أبي طاهر والأخفش للأرقط بن زُغَيْل^(٨) :
نَهْنَهَ دُمُوعَكَ مِنْ سَحٍّ وَتَسْجَامٍ أَلْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَسْقَامِي
وَمَا أَظُنُّ دُمُوعَ الْعَيْنِ رَاضِيَةً حَتَّى تَسُحَّ دَمًا هَطَلًا يَتَسْجَامِ

(١) ديوانه ٤٧٨ « كأن السحاب »

(٢) ديوانه ٥٦ ، وشرح التبريزي ٢٩٠/١

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، والأغاني ٣١/١٩

(٤) م « قعود على » ط « طالب »

(٥) ط « الآخر وهو معبد » و م : « الهللي » قال المرزباني في معجم الشعر ٤٠٤ : منقذ ابن عبد الرحمن بن زياد الهلالي بصرى خليف ماجن متهم في دينه يرى بالزندقه كان في صدر الدولة العباسية .

(٦) ط « وبين وقت »

(٧) ديوانه ٢٤ وشرح التبريزي ١٥٩/١ وفي ط « كأن لها » و م « ثارا على »

(٨) ط « ابن دعبيل » وفي ك « وقال الأرقط بن زُغَيْل »

أخذ الطائي معنى البيتين ولفظهما ، فقال :

ما اليومُ أَوَّلَ تَوْدِيعِي وَلَا الثَّانِي أَلْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي ^(١)
وما أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعْتُ حَتَّى تُبَلِّغَنِي أَقْصَى خُرَاسَانِ ^(٢)
٧٥- وَأَنْشِدَنِي ابْنَ أَبِي طَاهِرٍ لِدَعْبِلَ :

إِنْ جَاءَهُ مُرْتَغِبًا سَائِلٌ آلَتْ إِلَيْهِ رَغْبَةُ السَّائِلِ ^(٣)
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

وإِنِّي لِأَرْجُو عَاجِلًا أَنْ تَرُدَّنِي مَوَاهِبُهُ بَخْرًا تُرْجَى مَوَاهِبِي ^(٤)
٧٦- وَقَالَ دِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ :

وَأَسْمَرُ فِي رَأْسِهِ أَزْرَقُ مِثْلُ لِسَانِ الْحَيَّةِ الصَّادِي ^(٥)
أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ :

مُتَقَفِّنَاتٍ سَلَبْنَ الرُّومَ زُرْقَتَهَا وَالْعُرَبَ سَمَرَهَا ، وَالْعَاشِقَ الْقَضْفَا ^(٦)
فَزَادَ- [فِي] ^(٧) الْمَعْنَى بَيَانُ شَبَهٍ زُرْقَتَهَا بِزُرْقَةِ الرُّومِ ، وَسَمَرَهَا بِسَمَرَةِ
العرب [وبذكر القصف] . ولكن قول دِعْبِلَ : « مثل لسان الحية الصادي »
معنى ما ^(٨) لحسنه نهاية .

٧٧- وَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

وَأَطْعَمَ حَتَّى مَا بِمَكَّةَ أَكِلُ وَأَعْطَى عَطَايَا لَمْ تَكُنْ بِضِمَارِ ^(٩)

(١) ديوانه ٣٢٣

(٢) في الديوان ، ك « حتى تشافه بي » و م « تبلغ بي »

(٣) ط « آلت عليه »

(٤) ديوانه ٤٣ وشرح التبريزي ٢٢٢/١

(٥) عيون الأخبار ١٣٠/١ ونهاية الأرب ٢٢١/٦ والتشبيهات ١٤٧

(٦) ديوانه ٢٠٣ وشرح التبريزي ٣٧١/٢ وفي م « والعرب ألوانها » و ط « أدمتها » وهي

روايات . والقصف : الدقة والنحافة

(٧) من ك

(٨) ط « الصاوي ليس »

(٩) ط « عطاء لم يكن بضمان »

أَخَذَ الطَّائِي مَعْنَى صَدْرِ الْبَيْتِ ، فَقَالَ :

فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهُ (١)

٧٨- وقال أبو نواس في أرجوزة يصف فيها الحمام ويمدح قومًا :

بِشْرُهُمْ قَبْلَ النَّوَالِ اللَّاحِقِ كَالْبَرْقِ يَبْدُو قَبْلَ جُودِ دَائِمِ
وَالْغَيْثُ يَخْنِي وَقْعَهُ لِلرَّامِقِ إِنْ لَمْ تَجِدْهُ بِدَلِيلِ الْبَارِقِ (٢)

أَخَذَ الْمَعْنَى أَبُو تَمَامَ فَقَالَ :

يَسْتَنْزِلُ الْأَمَلَ الْبَعِيدَ بِبِشْرِهِ بُشْرَى الْخَمِيلَةِ بِالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ (٣)
وَكَذَا السَّحَابُ قَلَمًا تَدْعُو إِلَى مَعْرُوفِهَا الرُّوَادَ مَا لَمْ تَبْرِقِ (٤)

٧٨- وقال أبو العتاهية :

وإِنَّا إِذَا مَا تَرَكْنَا النَّوَا لَ فَلَمْ نَبْغِهِ فِيهِ يَبْتَدِينَا (٥)
وإن نحنُ لم نَبْغِ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَبْتَغِينَا

وقال مسلم بن الوليد في معنى بيت أبي العتاهية الأول :

أَخْ لِي يُعْطِينِي إِذَا مَا سَأَلْتُهُ وَلَوْ لَمْ أَعْرِضْ بِالسُّؤَالِ أَبْتَدَانِي
وأخذ أبو تمام معنى [هذا] (٦) البيت ومعنى بيت (٧) أبي العتاهية الأول ،

فقال :

(١) ديوانه ٤٥ وشرح المرزوقي ٢٣٤/١

(٢) ط « يجده »

(٣) ديوانه ١٢٣ و ط « بشر » وشرح التبريزي ٤١٨/٢ وفيه : قال المعري : « الخميعة :

الأرض السهلة - والربيع : المطر الذي يجيء في الربيع . والمغْدِقُ : الذي يجيء بالغدق وهو الماء الكثير .

ويروى : بشرى الخميعة . أى كما تبشر السحابة التى قد أخالت بالمطر . والخميعة هى الرواية .

(٤) في الديوان والشرح « إن لم »

(٥) ط « السؤال منه فلم نبغ به يتدينا » وفي الوساطة ٧٤ : « السؤال فلم نبغ نائله يتدينا »

(٦) من ك

(٧) م « أبو تمام هذا المعنى في هذا البيت وبيت »

وَرَأَيْتَنِي فَمَسَّأَلْتُ نَفْسَكَ سَيِّبَهَا لِي ثُمَّ جُدْتَ وَمَا أَنْتَظَرْتَ سُؤَالِي^(١)

أو لعله أخذه من قول منصور النمرى :

رَأَيْتُ الْمُصْطَفَى هَارُونَ يُعْطَى عَطَاءَ لَيْسَ يَنْتَظِرُ السُّؤَالَ

وَأَجُودُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ قَوْلُ سَلَمِ الْخَاسِرِ :

أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ فَكَفَّاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ

وأخذ أبو تمام معنى بيت أبي العتاهية الثانى ، فقال :

كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُ وَافَاكَ رَيْقُهُ وَإِنْ تَحَمَّلْتَ عَنْهُ جَدًّا فِي الطَّلَبِ^(٢)

٨٠- وقال مسلم :

وَمَا كَانَ مِثْلِي يَعْتَرِيكَ رَجَاؤُهُ وَلَكِنْ أَسَاءَتْ شَيْمَةٌ مِنْ فَتَى مَخْضٍ^(٣)

أخذه أبو تمام وزاد زيادة حسنة^(٤) فقال :

فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِي أَسَاءَ فَنِي سُوءَ الْقَضَاءِ لِي الْعُذْرُ^(٥)

٨١- وأنشد أبو تمام فى الحماسة^(٦) :

تَرِدُ السَّبَاعُ مَعِيَ فَأُفْ فَنِي كَالْمُدْلِ مِنَ السَّبَاعِ

فأخذ المعنى^(٧) فقال :

أَبْنُ مَعَ السَّبَاعِ الْمَاءِ حَتَّى لَخَالَتَهُ السَّبَاعُ مِنَ السَّبَاعِ^(٨)

(١) ديوانه ٢٤٧

(٢) ديوانه ١٦ « وإن ترحلت عنه لج » وك : « كان فى الطلب » وفى شرح التبريزى ١١٩/١ « ريقه : أوله وهو فيعل من راق يروق . يقول : هو جواد كالغيث ، إن قصدت ناحيته وفاقك أول مائه ، وإن حلت عنه تيمك وجد فى طلبك ، أى يجود عليك حيث كنت »

(٣) ديوانه ٢١٨

(٤) م « أبو تمام فقال »

(٥) ديوانه ٤٧٥ وأخبار أبى تمام ٥١

(٦) يريد بها الوحشيات ، والبيت فيها آخر قصيدة لعبد الله بن ثعلبة اليشكرى الأزدى

(٧) ط « المعنى من فيه فقال »

(٨) شرح التبريزى ٣٣٧/٢ وفى الديوان « السباع الغيل » ويروى : « السباع القفر »

٨٢- وقال النظار بن هاشم الأسدي^(١) :

يَعِفُّ المرءُ ما استَحْيَا وَيَبْقَى نَبَاتُ العودِ ما بَقِيَ اللِّحَاءُ
وما في أَنَّ يعيشَ المرءُ خَيْرٌ إِذَا ما المرءُ زَايَلَهُ الحَيَاءُ
أَخَذَ أَبُو تمامَ معنى البيتين وَأَكْثَرَ لفظَهما ، فقال :

يَعِيشُ المرءُ ما استَحْيَا بِخَيْرٍ وَيَبْقَى العودُ ما بَقِيَ اللِّحَاءُ^(٢)
فلا واللهِ ما في العَيْشِ خَيْرٌ ولا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ
٨٣- وقال أبو نَواس :

أَبْنِ لِي كَيْفَ صِرْتُ إِلَى حَرِيمِي وَنَجْمُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ^(٣)
أَخَذَهُ أَبُو تمامَ فقال :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنَحَ لَيْلٍ كَأَنَّهُ قَدِ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِئْتِدِ^(٤)
٨٤- وسمعَ أَبَا نَواسَ قال^(٥) :

يَبْكِي فَيُذَرِّي الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ^(٦)
فقال- وَأَسَاءَ كُلَّ الإِسَاءَةِ [وقصر] وَقَبَّحَ [في]^(٧) صدر البيت - :

مَظْلُومَةٌ بِالْوَرْدِ أَطْلِقَ طَرْفُهَا فِي الْخَلْقِ فَهَوَّ مِنَ الْمَنُونِ مُحْكَمٌ^(٨)

(١) في ط « الأزدي » وهو تحريف ، قال البكري في شرح الأمل ٨٢٦/٢ « النظار بن هشام . . . من بني أسد ، شاعر إسلامي »

(٢) ديوانه ٤٨٥ وجاء في مجموعة المعاني ٢٨ « وقال أبو تمام ووجدتها في مجموع شعره ، وقد أورد منها بيتين في حماسته ولم يسم قائلهما . . . » وهما في روضة العقلاء ٤٣ من غير نسبة .

(٣) الصناعتين ٢٢٢ « وجنح الليل » والتشبيهات ١٩

(٤) ديوانه ١٠٣ والصناعتين ٢٢٢ والتشبيهات ١٩ وشرح التبريزي ٣٠/٢

(٥) ط « وسمع أبو نواس يقول »

(٦) ديوانه طبع الحلبي ٣٥٠ والصناعتين ٢٠١ والوساطة ٣٢٢ ونهاية الأرب ٤٦/٧

(٧) من ك

(٨) ديوانه ٢٨٤ « مظلومة الورد » وهو تحريف . وقد عتب القاضي الجرجاني على التبيين في الوساطة ٣٧ فقال : « فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان ، وحصل هو على نقص السرق والتقصير ، لكنه أحسن في بقية البيت فجبر بعض ذلك النقص »

الموازنة

٨٥- وقال أبو تمام :

ومما كانت الحُكماء قالت : لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ^(١)
أخذه من الجعد بن ضمام : أحد بني عامر بن شيبان ، وذكره أبو تمام
في اختيار^(٢) القبائل :

إِنَّ الْبَيَانَ مَعَ الْفُؤَادِ ، وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ بِمَا يَقُولُ رَسُولًا
٨٦- وقال طريح الثقفي يرثي قوماً :

فَلِلَّهِ عَيْنَانِ مَنْ رَأَى قَطُّ حَادِثًا
كَفَرَسِ الْكِلَابِ الْأُمْدَ يَوْمَ الْمُشَلَّلِ^(٣)
أخذه أبو تمام فأجاد الأخذ ، فقال :

من لم يُعَايِنَ أَبَا نَصْرِ وَقَاتِلَهُ فَمَا رَأَى ضَبْعًا فِي شِدْقِهِ سَبْعُ^(٤)
وهذا معنى مُتَدَاوِل ، وقد يجوز أن يكون الطائي أخذه من غير هذا
الموضع .

٨٧- وقال مروان بن أبي حفصة :

مَا ضَرَرَنِي حَسَدُ اللَّثَامِ ، وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسَدُهُ ذُووُ التَّقْصِيرِ^(٥)

(١) ديوانه ٨٠ وشرح التبريزي ٣٧٩/١

(٢) ط « ابن حمام . . . بن سنان . . . في اختيارات »

(٣) الفرس : القتل .

(٤) ديوانه ٣٧٢ « في شدقها »

وقال الشيخ « محمد محيي الدين عبد الحميد » في تمليقه عليه ص ٨٢ « وأنشده الشربيني ١١٦/١
مع بيت تال له ، وذكر أنه أخذه من بيتين ليزيد المهلبى يرثي فيها المتوكل »

وقد عجت من قول الشربيني إن أبا تمام أخذ معنى بيته من قول المهلبى في رثاء المتوكل المقتول في
سنة ٢٤٧ في حين أن أبا تمام مات سنة ٢٣٢ . وقد زال عجبى عندما رجعت إلى الشربيني وألفيته

يقول : « وقال يزيد المهلبى يرثي المتوكل :

علتك أسياف من لا دونه أحد وليس فوقك إلا الواحد الصمد
وأصبح الناس فوضى يعجبون به لبسا صريحا تندى حوله النقد
وأخذ لفظ بيته من قول حبيب : من لم يعاين . . . وفي لك « شوقها »

(٥) الوساطة ٢٤٢

أخذه أبو تمام فقال :

* وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلِّعٌ ^(١) *

٨٨- وقال أبو ذهبل الجمحي :

مَا زِلْتُ فِي الْعَفْوِ لِلذُّنُوبِ وَإِطْ لَأَقِ لِعَانٍ بِجُرْمِهِ غَلِيقِ ^(٢)
حَتَّى تَمَنَّى الْبَرَاءَةَ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَمَسُوا فِي الْقِدِّ وَالْحَلَقِ ^(٣)
أخذه أبو تمام فقال :

وَتَكْفَلُ الْإِيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامُ ^(٤)

٨٩- وقال زيد الخيل الطائي :

وَأَسْمَرَ مَرْبُوعٌ يَرَى مَا أَرَيْتَهُ بَصِيرٌ - إِذَا صَوَّبْتُهُ - بِالْمَقَاتِلِ ^(٥)
أخذه أبو تمام فقال :

مِنْ كُلِّ أَسْمَرَ نَظَّارٍ بِلَا نَظَرَ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوْدُ ^(٦)

٩٠- وقال أبو نؤيلة [السعدي] ^(٧) في مسلمة بن عبد الملك :

وَنَوَّهْتَ لِي بِاسْمِي ، وَمَا كَانَ خَامِلًا

وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ ^(٨)

(١) صدره : « لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف » ديوانه ١٩٠ وشرح التبريزي ٢٣٥/٢

(٢) حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ١٦٢٠/٤ والصناعتين ٢٠٥ والعاني : الأسير . والغلق : المتروك لا يفك

(٣) في م ، ك « البراءة » .

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي ١٦٢٠/٤ والصناعتين ٢٠٥ وديوانه ٢٨٠

(٥) ط « ما رأيته »

(٦) ديوانه ٩٩ وشرح التبريزي ١٨/٢ « من كل أزدق »

(٧) من ك

(٨) أمالي القالي ٣٠/١ وزهر الآداب ٩٢٥/٢ ورواه المؤلف في المؤلف والمختلف ١٩٣

« وأحييت لي ذكرا » وهو في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣١٨/٢ والجليس والأنيس . . . والمستطرف

٢٨٠/١ وعيون الأخبار ١٦٥/٣ وفي ط « ونوهت من ذى ذكرى » وحماسة ابن الشجري ١١٧

أخذه أبو تمام فقال :

لَقَدْ زِدْتَ أَوْضَاحِي أَمْتِدَادًا ، وَلَمْ أَكُنْ

بِهَيْمًا ، وَلَا أَرْضِي مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَلًا^(١)

وَلَكِنْ أَبَادٍ صَادَفْتَنِي جِسَامُهَا أَغْرَ فَخَلَّتْنِي أَغْرَ مُحَجَّلًا^(٢)

٩١ - وقال المسيب بن علس :

هُمُ الرَّبِيعُ عَلَى مَنْ كَانَ خِلْفُهُمْ وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاقِيدُ مَشَائِمِ^(٣)

وقال علاقة بن عُركِي التَّمِيمِي^(٤) يرثى قومًا :

وَكُنْتُمْ قَدِيمًا فِي الْحُرُوبِ وَغَيْرِهَا مَيَّامِينَ فِي الْأَدْنَى لِأَعْدَائِكُمْ نُكْدًا^(٥)

ومثله قول كعب بن الأَجْدَمِ^(٦) :

بَنُو رَافِعٍ قَوْمٌ مَشَائِمٌ لِلْعَدَى مَيَّامِينَ لِلْمَوْتِ وَلِلْمُتَحَرِّمِ^(٧)

أخذ الطائي هذا المعنى : فقال في مدح أبي سعيد :

إِذَا مَا دَعَوْنَاهُ بِأَجْلَحِ أَيْمَنِ دَعَاهُ وَلَمْ يَظْلِمْ بِأُضْلَعِ أَنْكَدِ^(٨)

٩٢ - وقال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ :

* عَارِي الْحَصَى يَذْرُسُ مَا لَمْ يُلْبَسِ *

(١) ديوانه ٢٥٢ والأوضح : جمع وضع وهو : الضوء والبياض من كل شيء . والبهيم : المجهول الذي لا يعرف . والمجمل : التي لا يبتدى فيها لانعدام الأعلام والجمال بها

(٢) ط « فوافيت بي » وديوانه ٢٥٢ « فألفت بي » ورواه البكري في اللالكى ١٣٥/١ « فأوفيت بي » كما في ك والأغر : الشريف . والمراد بالأغر المجمل : السيد المشهور

(٣) ديوانه ٣٥٩ وفي الوساطة ٢٩٩ « من ضاف أرحلهم »

(٤) ط « غلافة . . . التميمي » وفي الوساطة ٢٩٩ « علاثة بن عربي »

(٥) ط « للأدنى »

(٦) ط « ابن الجزم » وهو تحريف وفي معجم الشعراء ٣٤٤ « الأجدم »

(٧) الوساطة ٣٠٠

(٨) ديوانه ١٠١ وشرح التبريزي ٢٤/٢ « الجلح : انحسار الشعر عن مقدم الرأس ، وهو محمود ، والصلع مذموم . يقول : ندعوه نحن بالسعادة واليمن ويدعوه عدوه بابلك بأنكد لأن أبا سعيد محمد بن يوسف الطائي كان نكدًا على بابلك الأخرى وقد رماد بقاصمة الأضلاب » .

أخذه الطائي فقال :

تَجَدَّدُ كُلَّمَا لُبِسْتُ ، وَتَبَقَى إِذَا أَبْتُذِلْتُ ، وَتَخَلَّقُ فِي الْحِجَابِ^(١)

أو أخذه من قول الآخر^(٢) [يصف طريقاً] :

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقَدَمِ الْأَوَّلِ مُيْتُهُ التَّرْكُ وَيُحْيِيهِ الْعَمَلُ^(٣)

٩٣ - وقال تميم بن أبي بن مُقْبِل :

قَدْ كُنْتُ رَاعِيَّ أَبْكَارٍ مُنْعَمَةٍ فَأَلْيَوْمَ أَصْبَحْتُ أَرْعَى جِلَّةً شُرَفًا^(٤)

يريد عجائز^(٥) .

أخذه الطائي فقال - وَعَدَلْ بِشَطْرِ الْمَعْنَى^(٦) - إلى وجه آخر فأحسن - :

كُنْتُ أَرْعَى الْخُدُودَ ، حَتَّى إِذَا مَا فَارَقُونِي أَمْسَيْتُ أَرْعَى النُّجُومَ^(٧)

٩٤ - وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

وَالْمَالُ يَغْشَى رَجَالًا لَا طَبَاخَ بِهِمْ كَالسَّيْلِ يَغْشَى أَصُولَ الدَّنْدَنِ الْبَالِي^(٨)

(١) ديوانه ٥٦ وشرح التبريزي ٢٩٠/١ « يقول : كلما ذكرت هذه النعم التي لك على

وأظهرت تجدد ذكرها واستجرت مثلها ، وإذا سترت وحجبت أخلقت « وفي م ، ك « وتبلى •

وتخلق وجنتها في النقاب « والشطر الثاني هو عجز البيت التالي في الديوان وروايته :

إذا ما أبرزت زادت ضياء وتشعب وجنتها في انتقاب

(٢) ط « قول الراجز »

(٣) قاله بشير بن النكت ، كما في اللسان ٣١٧/٤ : « لأقوام أول ، العود الأول : العمل

المسن ، والعود الثاني : الطريق القديم ، وهكذا الطريق يموت إذا ترك ويحيا إذا سلك » .

وجاء في ط بعد البيت : « يعني طريقاً »

(٤) البيت له في ديوانه ص ١٨٥ و منتهى الطلب .

(٥) في هامش م « أي مسنة »

(٦) ط « بشطر البيت »

(٧) ديوانه ٢٩٠ « أَرعى البدور » و ط « بقيت أَرعى »

(٨) ديوانه ٣٢٧ واللسان ٦/٤ « لا طباخ بهم : لا عقل لهم . والدندن : ما بلى وعفن من

أصول الشجر ، وقد جاء هذا البيت في شعر لحية بن خلف الطائي . . . »

أخذه الطائي فقال :

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مَنْ الْغَنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^(١)

٩٥- وقال أبو تمام في وصف الشعر :

وَلَكِنَّهُ صَوَّبُ الْعُقُولِ : إِذَا انْجَلَتْ سَحَابٌ مِنْهُ أُعْقِبَتْ بِسَحَابٍ^(٢)

أخذه من قول أوس :

أَقُولُ بِمَا صَبَّتْ عَلَى غَمَامَتِي وَدَهْرِي فِي حَبْلِ الْعَشِيرَةِ أَخْطَبُ^(٣)

٩٦- وقال أمية بن أبي الصلت :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِامْرِئٍ إِنْ حَبَوْتَهُ بِخَيْرٍ ، وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ^(٤)

أخذه الطائي فقال :

مَا زِلْتُ مُنْتَظَرًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَ يَجْتَنِي شَرَفًا^(٥)

٩٧- وقال كثير :

وَنَازَعَنِي إِلَى مَدْحِ ابْنِ لَيْلَى قَوَافِيهَا مُنَازَعَةَ الطَّرَابِ^(٦)

(١) ديوانه ٢٤٦

(٢) ديوانه ٤٣ وشرح التبريزي ٢٢٢/١ وزهر الآداب ١٠٨/١

(٣) أخبار أبي تمام وزهر الآداب ١٠٩/١ وفي المعاني الكبير ٧٩٨/٢ « على عمايتي » يقول

بما جربت وما علمت مما مضى من دهرى ، وهو مثل « وعمايته : همه وشجته .

(٤) الأغاني ٣/٨ « حبوته ببذل » وهو في طبقات فحول الشعراء ٢٢٢ والوساطة ٣١٥ وديوان

المعاني ٤٦/١ والصناعتين ٤١ والمثل السائر ٣٨١/٢ وصبح الأعشى ١٨٦/٢ ودلائل الإعجاز ٣٧٨

(٥) ديوانه ٢٠١ وشرح التبريزي ٣٦٦/٢ « أعجوبة عننا » مصدر عن يمن بمعنى ظهر .

وهما روايتان . والأولى في المثل السائر ، والثانية في دلائل الإعجاز ، وقد فسرهما « محمد رشيد رضا »

بقوله : « عننا : أى معترضة تأتى بلا سبب » وهو خطأ .

(٦) ابن ليليل ممدوح كثير : هو عمر بن عبد العزيز . وفي ط « منازعة الغراب » والطراب :

جمع طرب ، وهو المشوق .

أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ :

تَغَايَرَ الشَّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ^(١)

٩٨ - وَقَالَتْ مَحْيَاةُ بِنْتُ طَلِيْقٍ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

نَعَى ابْنِي مُجِلُّ صَوْتُ نَاعٍ أَصَمَّنِي فَلَا آبَ مَخْبُورًا بَرِيدُ نَعَاهِمَا^(٢)

وَقَالَ سَفْيَانُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ النَّصْرِيُّ^(٣) :

صَمَّتْ لَهُ أَذُنَايَ حِينَ نَعِيْتُهُ وَوَجَدْتُ حُزْنَآ [دَائِمًا] لَمْ يَذْهَبْ

أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ :

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقْعَا^(٤)

وَنَحْوَهُ قَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ نَهْيِكَ الدَّارِي :

وَفَقًّا عَيْنِي تَبْكَأُوهُ وَأَوْرَثَ فِي السَّمْعِ مَنِي صَمَمَ

٩٩ - وَقَالَ شَقْرَانُ بْنُ عَرَبَابُضَ الْقَشِيرِيُّ^(٥) :

فَمَا السَّائِلُ الْمَحْرُومُ يَرْجِعُ خَائِبًا وَلَكِنْ بَخِيلُ الْأَغْنِيَاءِ يَخِيبُ

وَقَالَ آخَرُ وَهُوَ الشَّجَاعُ الْهَاتِفُ^(٦) فِي خَبَرٍ عَنْ ابْنِ الْكَلْبِيِّ وَرَوَاهُ ابْنُ

دَرِيد :

لَا تَزْهَدْ فِي أَصْطِنَاعِ الْعُرْفِ مِنْ أَحَدٍ إِنَّ الَّذِي يُحْرَمُ الْمَعْرُوفَ مَحْرُومٌ

أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

فَإِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٧)

(١) ديوانه ٢٢٧ وفي م « قوافيه »

(٢) ط « ابني مجل . . . آب محمودا »

(٣) م « البصري »

(٤) ديوانه ٣٧٤

(٥) ط « سمران . . . القسري »

(٦) ط « الفائق »

(٧) ط « وإني . . . ولكننا » ك والديوان ٢٢٠/٣ طلب العلا

١٠٠ - وقال عنتره :

* وَالطَّعْنُ مِنِّي سَابِقُ الْآجَالِ ^(١) *

ولمّا أراد : والآجال سابقة طعنى ؛ يريد لشدة خوفه إذا سدّد سناناه للطعن .

فأخذه الطائي ، وغيره تغييراً حسناً ، فقال :

يَكَادُ حِينَ يُلَاقِي الْقِرْنَ مِنْ حَنْتِي قَتَلَ السُّنَانَ عَلَى حَوْبَائِهِ يَرِدُ ^(٢)

١٠١ - وقال عدى بن الرقاع يمدح بعض بني مروان :

وَإِذَا رَأَيْتَ جَمَاعَةً هُوَ فِيهِمْ بَيِّنَتْ سُودْدُهُ وَإِنْ لَمْ تَسْأَلِ ^(٣)
أخذه الطائي فقال :

يَحْمِيهِ لِأَلَاؤُهُ أَوْ لَوَذَعِيَّتُهُ مَنْ أَنْ يُدَالَ بَعْنٌ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ ^(٤)

فقصر عدى بالممدوح ^(٥) ؛ إذ جعله إذا كان في جماعة لا يُعرف حتى تنبئ عنه شمائله ، وتبعه أبو تمام في التقصير .

١٠٢ - وقال أبو تمام :

طَلَبُ الْمَجْدِ يُورِثُ الْمَرْءَ خَبَلًا وَهَمُومًا تَقْضِقُضُ الْحَيْزُومًا ^(٦)

فَتَرَاهُ وَهُوَ الْخَلِيُّ شَجِيًّا وَتَرَاهُ وَهُوَ الصَّحِيحُ سَقِيًّا

أخذ [معنى] قوله : « وهموماً تقضقض الحيزوما » من قول لقيط .

الإيادي :

(١) صدره « وأنا المنية حين تشتجر القنا » ديوانه ١٢٩ والوساطة ٢٩٢

(٢) ديوانه ٩٧ وشرح التبريزي ١٤/٢

(٣) ط « نبشت »

(٤) ديوانه ٢٢٨ و ط « ولوذعيته عن »

(٥) م « بالمدح »

(٦) ديوانه ٢٩٢

لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثَ يُفَزِعُهُ هَمْ يَكَادُ سَنَاهُ يَخْطِمْ الضَّلْعَا^(١)
وأخذ معنى قوله :

وَلَهْتُهُ الْعَلَى فَلَيْسَ يَعُدُّ الـ بُؤْسُ بُؤْسًا . وَلَا النَّعِيمَ نَعِيمًا^(٢)
من قول لقيط أيضاً :

لَا مُتْرَفًا إِنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ وَلَا إِذَا عَصَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعًا^(٣)
١٠٣ - وقال أبو العارم الطائي :

غَيْبُ الْعَيْنِ أَوْ فَهْمُ تَغَابِي عَنْ الشَّدَاتِ وَالْفِكَرِ الْقَوَاصِي^(٤)
أخذه أبو تمام ، فقال وزاد عليه وأحسن :
لَيْسَ الْغَيْبُ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي^(٥)
أو أخذه من قول دِغْبِيل :

تُخَالُ أَحْيَانًا بِهِ غَفْلَةٌ مِنْ كَرَمِ النَّفْسِ ، وَمَا أَعْلَمَهُ !
١٠٤ - وتمثلت فاطمة الزهراء عليها السلام ، عند وفاة النبي عليه الصلاة
والسلام - فيما روى عنها ولا أعرف صحته :

صُبَّتْ عَلَى مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ عُذْنُ لَيَالِيَا
ومثله قول الطائي :

عَادَتْ لَهُ أَيَّامُهُ مُسَوَّدَةً حَتَّى تُوْهِمَ أَنَّهُنَّ لَيَالِيَا^(٦)

(١) مختارات ابن الشجري ٥ « يمشه . . . سناه يقصم » وفي ط « يمشه . . . حشاه يحطم »

(٢) ديوانه ٣٩٣ « تيمته العلى »

(٣) مختارات ابن الشجري ٥

(٤) م « عن الشذان والمكر »

(٥) ديوانه ٢٠ وشرح التبريزي ٩٣/١

(٦) ديوانه ٢٤٦ وفي م « حتى تبين »

١٠٥ - وقال ابن أذينة :

أَسْعَى لَهُ فَيُعْنِينِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِينِي^(١)
أَخَذَهُ الطَّائِي فَقَالَ :

الرِّزْقُ لَا تَكْمَدُ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا^(٢)
١٠٦ - وقال الطائي :

وَجَهَّ الْعَيْسَ وَهَى عَيْسَ إِلَى اللَّهِ فَبَآبَتْ مِنَ الْهَوَاجِرِ شَيْمًا^(٣)
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ هَرَمَةَ :

بَدَأْنَا عَلَيْهِمَا وَهَى عَيْسَ فَأَصْبَحَتْ مِنَ السَّيْرِ جُونًا دَامِيَاتِ الْغَوَارِبِ^(٤)
١٠٧ - وأنشد الأثمنانداني في « المعاني » يذكر الإبل :

رَدَّتْ عَوَارِيَّ غَيْطَانِ الْفَلَا ، وَنَجَتْ بِمِثْلِ إِيْبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْعُشْرِ^(٥)

(١) البيت لعروة بن أذينة ، كما ذكر الآمدي في الموقلف والمختلف ٥٤ وقبله :

لقد علمت وما الإسراف من خلق أن الذي هو رزق سوف يأتي

وهو في الأغاني ١٦٢/٢١ والعقد ٢٠٥/٣ ، ٢٨٩/٥ والشعر والشعراء ٥٦٠/٢ وأما المرتضى ٤٠٨/١

(٢) ديوانه ٢٤٣ « لا تحرص عليه »

(٣) ط « فأضت » أي صارت ، وفي ديوانه ٢٩٢ « قالت مثل القسي حطيا » والشيم : السوداء .

(٤) ط « بدأت . . . لاحقات الغوارب » والعيس : الإبل البيضاء يخالط بياضها شيء من الشقرة . والحن : جمع جون ، وهو الأسود . ولاحقات : ضامرات . والغوارب : جمع غارب . وهو أعلى مقدم السنام .

(٥) في معاني الشعر للأثمنانداني ٥١ « يريد أنها كانت رعت الغيطان فسمنت ، فلما سافر عليها ضمرت . فكأنها ردت على الغيطان ما استعارت منها من لحمها وشحمها . والإيبالة : الحزمة من الحطب . والحائل : الذي أتى عليه الحول . والعشر : ضرب من الشجر . يقول : نجت الناقة وقد صارت مثل الإيب . وهو غير منسوب في شرح المقامات للشريشي ١٢٤/١ وشرح ديوان أبي تمام للتبريزي ١٣١/١

أخذه أبو تمام فقال :

فَكَمْ جَزَعٌ وَادٍ جَبٌّ ذِرْوَةٌ غَارِبٍ وبالأَمْسِ كانت أتمكتهُ مَذَانِبُهُ^(١)
١٠٨ - وقال أبو تمام :

لو أَصَحَّنَا مِنْ بَعْدِهَا لَسَمِعْنَا لِقُلُوبِ الْأَيَّامِ مِنْكَ وَجِيئاً^(٢)
أخذه من قول أبي نواس :

حَتَّى الذِّى فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً لِقُودَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ^(٣)
١٠٩ - وقال آخر :

يَا حَبْدًا رِيحُ الْجُنُوبِ إِذَا غَدَتْ بالفجرِ وَفِي ضَعِيفَةِ الْأَنْفَاسِ
قَدْ حُمِلَتْ بَرْدَ الثَّرَى وَتَحَمَّلَتْ عَبَقًا مِنَ الْجُثَجَاتِ وَالْبَسْبَاسِ^(٤)
أخذه الطائي فقال :

أَرْسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ نَفْسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفاً^(٥)
١١٠ - وقال نَصِيب :

وَقَدْ عَادَ مَاءُ الْأَرْضِ بَحْرًا فَرَادَنِي عَلَى ظَمْتِي أَنْ أَبْحَرَ الْمَشْرَبُ الْعَذْبُ^(٦)

(١) ديوانه ٤٤ وشرح المقامات للشريشي ١٢٤/١ وشرح التبريزي ٢٣٠/١ « جزع الوادي : منعطفه . وجب : قطع . والذروة : أعلى الشيء . وأتمكته : أسسته وأطالته . والمذانب : مسایل الماء في الأودية . وفي م ، ك « ومن قبل كانت »

(٢) ديوانه ٢٧ وشرح التبريزي ١٧٤/١ « من بعدها أى من بعد الضربة ، أو هذه الحرب . والإصاخة : إمالة الأذن للسمع . والوجيب : صوت حركة القلب »

(٣) ديوانه طبع الحلبي ٥٢ وفي ط والوساطة ٦٠ « لم يك نقطة »

(٤) الجثجاث : شجر أصفر الزهر ، طيب الريح . وفي اللسان ٣٢٧/٧ « قال أبو حنيفة :

البسباس ، من النبات الطيب الريح »

(٥) شرح التبريزي ٣٧٧/٢ « أرسى : أقام . يدعو للمنزل بالخصب وتنسيم الرياح ؛ لأن النسيم

ينفع ولا يضر ، وربما ضرت الريح القوم » ويروى « نفساً بعرصتك » وعقوة الدار : ساحتها ، وكذلك عرسها »

(٦) في اللسان ١٠٣/٥ « ملحاً فزادني على مرضى » وماء بحر : ملح . وأبحر : صار ملحاً

أخذه أبو تمام فقال :

كانت مُجاوِرةَ الطُّلولِ وأهلِهَا زَمَنًا عذابَ الوردِ فهي بحارٌ^(١)

١١١- وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرساً :

نَهْدَ كَنِينِ أَقْبَ مُعْتَدِلٍ كَأَنَّمَا فِي صَهِيلِهِ جَرَسٌ^(٢)

أخذه أبو تمام فقال :

صَهْصَلِقُ فِي الصَّهِيلِ تَحْسِبُهُ أَشْرَجَ حُلُقُومُهُ عَلَى جَرَسٍ^(٣)

١١٢- وقال الفرزدق :

قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هَلَالًا^(٤)

أخذه أبو تمام فقال :

رَمَقُوا أَعَالِي جِدْعِهِ فَكَأَنَّمَا رَمَقُوا الْهَلَالَ عَشِيَّةَ الْإِفْطَارِ^(٥)

١١٣- وقال ابن منذر في البرامكة :

إِذَا وَرَدُوا بِطَحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ بِسِيحِي وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَجَعْفَرٍ^(٦)

لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعَدَى وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمَشْهُرِ^(٧)

(١) ديوان ١٤٥ وشرح التبريزي ١٦٦/٢ « أى كانت عذاباً لنا بحضورهم ، فلما رحلوا عنها صارت مجاورة الطلول بدمهم بحار الورد ، أى ملاحه

(٢) النهْد : الضخم القوى . والأقْب : الدقيق الخصر الضامر البطن .

(٣) ديوانه ١٧٠ وشرح التبريزي ٢٣٩/٢ « صهسلق : شديد الصوت . وأشرج : شد . أى هو مع شدة صوته طيب الصهيل . وهذا يستحب لأنه دال على سعة جوفه »

(٤) ديوانه ٦١٨ وهو في مدح سعيد بن العاص . وفي ط « قيام »

(٥) ديوانه ١٥٣ وشرح التبريزي ٢٠٤/٢ وأخبار أبي تمام ٩٥ « وجدوا الهلال » والبيت شأن صلب بابلك الحوى

(٦) لمحمد بن منذر في معجم الأدباء ٥٧/١٩ وقبله :

ستظلم بغداد ويحلوا لنا الدجى بمكة ما عشنا ثلاثة أبحر

(٧) ط « يوم إلى »

أخذه أبو تمام فقال :

حين عَفَى مقام إبليس سامي بالمطايا مقام إبراهيم^(١)

١١٤- وقال أبو تمام :

تَحْيَوا بِالْأَسَنَةِ ثُمَّ ثَنَوا مُصَافِحَةً بِأَطْرَافِ الرِّيحِ^(٢)

أخذ قوله : « تحيوا بالأسنة » من قول مسلم بن الوليد :

تَحْيَوا بِأَطْرَافِ الْقَنَا وَتَعَانَقُوا مُعَانَقَةَ الْبَغْضَاءِ غَيْرِ التَّوَدُّدِ^(٣)

وأخذ قوله : « مصافحة بأطراف الرياح »^(٤) من قول أبي اللحام التغلبي^(٥) :

دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضٍ مَشْرِقٍ كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلْسَّلَامِ^(٦)

١١٥- وقال جرير في يزيد بن معاوية :

الْحَزْمُ وَالْجُودُ وَالْإِيمَانُ قَدْ نَزَلُوا عَلَى يَزِيدَ أَمِينِ اللَّهِ فَاخْتَلَفُوا

ألم به أبو تمام فقال :

مَنِ الْبَأْسُ وَالْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ وَالتَّقَى عِيَالٌ عَلَيْهِ ، رِزْقُهُنَّ شَمَائِلُهُ^(٧)

فقال : « عيال عليه » . وهو نحو قول جرير : « نزلوا على يزيد » . أو

لعل أبا تمام أخذه من قول دعبيل :

تَنَافَسَ فِيهِ الْبَأْسُ وَالْحَزْمُ وَالتَّقَى وَبَدَلُ النَّدَى حَتَّى أَصْطَحَبْنَ ضَرَائِرًا^(٨)

(١) ديوانه ٢٩٢

(٢) ط « فحيوا » وفي م ، ك « بأطراف الصفاح »

(٣) ديوانه ٦٦ وفي ط « فحيوا »

(٤) م ، ك « الصفاح »

(٥) ط « أبي إسحاق » وانظر معجم الشعراء ٥١٥

(٦) ط « دنوت له »

(٧) ديوانه ٢٣٠

(٨) ط « اللهى حتى اصطبحن »

١١٦- وقال الكميت يصف الخيل :

يَفْقَهُنَّ عَنْهُمْ إِذَا قَالُوا ، وَيَفْقَهُهُمْ
مُسْتَطْعِمٌ صَاهِلٌ مِنْهَا وَمُنْتَحِمٌ^(١)
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

وَهُوَ إِذَا مَا نَاجَاهُ فَارِسُهُ
يَفْقَهُ عَنْهُ مَا تَفْقَهُ الْإِنْسُ^(٢)

١١٧- وقال الكميت^(٣) أيضاً :

وَأَذْنَيْنِ الْبُرُودِ عَلَى خُدُودِ
يُزِينُ الْفَدَاغِمَ بِالْأَسِيلِ^(٤)
الْفَدَاغِمُ : الوجوه^(٥) اللَّحِيْمَةُ.

فَقَالَ أَبُو تَمَامٍ :

وَشَنَوَا عَلَى وَشَى الْخُدُودِ صِيَانَةً
وَشَى الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدٍ^(٦)

١١٨- وقال الأبييردُ الرِّياحِي^(٧) :

وَكُنْتُ أَرَى هَجْرًا فِرَاقَكَ سَاعَةً
أَلَا، لَا، بَلِ الْمَوْتُ التَّفَرُّقُ وَالْهَجْرُ^(٨)
أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَقَالَ :

الْمَوْتُ عِنْدِي وَالْفِرَا
قُ كِلَاهُمَا مَا لَا يُطَاقُ^(٩)

(١) م « وتفقههم » و ط « صاهل منهم » والنحيم : صوت من صدر الفرس .

(٢) ديوانه ١٦٧ وشرح التبريزي ٢٢٧/٢ وفي م : « ما ناجاه قائده »

(٣) ليست في م

(٤) ط « وألقين »

(٥) ط « يريد بالفداغم الرخوة اللحيمة »

(٦) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٤٧/٢ ، وشى الخلود : حمرتها وبياضها . والمسجف :

المسبل

(٧) في ك : « الأيربوعي » وكلاهما صحيح قال الآمدي في المؤلف والمختلف ص ٢٤ : هو

الأبييرد الأيربوعي . وهو الأبييرد بن المعذر بن قيس بن عتاب بن هري بن رياح بن ربوع . شاعر مشهور مقل محسن

(٨) أمالي اليزيدي ٢٦ وذيل أمالي القالي ٢ وانظر سمط الداعي ٤/٣

(٩) ديوانه ٤٥٣

١١٩- وأنشد أبو العباس المبرد للعتبي :

أَصْحَتْ بِعَدَى لِلْدُمُوعِ رُسُومُ أَسْفَاءُ عَلَيْكَ، وَفِي الْفُؤَادِ كُلُّهُمْ^(١)
وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

قال : وأخذه الطائي فقال في إدريس بن بدر السامي^(٢) :

دُمُوعُ أَجَابَتْ دَاعِيَ الْحُزَنِ هُمُوعُ تُوصَلُ مِنَّا عَنْ قُلُوبٍ تَقَطَّعُ
وَقَدْ كَانَ يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَأَصْبَحَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(٣)

قال : وجاء به الطائي في موضع آخر ، فقال :

الصَّبْرُ أَجْمَلُ غَيْرَ أَنَّ تَلْدَدًا فِي الْحُبِّ آخَرِي أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٤)

١٢٠- وقال الراجز ، أنشده يعقوب بن السكيت :

قَدْ أَصْبَحَتْ الْعَقْدَةُ صَلْعَاءَ اللَّمَمِ وَأَصْبَحَ الْأَسْوَدُ مَخْضُوبًا بِدَمٍ^(٥)

العقدة : موضع ذو شجر لا ينتقى فيذهب . وصلعاء اللمم واللمم :

الجمام^(٦) ، وهو جمع لِمَمَةٍ ، فجعله مثلاً لرووس النبت أَكَلَتْهُ الْإِبِلُ
فصارت لِمَمُهُ صَلْعَاءً ، والأسود : الحية تطوئه الإبل فتقتله .

فظفر بهذا [المعنى] أبو تمام ، فقال :

حَتَّى تَعَمَّمَ صَلْعُ هَامَاتِ الرَّبِيِّ مِنْ نَوْرِهِ وَتَنَازَرَ الْأَهْضَامُ^(٧)

(١) في الكامل ٢٨٦/١ وقال العتبي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات . . . « ثم قال :
« وأحسب أن حبيباً الطائي سمع هذا فاسترقه في بيتين : أحدهما قوله في إدريس بن بدر الشامي : دُمُوعُ ...
والآخر . . . الصبر أجمل . . . »

(٢) في الكامل وأصول الموازنة المخطوطة والمطبوعة « الشامي » وفي ديوانه ٣٧٢ « السامي من ولد
سامة بن لؤي »

(٣) بين هذا البيت وسابقه تسعة أبيات في الديوان

(٤) في ط « تلذذي » والديوان « تلذذا » وهو تصحيف فيهما

(٥) - منسوب لبعض الأعراب في الوساطة ٢٠٥ وفي ط : « قد أضحت »

(٦) ط « شجر لا يفنى فيذهب وصلعاء اللمم : الجمام » وهو تحريف عجيب

(٧) ديوانه ٢٧٩ وفي الوساطة « من دونه »

والأهضام : ما انخفض من الأرض .

ووجدت ابن أبي طاهر [قد] حَرَجَ سرقاتِ أبي تمام ، فأصاب في بعضها ، وأخطأ في البعض ؛ لأنه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس : مما لا يكون مثله مسروقاً .

١- فَمِنَ السَّرَقِ [الصحيح] قولُ أبي تمام :
كما كَادَ يُنْسِي عَهْدُ عَمِيَاءَ بِاللَّوَى وَلَكِنْ أَمَلْتُهُ عَلَيْهِ الْحَمَائِمُ^(١)
أخذه من قول العتابي :

بَكَى فَاسْتَمَلَ الشَّوْقَ مِنْ ذِي حَمَامَةٍ أَبَتْ فِي غُصُونِ الْأَيْكِ إِلَّا تَرَنُّمًا^(٢)
[أظن أن قوله من ذي حمامة] أراد^(٣) من صوت حمامة ، دعته إليه الضرورة ، وليس هذا موضع « ذى »^(٤) .

وقوله : « أملتُهُ » من قول العتابي : « فاستمَلَ » . وقد جاء مثله في أشعارهم .

٢- وقال : أَخَذَ قوله :

لَا تَنْشِجَنَّ لَهَا فَإِنْ بَكَاءَهَا ضَحِكَ . وَإِنْ بَكَاءَكَ اسْتِغْرَامُ^(٥)

(١) ديوانه ٢٨٥ وفي الوساطة « وقد كاد »

(٢) ط « واستمل . . . من في . . . إلا الترنما »

(٣) ط « أظن قوله في حمامة أراد » وما بين القوسين من ك

(٤) ط « موضع في »

(٥) ديوانه ٢٧٩ « لا تشجين » وما في م يوافق ما في الزهرة ٢٤٢/١

من قول الآخر .

وإني إن بكيتُ بكيتُ حقاً وإنك في بكائكِ تكذِّبينا^(١)

* * *

٣- وقال أبو تمام^(٢) :

* فنولَ حتى لمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ *

أخذه من قول علي بن جبلة :

أعطينتَ حتى لمْ تَجِدْ لَكَ سائِلاً وبدأتَ إذْ قَطَعَ العَفَاةُ سُؤَالَهَا
وقد ذكرتُ أخذهُ هذا المعنى - فيما تقدم - من غير ابن جبلة^(٣) .

* * *

٤- وقال : [أخذ قوله] :

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِمَّنْ فِي حَقِيبَتِهِ مِنَ الْمَنِيِّ بُحُورٌ كَيْفَ لَا يَلْدُ^(٤)
من قول مروان :

لَوْ كَانَ يَحْمِلُ مِنْ هَذَا الْوَرَى أَحَدٌ لَكُنْتُ أَوَّلَ خَلْقٍ جَاءَ بِالْوَلَدِ^(٥)
ومن قوله أيضاً :

لَوْ كَانَ يُخْلَقُ فِي بَطْنِ أَمْرِي وَلَدٌ لَأَصْبَحَ الْبَطْنُ مِنْهُ ضَامِناً وَلَدَا

* * * *

(١) في الزهرة ٢٤٢/١ من أبيات لنهان العشمي :

غلبتك في البكاء بأن ليلى أواصله وأنتك تهجيننا
وإني أشتكى فأقول حقاً وأنتك تشكين فكذبينا

(٢) من ك

(٣) راجع ص ٩٤

(٤) ديوانه ٣٤٣ يهجو عتبة بن أبي عاصم

(٥) ط « كان يحمل . . . الوري ذكر . . . خلق الله »

٥- وقال أبو تمام ^(١) :

يَحْمِيهِ لِأَلَاؤُهُ أَوْ لَوَذَعِيَّتِهِ
عن أن يُذَالَ بَمَنْ أَوْ مِمَّنِ الرَّجُلُ ^(٢)
أخذه من قول حسان :

إِذَا مَا تَرَعَرَعَ فِينَا الْغَلَا مُمْ فَمَا إِنْ يُقَالُ لَهُ : مَنْ هُوَ؟ ^(٣)
وقد ذكرت أخذه هذا المعنى - فيما تقدم - من غير حسان ^(٤) .

* * *

٦- وقال أبو تمام ^(٥) :

فَلَا تَطْلُبُوا أَسْيَافَهُمْ فِي جُفُونِهَا
فَقَدْ أَسْكِنَتْ بَيْنَ الطَّلَى وَالْجَمَاجِمِ ^(٦)
أخذه من قول عنتره :

وَلَمْ يَعْلَمْ جَرِيَّةٌ أَنَّ نَبْلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَّجِيدُ ^(٧)

* * *

٧- وقال أبو تمام :

يَتَجَنَّبُ الْآثَامُ ثُمَّ يَخَافُهَا
فَكَأَنَّمَا حَسَنَاتُهُ آثَامُ ^(٨)

(١) من ك

(٢) سبق ص ١٠٤

(٣) ديوانه ٤٢٢

(٤) راجع ص ١٠٤

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٣٨٧ والطلّى : الأعناق .

(٧) ديوانه ٤٩ « هل يدري جرية » و « ولم تعلم جوية » وجرية : رجل من بني عمرو بن المهجم كان له مع عنتره قصة والنبل : السهام . والجفير : الكنانة اللعبة التي تجعل فيها السهام . والنجيد : الشجاع الشديد البأس السريع الإجابة إلى ما دعى إليه

وقد شرح الشيخ « محمد محيي الدين عبد الحميد » البيت بما يلي : « الجفير : جمعة من جلود لا خشب فيها ، أو جمعة من خشب لا جلود فيها . يريد أن مكان سيفي وغمدته الذي أضعه فيه هو البطل النجيد » .

ولست أدري كيف فسر الشيخ كلمة « نبلي » بسيفي ؟ !

(٨) ديوانه ٢٨٠ بمدح المأمون

أخذه من قول أبي العتاهية :
لم يَنْتَقِصْنِي إِذْ أَسَأْتُ وَزَادَنِي حَتَّى كَانَ إِسْأَعَتِي إِحْسَانًا^(١)

* * *

٨- وقال الطائي :

أَلَا أَيُّهَا الرَّبْعُ الَّذِي خَفَّ أَهْلُهُ لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ^(٢)
[أخذه من قول العرجي :

أَلَا أَيُّهَا الرَّبْعُ الَّذِي بَانَ أَهْلُهُ لَقَدْ أَدْرَكَتْ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ]^(٣)

* * *

٩- وقال :

لَا تُذِيلُنْ مَصُونٌ هَمُّكَ وَأَنْظُرْ كَمْ بِذِي الْأَيْكِ دَوْحَةٌ مِنْ قَضِيبٍ^(٤)
أخذه من قول الأشهب [بن رميلة] :

عَلَّ بَنِيَّ يَشُدُّ اللَّهُ أَرْزَهُمْ وَالْدَّوْحُ يُنْبِتُ عِيدَانًا فَيَكْتَهِلُ

* * *

١٠- وقال أبو تمام :

أَظْلَهُ الْبَيْنُ حَتَّى إِنَّهُ رَجُلٌ لَوْ مَاتَ مِنْ شُغْلِهِ بِالْبَيْنِ مَا عَلِمَا^(٥)
أخذه من قول أبي الشَّيْبِ :

فَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ قَدْ مُتْ فِيهِ وَلَكِنْ كَانَ ذَاكَ وَمَا شَعَرْتُ^(٦)

(١) ط «تنتقصني . . . وزدتنى»

(٢) ديوانه ٢٢٩ «أجل أيها . . . الذي بان»

(٣) في ديوان العرجي ٢٠

ألا أيها الربيع الذي خف أهلُه وأمسى خلاه موحشا غير أهل

(٤) ديوانه ١٢٧/١ وشرح التبريزي ١٢/٧١ «بذى الأثل» . والمعنى : لا تذيلن صغير همك

أى لا تهمل نظرك فيه فإن كان خيراً فإنه يتشمر وتعظم المنفعة به ، وإن كان ما يحذر فإنه لا يؤمن أن يغلب ويتفاقم ، وهذا المعنى قصده نهمل بن حرى في قوله :

قال الأقارب : لا يفركك كثرتنا وأغن شأنك عنا أيها الرجل

عل بنى . . . ويكهل . فهذا مثل قوله : كم بذى الأثل دوحة من قضيب

(٦) ط «وكم»

(٥) ديوانه ٣٠٢

[وبيت أبي تمام أجود] .

* * *

١١- وقال في وصف الرماح :

كَأَنَّهَا - وَهِيَ فِي الْأَكْبَادِ وَالْغَةِ
وَفِي الْكُلَى - تَجِدُ الْغَيْظَ الَّذِي تَجِدُ^(١)
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ النَّمْرِىَّ :
وَمُضَلَّتَاتٍ كَانَ حَقْدًا مِنْهَا عَلَى الْهَامِ وَالرَّقَابِ^(٢)

* * *

١٢- وقال :

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَوُوا مَالَ مَعْشَرٍ
أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ فَاحْتَوَتْهُ الصَّنَائِعُ^(٣)
أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :
إِذَا أَسْلَفْتَهُنَّ الْمَلَا حِمٌّ مَغْنَمًا دَعَاهُنَّ مِنْ كَسْبِ الْمَكَارِمِ مَغْرَمُ^(٤)

* * *

١٣- وقال أبو تمام :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَسُوا
عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ
[أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ كَثِيرِ :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَسُوا
فَلَانِصَ فِي أَصْلَابِهِنْ نُحُولُ]
وَقَدْ ذَكَرْتُ أَخْذَهُ هَذَا الْمَعْنَى - فِيمَ تَقْدِمُ - مِنْ [غَيْرِ] كَثِيرِ^(٥) .

* * *

١٤- وقال أبو تمام .

تَوَفِّيَتْ الْآمَالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
فَأَصْبَحَ مَشْغُولًا عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ

(١) ديوانه ٩٩ وشرح التبريزي ١٧/٢ « في الأوداج والغة »

(٢) في الوساطة ٢٤٣ « حقداً بها » (٣) ديوانه ٤٨٠

(٤) غير منسوب في الوساطة ٣٠٢ (٥) راجع ص ٦١ - ٦٢

أخذه من قول عصابة الجرّجرائي: ^(١)
 أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ آمَالُكَ الَّتِي تُؤَفِّينَ لَمَّا اغْتَالَكَ الْحَدَثَانُ ^(٢)
 وقد تقدم [أيضاً] ذكر هذا وأخذه [إياه] من موضع آخر ^(٣).

* * *

١٥ - وقال أبو تمام :

* تَعْلِيْقُهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ ^(٤) *

أخذه من قول جرير :
 حَرَاجِيجُ يُعْلَفْنَ الذَّمِيلَ كَأَنَّهَا مَعَاظِفُ نَبْعٍ أَوْ حَنِيُّ الشَّرَاجِعِ ^(٥)

* * *

١٦ - وقال :

ذَاكَ الَّذِي كَانَ لَوْ أَنَّ الْأَنَامَ لَهُ نَسْلٌ لَمَّا رَاضَهُمْ جُبْنٌ وَلَا بَخْلٌ ^(٦)
 أخذه من قول أبي السَّمُط ^(٧) :

(١) ط « عصام الجرجاني » وهو تحريف . وأخبار عصابة في معجم البلدان ٨٠/٣ وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣٩٩ - ٤٠١

(٢) في هامش ك : ع : « آمالي »

(٣) راجع ص ٧٢ - ٧٣ و ٨٠

(٤) صدره : « بسواهم لحق الأياطل شرب » ديوانه ٢٨١ والعلوق : ما تعلقه الإبل ، أي ترعاه ، يقال : ما في الأرض علاق ، أي ما فيها مرتع ، قال الأعشى :

وفلاة كأنها ظهر ترس ليس إلا الرجيع فيها علاق

الرجيع الجرة . يقول : لا تجد الإبل فيها علاقاً إلا ما ترده من جرتها ، وفي ط « تعليفها » والديوان كالمخطوطة « تعليفها » ويرى الشيخ محي الدين ناشر ط أن ما فيها هو الصواب !

(٥) ديوانه ٣٦٠ والحراجيع : جمع حرجوج ، وهي الناقة الضامرة الحادة القلب ، والذميل :

ضرب من السير السريع اللين . والشرايع : جمع شرجع ، وهو النعش

(٦) ديوانه ٢٢٨ وفي ط « لما عابهم »

(٧) ط « أبي الشميط » وهو تحريف . وأبو السمط هو مروان بن أبي حفصة

لَوْ كَانَ جَدُّكُمْ شَرِيكُ وَالِدَا لِلنَّاسِ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ بِخِيَلًا

١٧- وقال :

حَمْرَاءُ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ كَسَوْتُهَا بَيْضَاءُ مِنْ حَلَبِ الْغَمَامِ الرَّقْرِقِ
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ مُسْلِمٍ :

صَفْرَاءُ مِنْ حَلَبِ الْكُرُومِ كَسَوْتُهَا بَيْضَاءُ مِنْ حَلَبِ الْغُيُومِ الْبُجْجِسِ^(١)

١٨- وقال : أَخَذَ قَوْلَهُ :

* بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ *^(٢)

[من قول بعض العرب :

هَمَامٌ عَطَايَاهُ بِدَوْرٍ طَوَالَعٌ عَلَى آمِلِيهِ فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ]^(٣)

[و] من قول الأَخْطَلِ :

رَأَيْنَ بَيَاضاً فِي سَوَادٍ كَأَنَّهُ بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ

١٩- [وقال] : أَخَذَ قَوْلَهُ :

نَادَمْتُ ذِكْرَكَ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةُ فَكَانَ يَا سَيِّدِي أَحْلَى مِنَ الشَّهَدِ^(٤)

من قول ابن أبي أمية :

كَمْ لَيْلَةٍ نَادَمَنِي ذِكْرُهُ يُسْعِدُنِي الْمَثَلُ وَالزَّرِيرُ

(١) ديوانه ١٠٨ « من صوب الغيوم » وفي ط « من حلب العصير كسوتها »

(٢) صدره « وأحسن من نور تفتحه الصبا » ديوانه ٤٢ وشرح التبريزي ٢١٢/١

(٣) ما بين القوسين ليس في ك

(٤) ط « ناجيت »

٢٠- وأخذ قوله :

* وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالزَّمَانُ غَلَامٌ *^(١)

من قول الأخطل :

سَعَيْتَ شَبَابَ الدَّهْرِ لَمْ تَسْتَطِعْهُمْ أَفَالآنَ لَمَّا أَصْبَحَ الدَّهْرُ فَانِيَا؟^(٢)

* * *

٢١- و [قال] : أخذ قوله :

ذَاكَ الَّذِي أَحْصَى الشُّهُورَ وَعَدَّهَا طَمَعاً لِيَنْتَجِ سَقْبَةً مِنْ حَائِلٍ^(٣)

من قول أعرابي :

إِنَّا وَجَدْنَا طَرْدَ الْهَوَامِلِ خَيْرًا مِنَ التَّانَانِ وَالْمَسَائِلِ^(٤)

وعدة العامِ وعامِ قَابِلِ مَلْقُوحَةً فِي بَطْنِ نَابٍ حَائِلٍ^(٥)

* * *

٢٢- وأخذ قوله :

يُخْشَوْنَ حَتَّى مَا يَشُكُّ عَدُوَّهُمْ أَنَّ الْمَنَايَا الْحُمْرَ حَى مِنْهُمْ^(٦)

(١) صدره : « ولقد أراك فهل أراك بغبطة » ديوانه ٢٧٩

(٢) ديوانه ٦٦

(٣) ديوانه ٥٠٢ وقبله :

ما خلقت حواء أحمق لحية من سائل يرجو الفنى من سائل

والسقب : ولد الناقة ، والأنثى سقبة . من حائل : غير حامل

(٤) ط « التاتان والمسائل » وهو تحريف وفي م « طرد الحوامل »

وقد استشهد بهما في اللسان ١٦٨/١٦ على أن التانان وهو صفة واقع موقع المصدر الذى هو الأنين

وقد ذكر أولهما أيضاً ١٣٥/١٤ وقال « وابل هوامل : مسيبة لاراعى لها . أراد أنا وجدنا طرد الإبل

المهملة وسوقها سلا وسرقة ، أهون علينا من مسألة الناس والتباكى إليهم » وفي هامش اللسان ١٦٨/١٦

أن الصاغاني صوب زيادة مشطور بين المشطورين وهو : « بين الرسيين وبين عاقل »

(٥) في اللسان « ملقوحة : بمعنى ملقحة ، والمعنى أنها عدة لا تصح لأن بطن الحائل لا يكون فيه

سقب ملقحة »

(٦) ديوانه ٢٨٥ و ط « يعلنون » ومعناها : يظهرون على أعدائهم

من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ أَنَّ قَوْمًا يُخْلَقُونَ مَنِيَّةً مِنْ بِيَّاسِهِمْ كَانُوا بَنِي جَبْرِيلَ^(١)

* * *

٢٣ - وأخذ قوله :

لَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا قَبِيلٌ آخَرٌ بِإِزَائِهِمْ مَا كَانَ فِيهَا مُعْدِمٌ

من قول بشار :

لَوْ كَانَ مِثْلَكَ آخَرٌ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا فَتَقِيرٌ^(٢)

* * *

٢٤ - وقال في قوله :

رَمَا الصُّدُودَ فَلَمَّا اقْتَادَ أَرْسُنَنَا حَنَّتْ حَنِينَ عَجُولٍ بَيْنَنَا الرَّحْمُ^(٣)

من قول الأسود بن يعفر :

سَمَا بَصَرِي لَمَّا عَرَفْتُ مَكَانَهُ وَأَطْتُ إِلَى الْوَأَشْجَاتُ أَطِيطًا^(٤)

٢٥ - و [قال] : أخذ قوله :

صَفْرَاءُ صُفْرَةٍ صِحَّةٌ قَدْ رَكَّبْتُ جُثَامَهُ فِي ثَوْبٍ سُقْمٍ أَصْفَرٍ^(٥)

من قول علي بن أديم^(٦) الكوفي :

(١) ديوانه ٥٠ ، ٣٦ (طبع الهند)

(٢) البيت له في الأغاني ٣٩/٣ في مدح عقبة بن مسلم ؛ وقبله :

يا واحد العرب الذي أسمى وليس له نظير

وقد عاد صاحب الأغاني فذكر ٩٠/٣ أن البيتين لابن المولى في مدح يزيد بن حاتم .

(٣) ديوانه ٤١٠ وفي اللسان ٤٥٤/١٣ « العجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها

الشكل لمجلتها في جيثها وذهاها جزعاً »

(٤) أظن : أنت حنيناً . والمراد بالواشجات : القرابات المشبكة المتصلة

(٥) ديوانه ١٣٩٦

(٦) في معجم الشعراء ٢٨٣ « علي بن أديم الكوفي البزاز ، كان في صدر الدولة العباسية .. »

وفي ط « علي بن رزين » وفي المعجم ٢٨٣ « علي بن رزين الخزاعي ، هو أبو دعبل بن علي الشاعر » وفي

جمهرة الأنساب ٢٢٩ « علي بن رزين بن علي بن رزين ابن أخي دعبل »

بَيْضَاءُ رُغْبُوبَةٌ صَفْرَاءُ مِنْ غَيْرِ [داء]

* * *

٢٦ - وقال في قوله :

* لَمْ تَكْمَدِي فَظَنَنْتِ أَنَّ لَمْ يَكْمَدِ ^(١) *

من قول بعضهم :

لَا تُنْكِرِي جَزَعَ الْمُحِبِّ ؛ فَإِنَّهُ يَطْوِي عَلَى الزَّفَرَاتِ غَيْرَ حَشَاكَ
[وأخذه من قول مسلم :

قَدْ أَوْلَعْتَهُ بَطُولُ الْهَجْرِ غِرَّتُهُ لو كان يعرف طعم الهجر ما هَجَرَ] ^(٢)

* * *

٢٧ - وقال في قوله :

سَقَى الْغَيْثُ غَيْثًا وَارَتِ الْأَرْضُ شَخْصَهُ

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلَا قَطْرٌ ^(٣)

من قول شقيق بن سُلَيْكٍ العامري ^(٤)

* سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا *

* * *

٢٨ - وقال قوله :

أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا يَكُونُ لِأَثْوَابِ النَّدَى أَبَدًا نَشْرُ؟ ^(٥)

(١) صدره : « كشف الغطاء فأوقدني أو أحمدي » ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٤٣/٢ لم تكدي أي لم تعشق فظننت بي مثل ذلك . يقول : قد باح السر ، فإن شئت فقلو وإن شئت فذري .

(٢) ديوانه طبع الهند ١٢٠ « طول الهجر » الغرة : الغفلة عن تجربة الأمور . يقول : تذيقي العذاب بهجرها وتأتي ذلك بجهل عما ألاق ، فلو عرفت ذلك ما هجرتني » وما بين القوسين ليس في ك

(٣) ديوانه ٣٧٠

(٤) هذا يوافق ما في عيون الأخبار ٦٢/٤ وفي ط « عقيق بن سليك » وفي م ، ك « شقيق بن سليل الغاضري » وجاء في قصيدة لمهلل بن ربيعة يري أخاه كلياً :

سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا ويسراً حين يلتبس اليسار

(٥) ديوانه ٣٦٩ وهبة الأيام ١٤٦ و ط « لأثواب العلى »

من قول أبي نواس :

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرٌ^(١)

* * *

٢٩- وقال في قوله^(٢) :

* وَمَنْ الْعَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ^(٣) *

من قول المخبِّل :

لَنْ يَعْدَمَ الْغَاوَى عَلَى الْغَيِّ لَانِمًا وَإِنْ هُوَ لَمْ يُشْفِقْ عَلَيْهِ يُلُومُ^(٤)

* * *

٣٠- وقال في قوله^(٥) :

مَنْ شَرَّدَ الْإِعْدَامَ عَنْ أَوْطَانِهِ بِالْبَذْلِ حَتَّى اسْتَطْرَفَ الْإِعْدَامُ^(٦)

من قول الأعشى :

هُمْ يَطْرُدُونَ الْفَقْرَ عَنْ جَارِهِمْ حَتَّى يُرَى كَالْفُصْنِ النَّاصِرِ^(٧)

وفي بيت أبي تمام زيادةٌ حسنة ، وهي قوله : « حتى استطرف الإعدام » .

* * *

(١) ديوانه ١٢٩ و ١٠٨ طبع الحلبي وأخبار أبي نواس ٧٠/١ والنقد ٢٥٤/٣

(٢) ط « وقوله أيضاً »

(٣) في ديوانه ٤٩٩

عمرى لقد نصح الزمان وإنه لمن العجائب ناصح لا يشفق

(٤) حماسة البحري ٢٣٦ و ط « ولا يعدم »

(٥) ط « وأخذ قوله »

(٦) ديوانه ٢٨٠

(٧) ديوانه . . .

٣١- وقال في قوله :

حَلَفْتُ ، إِنْ لَمْ تَثْبُتْ ، أَنَّ حَافِرَهُ
مِنْ صَخْرٍ تَدْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانَ^(١)

من قول الآخر :

لَوْ أَنَّ حَافِرُ بَرْدَوْنِي كَأَوْجُهُكُمْ
بَنَى بُدَيْلٍ لَمَا أُنْعَلْتُهُ أَبَدًا^(٢)

[باب]

ومما نسبته ابن أبي طاهر فيه إلى السَّرْق وليس بمسروق ؛ لأنه مما يشترك
النَّاسُ فيه من المعاني ، ويجرى على ألسنتهم .
ومنه ما نسبته إلى السَّرْق والمعنيان مختلفان .

٣٢- [فمما نسبته إلى السرق وليس بمسروق] قول أبي تمام :

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ الْجُودِ مِنْ زَمَنِ فَقَالَ لِي : لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ^(٣)
وقال : أخذه من [قول] العتَّابي :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورٌ^(٤)

ومثل هذا لا يقال فيه مسروق ؛ لأنه قد جرى في عادات الناس - إذا
مات الرجل من أهل الفضل والخير ، وأثنى عليه بالجميل - أن يقولوا : ما
مات مَنْ خَلَّفَ مِثْلَ هَذَا الثَّنَاءِ ، ولا من ذُكِرَ بِمِثْلِ هَذَا الذِّكْرِ . وذلك شائع
في كل أمة ، وفي كل لسان^(٥) :

(١) ديوانه ٢٠١ طبع مصر والصناعتين ٣٩٩ والعمدة ٣٨/٢ وديوان المعاني ١٩٨/١ وزهر
الأدب ١٠١٥/٢ ومعجم الأدباء ٢٥٠/١٩ وأبزار أبي تمام ٦٨ وإعجاز القرآن ١٥٨ ويريد
بعثمان : عثمان بن إدريس السامي .

(٢) ط « لو كان »

(٣) ديوانه ٣٨٧ وط « مذ زمن »

(٤) في الكامل ١١٩٧/٣ من أبيات لقطرب فيما يرى الأخفش .

(٥) م « كل إنسان »

٣٣- وقول أبي تمام :

إِذَا عُثِيتُ بِشْيٍ خِلْتُ أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُهُ ، أَدْرَكْتَنِي حِرْفَةُ الْأَدَبِ^(١)
قال : أخذه من قول الخريمي :

أَدْرَكْتَنِي - وَذَاكَ أَوَّلُ دَائِي - بِسَجِسْتَانٍ ، حِرْفَةُ الْأَدَابِ^(٢)
و « حرفة الآداب » لفظة قد اشترك فيها الناس ، وكثرت على الأفواه ،
حتى سقط أن [نظن أن] واحداً يستملها من آخر .
هذا قول ابن أبي طاهر ، ولم يقل أبو تمام : « أدركتني حرفة الأدب » ؛
إنما قال : « أدركتني حرفة العرب » . وقد ذكرت غلطه في هذه اللفظة
عند ذكر البيت في الموازنة .

* * *

٣٤- وقال في قوله :

لَوْ يَعْلَمُ الْعَاقُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ أَوْ فَرْحَةٍ ، لَمْ تُحْمَدِ^(٣)
أخذه من قول بشار :

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْ فِ ، وَلَكِنْ يَلْذُّ طَعْمَ الْعَطَاءِ^(٤)
وما إخاله احتذى في هذا البيت^(٥) على قول بشار : لأن بشاراً قال :
[إنه] ليس يعطيك رغبة في جزاء يرجوه ولا خيفة من مكروهه ، ولكن
لالتذاذه العطية .

(١) ديوانه ٤٧١ « عنيت لشار »

(٢) ط « بذلك أولى دائمى »

(٣) شرح التبريزي ٥٢١/٢ وهامش ك « لذة وقريحة » وفي ديوانه ١١٣ « من فرحة وقريحة لم
تحمد » بالخاء المعجمة ، وهو تحريف ، وإن خرج الشيوخ محبى الدين ناسراً ط « على أن هذه الجملة صفة
لقريحة ! »

(٤) ديوانه ١١١/١ والأغانى ٤٤/٣ والمختار من شعر بشار ٩٣

وأراد أبو تمام أن الطالبين لو علموا التذاذه للندى لم يحمده . فالمعنيان إنما اتفقا من طريق التذاذ المدوح بعطائه فقط . وهذا ليس من بدیع المعاني التي يختص بها شاعر [دون غيره] ، فيقال : إن واحداً أخذه من الآخر ؛ لأن العادة جارية بأن يقال : فلان لا يعطي متكارهاً ولا متكلفاً ؛ بل يُعطي عن نية صادقة ، ومحبة لبذل المعروف تامة . ونحو هذا من القول .

* * *

٣٥- وقال في قوله :

* لَوْ كَانَ يَنْفُخُ قَيْنُ الْحَيِّ فِي فَحَمٍ ^(٢) *

من قول الأغلب :

قَدْ قَاتَلُوا لَوْ يَنْفُخُونَ فِي فَحَمٍ مَا جَبُنُوا وَلَا تَوَلَّوْا مِنْ أَمَمٍ ^(٣)
وهذا معنى شائع من معاني كلام ^(٣) العرب ، وجارٍ في الأمثال أن يقولوا :
قد فعلت كذا ، واجتهدت في كذا لو كنت أنفخ في فحم ؛ لأن النفخ في الفحم يُحيي النار ويشعلها ، والنفخ في حطب - ليس بفحم ^(٤) ولا أَخَذَتِ النار فيه - لا يُورِي ناراً .

* * *

٣٦- وقال في قوله :

* وَالْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَمُؤُلِ *

(١) ليست في م

(٢) صدره « لم يالكُم مالك صفحاً ومغفرة » ديوانه ٢٦٩

(٣) في اللسان ٣٤٤/١٥ « وفي المثل : لو كنت أنفخ في فحم ، أي لو كنت أعمل في عائدة ، قال الأغلب العجلى : هل غير غارهد غاراً فأنهدم * قد قاتلوا لو ينفخون في فحم * وصبروا لو صبروا على أمم * يقول : لو كان قتالهم يغني شيئاً ، ولكنه لا يغني ، فكان كالذي ينفخ ناراً ولا فحم ولا حطب ، فلا تنقد النار . يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لا يجدي عليه » وانظر مجمع الأمثال ١٨٦/٢

وإصلاح المنطق ١١٠

(٤) من ك

(٥) ط « بفحم إذا أخذت » وهو تحريف يفسد المعنى .

من قول محمود^(١) :

فَارْغَبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ ، وَلَا تَكُنْ

بَادِي الضَّرَاعَةِ طَالِباً مِنْ طَالِبِ

ومثل هذا لا يكون مسروقاً ؛ لأنه جار على الألسن أن يقال : وقع سائل على سائل ، ومُجْتَدٍ على مجتد^(٢) ، ووقع البائس على الفقير ، وأمثال هذا .

* * *

٣٧- وقال في قوله :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌ آلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهَوَ حَضِيضٌ^(٣)

من قول أعرابي :

هِمَّتُهُ قَدْ عَلَتْ وَقُدْرَتُهُ فِي اللَّحْدِ بَيْنَ الثَّرَى مَعَ الْكَفَنِ^(٤)

وهذا أيضاً من المعاني المشتركة الجارية في العادة أن يقولوا : همته في علاء وجدته في سفال ، وهمته ناطقة وجدته أخرس ، وهمة ذات حراك وجدته ساكن ، وهمة فلان ترفعه وجدته يَضَعُه ، وأشباه هذا .

* * *

٣٨- [ومما نسبته إلى السرق والمعنيان مختلفان قوله] :

تُقْبَلُ الرُّكْنُ رُكْنَ الْبَيْتِ نَافِلَةً وَظَهَرُ كَفِّكَ مَعْمُورٌ مِنَ الْقُبُلِ^(٥)

[وزعم أنه] من قول عبد الله بن طاهر :

أَعْلَتْ لَهُ ذِكْرُهُ فَكَافَأَهَا بِأَنْ تَوَالَتْ فِي ظَهْرِهَا الْقُبُلُ^(٦)

(١) هو محمود الوراق .

(٢) في الطبعة الثانية من ط « ومجتهد على مجتهد » وهو تحريف واضح الفساد .

(٣) ديوانه ١٨١ وشرح التبريزي ٢٨٩/٢ والصناعتين ٢٢٦ وأخبار أبي تمام ٨٧ والموشح ٣٣٢

وديوان المعاني ١٠٩/١ والوساطة ٣٥٠

(٤) البيت غير منسوب في شرح التبريزي ٢٨٩/٢

(٥) ديوانه ٢٥١

(٦) ط « مكافأة بأن توالى »

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر قَبْل الكف . وهذا ليس من المعاني
المبتدعة ؛ لأنَّ الناس أبداً يقولون : ما خلُق وجهه إلا للتحية وكَفَّه
إلا للتقبيل ^(١) .

كما قال دِعْبِل :

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهِرُهَا لِلْقَبْلِ ^(٢)

ومثل هذا مما نطقوا به كثيراً ؛ فلا يكون عندي مسروقاً ^(٣)

٣٩- وقال في قوله :

نَظَرْتُ فَالْتَفَتْتُ مِنْهَا إِلَى أَحَدٍ لِي سَوَادٍ رَأَيْتُهُ فِي بَيَاضٍ ^(٤)

من قول كثير :

وَعَنْ نَجْلَاءٍ تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ

وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر البياض والسواد ، والألفاظ غير
محظورة . وأبو تمام إنما ^(٥) قال : « فالتفت منها إلى أحلى سواد » يعنى
حدقتها ، « في بياض » يعنى شحمة عينها . [وهذا هو الصحيح ، وقد قيل :
سواد عينها] ^(٦) في بياض وجهها ، وكثير أراد أن عينها تدمع في بياض إذا
دمعت ، يريد خدّها ، وتنظر في سواد ، يريد حدقتها . وهذا المعنى ^(٧)
غير ذاك .

(١) ط « القبيل »

(٢) البيت لإبراهيم بن العباس الصولي في الأغاني ٢٩/٩ وديوان المعاني ٢١٥/٢ والصناعتين

٢٢٤ وحامسة ابن الشجرى ١١٥ وزهر الآداب ٣٠١/١ ونهاية الأرب ٩٤/٢

(٣) م « فلا تكون مسروقة »

(٤) ديوانه ١٨٧ وشرح التبريزي ٣٠٩/٢

(٥) ليست في م

(٦) الزيادة من ط

(٧) ليست في م

* * *

٤٠- وقال في قوله :

كَمْ مِنْ يَدٍ لَوْلَا مَا أَخَفَّفَهَا بِهِ مِنَ الشُّكْرِ لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُطَقِ^(١)
 بِاللَّهِ أَذْفَعُ عَنِّي ثِقَلِ فَادِحِهَا فَإِنِّي خَائِفٌ مِنْهَا عَلَى عُنُقِ^(٢)
 من قول أبي نواس^(٣) :

لَا تُسَلِّدِينَ إِلَى عَارِفٍ هُتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا^(٤)
 [والمعنيان مختلفان : لأن أبا نواس قال] :
 أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَلْتَنِي نِعْمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا^(٥)
 فذكر أن نِعَم المدوح قد غلبت الشكر ، فاستغفاه^(٦) من نعمة أخرى
 حتى يقوم بشكر السالفة .

وأبو تمام قال : لولا ما أخففها به من الشكر لم أطق حملها ، ثم أحسن
 وألطف في قوله : « فَإِنِّي خَائِفٌ مِنْهَا عَلَى عُنُقِي » .
 ومعنى أبي نواس أجود وأبرع .

* * *

٤١- وقال في قوله [ويدخل في الباب الأول] :

أَعْمِلِ التَّنْفَ وَالطَّلَاءَ وَقَدْماً كَانَ صَعْباً أَنْ تُشْعَبَ الْقَارُورَةُ^(٧)

(١) ديوانه ٢٠٩ وشرح التبريزي ٤٠١/٢ « يامنة لك »

(٢) ويروى « حق فادحها » قال الصولي : « وهذا البيت من الغاية التي لم يسبق إليها »

(٣) ط « أبي نواس والمعنيان مختلفان لأن أبا نواس قال » وهو اضطراب في نسق الكلام .

(٤) ديوانه ٧١ وقبله :

قد قلت للعباس معتذراً من ضعف شكره ومعتزفاً

والأبيات في ديوان المعاني ١٢٧/١ وعلق عليها أبو هلال بقوله : « وهو أول من أتى بهذا المعنى ،
 إلا أنه عبر عنه عبارة طويلة ، وأحد أدواء الكلام فضل ألفاظه على معانيه » وانظر زهر الآداب ٣٢٢/١
 والصناعتين ٢١٥ وشرح المقامات للشريشي ٢٦٨/١

(٥) ط « فقد »

(٦) في م ، ط : فاستغنى

(٧) ط « وقديماً »

من قول الأعشى :

كَصْدَعِ الزُّجَاجَةِ ١ لَا تَسْتَطِيعُ مَعَ كَفِّ الصَّنَاعِ لَهَا أَنْ تُحِيرَ ٢
وهذا معنى [مبتذل] متداول مشهور من معانيهم في الزجاج ، قد نطق
به الناس . وأكثروا فيه . حتى سقط . أن يقال : إن أبا تمام أخذه من
الأعشى ، وقد تقدم فيه المسيب بن علس ، فقال :
بَانَتْ وَصَدْعُ فِي الْفُؤَادِ لَهَا صَدْعَ الزُّجَاجَةِ لَيْسَ يَتَّفِقُ ٣
[وقال آخر :

* كصدع الزجاج لا يلتئم *

وقال آخر :

* مثل صدع الزجاج أعيا الصنعا *

وكما قال الآخر :

وَتَفَرَّقَتْ نِيَّاتُهُمْ فَتَصَدَّعُوا صَدْعَ الزُّجَاجَةِ مَا لَهَا تِفَاقٌ
ومثله كثير .

* * *

٤٢ - وقال في قوله :

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَامِ حَاكِمًا غَدَا الْعَقْوُ مِنْهُ وَهُوَ السَّيْفُ حَاكِمٌ ٤
من قول مسلم بن الوليد :

يَغْدُو عَدُوُّكَ خَائِفًا ؛ فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ ٥

(١) ديوانه ٦٧ « ما تستطيع » وفي ط بعد البيت : « قلت : وقد وقع في شعر الأعشى أيضاً قوله :

فبان في الصدر صدع لها كصدع الزجاج لا يلتئم

وهي زيادة كاتب على الكتاب أدخلها الناسخ والطابع في صلبه . وفي ديوان الأعشى ٢٨ « صدع بها »

(٢) في ط ، م « وصدع القلب كان لها » والبيت في الشعر والشعراء ١٣٠/١

(٣) ديوانه ٢٨٧

(٤) ط « يعلو » و م « على العفاف »

الموازنة - أول

والمعنيين مختلفان : لأن أبا تمام قال : إذا حكم سيف^(١) المدوح على
الهام حكم عفوه على السيف .

ومسلم قال : إن عدو المدوح يخافه ؛ فإذا رأى أن قد قدر على العقاب
رجاه ؛ فليس هذا المعنى^(٢) من ذلك في شيء .

* * *

٤٣ - وقال في قوله :

فإن هزئتُم سَلَلْنَاهَا وَقَدْ غَنَيْتُ دَهْرًا وَهَامُ بَنَى بَكْرٍ لَهَا غَمْدُ^(٣)
من قول سعد بن ناشب^(٤) :

فإن أَسْيَافَنَا بِيضٌ مُهَنَّدَةٌ عُنُقٌ ، وآثَارُهَا فِي هَامِكُمْ جُدْدُ^(٥)
والمعنيين مختلفان ؛ لأن أبا تمام قال : « وهام بني بكر لها غمد » ؛
وهذا قال : « وآثارها في هامكم جدد » فهذا غير ذاك .

[وقال في قوله :

رُمْنَا الصُّدُودَ فَلَمَّا اخْتَارَ أَلْفَتْنَا حَنَّتْ حَنِينِ عَجُولٍ بَيْنَنَا الرَّحِمُ
من قول الأسود بن يعفر :

سما بصرى لما عرفت مكانه وَأَطَتْ إِلَى الْوَاشِجَاتِ أَطِيطًا
فهذا قال : إنه لما عرفه أظت إليه الواشجات أى الحقوق والقراية والرحم ؛

(١) م « السيف »

(٢) ليست في م

(٣) م « فإن هزيت . . فقد » وفي ديوان المعاني ٥١/٢ :

وإن هزيت سَلَلْنَاهَا فَاغْمَدْتُ إِلَّا وَهَامُ بَنَى بَكْرٍ لَهَا غَمْدُ

(٤) م « ابن ثابت » وهو على الصواب في ديوان المعاني ٥١/٢

(٥) م « فإن . . بيضا » و ط « في هامهم »

أى حنت إليه . وأبو تمام قال : لما صددنا وفارقنا الألفة حنت بيننا الرحم
فهذا كقول قيس بن الخطيم في حربهم :
لما بدت نحونا جباههم حنت إلينا الأرحامُ والصُّحفُ
أى لما صافقونا للحرب حنت إلينا الرحم والصحف . يريد العهود ، والله
أعلم ^(١)

* * *

٤٤- وقال في قوله :

فلو كانت الأرزاق تجري على الحجي هلكن إذا من جهلهم البهائم ^(٢)
من قول أبي العتاهية :

إنما الناس كالبهائم في الرزق ق ، سواء جهولهم والحليم ^(٣)
وبين المعنيين خلاف ؛ لأن أبا العتاهية أراد أن رزق كل نفس يأتيها
جاهلة كانت أو حليمة ^(٤) كما يأتي البهائم ، وهذا قائم في الفطر والعقول ؛
تتفق ^(٥) الخواطر في مثله .

وأبو تمام قال : إن الرزق لو جرى على قدر العقل ^(٦) لهلكت البهائم
[من جهلها] . وهذه زيادة في المعنى حسنة ، وإن كان إلى معنى ^(٧)
أبي العتاهية يؤول .

* * *

(١) ما بين القوسين من ك

(٢) ديوانه ٢٨٦ « كانت الأقسام » وفي م « الأقدار »

(٣) ديوانه ص ٣٤٠ . جامعة دمشق

(٤) ط « أو عالمة » !

(٥) ط « فتتفق »

(٦) ط « قدر أهله »

(٧) ط « إلى مذهب »

٤٥- وقال في قوله :

وَأَشْجَيْتُ أَيَّامِي بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِي وَعَوَاقِبُهُ ، وَالصَّبْرُ مُرٌّ عَوَاقِبُهُ
[كذا رواه ابن أبي طاهر]^(١) .

من قول أبي الشَّيْص :

يُصْبِرُنِي قَوْمٌ بَرَاءٌ مِنَ الْهَوَى وَلِلصَّبْرِ تَارَاتٍ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
فَقُولُ^(٢) النَّاسُ : الصَّبْرُ مَرٌّ ، وَالصَّبْرُ كَاسِمُهُ صَبْرٌ . وقولهم : الصَّبْرُ
مَحْمُودُ الْعَاقِبَةِ ، وَإِنْ كَانَ مَرًّا . لا يكون [مثل هذا]^(٣) مسروقاً^(٤) فيقال :
إِنْ وَاحِدًا أَخَذَهُ مِنْ آخِرٍ ، فَقَالَ أَبُو الشَّيْص^(٥) : إِنْ لِلصَّبْرِ تَارَاتٍ يَكُونُ
فِيهَا أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ ، أَيْ : لَهُ تَارَاتٍ يَكُونُ فِيهَا شَدِيدَ الْمَرَارَةِ . وقال
أَبُو تَمَامَ^(٦) : أَشْجَيْتُ أَيَّامِي بِصَبْرٍ حَلَّتْ لِي عَوَاقِبُهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَالصَّبْرُ مَرٌّ
عَوَاقِبُهُ ، يَرِيدُ فِي الْحَلْقِ [أَيْ] لَوْ جَرَعْتَهُ لَكَانَ مَقْطَعُهُ شَدِيدَ الْمَرَارَةِ ؛ وَإِنَّمَا
قَالَ هَذَا لِيَجْمَعَ^(٧) فِي الْبَيْتِ^(٨) حَلَاوَةَ عَوَاقِبِهِ وَمَرَارَةَ عَوَاقِبِهِ .
هذا تفسيره على ما رواه ابن أبي طاهر ، ولم يقل أبو تمام : وَالصَّبْرُ مَرٌّ
عَوَاقِبُهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ : « وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ صَبْرٌ »^(٩) .

* * *

(١) بعد هذا في هامش ك : ع كذا رواه ابن أبي طاهر وهو في شعره : « وَالصَّبْرُ مِثْلُ

اسمه صبر »

(٢) م « فيقول »

(٣) من ك

(٤) م « لا يكون مثل هذا مسروقاً »

(٥) ط « وقول أبي الشَّيْص »

(٦) ط « وقول أبي تمام » وفي ك : وقال أبو تمام : إِنْ أَشْجَيْتُ

(٧) ط « ليجتمع له »

(٨) من ك

(٩) ديوانه ٤٧٥

٤٦- وقال في قوله :

لئن ذمّت الأعداء سوء صباحها فليس يؤدّي شكرها الذئب والنسر^(١)

من قول مسلم [بن الوليد] :

لو حاكمتك فطالبتك بذخلها شهدت عليك ثعالب ونسور^(٢)

وذكر وقوع الذئب وغيرها والنسور وما^(٣) سواها من الطير على القتلى -

معنى متداول ومعروف ، وهو في بيت أبي تمام غيره في بيت مسلم ؛ لأن مسلماً

قال للمدوح : لو حاكمتك - يريد الفرقة أو العصب التي لقيتكَ - في

مطالبتك بمن قتلت منها ، لشهدت عليك الثعالب والنسور .

وأبو تمام قال على سبيل الاستهزاء : لئن ذمّت الأعداء سوء صباحها ،

فليس يؤدّي الذئب والنسر شكرها ؛ لكثرة ما أكل منها . وهذا المعنى^(٤) غير

ذاك^(٥) ، والله أعلم .

(١) ديوانه ٤٧٧

(٢) ديوانه ١٢٥ . « عليك ملاحم » وفي م « مطالعتك بذخلها »

(٣) م « وما »

(٤) م « من أكل . . فهذا معنى »

(٥) جاء في ك بعد ذلك : « تم الجزء الأول من الموازنة ، على ما جزأه مؤلفه ، والحمد

لله كثيراً ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، وسلم تسليماً »

Handwritten text in Arabic script, mostly illegible due to extreme fading and bleed-through from the reverse side of the page. The text appears to be a continuous paragraph or a list of items.



الجزء الثاني

Handwritten text in Arabic script, mostly illegible due to extreme fading and bleed-through from the reverse side of the page. The text appears to be a continuous paragraph or a list of items.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
 [قال أبو القاسم : الحسن بن بشر بن يحيى الأمدى عفا الله عنه] ^(١) :
 قد ذكرتُ في الجزء الأول احتجاج كل فرقة من أصحاب أبي تمام ^(٢)
 والبُخترى على الأخرى في تفضيل أحدهما على الآخر ، وقلت : إني أبتدىء
 - بعد هذا ^(٣) - بذكر معابيهما ؛ لأختم الكتاب بوصف محاسنهما ؛ فأتبعت
 ذلك بما خرّجته من سرقات أبي تمام وبيّضت آخر الجزء لألحق به ما وجدته
 منها في دواوين الشعراء فعلمت عايه ، وما [لعل] أجده بعد ذلك ؛ فإنه
 كثير السرق [جدا] .

وقد سمعت أبا علي : محمداً بن العلاء السجستاني يقول : إنه ليس له
 معنى انفراد [به] واختراعَه إلا ثلاثة معان ، وهى قوله :
 تَأْبَى عَلَى التَّصْرِيدِ إِلَّا نَائِلًا إِلَّا يَكُنْ ماءً فَرَاخًا يُمَذَّقِ ^(٤)
 نَزْرًا كَمَا اسْتَكْرَهْتَ عَائِرَ نَفْحَةٍ مِنْ فَاةِ الْمِسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ ^(٥)

(١) الزيادة من ط

(٢) ط ، ك « تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحرى »

(٣) ط « هذا الباب »

(٤) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزى ٤٠٧/٢ والتصريد : قطع الشرب وتنقيصه . والقراح من الماء
 الخالص الذى لا يمزجه غيره . « يقول : تأبى هذه المرأة المحبوبة مع تقليلها النوال ، إلا نيلا مملوفاً غير
 خالص ، ووصلا مشوباً بالامتناع ، فلا تصافى الرجال ولا تترك الإطعام ، فيكون حبيبها أبداً معذباً من
 جهتها » ويروى « باتت على التصريد » وفى م ، ك « إلا يكن محضاً فراخاً تمذق »

(٥) قال التبريزى : « أى نيلها عندى قليل كأنه عائر من ريح فاة المسك . والعائر : أصله في
 الخيل والسهام ، يقال : فرس عائر : إذا ذهب على وجهه في الأرض . ويروى : « نزرًا كما استنبتت »
 أى عطاء نزرًا لا غناء فيه كالرائحة التى تفلت من فاة مسك لم تفتق ، أى بعد نائلها كشمة من هذه الفاة ،
 ولا تغنى هذه الشمة غناء ، فكذلك نائلها »

وقوله :

بَنَى مَالِكٌ قَدْ نَبَّهَتْ خَامِلَ الثَّرَى قُبُورُكُمْ مُسْتَشْرِفَاتُ الْمَعَالِمِ^(١)
رَوَاكِدُ قَيْسٍ الْكَفَّ مِنْ مُتَنَاوِلٍ وَفِيهَا عَلَى لَا تُرْتَقَى بِالسَّلَالِمِ^(٢)

وقوله :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاخَ لَهَا لِسَانُ حُسُودِ^(٣)
لَوْ لَا اشْتَعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ
وَلَسْتُ أَرَى الْأَمْرَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ ، بَلْ أَرَى أَنَّ لَهُ - عَلَى كَثْرَةِ مَا
أَخَذَهُ مِنْ أَشْعَارِ النَّاسِ وَمَعَانِيهِمْ - مُخْتَرَعَاتٍ كَثِيرَةً ، وَبِدَائِعَ مَشْهُورَةٍ ، وَأَنَا
أَذْكُرُهَا عِنْدَ ذِكْرِ مُحَاسِنِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

[وَأَمَّا هَذَانِ الْمَعْنِيَانِ فَقَدْ رَأَيْتُ مَثْلَهُمَا فِي أَشْعَارِ النَّاسِ وَلَعَلِّي أَنْ أَخْرِجَهُمَا
فِيمَا أَخْرَجَ مِنْ سَرَقَاتِهِ]^(٤) .

ومع هذا فلم أرَ المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير
عيوبه ؛ لأنه بابٌ ما يَعْرِى مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ إِلَّا الْقَلِيلُ ، بَلِ الَّذِي وَجَدْتُهُمْ
يَعْيِبُونَهُ^(٥) كَثْرَةَ خَطَايَاهُ وَإِخْلَالِهِ وَإِحَالَاتِهِ^(٦) ، وَأَغَايِلُهُ فِي الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ
وَتَأَمَّلْتُ الْأَسْبَابَ الَّتِي أَدَّتْهُ إِلَى ذَلِكَ فَإِذَا هِيَ مَا رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ
ابْنُ دَوَادٍ بِنُ الْجَرَّاحِ فِي كِتَابِ « الْوَرَقَةِ » عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ
عَنْ حَذِيفَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٧) [الطَّائِي] أَنَّ أَبَا تَمَامٍ يَرِيدُ الْبَدِيعَ فَيُخْرِجُ إِلَى

(١) ديوانه ٣٨٦

(٢) في الديوان : « رَوَاكِدُ قَيْدِ الشَّرِّ »

(٣) ديوانه ٨٥ وشرح التبريزي ٤٠٢/١

(٤) ما بين القوسين من كـ

(٥) في كـ : « يَنْمُونَهُ »

(٦) ط « وَجَدْتُهُمْ يَنْمُونَهُ عَلَيْهِ كَثْرَةَ غَلْطِهِ وَإِحَالَاتِهِ »

(٧) ط « بَنَى أَحْمَدُ »

وهذا نحوه ما قاله أبو العباس : عبد الله بن المعتز بالله في كتابه الذي ذكر فيه البديع^(٢) .

وكذلك ما رواه محمد بن دواد عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن أبيه : أن أول من أفسد الشعر : مُسَام بن الوليد ، وأن أبا تمام اتبعه وسلك في البديع مذهبه فتحير فيه . كأنهم يريدون إغراقه في طلب^(٣) الطَّبَاق والتجنيس والاستعارات ، وإسرافه في التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها ، حتى صار كثير مما أتى [به] من المعاني لا يُعَرَف ولا يعلم غرضه فيها إلا بعد الكد والفكر وطول التأمل ، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدس ، ولو كان أخذ عَفْو هذه الأشياء ولم يُوْغَل فيها ، ولم يجاذب الألفاظ والمعاني مجاذبة ويفتسرها مكارهة ، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجمامه^(٤) غير مُتَعَب ولا مكدود ، وأورد من الاستعارات ما قُرِب وحسن^(٥) ، ولم يُفَحِّش ، واقتصر من القول على ما كان محدثاً [على] حَدِّو الشعراء المحسنين - ليسلم من هذه الأشياء التي تُهَجِّن الشعر وتذهب بمائه ورونقه ، ولعل ذلك أن يكون ثلث شعره أو أكثر منه - لظننته كان يتقدم عند أهل العلم بالشعر أكثر الشعراء المتأخرين ، وكان قليله حينئذ يقوم مقام كثير غيره ؛ لما فيه من لطيف المعاني ومستغرب الأوصاف^(٦) ، لكنه شَرِه إلى إيراد

(١) هذا النص من الأقسام الضائعة من كتاب الورقة . وقد ذكر المؤلف فيما مضى ص ١٩

(٢) البديع ٥٥

(٣) ط « إسرافه في طلب »

(٤) ط « بجمامه » !

(٥) في ط ، م : « قرب في حسن »

(٦) في ط ، م « الألفاظ لكن »

كل ما جاش به خاطره وَلَجَلَجَهُ فكرُهُ ، فحَلَطَ الجيدَ بالردىء ، والعينَ النادرَ بالرَّذَلِ الساقط ، والصوابَ بالخطأ . وأفرط المتعصبون له في تفضيله ، وقدموه على من هو فوقه من أجل جیده ، وسامحوه في رديئه ، وتجاوزوا له عن خطائه ، وتناولوا له التأولَ البعيد فيه . وقابل المنحرفون عنه إفراطاً بإفراط فبَحَسُوهُ حقّه ، واطَّرحوا إحسانه ، ونَعَوْا سيئاته ^(١) ، وقدموا عليه مَنْ هو دونه . وتجاوز بعضهم ذلك إلى القدح ^(٢) في الجيد من شعره ، وطعن فيما لا مطعن عليه فيه ^(٣) ، واحتجَّ بما لا تقوم حجة به ، ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولاً حتى أَلَفَ فيه ^(٤) كتاباً ، وهو أبو العباس : أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف بالعزيز ^(٥) ، ثم ما علمته وضع يده من غلظه وخطائه إلا على أبيات يسيرة ، ولم يُقَمِّ على ذلك ^(٦) الحجة ، ولم يهتد لشرح العلة ، ولم يتجاوز فيما نعاها ^(٧) بعدها عليه الأبيات التى تتضمن بعيداً ^(٨) الاستعارة وهجين اللفظ . وقد بينت غلظه ^(٩) فيما أنكر [عليه] من الصواب في جزء مفرد ^(١٠) « إن أَحَبَّ القارئ [له] أن يجعله من جملة بهذا الكتاب ويوصله بأجزائه فَعَلَّ ذلك إن شاء الله تعالى : فإن الذى ^(١١) تضمن يدخل في محاسن أبى تمام التى ذكرتُ أنى أَختم كتابى هذا بها وبمحاسن البحترى .

— * * *

(١) فى ك « إساءاته »

(٢) م « وبعضهم تجاوز ذلك أن قدح »

(٣) فى ط ، م « فيما لا يطعن فيه »

(٤) ط « ألف فى ذلك »

(٥) ط « المعروف بالفريد »

(٦) م ، ك « لم يقم فيها على الحجة »

(٧) م « بغاه »

(٨) ط « بعد »

(٩) ط « خطاه »

(١٠) م « جزء مطرد »

(١١) ط « فالذى »

وأنا الآن أذكر ما غلط فيه أبو تمام من المعاني والألفاظ ، مما أخذته من أفواه الرجال وأهل العلم بالشعر عند المذاكرة والمفاوضة ، وما استخرجته أنا من ذلك واستنبطته ، بعد أن أسقطت منه كل ما احتل التأويل ، ودخل تحت المجاز ، ولأحت له أدنى علة .

* * *

وأنا أبتدىء بالأبيات التي ذكرت أن أبا العباس أنكرها ، ولم يُقَمِّم الحجة^(١) على تبين عيبها وإيضاح الخطأ فيها ، ثم استقصى الاحتجاج في جميع ذلك ؛ لعلمي بكثرة [المعارضين و] مَنْ لا يجوز على [هذا] الشاعر [الغلط] ، ويوقع له التأول البعيد ، ويورد الشبه والتمويه . وبالله أستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

١ - أنكر أبو العباس : أحمد بن عبيد الله على أبي تمام قوله :
هاديه جذع من الأراك ، وما تحت الصلا منه صخرة جَلَسُ^(٢)
وقال : هذا من بعيد خطائه أن شبه عنق الفرس بالجذع ، ثم قال « جذع من الأراك » ومتى رأى عيدان الأراك تكون جذوعاً ؟ أو تشبه بها أعناق^(٣) الخيل !

وأخطأ أبو العباس في إنكاره على أبي تمام أن شبه عنق الفرس بالجذع ، وتلك^(٤) عادة العرب ، وهو في أشعارها أكثر من أن يحصى ، وقد بينت ذلك فيما غلط فيه أبو العباس على أبي تمام .

(١) سقطت من م ، ك

(٢) ديوانه ١٦٧ وشرح التبريزي ٢٢٦/٢ « خلف الصلا » وهاديه : عنقه ، والعرب تشبه هودى الخيل بمجنوع النخل ، وإنما اختار الطائي جذع الأراك لأنه أملس . والصلا : واحد الصلويين وهما عظماء يكتنفان الذنب . وصخرة جلس : أى صلبة ثقيلة

(٣) م « وتشبه بأعناق »

(٤) ط « وذلك »

وأصاب أبو العباس في إنكاره أن تكون عيدان الأراك جذوعاً ، وإن لم يلخص المعنى ؛ لأن عيدان الأراك لا تَغْلُظُ حتى نصير كالجذوع ، ولا تقاربها .

فإن قيل : فإن الشجرة من الأراك قد تعظم حتى تصير دَوْحَةً يَسْتَظِلُّ بها الجماعة من الناس والسَّربُ من الوحش ، وذلك معروف موجود ، وقد قال الراعي :

غذاه وَحَوْثُ الشَّرَى فوق مَتْنِهِ مَدَبُ الْإِنِّي وَالْأَرَاكُ الدَّوَانِحُ^(١)
والدَّوَانِحُ [وهي] الْعِظَامُ منه ، جمع دَوْحَةٍ .

قيل : إن الأمر وإن كان كذلك في بعض شجر الأراك من علوها وتشعب أغصانها ، فإن قائم الشجرة وعيدانها لا يغلظ ولا يمتلئ امتلاءً يقارب الجذوع ولا ما هو دونها في الغلظ . ولو انتهت إلى هذه الحالة - وذلك غير معلوم - لما قيل لها أيضاً جذوع ؛ لأن الجذوع إنما هي للنخل^(٢) فقط . وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة [أيضاً : جذع] قال الراجز :
بِكَلِّ طَرْفِ أَعْوَجِيَّ صَهَّالٍ يَمْشِي إِذَا مَا قِيدَ مَشَى الْمُخْتَالِ^(٣)
« تحت هَوَادٍ كَجُذُوعِ الْأَوْقَالِ »

فقال : « كجذوع الأوقال » جمع وقلة وهي شجرة المقل ؛ لأن فيها شبيهاً من النخل من جهة الخوص والليف .
فإن قيل : ففقد قال ذو الرمة :

(١) في اللسان ٢٦١/٣ « غداة »

(٢) ط « الجذع إنما هو للنخلة »

(٣) أعوجي : فرس منسوب إلى أعوج ، وهو حصان تنسب الخيل الكرام إليه . والهادي : العنق ، وجمعه هواد .

وَهَادِ كَجِذْعِ السَّاجِ سَامٍ يَقُودُهُ مُعَرِّقُ أَحْنَاءِ الصَّبِيِّينِ أَشْدَقُ^(١)
 قيل : ذو الرمة إنما قال ذلك على التشبيه ؛ لأن العود من الساج يشبه
 الجذع المنحوت في غلظه وهيئته ، وعود الأراك من أبعاد شيء من ذلك ؛
 لأنه لا يمتد ولا يستوى استواء الجذع ولا غيره من أجناس الشجر التي تمتد
 أبدانها علواً امتداداً مستوياً ، وذلك لدقته وشدة التوائه وتشعبه .

* * *

٢- وأنكر أبو العباس قول أبي تمام :
 رَقِيقُ حَوَاشِيِ الْحِلْمِ لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفْمَيْكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ^(٢)
 وقال : هذا [و] الذي أضحك الناس منذ سمعوه [و] إلى هذا
 الوقت . ولم يزد على^(٣) هذا شيئاً .
 والخطأ في هذا [البيت] ظاهر ؛ لأن^(٤) ما علمت أحداً من شعراء
 الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقعة ، وإنما يوصف بالعظم والرجحان والثقل
 والرزانة ، ونحو ذلك ، كما قال النابغة :
 وَأَعْظُمُ أَحْلَاماً وَأَكْثَرُ سَيِّداً وَأَفْضَلُ مَشْفُوعاً إِلَيْهِ وَشَافِعاً^(٥)
 وكما قال الأخطل :
 شَمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظُمُ النَّاسِ أَحْلَاماً إِذَا قَدَرُوا^(٦)

(١) ديوانه ٣٩٧ والصناعتين ٧٢ والسامى : المرتفع ، والمعوق : الذاهب اللحم ، والأحناء :
 جمع حنو وهو الجانب . والصبيان : جانباً اللحين الأسفلين . والأشدق : واسع الشدق . وفي م
 « معرض أحناء »

(٢) ديوانه « أن خلقه » وفي الوساطة ٧٦ والصناعتين ١١٩ وشرح التبريزي ٨٨/٢ « حلمه »
 وفيه وفي هامشه كلام كثير حول هذا البيت للمرزوقي وابن السيد البطليوسي وابن المستوفي وابن قتيبة

(٣) م « وكم يرد » وهو تعريف

(٤) م « إني »

(٥) ديوانه ٧٤ وفي ط والصناعتين ١١٩ نقلاً عن الموازنة « وأكبر سيدي »

(٦) ديوانه ١٠٤ والأغاني ٥/١٠ والشعر والشعراء ٤٧٠/١ والصناعتين ١١٩

وكما قال أبو ذؤيب :

وَصَبْرٌ عَلَى حَدَثِ النَّائِبَاتِ وَحِلْمٌ رَزِينٌ وَقَلْبٌ ذَكِيٌّ^(١)

وكما قال عدى بن الرقاع في مثل ذلك :

أَبَتْ لَكُمْ مَوَاطِنُ طَيِّبَاتٍ وَأَحْلَامُ لَكُمْ تَزْنُ الْجِبَالَا^(٢)

وقال عدى أيضاً :

فِي شِدَّةِ الْعَقْدِ وَالْحِلْمِ الرَّزِينِ وَفِي الْإِ
قْوَالِ الثَّبِتِ إِذَا مَا أَسْتُنْصِتَ الْكَلِمُ

وقال :

الْجَامِعُ الْحِلْمُ الْأَصِيلَ وَسُودَدَا غَمْرًا يُعَاشُ بِهِ وَحِكْمَةٌ حَازِمٌ^(٣)

وقال :

قَرَمَ لَهُ مَعَ دِينِهِ وَتَمَامِهِ حِلْمٌ إِذَا وَزَنَ الْحُلُومُ ثَقِيلٌ^(٤)

وقال الفرزدق :

أَحْلَامُنَا تَزْنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَحْلُلُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ^(٥)

وقال أيضاً :

إِنَّا لَتُوزَنُ بِالْجِبَالِ حُلُومُنَا وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجَهَالِ^(٦)

وكما قال الآخر :

وَعَظِيمُ الْحِلْمِ لَوْ وَازَنَتْهُ بِشَبِيرٍ أَوْ بِرَضْوَى لَرَجَحَ

(١) ديوان الهذليين ٦٨/١ والصناعتين ١١٩

(٢) الصناعتين ١٢٠

(٣) ط « يقاس به »

(٤) القرم : السيد

(٥) ديوانه ٧١٧

(٦) ديوانه ٧٣٠ والصناعتين ١٢٠ وفي مجموعة المعاني ٤٥ « وقال حسان بن حنظلة :

أَحْلَامُنَا تَزْنُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَيَزِيدُ جَاهِلُنَا عَلَى الْجَهَالِ

ومثل هذا كثير في أشعارهم ، ألا ترامم ^(١) إذا ذموا الحلم كيف يصفونه
بالخفة فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خَفَّ حلمه [وطاش حلمه]

وقال عياض بن كثير الضبي :

تَنَابِلَةُ سُودٍ خِصَافٍ حُلُومُهُمْ ذَوَى سَرَبٍ فِي الْحَيِّ يَغْلُو وَيَطْرُقُ ^(٢)

[وقال عُقَيْبَةُ ^(٣) بن هبيرة الأسدي :

أَبْنُو الْمَغِيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ يَا لِلرُّجَالِ لِيَخْفَةَ الْأَحْلَامُ ^(٤)

وقال قُدُّ بْنُ مَالِكٍ ^(٥) الأسدي

كَأَنَّ جَرَادَةً صَفْرَاءَ طَارَتْ بِأَحْلَامِ الْغَوَاضِرِ أَجْمَعِينَ

جعلها صفراء لأنها ذكر ، وهو ^(٦) أسرع من الأنثى وأخف .

وقال ابن قيس الرقيبات ، ووجدتها في ديوانه ، والصحيح أنها ^(٧)

لأبي العباس الأعمى :

(١) ط « ألا ترى أنهم إذا »

(٢) الصناعتين ١٢٠ وفي ط ، ك « قبائله سود ... ذوو نيرب » والشرب : المسك في خفية . والنيرب : الشر والنعمة .

(٣) في الحيوان ١٩٢/٣ « عقبه عليه الأستاذ » وعقب عليه الأستاذ « عبد السلام هارون » بقوله : « لم أر له ذكراً فيما لدى من المراجع » وكذلك ورد في الكتاب لسيبويه ٣٤/١ ، ٣٥ ولعقبة محاورة مع معاوية بن أبي سفيان وهجاء لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري في العقد ٦١/١ ، ٣١٩/٥ والخزانة ٣٤٣/١ قال البغدادي « عقبة بن هبيرة الأسدي جاهل إسلامي وفد على معاوية »

(٤) البيت في الحيوان مع آخرين في مدح عبد الله بن الزبير . وفي م « ابني المغيرة » وهم بنو مروان ، فألهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية . وآل خويلد : هم بنو الزبير ابن العوام بن خويلد .

(٥) ط « علقمة بن هبيرة » وهو خطأ واضح . وفي معجم الشعراء ٣٣٩ « قد بن مالك ... بن أسد ... وهو من أبيات أنشدتها الفراء :

لعمري أيبك يا سلم بن هند لقد لا قيت منك الأقورينا

كان جرادة ...

(٦) ط « وهي أسرع »

(٧) ط « ووجدتها ... أنها »

حلماء إذا الحُلومُ اسْتُخِفَّتْ بوجوهٍ مثلِ الدنانيرِ مُلْسٌ^(١)

وقال قيس بن عمير الكِنَانِي :

كَمَثَلِ الحَصَى بَكْرٌ وَلَكِنْ خِيَانَةٌ وَعَدْرٌ وَأَحْلَامٌ خِفَافٌ عَوَازِبُ
فهذه طريقة وصفهم للحلم . ولما^(٢) مدحوه بالثقل والرزانة ، ذمّوه
بالطيش والخفة .

وأيضاً فإن البُرْدَ لا يوصف بالركة ، وإنما يوصف بالمتانة والصفافة ،
وأكثر ما يكون ألواناً مختلفة . كما قال يزيد بن الطُّثَرِيَّةَ :

أَشَاقَتَكَ أَطْلَالُ الدِّيَارِ كَأَنَّمَا مَعَارِفُهَا بِالْأَبْرَقَيْنِ بُرُودُ
وَالْأَبْرَقِ وَالْبِرَاقِ^(٣) مِنَ الْأَرْضِ : مَا كَانَ فِيهَا حَجَارَةٌ وَرَمْلٌ ؛ فَقِيلَ
« بَرَقَاء » لاختلاف الألوان فيها ، ومن ذلك الحبلُ الأَبْرَقُ الذي قُتِلَ^(٤) مِنْ
قُوَى مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ ؛ فَلِذَلِكَ شَبِهَ الشَّاعِرُ مَعَارِفَ الدِّيَارِ^(٥) بِالْبُرُودِ لاختلاف
ألوان البرود .

ولولا أنه قال « رقيق حواشي الحلم » لظننت أنه [ما] شبهه بالبُرْدِ
إلا لمتنته . وهذا عندي من أفحش الخطأ .

ثم قوله « [لو أن حلمه] بكفئك » كلام في غاية [القبح و] السخافة ،
وأظن أبا العباس بن عمار إنما أنكر هذه اللفظة فقط .

وإني لأعجب من أتباع البحري إياه في البُرْدِ - مع شدة تجنبه الأشياء
المنكرة عليه - حيث يقول :

(١) في ط ، م « وإنما . . . وذمّوه »

(٢) ط « مجلوم إذا . . . ووجوه مثل »

(٣) ط « والبرقاء »

(٤) م « الذي فيه »

(٥) م « معارف البراق »

وَلَيْالٍ كُسِينَ مِنْ رِقَّةِ الصَّيِّ فِ فَخِيلَنَ أَنَّهُنَّ بُرُودٌ^(١)
وكيف لم يجد شيئاً يجعله مثلاً في الرقة غير البرد ؟ ولكن الجيد في
وصف الحلم قوله متبعاً للمذهب الصحيح المعروف :
خَفَّتْ إِلَى السُّودِدِ الْمُجَنُّوْ نَهَضَتْهُ وَلَوْ يُوَازِنُ رَضَوَى حِلْمُهُ رَجَحَا^(٢)
وقوله :

فَلَوْ وُزِنَتْ أَرْكَانُ رَضَوَى وَيَذْبُلُ وَقَيْسَ بِهَا فِي الْحِلْمِ خَفَّ ثَقِيلُهَا^(٣)
وأبو تمام لا يجهل هذا من أوصاف الحلم ، ويعلم أن الشعراء إليه
يتصدون^(٤) . وإياه يعتمدون ، ولعله قد أورد مثله ، ولكنه يريد أن يبتدع
فيقع في الخطأ .

* * *

٣- وأنكر أبو العباس على أبي تمام قوله :
مِنَ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَائِلَ صُبِّرَتْ لَهَا وَشُحَا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَائِلُ^(٥)
ولم يذكر موضع العيب فيه . ولا أراه علمه ، و [أنا أذكره وألخصه
فأقول : إن] هذا الذي وصفه أبو تمام ضد ما نطقت به العرب ، وهو من^(٦)
أقبح ما وُصف به النساء ؛ لأن من شأن الخلاخل والبُرِينِ أن تُوصَفَ بأنّها
تَعَضُّ فِي الْأَعْضَادِ وَالسَّوَاعِدِ ، وتضيق في الأسواق^(٧) ، فإذا جعل خلاخلها^(٨)
وُشْحَا تجول عليها فقد أخطأ الوصف ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الخلاخلُ

(١) ديوان البحري ٦٤

(٢) ديوان البحري ٥٦

(٣) م « ويذبل وقدر بهما »

(٤) ط « من أمر الحلم . . . إليه تقصد وإياه »

(٥) ديوانه ٢٥٦ والصناعتين ١٢٠ والوساطة ٧٧

(٦) من ك

(٧) في ط ، م « السوق »

(٨) ط « في الأسواق . . . خلاخلها »

الذى من شأنه أن يعرض بالساق وشاحاً جائلاً على جسدها ؛ لأن الشاح هو ما تقلده المرأة متشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب جانبها الآخر على الظهر حتى ينتهى إلى العجز^(١) ويلتقى طرفاه على الكشح الأيسر ؛ فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرجل . وإذا كانت هذه صورة الشاح فغير جائز [وصفه بالقصر والضيق ، بل الواجب] أن يوصف بالسعة والطول ليدل على تمام المرأة وطولها ، ويكون ذلك لاقتفاء بتشبيه النساء فى البيت الثانى بقنأ الخط . وإنما يوصف الشاح بالقلق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر ؛ لأنه يقلق هناك إذا كان الخصر دقيقاً والبطن ضامراً ، بل حركته تدل على ضمور البطن أكثر ، وليس طوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خميص . وإذا كان الخلخال - وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها - وشاحاً للمرأة فإنه يأخذ أعلى جسدها كله ، و [هذه] إذا كانت كذلك فقد مسخت إلى غاية القماءة والصغر ، وصارت فى هيئة الجعل^(٢) .

وقد تصف العرب الخصر بالدقة ، ولكن تعطى كل جزء من الجسد قسطة من الوصف كما قال امرؤ القيس :

طَوَالَ الْمَتُونِ وَالْعَرَانِينَ كَالْقَنَا لَطَافِ الْخُصُورِ فِي تَمَامٍ وَإِكْمَالِ^(٣)

ألا تراه لما قال « لطف الخصور » قال « فى تمام وإكمال » .

ولو قال هذا الشاعر « لو أن الخلاخل صيرت لها حُقْباً » لصح له المعنى ،

كما قال منصور النمرى :

(١) ط « إلى العجب وتلقى » وهو خطأ عجيب

(٢) الجمل : دابة سوداء كالخنفساء ، وقيل هو أبو جمران بفتح الجيم ، كما فى اللسان ١١٨/١٣

(٣) ديوانه ١٤٢ « سباط البنان . . . والقنا »

فَلَوْ قَسَتْ يَوْمًا حِجْلَهَا بِحِقَابِهَا لَكَانَا سَوَاءً ، لَا ، بَلِ الْحِجْلُ أَوْسَعُ^(١)
 فجعل حجلها - وهو الخلل - أوسع من حقاها ، والحقاب ما تديره
 المرأة على خصرها ، فهو يختص بالخصر ، وكذلك النطاق ، والوشاح لا
 يختص بالخصر ، وإنما يُعلق^(٢) حتى ينتهي إليه إذا كان الخصر دقيقاً والبطن
 ضامراً ، فاتبع أبو تمام منصوراً في المعنى فأخطأ .

ومن عادة العرب أنها لا تكاد تذكر الهيفَ وطىَّ الكشع ودقة الخصر إلا
 إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يُستحب فيه الامتلاء والرئ والغلظ ، على ما
 عرفتك ، كما قال ذو الرمة :

عَجَزَاءُ مَمْكُورَةٌ خُمْصَانَةٌ قَلِقٌ عَنْهَا الْوِشَاحُ ، وَتَمَّ الْجِسْمُ وَالْقَصَبُ^(٣)
 وكما قال أيضاً :

أَنَاةٌ تَلُوْثُ الْمِرْطَ مِنْهَا بِدِعْصَةٍ رُكَامٍ ، وَتَجْتَابُ الْوِشَاحَ فَيَقْلُقُ^(٤)
 وكما قال [أيضاً] :

وَفِي الْعَاجِ مِنْهَا وَالذَّمَالِيجِ وَالْبُرَى قَنَا مَالٍ لِلْعَيْنِ رِيَانُ عِبْهَرٍ^(٥)
 تَرَى خَلْفَهَا نِصْفًا قَنَاةً قَوْمِيَّةً وَنِصْفًا نَقًا يَرْتَجُ أَوْ يَتَمَرَّمُ^(٦)

(١) الصناعتين ١٢٠ نقلا عن الموازنة

(٢) م « يعلق »

(٣) ديوانه ٤ والصناعتين ١٢١ وديوان المعاني ١/٢٥٠ وجمهرة أشعار العرب ١٧٧ والعجزة :
 هي العظيمة العجز . والمكورة : حسنة على الخلق مجدولة . وخمصانة : أى ضامرة البطن كالهاتمة .
 قلق وشاحها لضمور بطنها ، ولو كانت ضخمة البطن لما قلق وشاحها . والقصب : العظام التى لها مخ .

(٤) ديوانه ٣٩٢ والأناة : البطيئة القيام . تلوث : تثنى . المِرْط : الإزار . الدعصة : كيب
 الرمل . ركام : بعضه على بعض . تجتاب : تلبس . الوشاح : القلائد . تقلق من ضمير بطنها .

(٥) ديوانه ٢٢٦ والعاج : المراد به الأسورة ، البرى : الخلاخل . قنا : أوصال . عيهر :
 غليظ عمتل .

(٦) يتمرم : يهتز لنعمته . وقد جاء فى اللسان ١٧/٧ « قال أبو منصور الأزهري : معنى
 يرتج وتمرم واحد ، أى ترعد من رطوبتها » [

وكما قال الشَّنْفَرَى :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرَتْ وَأُكْمِلَتْ فَلَوْ جُنْ إِنْسَانٌ مِّنَ الْحُسْنِ جُنَّتْ^(١)
أَي دَقَّ مِنْهَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَدِقَ ، وَجَلَّ مِنْهَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَجَلَّ ؛ وَهَذَا
هُوَ كَمَالُ الْوَصْفِ .

وَقَالَ تَمِيمُ بْنُ أُتَيٍّْ بْنِ مُقْبِلٍ :

هَيْفُ الْمَرْدَى رَدَّاحٌ فِي تَأَوُّدِهَا مَخْطُوفَةٌ مَّنْتَهَى الْأَحْشَاءِ عُطْبُولُ^(٢)
فَقَالَ « هَيْفُ الْمَرْدَى » ثُمَّ قَالَ « رَدَّاحٌ » وَالرَّدَّاحُ : الْعَظِيمَةُ الْعَجْزُ ، وَهَذَا
كَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ « [تَرَى] خَلْفَهَا نَصِيفًا قَنَاةَ قَوِيمةٍ » .

وَقَوْلُهُ : « عَطْبُولٌ » يَرِيدُ : طَوِيلَةٌ^(٣) الْعُنُقِ . وَقَالَ تَمِيمٌ أَيْضًا :

مِنَ الْهَيْفِ مِبْدَانٌ تَرَى نَطْقَاتِهَا بِمَهْلَكَةٍ أَخْرَاضُهُنَّ تَذْبَذَبُ^(٤)
فَجَعَلَهَا هَيْفَاءَ ، وَهِيَ الْخَمِيصَةُ الْبَطْنِ ، [ثُمَّ] قَالَ « مِبْدَانٌ » ؛ فَصَارَ
الْبَدَنُ لَا يَمْنَعُ مِنَ الْهَيْفِ ، وَلَا يَضَادُّهُ .
وَقَالَ تَمِيمٌ أَيْضًا :

(١) الْمُفَضَّلِيَّاتُ ١٠٩ وَالْأَغَانِي ١٣٩/٢١ وَالْحَيَوَانُ ١٠٨/٣ وَالْعَقْدُ ١٢/٦ وَفِي اللِّسَانِ ٦/٦
« اسْبَكَرَتْ الْجَارِيَةُ : اسْتَقَامَتْ وَاعْتَدَلَتْ »

(٢) دِيوَانُ تَمِيمٍ ٢٨٠ وَ الْهَيْفُ : جَمْعُ أَهْيَفٍ وَهَيْفَاءَ وَهِيَ الضَّامِرَةُ الْبَطْنِ . وَيُقَالُ : امْرَأَةٌ
هَيْفَاءُ الْمَرْدَى : أَي ضَامِرَةٌ مَوْضِعَ الْوَشَاحِ . وَالتَّأَوُّدُ : التَّنْثِي . وَمَخْطُوفَةٌ مَّنْتَهَى الْأَحْشَاءِ . يَعْنِي أَنَّهَا هَيْفَاءُ
ضَامِرَةُ الْخَصْرِ ، خَفِيفَةٌ لَحْمِ الْجَنْبِ وَعَطْبُولٌ : طَوِيلَةُ الْعُنُقِ ، جَمِيلَةٌ فَتِيَّةٌ مِمْلَثَةٌ

(٣) فِي ط ، م عَطْبُولٌ : قَوِيمةُ الْعُنُقِ

(٤) مِبْدَانٌ : سَمِيَّةٌ مَكْتَنَزَةٌ اللَّحْمِ . وَالنَّطَقَاتُ : جَمْعُ نَطَقٍ وَالنَّطَقُ : جَمْعُ نَطَاقٍ ، وَهُوَ ثَوْبٌ
لَهُ تَكَّةٌ تَلْبِسُهُ الْمَرْأَةُ ثُمَّ تُشَدُّ تَكَّتُهُ عَلَى وَسْطِهَا . بِمَهْلَكَةٍ : يَعْنِي أَنَّهَا تَعْقِدُ نَطَاقَهَا بِمَوْضِعٍ دَقِيقٍ كَأَنَّهُ
الْمَهْوَاةُ بَيْنَ الْجَلِيلَيْنِ ، كَمَا قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

تَرَى قَرْطَهَا فِي وَاضِحِ اللَّيْلِ مُشْرِفًا عَلَى هَلَاكِهَا فِي نَفْسِهَا يَنْطَلُوحُ

وَالْأَخْرَاصُ : جَمْعُ خَرَصٍ - بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ - وَهُوَ حَلْقَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الْحُلِيِّ خَاصَّةً بِالْأُذُنِ
وَالذَّبْدَةُ : تَحْرُكُ الشَّيْءِ الْمَلْقُوقِ فِي الْهَوَاءِ . وَفِي مِثْلِهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

عَلَيْهِمْ لَعْنٌ مِنْ ظُلُمَاءِ تَبَالَةٍ مَذْبُذِبَةِ الْخَرَصَانِ بَادٍ نَحْوَرُهَا

وَبَيْتُ تَمِيمٍ فِي دِيوَانِهِ ص ١٨

وَمَنْ دَقَّ مِنْهَا الْخَضِرُ حَتَّى وَشَاحَهَا يَجُولُ ، وَقَدْ غَمَّ الْخَلَا خَيْلٌ وَالْقَلْبُ ^(١)
وقال علي بن علقمة الجسري ^(٢) .

تري حجلها ملآن ليس بزائد يجول ، ولم تملأ وشاحاً ولا عقداً ^(٣)
وذلك من شأن الوشاح ؛ لأن من ^(٤) سبيله أن يكون جائلاً إذا انتهى
إلى خضرها لدقته ، ومن شأن العقد أن يجول أيضاً على عنقها وتراثبها ^(٥)
لقلة اللحم هناك ، وذاك المحمود من الوصف . وقال امرؤ القيس :
* عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحِ رَبِّا الْمُخْلَلِ ^(٦) *

وقال طرفة بن العبد :
وَمَلَأَى السَّوَارِ مَعَ الدُّمْلُجَيْنِ وَأَمَّا الْوِشَاحُ عَلَيْهَا فَجَالَا ^(٧)
وقال علقمة بن عبدة :
صِفْرُ الْوِشَاحَيْنِ مَلَأَى الْحِرْطِ خَرْعَةً كَانَهَا رَشَاً فِي الْبَيْتِ مَلْزُومٌ ^(٨)
وقال المرار :

(١) في الصناعتين « وقد دق » وفيها وفي ط « الخلاخيل والقلبا » والقلب : السوار . وفي م « الخلاخل » هذا ولعل كلمة « عم » مصحفة عن « صم » فإنه يريد وصفها بامتلاء الساقين والممصين . كما قال الشاعر : « براقه الجيد صموت الخلاخل »
(٢) ط « بن أبي علقمة الجري » ثم غيره ناشرها في الطبعة الثانية وجعله « الجري » دون بينة وقال : « ووقع في الأصول الجري وهو تطبيع »

(٣) البيت لعل بن علقمة في حياصة ابن الشجري ٢٨٩

(٤) م « وقال وذلك لأن الوشاح من سبيله »

(٥) ط « وتراثبها » وهو تحريف

(٦) صدره : « هصرت بفوضى رأسها فتأملت » ديوانه ١٢٩ وشرح القصائد العشر ٢٧

(٧) الصناعتين ١٢١ نقلا عن الموازنة

(٨) ديوانه ٦١ والمفضليات ٣٩٨ وديوان الممانى ٢٥٠/١ وفي م « ملء القروط » صفر الوشاحين : ضامرة البطن . الدرع : القميص . الخربة : الناعمة . الرشا : الظبي الصغير . ملزوم : أى تربيته الجوارى في البيوت يلزمه ولا يفارقه إعجاباً به . قال ابن الأنباري : يقول : هى خالية الوشاحين لضمير بطنها ، وهى تملأ إزارها لعظم عجيزتها وضخم أوراكمها .

بَيْضُ الْعَوَارِضِ بُدْنٌ أَبْدَانُهَا رُجُحُ الرُّوَادِفِ ضَمَرٌ الْأَخْصَارُ^(١)

وقال كثير :

كَسَمَوْنَ الرِّيَاطَ ذَا الْهُدْبِ الْيَمَانِي خُصُورًا فَوْقَ أَعْجَازٍ ثِقَالِ

وقال كثير أيضاً :

يَجُولُ الْوِشَاحُ بِأَقْرَابِهَا وَتَأْبَى خَلَاخِلُهَا أَنْ تَجُولَا^(٢)

وقال آخر :

عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلَأَتْ لِزَارِهَا فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصَرُهَا فَبَيْتِيلٌ^(٣)

يريد كأنه لدقته مقطوع مما يليه . وهذا كله ضد ما قاله أبو تمام .

فإن حمل بعض مَنْ يريد إقامة العذر له نفسه على أن يقول : إنما ذهب في

قوله « جالت عليها الخلاخل » إلى قول الناس^(٤) : فلان يدخل في الخاتم لظرفه ولين أخلاقه ، لا للين مفاصله^(٥) .

قيل : هذا من كلام العامة . وقول أبي تمام : « من الهيف » يمنع

[من]^(٦) هذا التأول ، ويحجز عنه ؛ لأن الهيف الخميصات البطون ،

الواحدة هيّفاء . وإلى هذا ذهب . لا إلى وصف الأخلاق و [رقة] الطباع .

(١) العوارض : الثنايا ، سميت عوارض لأنها في عرض الفم . بدن : سنية ضخمة . أبدانها :

أعضاؤها ، يقال : إنها لحسن الأبدان ، وقال حميد بن ثور « لينة الأبدان » كأنهم جعلوا كل جزء منها بدنًا ، ثم جمعوه على هذا . ورجع : جمع رجاح ، وهي الثقيلة المعجزة

(٢) ديوانه ١٥٤ . والقرب بالضم : الخاصة ، وجميعها أقارب

(٣) البيت ليزيد بن الطثرية كما في حماسة أبي تمام بشرح المروزقي ١٣٤٠/٣ وأمالى القائل

١٩٦/١١ وعلق عليه أبو عبيد البكري بقوله : « قال أبو بكر الصولي : هذا الشعر للعباس بن قطن

لخللى ، وما أخلق هذا القول بالصواب ؛ لأن هذا الشعر لم يقع في ديوان شعر ابن الطثرية وقد جمعت

منه كل رواية . وانظر تخريج الميمى له في السمع ٤٧١/١ . وقال المروزقي : « الملاث : الموضع الذى

يدار به الشيء ، والمراد به هنا المعجز . وشبهها بالدعص ، وهو الرمل المحتب ، لكثرة اللحم عليها .

واكتنازه . والبَيْتِيل : المضميق الدقيق ، يعنى أنها دقيقة الخصر ، جليلة المعجز » . وفى م « فنبيل » .

(٤) ط « إلى قولهم »

(٥) ط « لا لضيق مفاصله » وهو تحريف عجيب .

(٦) من ك

فإن قال قائل : إنما قال « لو أن الخلاخل صيرت لها وشحاً » أى لو ساء ذلك وجاز ، كما يقال : لو دخل أحد في سم الخياط^(١) لرقته وحسن أخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر :

* لو طَارَ ذو حافرٍ مِنْ سُرْعَةٍ طَارَا^(٢) *

وكما قال الآخر :

لو كَانَ يَقْعُدُ فوقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ
قَوْمٌ لِسُودَدِهِمْ أَوْ مَجْلِدِهِمْ قَعَدُوا^(٣)

قيل : هذا مذهب حسن معروف من مذاهبهم ، ولكن ليس بينه وبين قوله أبى تمام شبه ، وإنما كان يشبهه [أن] لو قال « لو أن الخلاخل تكون مكان الوشاح لجال عليها » ولو قال هذا أيضاً لكان يُعَدُّ مخطئاً ؛ لأنه سواء عليه قال هذا أو قال قَصَرَ ظَهْرُهَا أو نَقَصَ خَلْقُهَا أو ضم بعض أعضائها إلى بعض حتى يكون خلخالها مكان وشاحها لجال عليها ، ومثل هذا لا يقوله أحد إلا الكنتجى^(٤) [أ] وأبو العبر ، ولفظ بيته أقبح من هذا وأشنع ؛ لأنه إنما أخرجه مُخْرَجَ الحقيقة أو ما يقارب الحقيقة ، نحو قول القائل : لو نَغَطَّتْ هند بشعرها لَغَطَّأَهَا ، ولو سترت وجهها بذراعها لسترها^(٥) ، ولو مسستها لساخَتِ الإصبع فيها ، أو لَأَذَمَتَهَا^(٥) . وهذا ضرب من المبالغة وهو إلى الحقيقة أقرب . وليس من الأبيات المذكورة في شيء ولا على سياقة ذلك

(١) م « في سم أى أرقته » وهو خطأ

(٢) صدره : « يكاد في شأوه لولا أسكنه » وهو لمعاوية بن مرداس كما في معاهد التنصيص

٤٠/٣

(٣) البيت لزهير ، كما في ديوانه ٢٨٢ « أو كان يقعد . . . قوم بأولهم » والعمدة ١٢٤/٢

« فوق الجح » والعقد ٢٩١/٥ وهو في أمالي القالي ١٠٥/١ لأبى جويرة العبدى

(٤) ط « الكشحي » و لـ « الكنتجى »

(٥) ط « لسيرته »

اللفظ ، والإحالة فيما مخرجه مخرج الحقيقة أقبح من الإحالة فيما مخرجه مخرج التوسع والمبالغة .

وبعد فإن أبا تمام إنما قال : من الهيف ، والهيفاء هي الضامرة البطن ، وقد تكون ضامرة مطوية وخصرها غير دقيق ؛ لأنها قد تكون من ضمها عريضة الحقوين ، فيضطرب الوشاح هناك ؛ لأنه إنما يجري من أحد جانبيها على حقو واحد .

واضطراب الوشاح لا يدل على دقة الخصر خاصة ؛ لأنه قد يضطرب والخصر غير دقيق . وصمته ولزومه لا يوجب عرض الخصر لا محالة ؛ لأنه غير مطيف به ، وإنما يقع طرفه على أحد جانبيه ، فما وجه جعل الخلخال في موضع الوشاح ؟

فإن قيل : لم يذهب إلى دقة الخصر ، وإنما ذهب إلى وصف البطن بالضم ، لأنه قال : من الهيف والهيف . الضوار البطون .

قيل : فهذا موضع غلطه وإحالاته ؛ لأن ضيق الخلخال والوشاح لا يوجب ضم البطن . ولا يدل على ذلك أيضاً طوله ولا قصره : وإنما يدل على الضم حركته لا غير ، وطوله إنما يدل على طول الظهر . وقصره على قصره . والخلخال بمعزل عن ذلك كله .

وإنما سمع أبو تمام قول علي بن جبلة :

فلو قُستَ يوماً حِجْلُهَا بِحِقَابِهَا لكانا سواء ، لا بل الحِجْلُ أَوْسَعُ فاتبعه فأخطأ وأحال ؛ لأن الحِقَاب لا يخص غير الخصر ، فأراد ابن جبلة أن يدل على دقة الخصر فقال : لو قيس خلخالها بحِقَابِها لكانا سواء وكان الخلخال أوسع ؛ لأن الخلخال مستدير كاستدارة الحِقَاب ، ودقة الخصر تقتضي ضيق الحِقَاب . كما أن تمام الظهر وطول القناة يقتضي

طول الوشاح وطول حمائل السيف ؛ لأنهما يخصان القامة ، ألا ترى إلى قول أبي نواس :

أَشْمُ طَوَالِ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا يُنَاطُ نِجَادُ سَيْفِهِ بِلَوَاءٍ
وكما قال البحتري :

ينوس إذا تمطى في النجاد^(١)

وكان ينبغي لأبي تمام لما وصف النساء في البيت التالي بالطول والتأم
[فقال :

* قَنَا الْخَطَّ. إِلَّا أَنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ *

أن يصف الوُشَحَ [^(٢) بالطول والتأم ، لأن الوُشَحَ ^(٣) من المرأة في موضع حمائل السيف [من الرجل] فكيف ^(٤) يجعلها مثل الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلها ؟ وقد يبالغ الشاعر في أشياء حتى يخرج فيها إلى المحال ويخرج بعضها مخرج النوادر ^(٥) فيستحسن ولا يستقبح ، نحو قول الشاعر :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبَّتِي تُشْبِهُ الْبَدْرَ إِذْ بَدَأَ^(٦)

تَدْخُلُ الْيَوْمَ ثُمَّ تَدْخُلُ أَرْدَافُهَا غَدًا^(٧)

ومثل هذا كثير .

وقد بالغ ^(٨) النابغة في وصف عنق المرأة بالطول ، فقال :

(١) الزيادة من ك

(٢) ما بين القوسين سقط من ك

(٣) ط « الوشاح »

(٤) م « إلا أن يجعلها » وفي ك « لا أن . . . »

(٥) ط « منها . . . النادر »

(٦) هما للمؤمل بن أميل ، كما في الديدع ١٢٠ والصناعتين ٣٦٢ وديوان المعاني ٢٥١/١

(٧) ط « يدخل اليوم خصرها ثم أردافها »

(٨) ط « وقد قال »

إذا ارتعشت خافَ الجبانُ أرتعاشَها وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَيْثُ عُلِقَ يَفْرَقُ^(١)
 فجعل القرطُ يخافُ أن يسقط. من هناك فيهلك ، وإنما أخرج هذا
 كالمثل : أى لو كان مما يقع منه الخوف لخاف . وقال ذو الرمة :
 والقرطُ في حُرَّةِ الذفرى مُعَلَّقُهُ تباعدَ الجبلُ منه فهو يَضْطَرِبُ^(٢)
 فدل بقوله «تباعد الجبل منه» على طول عُتْقِ المرأة .
 فهذه المبالغة لاثقة مستحسنة ؛ لأنه دل على الوصف بالشئ الذى يخصُ
 الموصوف ، لا بالشئ الذى يخص غيره .

ولو كان أبو تمام قال «لو أن الخلاخيل صُيِّرَتْ لها نطقاً» لكان [قد]
 أتى بالصواب ؛ لأن النطاق هو كل ما يُدار على الخصر مثل المِنْطَقَة من
 سير كان أو ثوب أو غيرهما ، أو لو قال «حُقْباً» ؛ لأن الحِقَابَ والنَّطَاقَ
 بمنزلة واحدة ، وأظنه أراد أن يقول هذا فغلط . فجعل مكانه الوشاح .

وقد بالغَ أبو العتاهية في وصف الخصور بالدقة ، فقال :

وَمُخَصَّرَاتٍ زُرْنَنَا بَعْدَ الْهَلَوِّ مِنَ الْخُدُورِ
 نَفْجُ رَوَادِفُهُنَّ يَدُ بَسَنِ الْخَوَاتِمِ فِي الْخُصُورِ^(٣)

لم يرد أن خواتمهن في خصورهن ؛ لأن هذا محال ، وإنما ذهب إلى مثل
 قولهم : جَفَنَة يقعد فيها خمسة ، أى لو قعدوا فيها لوسعتهم .

(١) ط ، ك «رعاشا» وقد سبق ص ٤٠

(٢) ديوانه ٦ وجمهرة أشعار العرب ١٧٨ وفى اللسان ٢٥٦/٥ «وحرة الذفرى : موضع بحال
 القرط . وقيل : حرة الذفرى صفة أى أنها حسنة الذفرى أسيلها» وفى ديوانه : «القرط فى أذن عتيقة
 الذفرى ؛ لأن الحرة هى العتيقة من كل شئ ، والعتيق : الكريم . وقوله : تباعد الجبل منها : أى تباعد
 جبل العتق من القرط لأنها طويلة العتق ليست بوقصاء . والذفران : ما عن يمين العتق ويساره»
 (٣) فى اللسان ٢٠٥/٣ «وامرأة نفج الحقيبة : إذا كانت ضخمة الأرداف والمأكم» . وأنشد
 «نفج الحقيبة بفضة المتجرد»

وقال الآخر :

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ لِي يَتَّخِذُ الْفَارُ فِيهِ مَغَارًا^(١)

أى : لو اتخذ فيه مغاراً لوسعته . فكذلك قوله : « يلبس الخواتم في الخصور » أى تصلح خصورهن أن تدخل في خواتمهن لدقتها [على المبالغة]^(٢) وكل ما دنا من المعاني من الحقائق^(٣) كان ألوط بالنفوس ، وأحلى في السمع وأولى بالاستجادة .

فهذا ما أنكره أبو العباس مما أبو تمام فيه غلط . وهو ثلاثة أبيات .

٤ - ومما أخطأ فيه الطائي البيت الذى بعد قوله :

مَنْ هَيْفَ لَوْ أَنَّ الْخَلَاخِلَ صِيرَتْ لَهَا وَشَحًا جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاخِلُ

وهو قوله :

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسَ قَنَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تِلِكَ ذَوَابِلُ^(٤)

ولمّا قيل للرمح^(٥) « ذوابل » لينها وتشنيها ، فنفي ذلك عن قدود النساء

(١) البيت لعوف بن عطية بن الحزاع في المفضليات ٤١٤ والاقتضاب ٣٣٤ ، ٣٣٨ والمعاني الكبير ١٦٩/١ والخزانة ٢٠/٤ وفي ديوان المعاني ١١٤/٢ « ويشبه الحافر بالقعب » فنقل هذه العبارة الشيخ محيى الدين وصعب عليها بقوله : ولم أجده في شعر امرئ القيس المنشور في العقد الثمين « وقد ظن الشيخ أن أبا هلال يقصد بيت عطية هذا فقال ما قال ، ولكنه يقصد قول امرئ القيس الموجود في ديوانه ٨٠

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ رَكِبَ فِيهِ وَظَلِفَ عَجْرٍ

والقعب : قلع من خشب مقعر ، شبه به حافر الفرس في السعة . والمغار : الجحر الذى يغور فيه ، أى يدخل . وهذا من الممكن الذى يخرج العرب مخرج الواجب ، فظاهر للكلام : أن الفار يتخذ فيه مغاراً على الحقيقة والوجوب ، والمراد : أن الفار لو فعل ذلك لأمكنه .

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « بالحقائق » وفى ك « وكل ما كان من المجازات أقرب إلى الحقائق »

(٤) الساطعة ٤٤

(٥) ط « للقنا »

التي من أكمل أوصافها^(١) التَّشْنِيُّ واللِّينُ والانعطافُ ، كما قال تميم بن أبي
ابن مقبل :

يَهْزُنُ لِلْمَشْيِ أَوْصَالًا مُنْعَمَةً هَزَّ الْجُنُوبِ ضُحَى عِيدَانِ يَبْرِينَا^(٢)
أَوْ كَاهْتِرَازِ رُدَيْنِي تَذَاوَقَهُ أَيْدِي التَّجَارِ فزَادُوا مَتْنُهُ لِينَا^(٣)
فشبه تميم قدودَهَن بالرديني للينه وتشنيه لا غير .

هذا أجود من كل ما قاله الناس في مشي النساء وحسن قدودهن .
وقوله « مها الوحش » أراد : كمها الوحش إلا أن هاتا أوانس . فوضع
المشبه به في مكان المشبه ، وهذا في كلامهم شائع مستفيض .
[تراه في مواضعه من هذا الكتاب إن شاء الله]^(٤) .

* * *

٥ - ومن خطائه قوله^(٥)

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدَبُورِهَا أَثْلَاثًا^(٦)
لأن الصبا هي القبول ، وليس بين أهل اللغة وغيرهم في ذلك خلاف .
فإن قيل : إنما سميت الصبا قبولا لأنها تقابل الدَّبُور ؛ فلعله استعار
هذا الاسم^(٧) للدبور فقال « بين الصبا وقبولها » يريد الدَّبُور^(٨) لأنها تقابل

(١) ط « صفاتها »

(٢) البيتان لابن مقبل في اللسان ٤٠٢/١١ وفي ديوانه ٣٢٧ ، ٣٢٨ عنه ، ويرين اسم
موضع ، راجع معجم ما استعجم للبكري ١٣٨٦/٤

(٣) ط « تداوله » وفي اللسان « . . والمعروف تداوله » ويقال : ذق هذه القوس : أي انزع
فيها لتخبر لينها من شدتها

(٤) من ك

(٥) ط ، ك « وما أخطأ فيه الطائي أقيح خطأ قوله »

(٦) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزي ٣١٥/١ والصناعتين ١٢١

(٧) م « هذا الأسماء »

(٨) م « الدبور »

الصبا [فكأنه أراد بين الصبا] ومقابلتها ، أى الريح المقابلة لها .

قيل : هذا غلط . من التأويل [من وجوه] :

منها أنه قد ذكر الدبور في البيت مرة ؛ فلا يجوز أن يأتى بها مرة ثانية .
ومنها : أنه ما سُمع من العرب « زَيْدٌ قَبُولُكَ » بمعنى : مُقابِلُكَ ، ولا « دار زيد قبول دار عمرو » بمعنى مُقابلتها ؛ وإنما خُصَّت الصَّبا وحدها بهذا الاسم لأنها تأتي من الموضع الذى يُقبل منه النهار ، وهو مطلع الشمس ، وقيل دَبُور لأنها ^(١) ضدها ، أخذ ^(٢) من أقبل وأدبر . ولو جاز ^(٣) هذا فى كلامهم أو ساغ فى لغتهم أو كان ^(٤) مسموعاً مثله ^(٥) منهم - لساغ أن تُسمى الشمال أيضاً قبولا ؛ لأنها تقابل الجنوب ، أو أن تسمى الجنوب قبولا ؛ لأنها تقابل الشمال . وما أظن أحداً يدعى هذا ، ولا يستجيز أن يعارض بمثل هذه المعارضة ، ولا أن يُحدِث لغة غير معروفة ، ويتنسب إلى العرب ما لم تقله ^(٦) ولم تنطق به .

ومنها - وهى أوكدها ^(٧) فى فسادها هذا التأويل - أنه قال « بين الصبا » ^(٨) وقبولها ودبورها أثلاثاً » وقوله « أثلاثاً » يدلُّك أنه أراد ثلاث رياح ، وإوانه توهم أن القبول رِيحٌ غير الصَّبا ، وهذا واضح .

(١) فى ط ، م : « دبورها ضدها »

(٢) ط « وقيل لها دبور لأنها ضدها أخذها »

(٣) م « ولو جاد »

(٤) « كان مثله »

(٥) من ك

(٦) ط « ما لم تعلمه »

(٧) ط « وهى أولاهها »

(٨) م « من » وهو تحريف

والجيد قول البحترى :

مَتْرُوكَةٌ لِلرَّيْحِ بَيْنَ شِمَالِهَا وَجَنُوبِهَا وَدُبُورِهَا وَقَبُولِهَا^(١)
فجاء بالرياح الأربع .
وقال البحترى أيضاً :

سَنَنْتُ الصَّبَا إِذْ قِيلَ وَجْهَنَ قَصْدَهَا وَعَادَيْتُ مِنْ بَيْنِ الرِّيَّاحِ قَبُولَهَا^(٢)
فقوله « وجْهَن » يعنى الحُمُولَ ، والهَاءُ فى « قَبُولِهَا » راجعةٌ إلى الرِّيَّاحِ .
وهذا مما^(٣) يُؤْهِمُكَ أَنَّهُ أَرَادَ رِيحَيْنِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ رِيحاً وَاحِدَةً وَسَمَّاها بِاسْمِهَا^(٤)
فقال : سَنَنْتُ الصَّبَا ، وعاديت القبول : أى أبغضت هذين الاسمين ؛ لأن
حمول الظاعنين توجَّهت نحوها ، ولم يقل إن الحمول توجَّهن إلى وجهين
مختلفين .

وحكى ابن الأعرابى - أو حكى عنه - أنه قال : القبول كل^(٥) رِيحٍ
طيبة المنس لئكة ، لا أذى فيها ، سُميت قَبُولاً لَأَنَّ النَّفْسَ تَقْبِلُهَا . وأظن
الأخطل - إن كانت الرواية صحيحة - لهذا قال :

فَإِنْ تَبَخَّلَ سَدُوسٌ بِدِرْهَمَيْنِهَا فَإِنَّ الرِّيْحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ^(٦)
أى : طيبة لا تمنعنا [من] الانصراف والسير .

وهذه ليست من الريح التى ذكرها أبو تمام فى شيء ؛ لأن هذه على هذا
الوصف قد تكون الشمال ، وتكون الجنوب ، وتكون الصَّبَا ، وذلك إنما^(٧) أراد

(١) ديوانه ٣٤٥ ، ١٧٩٦/٣ « أن قيل » والصناعتين ١٢٢

(٢) ديوانه ٥١١ والصناعتين ١٢٢

(٣) ليست فى ك

(٤) ط « باسمها »

(٥) ط « كله »

(٦) ديوانه ١٢٦ والسان ١٤ / ٦٢ والأغاني ١٨٣/٧ وفى م ، ك « فإن يمنع . . .

درمها .

(٧) م « فإنما »

ريحاً بعينها ؛ لأنه قال : « بين الصبا وقبولها » فجعلها مضافة إليها ، كما لو قال « بين الشمال وجنوبها » ^(١) لأنهما ريحان معروفتان ، وهما أختان ^(٢) تعتقبان ، وكذلك لو قال « بين الصبا ودبورها » وكذلك لو قال « بين الدبور وقبولها » ^(٣) أو « بين القبول وشمالها » فإذا ذكرت القبول مع هذه الرياح المعروفة ^(٤) [فليس يراد بها إلا القبول المعروفة التي] هي الصبا ، وليس هذا موضع القبول التي هي الريح اللينة المسّ الطيبة على ما ذكر ؛ لأنه وصف ^(٥) مجهول ، يجوز أن يكون لكل ريح فلا يقع في هذا الموضع ؛ لأنك إذا عنيتها بقولك : قد هبت ^(٦) الصبا وقبولها [أو الشمال وقبولها] لم يدر أي ريح هي ، فما معنى ^(٧) إضافتها إلى الريح المعروفة التي هي إذا لأن مسها جاز أن تسمى بذلك الاسم ؟ هذا خلف من القول إذا قيل .

وأيضاً فإن أبا تمام إنما أراد أن هذه الرياح عفت هذه الديار ، وذهبت بها ؛ فما وجه ذكره لريح طيبة لينة المس مع الدبور ؟ هذا محال أن يكون أرادته ، كيف والديار يُدعى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة لئلا تعفوها ؛ ألا ترى [إلى] قول أبي تمام :

أرسي بناديك الندى وتنفّست
نفساً بعقوتك الرياح ضعيفاً ^(٨)

(١) م « بين يعتقان وشمالها »

(٢) ط « أختان مختلفتان تعتقان »

(٣) ط « القبول ودبورها »

(٤) ط « الرياح المعروفة كانت هي »

(٥) م « لأنه مجهول »

(٦) ط « قد نفيت » وهو تحريف شنيع !

(٧) ط « هي في معنى » !

(٨) شرح التبريزي ٣٧٧/٢ وديوانه ٢٠٦ « أرسي بعصتك » وهما روايتان .

وقال البحتري :

وإذا هبت الرياحُ نسيماً فعلى ربيع دارها والجَنابِ^(١)

[فشرط أن تكون الرياح نسيماً . وقال :

رأحتُ لأرْبُعِلكُ الرِّيحُ مريضةً وأصابَ مَغْنَاكُ الغمامُ الصَّيْبُ^(٢)

فَشَرَطَ أن^(٣) تكون الرياح مريضةً لثلاث تعفوها وتمحوها .

فلأن قيل : فعله أراد^(٤) بين الصبا وقبولها أى : بين الصبا وسهلها ولينها ،

ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف ، وإنما يريد الاسم الذى يقع للريح^(٥)

اللينة المس ، فكأنه قال « بين القبول وقبولها » كما تقول^(٦) : « جاءنا

عباسٌ وعَبَّاسُهُ » أى : وجهه المعبس^(٧) ، و « أتانا الضحَّاكُ وضحاكه » أى :

وجهه الضحَّاك : لأن التعبيس والضَّحِكُ فى الوجه ، و « قد فَتَنَتْنَا حَوَراءُ

بجورائِها »^(٨) أى : بعينها الحوراء .

قيل : هذا كله لفظ . سائغ مستقيم ، غير أننا ما سمعنا مثل هذا فى

الريح ، ولا علمناه فى اللغة ، ولا وجدنا فى الشعراء أحداً قال : « الصبا

وقبولها » ولا « الجنوب وقبولها » ولا « الشمال وقبولها » أى سهلها ولينها .

ولو أراد الطائي ذلك لكان أيضاً مخطئاً ؛ لأن الريح لينها وشديدها ريحٌ

واحدة ، وقد قال أبو تمام « أثلاثا » فدلَّ على أنه أراد ثلاث رياح . وإن

(١) فى ديوانه ، ك ٥٦٣ « الجنوب . . . فعل رسم »

(٢) ديوان البحتري ٦٨٢

(٣) م « فشرطان » وهو تحريف

(٤) م « أراد الصبا »

(٥) م « الريح »

(٦) ط « وقبولها يقال جاءنا »

(٧) ط « العباس »

(٨) م « بجورائِها »

كان أراد ريحاً أخرى غير الصبا فقد قدمت القول في أن ذلك غير سائغ ولا مستقيم .

وقد استقصى أصحابُ «الأنواء» في كتبهم ذكر الرياح وأوصافها ونعوتها ، واستشهدوا بأكثر ما سمعوه من أشعار العرب فيها ، وبالع أبوحنيفة الدينوري في ذلك ؛ فما منهم أحد ذكر أن القبول غير الصبا ، وإنما قال ابن الأعرابي في نوادره : إن العرب تسمى كلَّ ريح طيبةً لينةً المسَّ قبولاً وقال الأخطل :

فإن تبخل سدوسٌ بدِرهميها فإنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قبولٌ^(١)

فإنما أراد الصبا ؛ لأنها ريحٌ محبوبةٌ تُنسب إلى الطيب ، وهي دائماً الهبوب لينة المس معتدلة في أكثر أوقاتها . أى فإن تمنع^(٢) سدوس نائلها فإن الريح طيبة قبول ، أى هى صبا لا تمنعنا من الانصراف والرحيل . فإن كان ما ذكره ابن الأعرابي صحيحاً^(٣) فإنهم إنما قالوا لكل ريح لينة [قبولا ، تشبيهاً لها بالصبا ، كأنهم إن هبت شمال لينة] ، قالوا : هذه الصبا ، أو هذه القبول ، أى كالصبا أو كالقبول ، فأسقطوا حرف التشبيه ، وجعلوا المشبه في مكان المشبه به ، كما تقول إذا شمنت أترجة^(٤) طيبة العرف : هذه المسك ، وإذا رأيت وجهاً جميلاً قلت : هذا هو البدر ، وإن شئت كان المعنى : هذه المسك حقاً ، وهذا هو البدر يقينا ، ولو هبت شمال شديدة مُزعجة حتى تقول^(٥) : هذه هى الدبور بعينها - لكان هذا من أسوغ

(١) سبق ص ١٦٠ ورواية م ، ك هنا كرواية هناك .

(٢) ط « تمنع »

(٣) ط ، ك « صحيحاً وهو الصحيح إن شاء الله » . . . إنما قالوه لكل ريح طيبة لينة

(٤) ط « شمنت رائحة »

(٥) م « يقول »

كلام وأصححه^(١) . فإن كانت العربُ سَمَّتِ الشمالَ والجنوبَ - إذا هَبَّتَا هبوباً سهلاً ليناً - قبولاً ، فإنما شبهوها^(٢) بالصبا وأعادوها اسمها . وإنما قيلَ لها قَبُولٌ لأنها تأتي من مَطْلَعِ الشمس ، وهو^(٣) الموضع الذي يُقْبَلُ منه النهار ، وقيل للدبورِ دَبُورٌ لأنها تَهْبُ من حيث يُدْبِر ، وقد قيل غير ذلك ، وهذا هو الصحيح . وقد حكى بعضهم^(٤) عن النَّضْرِ بنِ شُمَيْل أنه قال : الْقَبُولُ رِيحٌ تُلِي الصَّبَا^(٥) ما بينها وبين الجنوب . وهذا غير معروف ولا معمول^(٦) عليه [وقد ذكر بعضهم أن قوماً سمو الشمالَ قبولاً . قال : وليس ذلك ، ثبت ولا معمول عليه] إلا أن يكون قاله على هذا [الوجه] الذي ذكرته [على التشبيه] والله أعلم .

وبيت أبي تمام لا يحتمل أن يُتَأَوَّلَ فيه الريح ، لأنه أراد مَحَوَ الدار^(٧) ولا تذكر في محو الدار القبول الخفيفة الهبوب^(٨) الطيبة المس مع الدبور التي لا تكاد تهب ، فإن هبت لم تأت إلا شديدة مزعجة .

وقال آخر ممن لا تمييز معه أراد بين الصبا وقبولها ، أي : الريح التي قَبَلَتْها^(٩) ، كأنها قابلتها فَقَبَلَتْها فهي قَبُولُها ، يعنى ريحاً من الرياح ، كما تقول فاخرته ففَخَرْتُهُ ، وخاصمته فخصمته .

(١) ط « كلام وأصححه وإن »

(٢) م « فإنما يشبهونها . . . وأعادوها اسماً »

(٣) م « الشمس ويكون الموضع . . . من النهار »

(٤) ط « وقد قيل عن »

(٥) م « للصبا »

(٦) في ط ، م : « معمول » وكذا فيما بعده .

(٧) ط « فيه هذه الريح . . . الديار »

(٨) م « الدار الخفيفة والمحبوب »

(٩) م « قبلها »

قيل : هذا خطأ من وجوه ؛ منها أن الريح التي تقابل الصبا مقابلةً صحيحة هي ^(١) الدبور ، وقد ذُكرت في البيت الأول ؛ فلا يجوز أن يريد بها ^(٢) .

ومنها : أنك لا تقول قابِلْتُ زيداً فَقَبَلْتُهُ ، مثل فآخِرتَه ففخِرتَه ؛ لأنك إذا قابَلْتَه فقد صرت قُبَالَتَه وصار قبالتك ؛ فليس أحدكما في هذا أبأفضَلَ من الآخر ، وذلك مثل قولك : وَآجَهْتُهُ ، وَوَازَيْتُهُ ، وَسَاوَيْتُهُ ، وَحَاذَيْتُهُ ^(٣) ؛ لأنك ^(٤) في هذه الأحوال ^(٥) مثله وهو مثلك ؛ فلا يجوز أن تقول فيه : فَعَلْتَهُ ^(٦) ، أي غلبته .

ومنها : أنك إذا قلت : زيد ضاربُ عمرو : وَضَرُوبُ عمرو ^(٧) ، وقَاتِلُ بكرٍ ، وَقَتُولُ بكرٍ ^(٨) ، لم تدل على أنه كانت [هناك] مضاربة بينهما أو مقاتله ؛ لأنه ^(٩) يجوز أن يكون الضرب جمع من أحدهما ولم يقع من الآخر ، [وكذلك القتل] ؛ فلذلك لا يدل قوله «قبولها» [على] أنه كانت هناك مقابلة ، كما لا يدل قولك «زيد ضاربُ عمرو» على أنه كانت مُضَارَبَةً بينهما حتى غَلَبَ زيد عمرو بالضرب . وإذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة .

* * *

(١) م «من الدبور»

(٢) م «أن يديرها» ، ط «يردها»

(٣) ط «واجهته وآزيتته» وفي م «وجازيتته»

(٤) م «إنك . . . الأحوال»

(٥) في ك «الأفعال»

(٦) م ، ك «فعلته»

(٧) م «وضروب عمرو»

(٨) في ك «ضارب عمرو أو . . . وقاتل بكر أو»

(٩) «لأنه لا يجوز»

٦- ومن خطائه^(١) قوله :

وَصْنِيعَةٌ لَكَ ثِيْبٌ أَهْدَيْتَهَا وَهِيَ الْكَعَابُ لِعَائِدِ بِكَ مُضْرَمٌ^(٢)
حَلَّتْ مَحَلَّ الْبِكْرِ مِنْ مُعْطَى وَقَدْ زُفْتُ مِنَ الْمُعْطَى زِفَافِ الْأَيْمِ^(٣)
غَلَطَهُ قَوْمٌ^(٤) فِي الْبَيْتَيْنِ جَمِيعًا ، وقالوا : أراد بقوله « وصنيعة لك » أى :
للممدوح « ثيب » أى : قد افترعت^(٥) « أهديتها » وهى الكعاب لعائد
بك [أى على عائد بك] مصرم « أى : قليل المال ، وجاء بالكعاب على
أنها تقوم مقام البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصح له القسمة . أى
هذه الصنيعة ثيبٌ عندك ؛ لأنك^(٦) قد اضطنعت مثلها مرارًا ، وهى الكعاب
- يريد البكر- عند هذا العائد بك ؛ لأنها أول ما اضطنعت له أولًا^(٧) لأنها
أكبر صنيعة صنعتها عنده .

قالوا : والكعاب [هى] التى [قد] كَعَبَ ثُدْيُهَا ، فقد^(٨) تكون بكرًا
وتكون ثيبًا ، فليست ضدًا للثيب^(٩) فى البيت ، ولا تصح بها قسمته : لأن
اسم الكعاب لا يزول عنها إذا افترعت حتى ينهد ثديها ويرتفع .

قالوا : واعتمد أن يشرح هذا [المعنى] فى البيت الثانى فقال :

* حَلَّتْ مَحَلَّ الْبِكْرِ مِنْ مُعْطَى^(١٠) *

(١) م « ومن غلطه »

(٢) ديوانه ٣١٣

(٣) الوساطة ٧٧

(٤) م « غلط » ط « غلطه وقع فى البيتين »

(٥) م « قد اضرعت »

(٦) ط « أى قد »

(٧) م « إليه أولًا »

(٨) ط « وقد »

(٩) ط « للبكر »

(١٠) أكل البيت فى ط وليس ثمة ما يبرره .

وذلك [هو] ^(١) معنى قوله «وهي الكعاب لعائذ بك» ثم قال : «زفت من المعطى زفاف الأيم» ، وهو يريد معنى قوله : «وصنيعة لك ثيب» . على أن الأيم هي الشيب .

وقالوا هذا خطأ ؛ لأن الأيم هي التي لا زوج لها ، بكرًا كانت أو ثيبًا . قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ ^(٢) ، أفتراه أراد ^(٣) أنكحوا الثيبات من النساء دون الأبكار ؟ إنما أراد تبارك اسمه : انكحوا النساء اللواتي لا أزواج لهن . فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل في الآية ، قال الشماخ :

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنَّ أُحَدِّثَ أَنَّهَا وَإِنْ لَمْ أَتْلُهَا أَيْمٌ لَمْ تَزَوِّجْ ^(٤)

وهذا هو [المعنى] المعروف في كلامهم .

وهذا الذي ذكره من غلظه في الأيم هو كما ذكروا ^(٥) ، فأما ما أدعوه في البيت الأول من الغلط في الكعاب بأن ^(٦) أقامها مقامَ البكر ، فليس ذلك بغلط ، والمعنى صحيح ، وقد جاء مثله في أشعار العرب ، قال قدامة ابن ضرار ^(٧) الحنفى :

[غداة خطبتنا الأبيضَ بالببيض عنوةً وأبْنِ إلينا ثيباتٍ وكعبًا ^(٨)
أراد بالكعب الأبكار] ^(٩) ،

(١) من ك

(٢) سورة النور : ٣٢

(٣) ط « قال »

(٤) ديوانه ٧

(٥) م « الذي ذكره . . . كما قال وذكره »

(٦) ط « لمن »

(٧) م « بن حراز » و ك « حزار »

(٨) الأبيض : النساء ، بالببيض : بالسيوف

(٩) الزيادة من ط

وقال جرير يهجو امرأة :

وقد حملت ثمانية وتمت لتاسعة وتحسبها كعاباً^(١)

فأقام الكعاب مقام البكر ، وجعلها ضداً للثيب . ومثله في كلامهم [كثير] موجود وإنما فعلوا ذلك - وإن كانت الكاعب قد تكون بكراً [وقد] تكون ثيباً - لأن أول أحوال الكواعب أن يكن قد ناهزن حد البلوغ وبدأت تُدِيهِنَّ بالتكعب ؛ فهن^(٢) في هذه الحال أكثر ما يكن أبكاراً وغير ذات أزواج .

وقال عمرو بن معد يكرب :

تركوا السوام لنا وكل خريدة بيضاء خرعبة وأخرى ثيب^(٣)

فأقام الخريدة مقام البكر ، وجعلها ضد الثيب . في البيت [والخريدة الدرة] والخريدة هي الحبيبة . حكى اللحياني قال : سمعت^(٤) أعرابياً من كلب يقول : الخريدة الدرة التي تُثقب وهي من النساء البكر ، والخرعبة : اللينة المفاصل الطويلة ، وهذه قد تكون [بكراً وتكون] ثيباً ، إلا أنه جعلها بكراً ؛ لأن الحياء أكثر ما يكون في الأبكار .

فقد صح معنى بيت أبي تمام الأول في الكعاب ، وبقي الغلط^(٥) قائماً في الأيّم ،^(٦) ونجعلها في البيت الثاني ضد البكر^(٧) .

(١) ديوانه ٦٤

(٢) م « أحوال الكاعب أن تكون قد ناهزت . . فهي في هذه »

(٣) السوام : الإبل الراعية .

(٤) م « سمعنا »

(٥) م « الغلط إنما هو »

(٦) من ك

(٧) ط « الثيب »

فإن قيل : فلم لم تجز^(١) لأبي تمام إقامة الأيم في البيت الثاني^(٢) مقام الشيب : إذ كانت الأيم قد تكون ثيباً ، كما أقمت الكعاب في البيت الأول^(٣) مقام البكر [إذ كانت الكعاب قد تكون بكرًا ، وتتجاوز له في هذا كما تجاوزت في ذلك^(٤) ؟

قيل : لفظه كعاب تدلّ بصيغتها على صغر السن كما عرفتك ، فهي في الأكثر تكون بكرًا غير مُفترعة ؛ ولذلك استحسّنوا أن أقاموا الكعاب مقام البكر ، ولفظة أيم لا تدل على حد^(٥) السن ، من صغر ، ولا كبير ، ولا بكورة ، ولا افتراع ؛ فلا تجوز إقامتها مقام الشيب بحال .

وقد غلط في الأيم بعض كبار الفقهاء^(٦) فجعلوها مكان الشيب ، وذلك لحديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) فإنه لحقه السهو في تأويله فحمله على غير معناه ؛ فلعل أبا تمام أيضاً^(٨) من هذا الوجه قد لحقه الغلط . وقد ذكر أبو تمام معنى هذين البيتين في موضع آخر ، فقال -^(٩) يذكر صنيعةً أيضاً :

(١) ط « فلم لا يكون »

(٢) ط ، م « الأول »

(٣) ط ، م « الثاني »

(٤) ط « كما نتجاوز في تلك »

(٥) ط « في السن »

(٦) يقصد الإمام الشافعي ، كما قال القاضي الجرجاني ٧٨ . . . وإنما نبذت منه نبذاً اقتضاها فصل أصبته لبعض من اعترض على أبي تمام ، جمع فيه بينه وبين الشافعي في التكثير ووازن بين قوليهما في الخطأ . . .

(٧) يريد قوله عليه السلام : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن في نفسها » قال الجرجاني في الوساطة ٧٧ « فذهب الشافعي إلى أن المراد بالأيم الشيب ، وليس يحفظ عنه ولا يوجد في شيء من كتبه أن الأيم والشيب في اللغة عبارتان عن معنى واحد ، فيجد العائب طريقاً إلى عيبه . . . » وخلاصة رأى الشافعي في الحديث « أن الأيم غير البكر ، وليس غير الأوبكار إلا الشيب » . وهو تأويل شديد ضل عنه تفكير الأمدى

(٨) من ك

(٩) ط « فقال وقد ذكر »

وَلَيْسَتْ بِالْعَوَانِ الْعَنْسِ عِنْدِي وَلَا هِيَ مِنْكَ بِالْبَكْرِ الْكَعَابِ^(١)
والعَوَان : هي التي بين المُسِنَّة والصغيرة السن ، وهي التي قد عرفت
الأُمُور ، وَجَرَتْ عليها التجربة ؛ ولذلك قيل : العَوَانُ لَا تُعَلِّمُ الْخَمْرَةَ^(٢) ،
ومنه قيل : حَرْبُ عَوَانٍ ، وهي التي قُوَّتِلَ فيها مرّة بعد مرة ، وإنما استعير لها
اسم المرأة في هذه الحال ، كما قال الشاعر :

• الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً •^(٣)

فاستعار لها أَوَّلَ ما تبدأ وتنشأ اسم الفتاة ، فأراد أبو تمام أن هذه
الصنيعة ليست بالعَوَانِ عِنْدِي ، أي ليست صنيعة قد تقدمتها لك لدى
صنائع تشبهها لعظمها وجلالها ، ولا هي [منك] بالبكر التي ليست مع
ذلك^(٤) بكر صنائعك ، بل [قد] أَسْدَيْتَ كثيراً مثلها إلى غيري .

وهذا هو المعنى الذي قصده في البيتين المتقدمين ، إلا أنه جعل « الْعَنْسَ »
ههنا في موضع العانس كأنه أراد أن يقول وليست بالعوان العانس^(٥) عِنْدِي
فغلط . فقال « الْعَنْسَ » ، والانس : التي يحبسها أهلها عن التزويج حتى
جاوزت حَدَّ الفتاة .

والعَنْس : اسم من أسماء الناقة ، وهي التي قد انتهت في شدتها وقوتها ،
فأين وَصَفُ الناقة من وصف المرأة ؟

(١) ديوانه ٥٦ وقد سبق ٩٣

(٢) في جبهة الأمثال ١٣٩ « يضرب مثلاً للعالم بالأمر المحرب له . والخمرة مثل الجلسة ، أي
هي عالمة بالاختيار فلا حاجة إلى تعليمه »

(٣) عجزه « تسعى ببزتها لكل جهول » وهو لمعرو بن معدى كرب الزبيدي ، كما في اللسان
٤١٦/٩ وأنظره في الشعر والشعراء ٣٣٣/١ وعيون الأخبار ١٢٧/١

(٤) ط « وذلك لكبر »

(٥) م « الأحانس » ط « الأحابس »

فإن قيل ^(١) : فإن أبا تمام لم يرد غير العننس ، ولم يرد العانس ؛ لأنه لو أراد العانس لكان مخطئاً من وجه غير ما ذكرته ، وهو أن العوان - فيما ذكر ^(٢) بعض أهل اللغة - الشيب ، وقيل : إنها التي [قد] كان لها زوج ، وجريير قد أفصح بأنها ذات الزوج في قوله :
وَأَعْطَوْا كَمَا أَعْطَتْ عَوَانٌ حُلِيِّهَا أَقَرَّتْ لِبَعْلٍ بَعْدَ بَعْلٍ تُرَاسِلُهُ ^(٣)
فكيف يكون العانس وصفاً للعوان ^(٤) والعانس هي التي حُبست عن التزويج ؟ قال عامر بن جُوَيْنٍ ^(٥) الطائي :

وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ حُبُّكَ عَانِسًا وَلَا ثِيْبًا لَوْ أَنَّ ذَاكَ أَتَانِي
فجعلها ضد الشيب ، والعننس أولى بأن تكون وصفاً للعوان من العانس ، ويكونان جميعاً من أوصاف [العوان لأن العوان إذا أريد بها] الناقة ، وهي دون ^(٦) المسنة وفوق الفتية ؛ فهي حينئذٍ الكاملة . والعننس : الناقة التي قد انتهت في قوتها ؛ فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من أوصاف النوق ، كما استعار البكر الكعاب من أوصاف النساء .

قيل : هذا غلط . من الاحتجاج ، وتعسف من التأول ، وإنما يُستدل ببعض الألفاظ . على بعض ، كما يستدل على المعنى بما يقتضيه ويتصل به ؛ فيكون في ذلك بيان وإيضاح . أما العوان والبكر - وإن كان قد وُصف بهما غير المرأة من البهائم وغير البهائم - فإن البكر في البيت لا تكون مستعارة إلا من أوصاف النساء ، من أجل ما اقترن بها من لفظ الكعاب التي هي

(١) م « فإن قال »

(٢) م ، ك « زعم »

(٣) ديوانه ٤٨٢ « عوان حليها »

(٤) م « للكعوب »

(٥) م « بن جريير » وهو تحريف راجع المعمرين ٤٠ والخزانة ٢٥/١

(٦) م « فهي »

مخصوصة بوصف الجارية التي [قد] كَعَبَ ثديها ؛ فلا تكون العَوَان في صدر البيت من أوصاف النوق ، والبكر في آخره من أوصاف النساء ، فعلمنا أنه لم يرد بالعنُس إلا العانس فغلط. كأنه أراد [أن] هذه الصنيعة ليست في حال ما هي عندي بالعَوَان العانس ، ولا في حال ما هي عندك بالبكر الكعاب ؛ لأن المرأة [قد] تكون كاعباً وبكراً في حال ، وعواناً وعانساً في حال أخرى ؛ فتنتقل في هذه الأوصاف . والعنُس لا موضع لها ههنا .

وأما قوله « إنه لو أراد العانس كان مخطئاً ؛ لأن العانس هي التي حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة فلا يكون وصفاً للعَوَان لأن العوان عند أهل اللغة الثيب » - فيقال [له] : إنما كان يسوغ لك هذا التأويل لو زَالَ اسم العنوس عن المرأة إذا تزوجت ، فأما وسو^(١) وهو باقٍ عليها بعد التزويج الذي صارت به ثيباً فلم لا يكون وصفاً للعَوَان التي هي أيضاً ثيب عندك ، ألا ترى إلى قول كثير :

وإنَّ طِلَابِي عَانِساً أُمٌّ وَلِدَةٍ لَمِمَّا تُمْنِيْنَا النَّفُوسُ الْكَوَازِبُ^(٢)

فقال « عانساً » وجعلها أم ولده .

فإن قال : فلعلَّ أبا تمام لم يرد هذا ، وإنما أراد بالعنُس مصدر عَنَسَتِ المرأة تَعْنُسُ عَنَساً وَعُنُوساً . فجعل المصدر وهو عَنَسَ وصفاً للعَوَان مكان العانس ، والمصادر قد تجعل أوصافاً في موضع^(٣) أسماء الفاعلين .

قيل له^(٤) : المعروف في مصدر عَنَسَتِ المرأة هو العُنُوس ، ولم يسمع العَنَس ، وعلى أن الأصمعي قد أنكر عَنَسَتِ مخففاً ، وقال : إنما هو

(١) م « ماهو »

(٢) ط « فإن . . . لما تمنى »

(٣) في ط ، م « مكان »

(٤) ط « له المصدر »

عُنَسْتُ تُعْنِسُ تَعْنِيسًا [بالتشديد] ، حكى ذلك عنه يعقوب بن السكيت .
 وَهَبُ [أنه] قد جاء العُنْسُ مصدر عُنَسْتُ ، فليس في كل موضع يسوغ
 أن تكون المصادر أوصافاً ، وإنما تكون أوصافاً على وجه من الوجوه وطريقة من
 اللفظ ، وهي قولهم : إنما زيد دَهْرُهُ أَكْلٌ ونوم^(١) ، وإنما عمرو أبداً قيامٌ
 وقعودٌ [فإن شئت كان المعنى : إنما زيد ذو أَكْلٍ ونوم ، وإنما عمرو ذو قيام
 وقعود] ؛ فتقيم المضاف إليه مقام المضاف ؛ لأنه يدل عليه ، أو تجعل
 زيدا نفسه الأكل والنوم ، وعمراً القيام والقعود على المبالغة ؛ لأن ذلك
 كثير منهما ، كما قالت الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا اذْكُرْتَ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(٢)
 فجعلت الناقه هي الإقبال والإدبار ، لأن ذلك كثر منها ، وإن شئت
 كان المعنى ذات إقبال وإدبار ؛ فأقيمت المضاف إليه مقام المضاف .

فهذه طريقة الوصف بالمصادر ، وإذا تأولت بالعنْسُ المصدر في قوله
 «وليس بالَعَوَانُ العُنْسُ» كان ذلك كقولك : ليست هند بالصبية الصَّغِيرُ^(٣) ،
 تريد الصغيرة ، ولا دَعْدُ بالهَرَمَةِ الْكَبِيرِ^(٤) ، تريد الكبيرة ؛ وهذا لا يسوغ
 في منطق ، ولا يعرف^(٥) في لغة . ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفاً على
 نحو ما ذكرته ؛ فيقال : هِنْدُ الْحُسْنُ كُلُّهُ ، ودَعْدُ الْجَمَالِ أَجْمَعُ ، وزيد
 الْهَرَمُ أَقْصَاهُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ الْبُغْضُ^(٦) نَفْسُهُ ، والتَّيَّةُ عَيْنُهُ . فإن شئت كان

(١) م «زيد دهر لكل ويوم»

(٢) ديوانها ٧٨ والكمال ١٢١٤/٣ واللسان ١٣٥/١٩ والأغاني ١٣٨/١٣ وأمال المرتضى

٤٦٥/١

(٣) م «الصغير»

(٤) ليست في م

(٥) ط «ولا يعد»

(٦) م «وعند»

المعنى هندُ صاحبةُ الحسنِ كله ، ودعد ذات الجمال أجمعه ، وزيد أخو الهرم ، وعبد الله ذو التيه ؛ فأقمت المضاف إليه مقام المضاف ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾^(١) يريد أهل القرية . وإن شئت جعلت هنداً هي الحسن ، ودعداً هي الجمال ، على المبالغة ، [لما كانتا غايتين فيهما . وجعلت زيدا هو الهرم وعبد الله هو التيه] لما كانا متناهين في هذين الوصفين .

ولو كان أبو تمام اقتصر على ذكر العَوَان والبكر - وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء في هذا المعنى ، ولم يخلط بهما العَنَس والكعَاب والشيْب والأَيِّم^(٢) - لكان قد سلك الطريقَ المستقيم وأتى باللفظ المألوف المستعمل ، وتخلص من فاحش الخطأ ، وإنما أراد معنى الفرزدق في قوله :

وَعِنْدَ زِيَادٍ لَوْ تُرِيدَ عَطَاءَهُمْ رِجَالٌ كَثِيرٌ قَدْ تَرَى بِهِمْ فَقْرًا^(٣)
قُعُودٌ لَدَى الْأَبْوَابِ طَلَابُ حَاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الْحَاجَاتِ أَوْ حَاجَةٍ بِكْرًا^(٤)
أى : منهم طالبُ حاجةٍ عَوَانٍ ، أى حاجة قد عرفها وصارت عادة له ورسمًا يتطلبه في كل حين ؛ ومنهم طالب حاجة بكر ، أى أول ما يلتزمه منه ويترجمه^(٥) عنده . فأحبَّ أبو تمام أن يزيد على هذا المعنى ويُغرب فأخرجه ذلك إلى الخطأ .

وقد أحسن محمد بن حازم الباهلي في قوله :

أَبَا جَعْفَرٍ يَا بَنَ الْجَحَاجَةِ الْغُرِّ بَدَتْ حَاجَةٌ وَالْحَرُّ يَا أَوَى إِلَى الْحَرِّ^(٦)

(١) سورة يوسف : ٨٢

(٢) في ك «والشيْب والبكر»

(٣) ديوانه ٢٢٦ «يريد . . . يرى . . .» وفي ط «عطاء»

(٤) ط «طالب»

(٥) في ط ، م «ويقرحه»

(٦) الجحاجة : جمع ججاج ، وهو السيد الكريم

وَقَدْ لَبِستُنِي مِنْكَ بِالْأَمْسِ نِعْمَةً فَهَلْ لَكَ فِي أُخْرَى عَوَانٍ إِلَى بَكْرٍ
عَلَى أَنَّهُ إِنْ أَمْكَنْتَ أَوْ تَعَذَّرْتَ فَلِمَنْكَ بَيْنَ الشُّكْرِ مِنِّي وَالْعُدْرِ
فهذه طريقة الشعراء في العَوَان والبكر .

٧- ومن خطائه قوله :

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى ، وَلَكِنْ عُرْفُهُ لِإِلْتِبَاعِ الْأَوْطَانِ دُونَ الْأَقْرَبِ^(١)
لأنه نَقَضَ الممدوح مرتبةً من الفضل ، إذ^(٢) جعل وَدَّهَ لِدَوَى قَرَابَتِهِ ،
وَمَنْعَهُمْ عُرْفَهُ ، وجعله في الأبعدين دونهم . ولا أعرف له في هذا عذراً يتوجه .
وقد عارضني في هذا البيت غير واحد ممن ينتحل نُصْرَةَ أَبِي تمام .

فقال بعضهم : إن العُرف [هو] ما يتبرع به الإنسان ؛ فلذلك جعله
في الأبعد ، فأما الأقارب فإن برَّهم وصلَّتهم من الحقوق الواجبة اللازمة .

قلت : إن كنت تريد الحقوق التي تلزم [وتجب من طريق الحكم]
فإن ذلك إنما هو للآباء والأجداد والأمهات والأولاد والإخوة والأخوات والأعمام
والأخوال [ومن لا تجوز فيهم المناكحات] إذا كانوا فقراء محتاجين ؛
فيجب لهم من الإنفاق عليهم بقدر القوت والكفاية ، وهذا لا يخرج [عن]
أن يسمى معروفاً ، ألا تراه يقولون : أُنِِّلَ أَبَاكَ مِنْ مَعْرُوفِكَ ، أو أُنِِّلَ أَمْلَكَ
من معروفيك ؛ فلا يكون هذا قبيحاً ، بل حسناً^(٣) ، وقال الله عز وجل فيما
فَرَضَ للنساء^(٤) : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(٥) فقد
صار الفَرَضُ ههنا معروفاً ؛ لأن المعروف [ههنا] هو الحسن الجميل من

(١) ديوانه ١٤ وفي شرح التبريزي ١٠٨/١ « أي يخفص قرابته بالود والمحبة دون العطاء ؛ لأنهم
غير محتاجين ، وعرفه لمن لا نسب بينه وبينه » وهو في الصناعتين ١٢٢

(٢) في ط ، م « وجعل »

(٣) ط « بل حقاً »

(٤) ط « على النساء »

(٥) سورة البقرة : ٢٣٣

القول والفعل الذى قد^(١) عُرِفَت المصلحة فيه فصار معهوداً [معتاداً] إذا ورد لم تنفر منه النفوس فتذكره وهذا لا يكون الإنسان محموداً به إذا أعطاه هذه الطبقة من أهله حتى يمدح بفعله ويُفتخر له به ، بل يكون مذموماً إذا اقتصر عليه ولم يتجاوز [إلى التوسعة عليهم والإغناء لهم إن كان من ذلك متمكناً وعليه مقتدرًا ، فما بال الآن غير هؤلاء] من الأقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم ، وهم بنو الأعمام الذين هم الأغصان والعُدة ، وبهم تكون النصرة ، وكذلك بنو الأخوات وبنو الأخوال لم يجعل المعروف الذى هو تبرع^(٢) فى الأبعاد دونهم ويخرجون منه .

وإن [كنت] أردت الحقوق التى يلزمها الإنسان نفسه تكرماً وتفضلاً فذلك حقيقة العرف الذى يتبرع المرء به ، ويحمد عليه ، ويمدح بفعله إياه ، وإعطائه له ، ويؤذى إذا منعه . والأقارب على اختلاف^(٣) طبقاتهم وأنسابهم أولى [به] من الأبعاد ؛ فمن جعله فى الأبعاد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ، ونهاية العقوق ، وعين الحمق ، وإن وصفه واصفٌ به فقد بالغ فى ذمه ، وتناهى فى هجائه .

وقال آخر^(٤) قوله « الود للقربى » قد جمع لهم الود^(٥) والعرف وغيره ؛ لأن المودة تشتمل على ذلك كله ، والعرف الذى خص به الأبعدين لا يجمع الوداد ؛ إذ ليس كل من أسديت إليه معروفاً فقد^(٦) ودّته : فقد أعطى ذوى القربى أكثر مما أعطى الأبعدين .

(١) سقطت من م

(٢) ط « هو يتبرع به »

(٣) ط « الاختلاف فى »

(٤) فى ط بدلها : « فقال »

(٥) م « بالود »

(٦) ليست فى ك

فقلت له : وليس كل من ودته أيضاً فقد أُسْدِيَتْ^(١) إليه نائلاً ولا معروفاً ، ولا تتضمن لفظة الودّ غير المحبة فقط .

وعلى أن قوله « دون الأقرب » تأكيد يوجب إخراج الأقارب من العرف ، وتخليصه^(٢) للأبعدين ، فما يغني^(٣) هذا التأويل الذي تأولته .

فأقام على أن الودّ يجمع العرف والصلة . وهذا غير معروف ، ولا موجود في كلام الناس .

وقد قال المقنّع الكِنْدِيُّ :

فَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لِمُخْتَلِفٍ جَدًّا^(٤)
إِذَا جَمَعُوا صَرَمِي مَعًا وَقَطِيعِي جَمَعْتُ لَهُمْ مَنِي مَعَ الصَّلَةِ الْوُدَّا^(٥)

فأفصح هذا بأنه يجمع لهم بين الصلة والود . وقال البحترى :

مَوْدَّةٌ وَعَطَاءٌ مِنْكَ نَلْتُهُمَا وَرُبٌّ مُعْطَى نَوَالٍ غَيْرِ مَوْدُودٍ^(٦)

فقال « مودة وعطاء منك نلتهما » فلو كانت المودة لا تكون إلا ومعها

عطاء لما يكن لهذا القول معنى ، وكذلك البيت قبله ، وقال « ورُبٌّ مُعْطَى

نوالاً غير مودود » ، [وكذلك تقول : رب معطى نوال غير مودود]^(٧) ورب

مودود غير معطى نوال . ألا ترى إلى قول الأعشى :

بَانَتْ وَقَدْ أُسَارَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَتُهَا بَعْدَ اثْتِلَافٍ ، وَخَيْرُ الْوُدِّ مَا نَفَعَا^(٨)

(١) م ، ك « أوصلت »

(٢) في ط ، م : « وتحصيله »

(٣) ط « عن العرف وتخليصه للأبعد في معنى هذا » وفي م « مما يغني هذا التأويل »

(٤) حماسة البحترى ٢٤٠ ، والصناعتين ١٢٢

(٥) رواه البحترى

وإن قطعوا مني الأواصر ضلة وصلت لهم مني المحبة والودا

(٦) ديوانه ٣٤٧

(٧) الزيادة من ك

(٨) ديوانه ١٣٠ والصناعتين ١٢٢ وتفسير الطبري ١٠٦/١ طبع المعارف وفي م « باتت »

وأسارت من السور بمعنى أبقت .

فَأَرَادَ أَنَّ الْوَدَّ قَدْ يَكُونُ وَلَا نَفْعَ مَعَهُ ، وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ ^(١) :

فَرَأَى اللَّهَى وَالْوَدَّ حَتَّى كَانَمَا أَفَادَ الْغِنَى مِنْ نَائِلِي وَفَوَائِدِي

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء ، فأجيبته بمثل هذا الجواب ، وقلت له : فإن كان الأمر على ما تزعم وتركناك ^(٢) وشهوتك في أن الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض أيضاً ^(٣) هذا الشاعر نفسه في البيت ؛ لأنه إن كان أراد بقوله « الود للقربي » المحبة والمعروف جميعاً ، فقد قال في عجز البيت « ولكن عرفه في الأبعد الأوطان دون الأقرب » فأخرج الأقرب [من العرف] بقوله « دون » فلو كنت تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الأقرب ، كان ذلك أقل قبحاً من المناقضة .

فقال : إنما أراد بقوله « ولكن عرفه في الأبعد الأوطان دون الأقرب » إفراد العرف للأبعد ، وألا يجمعه ^(٤) له مع وده ^(٥) كما جمعهما للأقرب .

فقلت : فقول « دون » يفسد عليك هذا التأويل ^(٦) ، وما أراك إلا وقد أوضحت به ^(٧) الإحالة والمناقضة وبينتهما ؛ لأنك في هذا كقائل قال : الود والمال جميعاً لزيد ، والمال لعمرو مفرداً دون زيد . فكيف يجمع المال مع الود لزيد أولاً ويُفرد عمرو ^(٨) به دون زيد آخر ؟ وهذا أقبح ما يكون من

(١) م ، ك : « وقال البحرى » وهو خطأ فالبيت في ديوان أبي تمام ١١٧ وشرح التبريزي ٧٣/٢ واللهى : الأموال . وأفاد : بمعنى استفاد .

(٢) ط « على شهوتك »

(٣) ط « ناقض إذا هذا » ك « ناقض إذا في البيت »

(٤) ط « للأبعد وإلا فجمعه »

(٥) ط ، م « الود »

(٦) ط « التأويل »

(٧) من ك

(٨) ط « عمرا »

المنافضة . وإنما كان يصح هذا^(١) الكلام أن لو قال : الود والمال لزيد ،
والمال لعمرو دون الود . فيكون قد أخرج عمرًا من الود إخراجاً مؤكداً بقوله
« دون الود » فأما الكلام الأول فمتناقض كما عرفتك . وكذلك بيت
أبي تمام كان يُتأول على هذا أن لو قال « دون الود » لا دون الأقرب ، وما ظننت
أن أحداً يدعى مثل هذه الدعوى ، ولا أن حاجة تدعو إلى مثل هذا الاحتجاج .
ويجب أن يقال لهذا المعارض : هل يجب^(٢) عندك أن تكون مودة
لا معروف معها ، إذ ليس كل من ودته فقد أنلته معروفًا ؟ فإن قال « لا »
كأبَرَّ وسقط كلامه ، وإن قال « نعم » قيل : فقد خرجت لفظة الود^(٣)
عن أن تدلَّ بمجردا على المعروف إلا^(٤) بشيء يقترن بها .
وقال آخر : إنما أخرج أقاربه من المعروف لأنهم في غنى وسعة بغنائه
وسعة حاله ؛ فلذلك أفردهم بالود .

قلت له : فإذا^(٥) كانوا أغنياء بغنائه فقد أوسعهم من معرفه ؛ فما كان
ينبغي للشاعر أن يشترط^(٦) للأبعد دونهم .

وقلت له : وكيف يُعلم أنهم أغنياء وليس في ظاهر لفظ^(٧) البيت دليل
عليه ؟ قال : كذا نوى وأراد . قلت : ليس العمل على نية المتكلم ، وإنما
العمل على ما توجيه^(٨) معاني ألفاظه ، ولو حمل^(٩) قول كل قائل وفعل كل

(١) م « هذا »

(٢) م ، ك « يجوز »

(٣) م « الود أن . . . لا بشيء »

(٤) م « لا »

(٥) ط « فإن »

(٦) ط « يشترط »

(٧) ط « في داخل البيت »

(٨) ط ، ك « على توجيه »

(٩) ط « حملت »

فاعل على نيته لما نسب أحد إلى غلط. ولا خطأ في قول ولا فعل ، ولكان من سدّد سَهْمًا وهو يريد غرضاً فأصاب عينَ رجل فذهبت ^(١) - غير مخطئ ؛ لأنه ما اعتمد إلا الغرض ، ولا نوى غير القرطاس .

وقال آخر : أراد بقوله « ولكن عرفه في الأبعد الأوطان دون الأقرب » أى : بَعْدَ الأقرب [كما] تقول : جاء ^(٢) الأمير فمن دونه ، أى : فمن بَعْدَهُ .

قلت : فإنما معنى « فمن دونه » أى فمن هو أدونُ منه في الرتبة ، بعده كان مجيئه أو قبله .

وقال آخر : إنما أراد أبوتمام بقوله « دون الأقرب » أى : فضلاً عن الأقرب ، أو ^(٣) : فكيف الأقرب ، لأن ^(٤) هذا مذهب الناس أن يضعوا « دون » في هذا الموضع فيقولوا : أنا أرضى بالقليل دون الكثير [أى : فضلاً عن الكثير] ^(٥) وأنا أقتنع بقرص من شعير دون ما سواه ، أى : فضلاً عما سواه ، وهذا مذهبٌ صحيح معروف .

قلت له : هذا توهم منك فاسد ، وتناول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود ؛ لأن معنى « دون » عند أهل العربية ^(٦) التقصير عن الغاية ؛ فمعنى قوله « أنا أرضى بالقليل دون الكثير » أى أرضى بالقليل ولا أنتهى إلى الكثير ؛ أى لا أطمح إليه ، وأقتنع ^(٧) بقرص من شعير ولا أنتهى إلى ما سواه ؛ فهذه

(١) م « فذهب »

(٢) ط « جاء »

(٣) ط « أى »

(٤) ط « وإن كان هذا مذهباً للناس »

(٥) الزيادة من ط

(٦) ط « أهل اللغة »

(٧) ط « وأرضى »

حقيقة معنى اللفظ. ، فأما ما تأولته فإنما هو بمعنى بَلَّهَ التي تأتي في الكلام وموضعها دَعُ ، كقول كثير :

بَسَطْتُ لِبَاغِي الْعُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً يَنَالُ الْعِدَا ، بَلَّهَ الصَّدِيقَ ، فَضُولَهَا أَى : تنال العدا فدَعِ الصديقَ ، أَى : لا تصل إلى العدا إلا بعد أن

تصل إلى الصديق. و « دون » لا تتضمن هذا المعنى ولا تؤديه .

قال ^(١) : فقد تأتي « دون » بمعنى فوق ، كما تأتي فوق بمعنى دون ، في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ^(٢) ذكر أن معناه فما دونها ؛ لأن « فوق » قد تكون دون عند ما هو فوقها ؛ و « دون » قد تكون فوق عندما هو دونها ^(٣) ؛ فيجوز أن يكون أراد الشاعر بقوله « دون الأقرب » أَى : فوق الأقرب ، بمعنى زيادة على ما أعطاه الأقرب ، أو تكون « دون » ههنا بمعنى أمام [لأن بعض أهل اللغة جعلها من الأضداد ، وأنها تأتي بمعنى خَلْفَ وبمعنى أمام ^(٤) مثل وَرَاءَ ، فيكون معنى ^(٥) قوله « دون الأقرب » أَى : أمام عرفه في الأقرب ، أَى : قبله . قلت له : أما ما قيل في قوله عز وجل (فما فوقها) [أن] معناه فما دونها ، فإن أهل العربية على خلاف ذلك ، وليس لهذه اللفظة ^(٦) عندهم إلا وجهان ؛ أحدهما : أن يكون فما فوقها [بمعنى] فما هو أكبر منها ^(٧) ؛ لأن البعوضة نهاية ^(٨) في الصغر ؛ فيكون المعنى أنه تعالى لا يستحي أن يضرب

(١) م « ولا تؤديه فإن فقد »

(٢) سورة البقرة : ٢٦

(٣) ط « تحتها »

(٤) الزيادة من ط

(٥) م « بمعنى »

(٦) ط « اللغة »

(٧) م « أكثر »

(٨) ط « غاية »

مثلاً ما بين [هذا] الشيء الذي هو غاية الصغر إلى ما هو فوقه ، أى :
ما زاد عليه وتجاوزته .

والوجه الآخر : [أن يكون فما فوقها بمعنى] فما فوقها فى الصغر ، وهذا
قول أبى العباس : محمد بن يزيد المبرد وأبى إسحاق الزجاج ، والكسائى من ^(١)
قبلهما ، وأبى عبيدة ، وما أظن غير هؤلاء [من النحويين] يقول إلا مثل
ذلك .

وأما ما ذكرته من أن « دون » تأتى بمعنى خلف [وأمام] ^(٢) وأنها ^(٣) عند
أهل العربية من الأضداد مثل « وراء » - فقد أخبرتك أن معناها عند أهل
[اللغوى] العربية التقصير عن الغاية ، وإذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه
أو يمنة [منه] أو شامة ، صلح فى ذلك كله أن تقول : هو دونه ، ألا
ترى أنك إذا قلت « بيوت بنى فلان دون الحرة » صلح أن تكون دونها إلى
مَهَبِّ الشمال ، أو إلى مَهَبِّ الجنوب [أو إلى] ^(٤) غيرهما من الجهات ، فلا
يعلم المخاطب أى الجهات التى تَعْنَى ^(٥) ؛ فليس هذا من الأضداد فى شيء ،
ولأنما جعلها قوم من الأضداد لما رأوها تُستعمل فى هذه الوجوه لما فيها من
الإبهام .

وكذلك « وراء » إنما هى من المَوَاراة والاستتار ؛ فما امْتَرَّ عنك فهو
وَرَاءَ : خَلْفَكَ كان أو قَدَّامَكَ ، هذا إذا لم تَرَهُ ولم تُشاهده ، فأما إذا
رأيتَه فلا يكون أمامك وراء ^(٦) ، وإنما قال لبيد :

(١) م « ومن »

(٢) من ك

(٣) ط « وأمام فإنها »

(٤) الزيادة من ط

(٥) م . ك « المخاطب أين الجهة حتى يعلمه فليس »

(٦) ط « أمامك ووراءك »

أَلَيْسَ وَرَأَى إِنْ تَرَخْتَ مَنِيَّتِي لُزُومُ الْعَصَا تَخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ^(١)

بمعنى أليس أمامي ؛ لأنه قال ذلك قبل أن يرى ويُشاهد نفسه وقد لزم العصا . وكذلك قول الله تعالى : ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا ﴾^(٢) قالوا : إنه كان^(٣) أمامهم ، وصَلَحَ ذلك لأنهم لم يُعاينوه ولم يشاهدوه . فقد وضع لك الآن معنى^(٤) « دون » وأنها لا تخرج عن بابها الذي^(٥) وُضعت له ، ألا ترى أنك تقول : نزلتُ القرية^(٦) دون النخل ؛ فيجوز أن تكون القريةُ أمام النخل ، وخلفه ، ويكون^(٧) المعنى أنك أفردت القرية بنزولك ، ولم تُعَرِّج على النخل ، وكذلك « لقيت زيدا دون عمرو » و « أكلت السمك دون اللبن » أخرجتَ عمرا من لقائك ، واللبن^(٨) من أكلك . فكذلك قول الطائي « دون الأقرب » قد أخرجهم من العرف ، وهذا لا شيء أوضح منه .

وقد حمل بعضهم نفسه على أن قال : إنما^(٩) أراد الطائي « لكن عرفه في الأبعد الأوطان دون عرفه في الأقرب » .

وهذا من أفحش الخطأ ، لأن قوله « دون الأقرب » مثل قولك : ودَى لزيد دون عمرو : فليس معناه كمعنى قولك : ودَى لزيد دون [ودَى] لعمرو ؛ لأنك في الأول قد أخرجتَ عمرا من الود وأفردت به زيدا ، وفي الثاني جعلت

(١) م « عليها الأضالع » والبيت في اللسان ٢٦٩/٢٠ والشعر والشعراء ٢٣٦/١ والأغاني ٩٩/١٤

(٢) سورة الكهف : ٧٩

(٣) م « إنما قالوا كان »

(٤) م « ذلك الآن بمعنى »

(٥) ط « التي » م « وصف له »

(٦) ط « في القرية »

(٧) ط « أن يكون »

(٨) م ، ك « والسمك »

(٩) من ك

الود لزيد دون الود لعمرو ، أى أقل منه ، فهذا معنى ، وذلك معنى ^(١) آخر .
وأيضاً فلو اعتمد أبو تمام هذا المعنى لكان قد أخرج « لكن » التى تدخل
للاستدراك من أن يكون استدراكها شيئاً : فلا يكون لها فى البيت معنى ألبتة .
وقال آخر ممن يلتمس العذر لأنى تمام : إنما هذا على طريق الإيثار كما
يوثر الإنسان على نفسه ، فكذلك يوثر على أقاربه .

قيل له : الإيثار على النفس حسن ^(٢) جداً ، وصاحبه ممدوح ، كما
قال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ^(٣) وكما قال
أبو خراش ^(٤) الهذلي ^(٥) :

أَرَدْتُ شُجَاعَ الْجُوعِ لَوْ تَعَلَّمِينَهُ وَأَوْثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطُّعْمِ ^(٦)
وكما قال عروة بن الورد :

أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومِ كَثِيرَةٍ وَأَخْسُو قَرَأَحَ الْمَاءِ وَالْمَاءِ بَارِدُ ^(٧)
فالإيثار إنما يكون إيثاراً ويقع الحمد به إذا أثر الإنسان غيره على
نفسه أو على ولده ، فى بعض الأحوال ، فأما إذا أثر بعض الطالبين على
بعض بغير سبب يُعلم ، فهو بذلك مذموم غير ممدوح ، فكيف إذا أثر
البعيد على القريب ؟

(١) من ك

(٢) م « كمن جداً » !

(٣) سورة الحشر : ٩

(٤) م « أبو خراش » !

(٥) من ك

(٦) ديوان الهذليين ١٢٨/٢ وفى اللسان ٣٩/١٠ « وتزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه
تعرضت له فى بطنه حية يسمونها الشجاع وقال أبو خراش الهذلي مخاطب امرأته . . . وقال الأصمى :
شجاع البطن شدة الجوع وأشد بيت أبي خراش أيضاً « والطعم : الطعام . وفى ك « شجاع البطن »
(٧) ديوانه ١٤١ وتهذيب الألفاظ ١٩٧ والاعتصاف ٣٧٢ جسمه ههنا : طعامه . يقول :
أقسم ما أريد أن أطعمه فى محاريج قوى ومن يلزمى حقه والضيغان . والماء القراح : الذى لا يخالطه لبن ولا
غيره . والماء بارد : أى فى الشتاء

وقد جاء في أشعار العرب من الحث على بر الأقارب ومن حمد من وصلهم وذم^(١) من حرمهم ، ما هو أكثر وأشهر من أن يخفى .

قال زهير :

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ يَوْمًا ، وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقًا^(٢)
وقال أبو دُوَادٍ الْإِيَادِي :

إِذَا كُنْتَ مُرْتَادَ الرُّجَالِ لِنَفْعِهِمْ
فَرِشَ وَأَصْطَنَعَ عِنْدَ الَّذِينَ بِهِمْ تَرْفَى^(٣)

وقال حاتم الطائي :

لَا تَعْذُلْنِي عَلَى مَالٍ وَصَلْتُ بِهِ رَحْمًا قَرِيبًا ، فَخَيْرُ الْمَالِ مَا وَصَلَا^(٤)
وقال أوس بن حَجَر :

أَلَيْسَ بَوْمَاهِ مُفِيدٍ وَمُتْلِفٍ وَصُولِ لِيذَى الْقُرْبَى هَضِيمٍ لِمُهْتَضِمٍ^(٥)
وقال زهير :

وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتُهُ بِمَالٍ وَمَا يَذْرَى بِأَنْكَ وَاصِلُهُ^(٦)
وقال كُثَيْر :

بَسَطْتَ لِبَاغِي الْعُرْفِ كَفًّا بَسِيطَةً

يَنَالُ الْعِدَا بَلَّةَ الصَّدِيقِ فُضُولُهَا

(١) م « وذلك من »

(٢) ديوانه ٥٣ « والعرب تقول إذا ضرب الرجل الشجر ليحت ورقه فيملفه ماشيته : قد خرج يخبط الشجر . والورق يسمى الخبط . ويقال للرجل : إن خابطه ليجد ورقاً : أى أن سائله ليجد حطاه . أى يكون لخابط المعروف في واد به ورق ، فسمى من طلب بغير يد سائلة ولا معروف - خابطاً . والإعدام أن تمنع الرجل ما يريد .

(٣) البيت له في الصناعتين ١٢٣ وراش السهم : ركب عليه الریش

(٤) ديوانه ١١٧ « رحماً وخير سبيل المال »

(٥) هكذا في الأصل والذى في ديوانه ص ١٢٤ . هضم لمهضم

(٦) ديوانه ١٤٣ وفي م « وما مدرية أنك »

فهذا المعنى أولى بالصواب من قول الطائي ، لأنه أراد أن عرفه ينال العدا
فضلا عن الصديق : لأن قوله « بله الصديق » أى فدع الصديق لأنه
لا يصل إلى العدا إلا بعد أن يصل إلى الصديق .
وقال كثير أيضاً :

لأهلِ الوُدِّ والقُرْبى عليه صنائعُ بشها برُّ وُصولُ
وللفُقراءِ عائِدةٌ ورَحْمٌ فلا يُقَصِّى الفقيرُ ولا يُعِيلُ^(١)
الأتراه بدأ بأهل وده وقرباته فجعل صنائعه^(٢) فيهم ، ثم ثنى بالفقراء ،
فجعل لهم عائدة ورَحماً ، أى رحمة .

وقال كثير أيضاً :
ولم يَبْلُغِ السَّاعُونَ في المجدِ سَعِيَهُ وَلَمْ يُفْضِلُوا إِفْضَالَهُ في الأَقَارِبِ
جَزْتَكَ الجَوَازِي عَنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً وَحَيِّتَ مِنْ مَأْوَى طَرِيدٍ وَرَاغِبٍ^(٣)
وصاحب حق معصم بك حقهُ وجار ابن ذى قرنى وآخر جانب^(٤)
رَأَيْتُكَ وَالْمَعْرُوفُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ تَعْمُ خَيْرٌ كُلِّ جَادٍ وَغَائِبٍ
« جاد » يقال : فلان^(٥) يَجْدُو وَيَجْتَدِي ، أى : يعم بالمعروف من
هو بحضرتك [يسألك]^(٦) ومن هو غائب عنك ؛ فجعل كثير ، كما ترى ،
معروفه عموماً في الأَقَارِبِ وفي الأَبَاعِدِ إلى الحاضر والغائب .

وقال ابنُ هرْمَةَ :
كَمْ نَائِلٍ وَصْلَاتٍ قَدْ نَفَحَتْ بِهَا وَنِعْمَةٍ مِنْكَ لَا تَحْصِي أَيَْادِيهَا

(١) في ك « ولا يعول »

(٢) ط « منافعه »

(٣) ط « وقربت »

(٤) ط « وصاحب قوم » . م « وجابر ذى »

(٥) من ك

(٦) من ك

[عند الأقارب والأقصى نفعهما بيض روائحها تحذو غواذها] ^(١)
وقال كنانة بن عبد ياليل الثقفي .

صلاة وتسبيح وإعطاء سائل وذو رجم تناله منك إصبع ^(٢)
يريد بقوله إصبع معروف ونائل .

وقال إسماعيل بن يسار النسائي ^(٣) :

ولإذا أصبت من النوافل رغبة فامنح عشيرتك الأداني فضلها ^(٤)
وقال المسيب بن علس في منع الأقارب :

من الناس من يصل الأبعدين ويشقى به الأقرب الأقرب ^(٥)
وقال الحارث بن كلدة الثقفي يذم فاعل ذلك :

من الناس من يغشى الأبعد نفعه ويشقى به حتى المات أقاربه ^(٦)
فإن يك خير فالبعيد يناله وإن يك شر فابن عمك صاحبه
فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب .

وقال مسافر بن أبي عمرو بن أمية [بن عبد شمس] ^(٧) في [نحو]
ذلك :

تمد إلى الأقصى بثديك كله وأنت على الأدنى ضرور مجدد
ولأنك لو أضلحت من أنت مفسد توددك الأقصى الذي تتودد
الضرور ^(٨) : الضيق حلمة الثدي ، والمجدد : الذي قد أنقطع لبنه .

(١) سقط من م

(٢) ط « وإعطاء نائل »

(٣) م « بن بشار النساء »

(٤) م « فامنح عشيرتك »

(٥) ديوانه ٣٥١ والصناعتين ١٢٣

(٦) الصناعتين ١٢٣

(٧) ما بين القوسين من ك

(٨) م « الضرورة »

فهذه طريقة القوم في هذا ، وهو مذهب سائر الأمم .

وأما قول أبي تمام :

وَرُبَّمَا عَدَلْتُ كَفُّ الْكَرِيمِ عَنْ الْقَوْمِ الْحَضُورِ وَنَالَتْ مَعْشَرًا غُيْبًا^(١)

فليس هو من بيته الأول في شيء ، وقا أدرك فيه الغرض ، كأنه يعذر من فعل هذا : أى ربما أتفق أن يفعله من غير قصد ، وليس أيضاً^(٢) بمحمود .

وقد ذهب البحتري إلى نحو ما ذهب إليه أبو تمام فقال :

بَلْ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ سَيِّهِ نَسَبًا مَنْ كَانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمًا^(٣)

إلا أنه لم يخرجهم من معرفته ، وإن كان أيضاً قد دخل تحت الإساءة .

ونحو هذا قول البحتري أيضاً :

عَدَا قِسْمَةً عَدَلًا : فَفِيكُمْ نَوَالُهُ وَفِي سِرِّ نَبْهَانِ بْنِ عَمْرٍو مَأْثَرُهُ

وَلَا عَجَبُ أَنْ تَشْهَدُوا الطَّعْنَ دُونَهُ وَمَا عَشَرْتَكُمْ فِي نَدَائِهِ عَشَائِرُهُ^(٤)

فأى قسمة عدل ههنا : أن يجعل نواله^(٥) في غير قومه ، ويقتصر بهم

على أن يحوزوا^(٦) الفخر بمآثره ؟ وإن كان قد دل بقوله « وما عَشَرْتَكُمْ فِي

نداءه عَشَائِرُهُ » على أنه لم يحرمهم نواله ألبتة .

والأحسن في هذا قوله :

فَلَمَّا تَنَفَّرِدْ عَنَّا قُشَيْرٌ بِمَجْدِهِ فَلَمْ تَنْفَرِدْ عَنَّا بِنَائِلِهِ الْجَزَلِ^(٧)

(١) ديوانه ٢٢ وشرح التبريزي ٢٤٢/١ ويروى : « عن النصح المقيم وقالت حسدا فبها »

(٢) ط « هذا » مكان « أيضاً »

(٣) ديوانه ٥٣٢ وقد نقله مع التعليق عليه صاحب الصناعتين ١٢٣

(٤) ديوانه ٨٨١/٢٥٢ المعارف « وفي سرو »

(٥) ط « وما عجب » و م « أن يشهدوا . . . في نداءه »

(٦) ط ، م « نداءه »

(٧) ط « أن يمحروا الفخر لمآثره »

(٨) ديوانه ٣٦٢ ، ١٨٠٧/٣ وفي م « لجهده »

فأعطاهم المجد والنائل جميعاً .

وشبيه بهذا أو قريب منه قوله :

عَطَاؤُكَ ذَا الْقُرْبَى جَزِيلٌ وَفَوْقَهُ عَطَاؤُكَ فِي أَهْلِ الشَّنَاعَةِ وَالْبَعْدِ^(١)
فقال «عطاؤك ذا القربى جزيل» ثم قال «وفوقه عطاؤك في أهل الشناعة
والبعد» فقولهُ «وفوقهُ» أى أَجْزَلُ منه ، وقد يكون «فوقه» بمعنى زيادة
عليه [كما تقول لم يقنع بكذا وكذا حتى فعل فوقه كذا وكذا : أى زيادة
عليه]^(٢) والمعنى الأول بالبیت أليق .

والجيد في هذا البعيد من العيب قوله :

ظَلَّ فِيهَا الْبُعْيَا مِثْلَ الْقَرِيبِ إِلَى مُجْتَبَى الْعَدُوِّ مِثْلَ الصَّدِيقِ^(٣)

[يريد نعمته]

ولا أعرف لأبي تمام فيما قال عذراً يتوجّه ، ولا وجدت فيما تصفحته من
أشعار العرب ما يجانسه إلا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى :

لِمَنْ يَزُورُكَ مِنْ أَشْرَافِنَا لَطْفٌ وَذِي الْقَرَابَةِ إِدْنَاءٌ وَتَقْرِيبٌ

وأظن أبا تمام عثر به واستغربه فأخذ المعنى وزاد عليه زيادةً أخرجته إلى
ذم الممدوح ؛ لأن هذا الشاعر قال «لمن يزورك من أشرفنا لطف» أى : بر ،
«ولذى القرابة إدناء وتقريب» ولم يقل إدناء وتقريب دون البر ، كما
قال أبو تمام ؛ لأن البر واللطف إذا كانا للغريب الزائر ، وكان الإدناء
والتقريب في تلك الحال لذى القرابة - فقد^(٤) يجوز أن يمنحه البر
واللطف في حال أخرى ووقت آخر ، ولا يوصل [البر إليه في وقت لإيصاله إلى

(١) ديوانه ٦١٢ «القرى علو»

(٢) الزيادة من ك

(٣) ديوانه ٤٣٧ ، ١٤٨٩/٣ والصناعتين ١٢٣

(٤) ليست في م و ط «يجوز أن يهيجه البر إليه»

الغريب ، وهذا كله ^(١) يقع في الأكثر ، فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله
 والله در أبي عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري إذ يقول [في هذا المعنى] ^(٢) :
 ما إن يزأل الندى يُذني إليهِ يداً مُمتاحةً من بعيد الدار والرحم ^(٣)
 وقوله :

وما أضعت الحق في أجنب فكيف تنسى واجباً في الشقيق ^(٤) ؟

* * *

٨- ومن خطأ [أبي تمام] ^(٥) قوله :

يدي لمن شاء رهن لم يذق جرعاً من راحيتك درى ما الصاب والعسل ^(٦)
 لفظ. هذا البيت مبني على فساد ؛ لكثرة ما فيه من الحذف ؛ لأنه ^(٧) أراد
 بقوله «يدي لمن شاء رهن» أي أضافه ^(٨) وأبايعه معاقدة أو مراهنه إن كان
 لم يذق جرعاً من راحيتك درى ما الصاب والعسل . ومثل هذا لا يسوغ ؛
 لأنه حذف «إن» التي تدخل للشرط ، ولا يجوز حذفها ؛ لأنها إذا حذفت
 سقطت معنى الشرط ، وحذف «من» وهى الاسم الذى صلته «لم يذق»
 فاختل البيت ، وأشكل معناه .

والحذف لعمرى كثير في كلام العرب ، إذا ^(٩) كان المحذوف مما تدل
 عليه جملة الكلام ، قال الله عز وجل : ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ

(١) ط «وهذا إن كان يقع» وفي ك فوق كله كلمة كذا

(٢) من ك

(٣) ديوانه ٦٥٤ ، ١٩٧٤/٣ والصناعتين ١٢٣ وفي ط «فإن ذاك التلى»

(٤) ديوانه ١٦٢

(٥) من ك

(٦) ديوانه ٣٢٨ والوساطة ٧٧

(٧) م «فكانه»

(٨) ط «أي أسابقه» . . . كان من لم

(٩) في ك «إلا أنه إذا كان» وهو خطأ

اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى^(١) أراد تبارك اسمه أو لم يتفكروا فيعلموا [أنه ما خلق ذلك إلا بالحق ، أولم يتفكروا فيقولوا] وأشباه هذا كثير .

ومن باب الحذف والاختصار قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾^(٢) قال أبو عبيدة^(٣) : العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما أريد^(٤) ، كأنه أراد : فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم . وقوله عز وجل : ﴿ إِذَا لَأَذْنَلَالُ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾^(٥) يفسر : ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات .

وفي الشعر مثل هذا موجود ، قال الشاعر :

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَنِيثُمْ يَفْضُلُهَا فِي حَسْبٍ وَمَيْسَمٍ^(٦)
يريد أحد يفضلها ، فحذف « أحد » لأن الكلام يدل عليه ، ذكر ذلك سيبويه^(٧) . وأنشد [أيضاً] في باب الحذف :
وما الدهر إلا تارتان فمِنْهُمَا أُمُوتُ وَأُخْرَى أَبْتَنِي الْعَيْشَ أَكْذَحُ^(٨)
يريد فمِنْهُمَا تارة أُمُوتُ^(٩) .

(١) سورة الروم : ٨

(٢) سورة آل عمران : ١٠٦

(٣) قال ذلك في مجاز القرآن ١٠١

(٤) م « أراد »

(٥) سورة الإسراء : ٧٥ وقد سقط التعميق على الآية من م والذي في مجاز القرآن ٣٨٦ « مختصر ، كقولك : ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات ، فهما عذابان : عذاب الممات به ضعف عذاب الحياة »

(٦) لحكيم بن معية الربي وأنظر تخريج الميمني له في السمط ٨٣٠/٢

(٧) راجع سيبويه ٣٧٥/١

(٨) البيت لابن مقبل ، كما في سيبويه ٣٧٦/١ والسان ٤٠٥/٣ ، ١٦٤/٥ والكمال

٩٠٨/٣

(٩) ليست في م

فإن تأول متأول هذا البيت على ألفاظٍ أخرٍ محذوفة غير اللفظ. الذي ذكرته ، فالاختلال^(١) بعدد قائم [فيه] ، لكثرة ما حذف منه ، وسقوط الدليل عليه .

٩- ومن خطائه قوله^(٢) :

شهدتُ لَقَدْ أَقَوْتُ مَغَانِيَكُمْ بَعْدَى وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعٌ مِنْ بُرْدٍ^(٣)

جعل الوشائع حواشي الأبراد^(٤) أو شيئاً منها ، وليس الأمر كذلك ، إنما الوشائع : غزلٌ من اللُحمة ملفوف يجره الناسج بين طاقات السدَى عند النساجة . قال ذو الرمة :

بِهِ مَلْعَبٌ مِنْ مُعْصِفَاتٍ نَسَجْنَهُ كَنَسَجِ الْيَمَانِي بُرْدَهُ بِالْوَشَائِعِ^(٥)
فأما قول كثير :

دِيَارٌ عَفَّتْ مِنْ عَزَّةِ الصَّيْفِ بَعْدَ مَا تُجَسَّدُ عَلَيْهِنَّ الْوَشِيعُ الْمُنْمَنَمَا

فلما أراد بالوشيع هنا ما سُدَّ^(٦) به الخصاصة بين الشيبين ، وهذه وشائع الغزل والمنمنم : مأخوذ من التَّمام . أى : بعد ما كانت هذه الديار تُجَدُّ بالوشيع ، أى : تخصص [به] خيامها^(٧) .

(١) م « فالاختلاف »

(٢) ديوانه ١٢٧ وشرح التبريزي ١٠٩/٢ والوشائع : الطرائق ، ومع : أخلق ، وشهدت : حلفت ، كأنه قال : والله لقد أقوت .

(٣) ط « البرد »

(٤) سقطت كلمة الأمر من م

(٥) ديوانه ٣٥٥ به : أى بالطلل . المعصافات : رياح شداد نسجه : يعنى الملقب ، مرن عليه ثم عدن ، فهذا سدَى وهذا الإلحام . والوشائع : لفائف الغزل ، ويقال : وشعت المرأة الغزل : إذا لفته على يديها للعمل . وفي م ، ك « محفلات نسجه »

(٦) م « ما شد »

(٧) م « يخصص جنبها »

ومثل أبي تمام لا يسوغ [له] الغلط في مثل هذا ؛ لأنه حَضَرى ، وإنما يتسامح في [مثل] ذلك البدوى الذى يريد الشئ ولم يُعَينَه فيذكر غيره لقلة خبره بالأشياء التى تكون بالأمصار . فأما أبو تمام فليست هذه حاله ، بل ما جهل هذا ، ولكنه سامح نفسه فيه ، ألا ترى إلى قوله في موضع آخر يصف قصيدته :

الْجِدُّ وَالْهَزْلُ فِي تَوْشِيْعٍ لِحَمَتِهَا وَالنَّبْلُ وَالسَخَفُ وَالْأَشْجَانُ وَالطَّرْبُ^(١)
فَقَالَ فِي «تَوْشِيْعٍ لِحَمَتِهَا» .

١٠- ومن خطائه قوله :

لَوْ كَانَ فِي عَاجِلٍ مِنْ آجِلٍ بَدَلٌ لَكَانَ فِي وَعْدِهِ مِنْ رِفْدِهِ بَدَلٌ^(٢)
ولم لا يكون^(٣) في عاجل من آجل بدلٌ؟ والناس كلُّهم على اختيار العاجل وإيثاره وتقديمه على الآجل ، ألا ترى قولَ القائل الذى قد صار مثلاً :
وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِحَبِّ الْعَاجِلِ^(٤) .

والعاجل أبداً هو المطلوب والمرغوب فيه ، حتى إن قليله يؤثر على كثير الآجل ، كما قال الآخر :

أَعَاذَلْ ، عَاجِلٌ مَا أَشْتَهَى أَحَبُّ مِنَ الْأَكْثَرِ الرَّائِثِ^(٥)
كأنه يريد عاجل ما أشتهى مع القلة أحبُّ إلى من الأكثر المنبسطى ،

(١) ديوانه ٥١ وشرح التبريزى ٢٦٤/١ «توشع : من قولهم : شعت البرد ، إذا جعلت فيه ألواناً وطرائق . يقول تصرفت في هذه القصيدة بجد وهزل ، وفيها طرب لمن مدحت وحزن لمن ذممت .

(٢) ديوانه ٢٢٧

(٣) م «ولو لم يكن»

(٤) هو جرير ، كما في ديوانه ٤١٥ وصدوره : «إني لأمل منك خيراً عاجلاً»

(٥) قاله عبيد الله بن عتبة بن مسعود ، كما في الأغاني ٩٦/٨ ونقد الشعر ٨٥ والموشح ٢٢٣

وسر القصاصة ٢٠٤ وهو غير منسوب في عيون الأخبار ١٨٠/٢ والصناعتين ١٨٨

الموازنة

فمن شأن العاجل أبداً أن يكون أفضل الأعواض والأبدان من كل آجل إذا كان في الخير ، فعاجل الخير خير من آجله ، كما أن عاجل الشر شر من آجله ؛ لأن العاجل شيء قد وقع : إن كان خيراً فقد حصل نفعه ، أو شراً فقد تعجّل ضرره^(١) وآجل الخير يُخشى قوّته ، وربما وقع الإخفاق منه ، كما أن آجل الشر يُرجى زواله ، وربما لم يقع ، فكيف لا يكون العاجل بدلاً أو خلفاً من الآجل ؟

فإن قال قائل : إن الذي أرادَه أبو تمام وقاله صحيح ، ومذهبه فيه مستقيم ؛ لأن العاجل لا يكون أبداً بدلاً ولا خلفاً من الآجل : لأن البدل لا يكون قبل المبدول منه^(٢) ، ولا الخلف يتقدم^(٣) ما هو خلف له ؛ لأنه إنما قيل له خلف لإتيانه خلف الذي هو قدامه ؛ فأبو تمام إنما أنكر أن يكون العاجل بدلاً أو خلفاً من الآجل على هذه السبيل .

قيل : هذا غلط . من التأويل أو مغالطة : لأنه ليس على هذا الوجه منع أبو تمام من أن يكون العاجل بدلاً من الآجل ؛ فيحتج بأن هذا أولى بالتقديم وهذا أولى بالتأخير من طريق الترتيب ، وإنما أراد أنه لا يقوم مقامه في الحاجة إليه ، فكيف [لا] يكون الأول يقوم مقام الثاني والمقدم^(٤) مقام المتأخر ؟ وكان وجه الكلام الذي يصحّ به المعنى ويستقيم أن يقول : لو كان في عاجل قول^(٥) بدل من آجل فعل ، لكان في وعده من رفده بَدَل .

فإن قال : فهذا الذي أرادَه أبو تمام .

(١) ط « شره »

(٢) ط « البدل . المبدل »

(٣) ط « عل ما »

(٤) ط « والمتقدم »

(٥) م « قوله »

قيل : ليس الأمر كذلك ؛ لأن طريقة لفظه في البيت أن يكون معناه
لو كان في شيء عاجل من شيء آجل بدل

وبعد ؛ فلو أراد ما ظننته وذهبت إليه - وذلك ليس بمعلوم ، ولا في البيت
عليه دليل - لم يلتفت إلى إرادته ؛ لأنك إذا فككت^(١) الإضافة من عاجل
قول أو آجل فعل ففرقت^(٢) بين المضاف والمضاف إليه ، لم يدل أحدهما
على الآخر ؛ لأن لفظة «عاجل» لا تدل غير مضافة على ما تدل عليه لفظة
«عاجل قول» كما أن لفظة «آجل» لا تدل على «آجل فعل» ولا يدلان
أيضاً على شيء معين^(٣).

كما أن قولك : زيد أول ناطق وآخر ساكت ، وعمرو أول خارج
[وآخر]^(٤) قادم ، وبكر أول آخذ^(٥) وآخر تارك ؛ إذا أفردت «أول»
و «آخر» لم يدلّا [مفردين] على شيء مما أضيف إليه . ألا ترى أن
الأصمعي أنكر على ذي الرمة قوله يصف الوتر :

* كأنه في نياط القوس حلقوم *

فقال حلقوم ماذا ؟ إذ كان يجب أن يقول : حلقوم طائر ، أو حلقوم
قطاة^(٥) ونحوهما مما يشبه الوتر في الدقة ، وإلا فقد يكون الحلقوم حلقوم
فيل ، أو حلقوم بغير . وهذا من الأصمعي إنكار صحيح ، وإن كان لا يلزم

(١) ط « فصلت »

(٢) ط « شيء مضمّر »

(٣) الزيادة من ط

(٤) م « آخر . . . تارك »

(٥) ط « أو غيرها . . . الرقة »

ذا الرمة فيه ما يلزم أبا تمام ؛ لأن العرب لا تُشبه الوتر إلا بحلقوم طائر^(١) ،
وذلك قول الراجز [لأم كحلقوم الحباري
وقال الآخر :]^(٢)

* لأم ممرٌ مثل حلقوم النفر^(٣) ؟ *

أخذه أبو نواس^(٤) فقال :

* [لأم كحلقوم النفر *]

وقال الراجز :

* لأم كحلقوم القطة يُعرف *

فأبو تمام [إنما] أراد أن هذا الممدوح يقوم وعُده بصحته^(٥) مقام عطيته ،
وأحب الإغراب^(٦) على رسمه فأخطأ في تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل ؛
لأنه أطلق القولَ عموماً ؛ فلا يدل على الخصوص .

والجيد النادر في هذا قول البحتري :

لو قليلٌ كنى أمراً من كثيرٍ لاكتفيناً بقوله من فعالية^(٧)

وأحسن الراعي في قوله :

ضافي العطية : راجيه وسائله سيان ، أفلح من يُعطى ومن يعدُّ

١١ - ومن خطأ أبي تمام قوله :

بيوم كطول الدهر في عرض مثله ووَجْدِي مِنْ هَذَا وَهَذَاكَ أَطُولُ^(٨)

(١) ط « الطائر »

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « حلقوم الوتر » وهو خطأ . والنفر : طائر يشبه المصفر

(٤) ط « أبو تمام »

(٥) ط « يقيم وعده لصحته »

(٦) ط « الإغراق » .

(٧) ديوانه ٥٧٢ ، ٣ / ١٨٤٥

(٨) ديوانه ٢٤٤ والصناعتين ١٢٧

فَجَعَلَ لِلدَّهْرِ - وهو الزمان - عَرَضاً ، وذلك مَخْضُ المحال ، وعلى أنه ما كانت [به] إليه حاجة ؛ لأنه قد استوفى ^(١) [المعنى بقوله « كطول الدهر » فَأَتَى عَلَى الْغَرَضِ فِي الْمِبَالِغَةِ] ^(٢) .

فإن قيل : فلم لا يكون سَعَةً ومجازاً [في الكلام] ^(٣) ؟

قيل : هذه ^(٤) الألفاظ صيغتها صيغة الحقائق ، وهي بعيدة من المجاز : لأن المجاز في هذا له صورة معروفة ، وألفاظ مألوفة معتادة ، لا يُتَجَاوَزُ في النطق ^(٥) بها إلى ما سواها ، وهي قول الناس : عِشْنَا فِي خَفَضٍ وَدَعْنَا طَوِيلًا عَرِيضًا ، وما زلنا في رَحَاٍ وَنَعْمَةِ الدَّهْرِ الطَّوِيلِ العَرِيضِ . [فإنما أراد تمامه ^(٦) وكمالَه وَاَتَسَاعَهُ لَهُمْ بِمَا أَحْبَبُوهُ ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا وَصَفُوا بِالطَّوْلِ وَالْعَرِضِ مَا لَهُ طَوْلٌ وَعَرِضٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ] تمامه وكمالَه وَسَعَتَهُ ، نحو قولهم : ثُوبٌ طَوِيلٌ عَرِيضٌ ، أَى تَامٌ وَاسِعٌ ، وَأَرْضٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ ، أَى تَامَةٌ فِي الطَّوْلِ وَالسَّعَةِ ، وكذلك إِذَا وَصَفُوا مَا لَيْسَ لَهُ طَوْلٌ وَلَا عَرِضٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ التَّامَ وَالْكَمَالَ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ [الشاعر وهو] الراعي :
أَنْتَ أَبْنَى قَرْنَى قُرَيْشٍ لَوْ تَقَايَسُهَا فِي الْمَجْدِ صَارَ إِلَيْكَ الْعَرَضُ وَالطُّولُ ^(٧)
[فاستعار للمجد ههنا الطول والعرض ؛ لأنه أراد : صار إليك المجد بتمامه وكمالَه .

(١) م « استوفى بالمبالغة »

(٢) الزيادة من ط

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط « هذه ألفاظ صنعتها صنعة الحقيقة » . وك « هذه ألفاظ صيغتها صيغة الحقيقة »

(٥) ط « في النظر »

(٦) في ط ، م : بقوله « إتمامه »

(٧) الصناعتين ١٢٧ لكثير وفي ط « لوتقاسمها »

وكذلك قول كثير :

بِطَاحِيٍّ لَهُ نَسَبٌ مُّصَنَّفِي وَأَخْلَاقٌ لَهَا عَرْضٌ وَطُولٌ ^(١)
 أى : لها سعة وتمام وكمال ^(٢) ، فى الفضائل والمحاسن .
 وكذلك قوله :

إذا ابْتَدَرَ النَّاسُ الْمَكَارِمَ بَزَّهْمٌ عَرَاضَةٌ أَخْلَاقِ ابْنِ لَيْلَى وَطُولُهَا ^(٣)
 أى بَزَّهْمٌ سعة ^(٤) أخلاقه وتماؤها وكمالها فى الفضل : لَأَنَّ الْأَخْلَاقَ تَمْدَحُ
 بِالسَّعَةِ وَتَذَمُّ بِالضِّيقِ ، إِلَّا أَنَّ الْأَكْثَرَ فِيمَا يَأْتِي مِنْ كَلَامِهِمْ ^(٥) الْعَرَضُ ، إِنَّمَا
 يَرَادُ بِهِ ^(٦) السَّعَةُ إِذَا جَاءَ مَفْرَدًا عَنْ الطَّوِيلِ ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ : فَلَانٌ فِى نِعْمَةٍ
 عَرِيضَةٍ ، وَلَهُ جَاهٌ عَرِيضٌ ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ ^(٧) أَيْ سَعَتُهَا ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى مَوْضِعٍ آخَرَ :
 ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ ^(٨) ، وَكَمَا قَالَ تَيْمٌ ابْنُ أَبِي بَنْ مُقْبِلٍ :
 يَقْطَعْنَ عَرْضَ الْأَرْضِ غَيْرَ لَوَاغِبٍ وَكَأَنَّ بَخْرَيْنِهَا لَهْنٌ صَحَارٍ ^(٩)
 أى : يَقْطَعْنَ سَعَةَ الْأَرْضِ ، وَكَمَا قَالَ الْآخَرُ :

سَاجِعُلُ عَرْضِ الْأَرْضِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَجْعَلُ بَيْتِي فِى غَنِيٍّ وَأَعْصُرِ ^(١٠)

(١) ديوانه ١٦٨ / ٢ والصناعتين ١٢٧ وفى اللسان ٢٣٧ / ٣ « وقريش البطاح : الذين
 ينزلون أبطاح مكة ، وقريش الظواهر : الذين ينزلون ما حول مكة »

(٢) ط « وكما والفضائل المحاسن » وهو تحريف

(٣) فى اللسان ٢٦ / ٩ « وقد عرض يعرض عرضاً مثل صفر صفراً ، وعراضة بالفتح ، قال
 جرير : إذا ابتدر . . . وطولها » ولكن البيت لا يوجد فى ديوان جرير

(٤) ط « بزهم منه أخلاقه »

(٥) ط ، م « إلا أن أكثر ما يأتى فى كلامهم »

(٦) ط « العرض المراد به »

(٧) سورة آل : عمران ١٣٣

(٨) سورة فصلت : ٥١ .

(٩) م « وكان محزنها » والبحران : جمع بحر ، وهو الريف يريد أنهم يأخذ سبيلهن قداماً
 لا يعين بشيء كان الريف أمامهن صحراء قاحلة . والبيت فى ديوانه ١٢٢ .

(١٠) ط « وبينهم » وفى وأعصر : قبيلتان .

وكما قال العجاج :

إِذَا تَعَشَّوْا بَعْدَ أَرْضٍ أَرْضًا حَسِبْتَهُمْ زَادُوا عَلَيْهَا عَرْضًا^(١)
أى سعة وكثرة ، وكما قال تميم أيضاً :

حَتَّى إِذَا الرِّيحُ خَبَّتْ بِالسَّفَا خَبِيئاً عَرْضَ الْبِلَادِ أَثْنَتِ الْأَمْرُ وَأَخْتَلَفَا^(٢)
أى : سعة البلاد ، فهذا إذا جرى على هذا اللفظ. المستعمل^(٣) حَسَنٌ ولم يقبح ، وإذا عدلت^(٤) به عن هذه الطريقة وهذه الألفاظ. المألوفة إلى ما يشبه الحقائق أو يقاربها كنت مخطئاً ؛ لأنك إذا قلت : مضى لنا في الخفض والدعة دهر طويل وكان^(٥) طوله كعرضه - لم يجوز ذلك ؛ لأن هذا [على هذا] الترتيب كأنه^(٦) وصف للأشياء المجسمة ، كما قال الطائي :

* بِيَوْمٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرْضِ مِثْلِهِ *

فكان بهذا^(٧) اللفظ كأنه يذرع ثوباً ، أو يمسح أرضاً ، أو يصف بالاجتماع والتدوير^(٨) رجلاً ؛ كما قال تميم بن أبي بن مُقْبِل :

وَكُلُّ يَمَانٍ طَوْلُهُ مِثْلُ عَرْضِهِ فَلَيْسَ لَهُ وَضْلٌ وَلَا طَرْفَانِ^(٩)

فإن قيل : فإذا جعلت للزمان العرض الذى هو سعة على المجاز ، فلم^(١٠)

(١) تمشوا يقال : عشا الإبل وعشاها : أرهاها ليلاً . وهذا شبيه بقول الشاعر : « بات يمشيها بعضب باتر » أى أقام لها السيف مقام العشاء . والعجاج يريد أنهم إذا قطعوا أرضاً بعد أرض ، ويؤيد ذلك الرواية ديوانه ٣٥ . « وإن علوا » وفى ط « تنشوا »

(٢) م « حنت بالسفا جنباً » وخبث : أسرع . والسفا : التراب . وأثنت الأمر وشت : أى تفرق . وفى منتهى الطلب ورقة ٤٠ « هاجت » والبيت فى ديوانه ١٨٠

« حتى إذا الريح هاجت بالسفا خبتا »

(٣) م « المستقبل »

(٤) ط « عدل »

(٥) ط « كان »

(٦) ط « كان وصفاً لأشياء مجسمة »

(٧) ط « هذا »

(٨) ط « والتدوير ! وهو تحريف عجيب »

(٩) ط « له أصل »

(١٠) ط « لم »

لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجاز ؟

قيل^(١) : العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة ، والزمان لا عرض له على الحقيقة فكيف تكون الحقيقة مجازاً ؟

فإن قيل : إن الزمان لا يُوصَفُ بالسعة [أبداً] ، كما لا يوصف بالعرض ؛ فلم استعرت له العرض الذى هو السعة ؟

قيل : العرض - وإن جاء وصفاً وحلية للزمان فى قولهم : عاش فلان فى نعمة زماناً طويلاً عريضاً - فإنما صلح لأنك وصلته بالطول ، وقرنته به ، فكأن المعنى عاش فى زمن تم له وكمل واتسع بما أحبه ، كما أخبرتك ، والزمان قد يوصف بالسعة فيقال : قد اتسع لك الوقت والزمان فى فعل^(٢) كذا ، ولا يقال عَرَضَ لك [فى الوقت سعة] ، [ولا يقال عَرَضَ]^(٣) والعرض ههنا هو السعة ، ولكن جرى^(٤) هذا على حسب ما استعملوه ، وإنما [يراد] فى الوقت فسحة لك وامتداد ، يراد به معنى الطول . وقال ضرارُ ابن الخطاب :

[ولولا هاجر وبنو قتال] وَمَا لَأَقِيْتُ فِي الزَّمَنِ الْعَرِيضِ^(٥)

فذكر العرض مفرداً من الطول : أى الزمن الذى اتسع له .

وقد يجوز - إن قلت : عاش فى الخير دهرًا عريضاً - أن تُريد بالعرض

سعة الخير فيه ، لا سعة^(٦) فى نفسه ، كما قالوا : « ليل نائم » أى يُنام

(١) ط « قيل له »

(٢) ط « فى مثل »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط « أجرى . . . ما استعملوه »

(٥) م « والزمن »

(٦) م « لا سعة فى سعة فى نفسه »

فيه ، و « لَمَحْ باصر » أى يُبَصِّرُ به ^(١) . وإنما تُستعار اللفظة لغير ما هي له ، إذا أختَمَلت معنى يصلح لذلك الشيء الذى استعيرت له ويليق به ؛ لأنَّ الكلام إنما هو مبنئٌ على الفائدة فى حقيقته ومجازه ، وإذا لم تتعلق اللفظة [المستعارة بفائدة فى النطق فلا وجه لاستعارتها . ولو كان الزمان يوصف] بالعرض على الحقيقة - وهذا ^(٢) محال - لَمَّا كان [له] فى بيت أبى تمام معنى ؛ لأنه إنما أراد أن يبالغ فى طول وجده ؛ إذ كان ^(٣) الوجد [إنما] يوصف بالطول ، كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما ، فيقال : طال وجدي ، وطال شوقي ، وطال غرامي . وكذلك الزمان إنما يوصف بالطول ؛ فيقال : طال ليلي ، وطال نهاري . فما كانت حاجته ^(٤) إلى العرض ؛ و [هو] إنما فضل وجده على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر ، من جهة الطول لا من جهة العرض ، ألا تراه قال :

* وَوَجَدِي مِنْ هَذَا وَهَذَا أَطُولُ *

وقد ذكر أبو تمام العرض فى بيت آخر فقال :

إِنَّ الثَّنَاءَ يَسِيرُ عَرَضاً فِي الْوَرَى وَمَحَلُّهُ فِي الطُّولِ فَوْقَ الْأَنْجُمِ ^(٥)

وكيف يعقل ^(٦) سِيرَ الثَّنَاءِ عَرَضاً فى الورى ، وهو لم يحدد موضعاً بعينه فيحسن ذكر الطول والعرض فيه ؟ ! فيكون كما قال الراعى :

وَجَرَى عَلَى حَذْبِ الصُّبَى فَطَرَدَتْهُ طَرَدَ الْوَسِيقَةِ فِي السَّمَاءِ طُولاً ^(٧)

(١) ط ، ك « فيه »

(٢) م « فهذا »

(٣) ط « إذ كل »

(٤) ط « حاجة »

(٥) ديوانه ٣١٤

(٦) ط « كيف جعل »

(٧) ط « على حرب » وفى اللسان ٢٦٠/١٢ « الوسيقة : القطيع من الإبل يطرد بها الشلال ، =

فحسب أن يقول^(١) « طولا » لأنه ذكر السماوة .

وكما قال النابغة - ويقال : إنه محمول عليه - :

جُنِبْنَ مَعَ الْغُطَاطِ يُقَدِّنَ حَتَّى قَطَعْنَ الْحَزْنَ عَرْضاً وَالرَّمَالَ^(٢)

فصلح لأنه ذكر أنهم قَطَعْنَ عَرْضَ^(٣) الْحَزْنَ وَالرَّمَالَ .

ومثل قول أبي تمام قول المرار :

فَلَوْ كَانَتْ تَجُوبُ الْأَرْضَ عَرْضاً وَلَكِنْ جَوُّهُنَّ الْأَرْضَ طُولاً

وله وليبت أبي تمام معنى غامض يصحان به ، وأنا أذكره مع شرح المعاني

الغامضة من شعر أبي تمام .

ومما يشبه قول أبي تمام :

* بيوم كطول الدهر^(٤) في عرض مثله *

أو يقاربه - قول الكُمَيْتِ يصف عدَدَ^(٥) قوم بالكثرة :

كَاللَّيْلِ ، لَا ، بَلْ يَضَعُفُو نَ عَلَيْهِ مِنْ بَادٍ وَحَاضِرٍ

وكيف يتحصّل مقدار الليل حتى يتحصّل ضِعْفُهُ ؟ وهذا^(٦) يصحُّ على

السَّبَرِ^(٧) والتفتيش ، إذا حصل معناه ، وذلك لأن^(٨) الليل لا يَغْشَى الْأَرْضَ

كلها بظلمته ، وإنما يَغْشَى بعضها . فلعل الكميّ أراد أنهم يأخذون من

=وسميت وسيقة لأن طاردها يجمعها ولا يدعها تنتشر عليه فيلحقها الطالب فيردها ، والوسيقة من الإبل ونحوها

ما غصبت « والسماوة : بادية مشهورة . وفيك : « مسير »

(١) م « أن يقال »

(٢) الفطاط : الصباح وفي م « حين مع »

(٣) ط « أرض الحزن »

(٤) م « كطول الأرض »

(٥) ط « عدة »

(٦) ط وك « وهذا أيضاً »

(٧) ق م ، ط : « التمييز »

(٨) ط « أن »

الأرض ضعف ما أخذه الليل منها إذا غشيها على سبيل المبالغة ، كما قال
الأحمر بن شجاع^(١) الكلبي :
بجأواء تغشى الناظرين كأنها
دجى الليل ، بل هي من دجى الليل أكثر^(٢)

* * *

١٢- وقال أبو تمام :

ورُخِبَ صَدْرُ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوْسَعِهِ لَمْ يَضِقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ^(٣)
وهذا أيضاً غلط . من أجل أن كل بلد يضيق بأهله ، وليس ضيقته^(٤)
من جهة ضيق الأرض ؛ لأن الأرض لو كانت [واسعة] عشرة أضعافها في
المقدار أو ألف ضعفٍ مثلها ، لما كان ذلك بموجب أن يكون الحزن أو الصمان
[أو الغول] أو نجد أو مكة أو المدينة أو الكوفة أو البصرة ، في قدر مساحة
كل ناحية منها [أو] أوسع وأزيد مما هي عليه الآن ، إذ لم يختط^(٥) البصرة
والكوفة من اختطهما ولا أسس مكة والمدينة من أسسهما على قدر سعة الأرض
وضيقتهما^(٦) ، ولا صار قدر الحزن والصمان هذا القدر في ذرعهما ومساحتها

(١) ط «سجاء»

(٢) ذكره الأمدى ضمن أبيات في المثلث والمختلف ٣٥ و في ط «بجاء تخشى» والجأواء :
الخيل والإبل الحمراء التي تضرب حمرة إلى السواد . والكتيبة الجأواء : التي يعلوها لون السواد لكثرة
الدروع

(٣) ديوانه ٩٧ وفي شرح التبريزي ٢ / ١٢ : «يقع في النسخ عن أهله . قال المرزوقي :
الرواية : عن أهلها ، والضمير يرجع إلى الأرض . والمعنى : لو اتسعت الأرض اتساع صدره لكان كل
من فيها الساعة حينئذ يسمهم بلد ويحتلمهم ولا يضيق عنهم» . وانظر الصناعتين ١٢٤ والوساطة ٧٥ ،

٣٧٤ ، ٤٢٠

(٤) ط ولك «ضيقه»

(٥) م «لم تحط . . . من احطتهما»

(٦) ط «وضيقها»

على قدر مساحة الأرض وذرعهما بقسط أخذاه منها ، وإنما ذلك على^(١) حسب [الاتفاق في كل بقعة وعلى حسب]^(١) ما أدى إليه الاجتهاد والاختيار ممن أسس كل بلدة ، ومصر كل مصر .

وكان ينبغي له^(٢) أن يقول : ورُحِبَ صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك أو لضاقت عنها السماء ، أو أن يقول : لو أن سعة كل بلد [أو مصر] كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد . وكان حينئذ يكون المعنى مستقيماً .

والجيد الصحيح في هذا المعنى^(٣) قولُ البحرى :

مَفَازَةٌ صَدْرٍ لَوْ تُطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ لَيْسَلُكُهَا إِلَّا سُلَيْكُ الْمُقَانِبِ^(٤)
أى : لم يكن^(٥) ليسلكه إلا بدليل لسعته ، وأيضاً فإن الجزء من الأرض هو ما يكون فيه^(٦) الحيوان والنبات ، وإنما مقداره [على ما يقوله أهل الهندسة] الربع من الأرض وأقل من الربع ، والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزءاً من ألف جزء من ذلك . فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة وإنما هو من أجل ضيق الأرض ؟

فإن قيل : [فإنما أراد بقوله : «لو أن الأرض واسعة»^(٧) أى لو أن البلدان واسعة . قيل] : لا يدل قوله «الأرض» وهو لفظٌ عمومى على البلدان التى هى
(١) ط «على حسب الأخلاق في كل سعة وعلى حسب ما أدى» وما بين القوسين من ك .

(٢) من ك

(٣) م «هذا قول»

(٤) ديوانه ٧١٩ «ولم تكن ليسلكها» وسليك المقانب : هو سليك بن السلكة المترجم في

الشعر والشعراء ٣٢٤ / ١ والأغانى ١٨ / ١٣٣ وكان أدل الناس بالأرض . وفي الصناعتين ١٢٤ «على أن قوله : مفازة صدر استعارة بعيدة» . وفي ط ، م «ليسلكه فردا»

(٥) م «لم يسلكه»

(٦) ط «فيه من»

(٧) من ك

مخصوصة ، ولا يكون الغلط. ^(١) إلا هكذا : أن يريد القائل لفظة تدل على معنى . فيأتى بأخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة .

* * *

١٣ - ومن خطائه ^(٢) قوله :

وَكُلَّمَا أَمْسَتْ الْأَخْطَارُ بَيْنَهُمْ هَلَكَى تَبَيَّنَ مَنْ أَمْسَى لَهُ خَطَرٌ ^(٣)
لَوْ لَمْ تُصَادِفْ شِيَاتُ الْبَهْمِ أَكْثَرَ مَا فِي الْخَيْلِ لَمْ تُحْمَدِ الْأَوْصَاحُ وَالْغُرَرُ ^(٤)

فالأوصاح : هى البياض فى الأطراف ، وقد يكون أيضاً فى البهم ، وكذلك ^(٥) أيضاً الغرر قد توجد فى البهم كثيرة ، وهذا فساد فى ترتيب البيت ؛ لأنه ليس إذا وجدت شيات البهم - [وهى صغار الغنم - أكثر ما فى الخيل ، أو وجدت شيات أكثر ما فى البهم] ^(٦) ، كان ذلك موجباً لحمد الأوصاح والغرر ، [وإنما كان يصح نظم الكلام لو لم توجد الأوصاح والغرر فى البهم] ^(٧) ، حتى تكون مخصوصة بالخيل ؛ فيقول : لو لم تعدم الأوصاح والغرر ^(٨) فى البهم لما حمدت فى الخيل ، فأما أن توجد شيات البهم فى الخيل كثيراً أو شيات الخيل فى البهم دائماً ، فليس هذا

(١) ط « يكون اللفظ إلا » وهو تحريف

(٢) م و ك « ومن غلطه »

(٣) ديوانه ١٠٥ وفى شرح التبريزى ١٨٧/ ٢ « يقول : كلما أذل الثام فصر قدرهم وقل خطرم ، ازداد من له خطر جلالة ، كما أن الشيء لا يعرف إلا بضده »

(٤) الشيات : جمع شية ، وهى كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره . والبهم بالضم : جمع بهيم . أى لو لم يكن أكثر الخيل بهما على لون واحد لم تحمد الفر المحجلة ، وكذلك إنما حمد الفضلاء لأن أكثر الناس جهال »

(٥) م « وذلك »

(٦) ما بين كلمتى « البهم » ساقط من ك

(٧) الزيادة من ط

(٨) م « ذو الغرر »

بموجب حمد الأوصاح والغرر في الخيل ؛ لأن الغرر والأوصاح [أيضاً] موجودة في الغنم . وقال مخارق بن شهاب^(١) [المازني يصف المعزى وتيس الغنم] :
 وَرَاحَتْ أَصِيلًا كَانَ ضُرُوعَهَا دِلَاءً ، وَفِيهَا وَاتِدُ الْقَرْنِ لَبْلَبُ^(٢)
 لَهُ رَعَثَاتٌ كَالشُّنُوفِ وَغُرَّةٌ شَدِيدُخٌ وَلَوْ نُ كَالْوَذِيلَةِ مُذْهَبُ^(٣)
 فذكر أن له غُرَّةً .

وقال آخر في وصف عنز [سوداء] :
 سَوْدَاءٌ إِلَّا وَضْحًا فِي الشَّوَى كَأَنَّهَا الْجَوَازُ فِي الْأَكْرَعِ^(٤)
 فذكر بياض أكرعها ، وذلك موضع التحجيل . بلى^(٥) لو قال : « لو لم
 تَقِلَّ^(٦) الأوصاح والغرر في البهم لما حُمدت في الخيل » لكان أقرب إلى
 الصواب ؛ لأنني أظنها في البهم أقل ، وفي الخيل أكثر . وليس في هذا البيت
 دليل على هذا ولا ذاك .

* * *

- (١) ط « طارق بن شهاب » وهو تحريف
 (٢) البيتان في عيون الأخبار ٧٧/٢ والحيوان ٤٨٩/٥ والأول له في اللسان ٢٣٠/٢
 وفيهم « أصيلان » ومعناها واحد وأصيلال : تصغير أصلان وهو جمع أصيل . وواتد : متصب .
 وأراد باللبلب : شفقة التيس على المعزى التي أرسل فيها ، فهو ذو لبلبة عليها أى ذو شفقة
 (٣) في اللسان ٤٥٧/٢ « ورعشتا الشاة : زعمتاها تحت الأذنين ، ورعشت العنز : اببيضت
 أطراف زعمتها . والشنوف : جمع شنف ، وهو القرط الأعلى . وفي اللسان ٥٠٦/٣ « يقال لفرسة الفرس
 إذا كانت مستديرة : وتيرة ، فإذا سالت وطالت فهي شادخة ، وقد شدخت شدوخاً : اتسعت في الوجه »
 والوذيلة كما في اللسان ٢٤٩/١٤ المرأة ، طائية . والسبيكة من الفضة المجلوة »
 (٤) الوضع : البياض . والشوى : الأطراف . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستلق الساق
 العارى من اللحم . وفي م « الحوراء »
 (٥) م ، ط : « بل »
 (٦) م « بلى لو لم يقل »

١٤ - ومن خط المديح قوله :

سَأَحْمَدُ نَصْرًا مَا حَيَّتُ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ قَدْ جَلَّ نَصْرٌ عَنِ الْحَمْدِ^(١)
لأنه^(٢) رفع المدح عن الحمد الذي ندب الله عباده [إليه] بأن^(٣)
يذكروه به ، وينسبوه إليه ، وافتتح قُرْآنَهُ في أول سورة^(٤) بذكره ، وحث
عليه . وللعرب في ذكر الحمد ما هو كثير في كلامها وأشعارها ، ما فيهم مَنْ
رَفَعَ أَحَدًا عَنْ أَنْ يُحْمَدَ وَلَا مِنْ اسْتَقْلَلَ الْحَمْدَ لِلْمَدْحِ ، قال زهير بن
أبي سلمى :

مُتَصَرِّفٌ لِلْحَمْدِ مُعْتَرِفٌ لِلرُّزْءِ نَهَاضٌ إِلَى الذِّكْرِ^(٥)

[فقوله : متصرف للحمد] أى : حينما رأى خلة تكسبه الحمد التمسها

وطلبها .

وقال زهير أيضاً^(٦) :

أَلَيْسَ بِفَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ ثِمَالُ الْيَتَامَى فِي السَّنِينَ مُحَمَّدِ^(٧)

فقوله « محمد » أى : يُحمد كثيراً .

وقال الأعشى :

وَلَكِنْ عَلَى الْحَمْدِ إِنْفَاقُهُ وَقَدْ يَشْتَرِيهِ بِأَعْلَى الثَّمَنِ^(٨)

(١) ديوانه ١١٦ وشرح التبريزي ٦٦/٢ والصناعتين ١٢٤ .

(٢) ط « فإنه »

(٣) م « أن يذكرون »

(٤) ك « أوائل سورة »

(٥) ديوانه ٩٣ والصناعتين ١٢٤ متصرف : يتصرف في كل باب خير حينما رأى حمداً انصرف

إليه . معترف صابر إذا نزلت به نازلة صبر لها

(٦) ليست في ك

(٧) ديوانه والصناعتين ١٢٤ ثمال اليتامى : أى يطعمهم في السنين الشداد . والغمامة : السحابة .

(٨) ديوانه ٢١ والصناعتين ١٢٥

[وقال أيضاً :

يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِأَعْلَى بَيْعَةٍ وَاشْتَرَاءَ الْحَمْدِ أَذْنَى الْمَرْبَحِ^(١)]

وقال أيضاً :

إِلَيْكَ أَبَيْتُ اللَّعْنَ كَانَ كَلَالُهَا إِلَى الْمَاجِدِ الْفَرَعِ الْجَوَادِ الْمُحَمِّدِ^(٢)

فوصفه بأن جعله محمداً ، أى يُحمد كثيراً .

وقال آخر [وهو الحطيئة] :

* وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ^(٣) *

فهذه هي الطريقة المعهودة^(٤) المعروفة في كلام العرب .

ولو قال الطائي : « لو جلَّ أحد عن المدح لجللت عنه » كان أعذر ؛

كما قال البحتري :

لَوْ جَلَّ خَلْقٌ قَطُّ عَنْ أَكْرُومَةٍ تُثْنَى جَلَلَتْ عَنِ النَّدَى وَالْبَاسِ^(٥)

أى : كنتَ تجلُّ لعلو شأنك عن أن يقال : سخي ، أو شجاع ؛ إذ

كان هذان الوصفان قد يُوصف بهما من هو دونك .

وقال البحتري أيضاً :

وَالْحَمْدُ أَنْفُسُ مَا تَعَوَّضَهُ أَمْرُؤٌ رُزِيَ التَّلَادَ إِنَّ الْمَرْزَأَ عَوْضًا^(٦)

فأما قول البحتري :

كَيْفَ نُثْنِي عَلَى ابْنِ يُوسُفَ ؟ لَا كَيْفَ سَرَى مَجْدُهُ فَفَاتَ الثَّنَاءُ^(٧) !

(١) الربح : النباه في التجارة

(٢) ديوانه ١٣٢

(٣) ديوانه ٢٤ والصناعتين ١٢٥ وصدره : « تزور امرأ يرقى على الحمد ماله » وفي م « أثمان

المكاييم »

(٤) من ك

(٥) ديوانه ٣٨٦ والصناعتين ١٢٥ وفي م ، ط « ثني »

(٦) ديوانه ٢٩١

(٧) ديوانه ٧١٣ وفي م « شري » وط « فعاب الثناء » ! وهو تحريف

ففتوته^(١) الشناء إنما معناه عظم أن يدركه ويبلغ حده ، ألا تراه قال :
 « كيف نشئ على ابن يوسف لا كيف » أى : لا طريق إلى كيفية^(٢) الشناء
 التى يستحقها وتليق به ، ثم قال : « سرى^(٣) مجده ففات الشناء » قطعاً
 من الكلام الأول .

١٥ - ومن خطائنه قوله :

ظَعُنُوا فَكَانَ بُكَائِي حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ أَرْعَوَيْتُ ، وَذَلِكَ حُكْمٌ لِبَيْدٍ^(٤)
 أَجْدِرُ بِجِمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا بِالذَّمْعِ أَنَّ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ^(٥)

وهذا خلاف ما عليه العرب ، وضد ما يعرف من معانيها ؛ لأن المعلوم من
 شأن الذم أن يطفى الغليل ، ويبرد حرارة الحزن ، ويزيل شدة الوجد ،
 ويُعقب الراحة ، وهو فى أشعارهم كثير موجود يُنحى به هذا النحو من المعنى ؛
 فمن ذلك قول امرئ القيس :

وَلِإِنَّ شِفَائِي عِبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ^(٦)
 وقول ذى الرمة :

لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الذَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ^(٧)

(١) ط « فعيه »

(٢) ط « سيب الشناء الذى يستحقه ويلىق »

(٣) م ، ك « سرى » وط « فعاب الشناء »

(٤) ديوانه ٨٢ وشرح التبريزى ١ / ٣٩٢ والصناعتين ١٢٥ وفى م « حولا كاملا » وهو يريد

قول لبيد المشهور :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٥) فى شرح التبريزى « أى : جمره تطفأ بالذم حقيق بأن تزداد التهاباً وتوقداً . يعنى أن البكاء

لا ينفع ، بل التعزى وعزيمة المجلود تغنى عن ذلك »

(٦) شرح القصائد العشر ٨ والصناعتين ١٢٦ وتشنيف السمع بانسكاب الذم ٢٤

(٧) ديوانه ٤٩٢ والصناعتين ١٢٦

وقول الفرزدق :

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا^(١)
وهو كثير في أشعارهم ، ما عدل به أحد منهم عن هذا المعنى^(٢) ، وكذلك
المتأخرون على هذه السبيل^(٣) سلکوا ، وأبو تمام من بينهم قد ذكر هذا المعنى ،
وكرره في شعره متبعاً لمذاهب الناس ؛ فمن ذلك قوله :
نَشَرْتُ فَرِيدَ مَدَامٍ لَمْ تُنْظَمْ والدَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ ثِقَلِ الْمُغْرَمِ^(٤)
وقال في موضع آخر :

واقِعاً بِالْخُدُودِ وَالْبَرْدُ مِنْهُ واقِعٌ بِالْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ^(٥)
[وقال أيضاً :

فافزعْ إِلَى ذُخْرِ الشُّوْنِ وَغَرِبِهَا^(٦) فالدمعُ يذهبُ بعضَ جهْدِ الجاهد]
وقال :

فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بِمَائِهَا والدَّمْعُ مِنْهُ خَاذِلٌ وَمُؤَاسِي^(٧)
وقال أيضاً :

فَلَعَلَّ عِبْرَةَ سَاعَةٍ أَذْرَيْتَهَا تَشْفِيكَ مِنْ إِرْبَابٍ وَجَدْمُحُولٍ^(٨)
فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذي جرت العادة به في وصف الدمع ،

(١) ديوانه ٨٩٥ والصناعتين ١٢٦

(٢) في ك « التوضيح »

(٣) ط ، ك « المتأخرون هذا السبيل سلکوا . . . بينهم ركب »

(٤) الصناعتين ١٢٥ وفي ديوانه ٣١٢ « بعض شجو »

(٥) الصناعتين ١٢٥ وفي الديوان وشرحه « والحرمة » وهما روايتان . يعني أن الدمع يسيل على الحدود وبرده في القلب والتكيد لأنه ينقع الغلة ويشق الحرقه

(٦) ك « وعزبه »

(٧) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزي ٢٤٢/٢ « أن تعين بمائها » وهما روايتان . وفي م « والدمع منها »

(٨) ديوانه ٢٣٣

لكان المذهب [الصحيح] المستقيم ، ولكنه استعمل^(١) الإغراب فخرج إلى ما لا يُعرَف في كلام العرب ، ولا مذاهب سائر الأمم .

وقد تبعه على هذا الخطأ البحتري ، فقال :

فَعَلَامَ فَيَنْضُ مَدَامَعٍ تَدِقُّ الْجَوَى وَعَذَابُ قَلْبٍ فِي الْحِسَانِ مُعَذِّبٍ^(٢)

قوله : « تَدِقُّ^(٣) الجوى » من قولهم : « لَمْ يَدِقِ الْأَرْضَ مِنْهُ شَيْءٌ » أى : لم يصل ، وفى شعر امرئ القيس فى قافية^(٤) : * مَوْدِقُ * أى^(٥) : أَثَرِي ، وأصله من الدنو فكأن قوله^(٦) : « تدق الجوى » أى : تُدْنِي^(٨) الجوى ، يقال : أَتَانِ وَدِيقٌ ، أى : تدنو من الفحل ، ومنه الوديقة الهاجرة ؛ لدنو البحر ، وقيل لقطر المطر : وَدَقُ لَانْحِلَالِهِ^(٨) من السحاب ، وَدُنُوهُ مِنَ الْأَرْضِ .

* * *

١٦ - ومن خطائه قوله :

رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مُسْخِطِي

مِنْ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رَضَى مَنْ لَهُ الْأَمْرُ^(٩)

فمعنى [هل فى] هذا البيت التقرير ، والتقرير على ضربين : تقرير للمخاطب على فعل قد مَضَى ووقع ، أو على فعل هو فى الحال ليجب المقرر

(١) ط « أحب »

(٢) ديوانه ١٢٢ والصناعتين ١٢٦

(٣) م « بَدَق . . . قوْطِم : ما بَدَق »

(٤) ط « ما فيه » ، م : « فيها فيه » والآمدى يشير إلى قول امرئ القيس ١١٠ :

دخلت على بِيضَاءَ جَمِ عَظَامِهَا تَعْنَى بِذِيلِ الدَّرْعِ إِذَا جِثَّتْ مَوْدِقُ

(٥) ط « أى على »

(٦) ط ، م : « فكأنه قال »

(٧) م « تدق »

(٨) ط « لانحلاله »

(٩) ديوانه ٤٧٥ والصناعتين ١٢٦

بذلك ويحققه ، ويقتضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به ، نحو قوله : هل أكرمتك ؟ هل أحسنت إليك ؟ هل أودك وأثرك ؟ و [هل] أفضى حاجتك ؟

وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينبئ^(١) أن يكون قد وقع ، نحو قوله : هل كان منى إليك قط شيء كرهته ؟ وهل عرفت منى غير الجميل ؟

فقوله فى البيت الأول^(٢) « وهل أرضى » تقرير لفعل ينفيه عن نفسه ، وهو الرضا ، كما يقول القائل : وهل يمكننى المقام على هذه الحال ؟ أى لا يمكننى ، وهل يصبر الحر على الذل ؟ وهل يروى زيد ؟ و [هل] يشبع عمرو ؟ فهذه [كلها] أفعال معناها النفى ، فقوله « وهل أرضى » نفي للرضا ، فصار المعنى ولست أرضى ؛ إذ كان الذى يسخطنى ما فيه رضا [من له الأمر : أى رضا]^(٣) الله تعالى ، وهذا خطأ منه فاحش .

فإن قال قائل : فلم لا يكون قوله « وهل أرضى » تقريراً على فعل هو فى الحال ليؤكد من نفسه ، نحو قوله : هل أودك [وهل أثرك] ؟ ونحو قول الشاعر :

هَلْ أَكْرَمُ مَثْوَى الضَّيْفِ إِنْ جَاءَ طَارِقًا
وَأَبْدُلُ مَعْرُوفِي لَهُ قُوْنَ مُنْكَرِي

فإن قيل ليس قول القائل لمن يخاطبه « هل أودك » ؟ « هل أثرك » ؟ وقوله « هل أعنى » على أصله « الخير » أو « هل أكرم السرى » أو « هل أقنع بالمشور » ؟ ~~فصل قوله أكرمتك~~ « هل أرضى » لأن^(٤) صيغة

(١) وينبئ

(٢) البيت الأول

(٣) الرضا

(٤) لأن

هذا الكلام دالة على [أنه قد نفي الرضا عن نفسه ؛ بإدخاله الواو على] ^(١) «هل» وإنما يشبه هذا قول القائل : « وهل [أودك] إذا كانت فعالك كذا » ؟ « وهل أصلح للخير عندك إلا إذا كنت تعتقد غير ذلك في » ؟ « وهل ينفع في زيد العتاب » ؟ كقول الشاعر :

* وَهَلْ يُضْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ ^(٢) *

وقول ذي الرمة :

وَهَلْ يَرْجِعُ التَّسْلِيمُ أَوْ يَكْشِفُ الْأَسَى ثَلَاثُ الْأَثَا فِي وَالْدِيَارِ الْبَلَاغِ ^(٣)
لأن الواو ههنا كأنها عطفَتْ جواباً على قول ^(٤) قائل : إِنْ فَلَانًا سَيُضْلِحُ
ويرجع إلى الجميل ، فقال آخر :

* وَهَلْ يُضْلِحُ الْعَطَّارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ *

وكقول ذي الرمة :

أَمَنْزِلَتِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الْأَزْمَنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ ^(٥)
لما علم أن التسليم غيرُ نافعٍ عاد على ^(٦) نفسه فقال : « وهل يرجع التسليم » وكما قال امرؤ القيس :

* وَإِنْ شِفَانِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ *

ثم قال :

* وَهَلْ عِنْدَ رَبِّعٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ ؟ *

وكذلك قول أبي تمام « رضيت » ثم قال « وهل أرضى إذا كان مُسَخْطِي »

(١) الزيادة من ط

(٢) غير منسوب في الكامل ٢٦٩/١ وصدره « تدس إلى العطار سلعة بينها » وقيله :

عجوز ترجى أن تكون فتية وقد لحب الجنان واحد ودب الظهر

(٣) ديوانه ٣٣٢ وط « يكشف المعى . . . الآثافي والرسوم »

(٤) م « قول القائل قال »

(٥) ديوانه ٣٣٢ وهو أول القصيدة والبيت السابق هو الثاني فيها

(٦) سقطت من م

إنما معناه ولست أرضى ، فكان^(١) وجه الكلام أن يقول : رضيت وكيف لا أرضى [أو لم لا أرضى] إذا كان الذى يسخطنى^(٢) ما فيه رضا الله تعالى ، وكذا أراد فأخطأ فى اللفظ ، وأحال المعنى عن جهته إلى ضده .

فإن قيل : إن « هل » هنا بمعنى « قد » ، وإنما أراد الطائى رضيت وقد أرضى . كما قيل^(٣) [فى قول] الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾^(٤) [إن المعنى] : قد أتى .

قيل : هذا إنما قاله قوم من أهل التفسير ، وتابعهم قوم من النحويين . وأهل اللغة جميعاً على خلاف ذلك : ولم^(٥) يأت فى كلام العرب [وأشعارها « هل قام زيد » بمعنى قد قام زيد ، وإذا كان ذلك معدوماً فى كلام العرب^(٦) ولغتها فكيف يجوز أن يؤخذ به أو يعمل^(٧) عليه ؟ وقد قال أبو إسحق الزجاج وجماعة من أهل العربية فى قوله عز وجل : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ معناه ألم يأت ؟ على سبيل التقرير . وهب الأمر فى هذا كما ذكروا^(٨) . والخلاف ساقط فيه . فإن بيت أبى تمام لا يحتمل من التأويل ما احتملته الآية : لأن « هل » إنما شبهها من شبهها بقدر إذا وليت الفعل^(٩) الماضى خاصة . وأبو تمام إنما أوقعها على الفعل المستقبل وإذا وقعت على

(١) م « وكان »

(٢) ط « كان مسخطى »

(٣) م ، ط « كما قال »

(٤) سورة الدهر : ١

(٥) ط « إذ لم »

(٦) الزيادة من ط وفيها « ولغاتها »

(٧) ط « أو يعمل »

(٨) م « ذكر » ، ل « ذكر »

(٩) ط « وليت لفظ الماضى »

المستقبل^(١) سقط. عنها أن تضارع قد ؛ لأن قد ههنا^(٢) تكون بمعنى ربما .
و « هل » ليس فيها ذلك .

وبعد : فإذا^(٣) كان الرجل إنما أراد بهل معنى قد فلم لم يقل : رضيت وقد
أرضي ؛ فيأتي بلفظة « قد » نفسها إذ كان [إنما] يريد الخبر . ولا يأتي
هل فيلتبس الخبر الذي إياه قصد بالاستفهام ؟ فإن البيت كان يستقيم
بقد [كما يستقيم هل] ويغنيانا عن الاحتجاج الطويل .

وقد استقصيت القول في هذا الباب^(٤) وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره
في معنى قد وهل ولخصته في جزء مفرد ، وإنما فعلت ذلك اكثرة من عارضني
فيه ، وأدعى الدعاوى الباطلة في الاحتجاج لصحته .

* * *

١٧ - ومن خطائه قوله في البكاء على الديار^(٥) :

دارُ أَجَلُ الهوى من لم أَلَمَّ بِهَا في الرَّكْبِ إِلَّا وَعَيْنِي مِنْ مَنَائِحِهَا^(٦)
وهذا لفظ مُحال عن وجهه : لأن « إِلَّا » ههنا لتحقيق وإيجاب ،
فكيف يجوز أن يكون عينه من منائِحها إذا لم يَلَمْ بها ؟ وإنما وجه الكلام
[أن يقول] : « دار أَجَلُ الهوى عن أن أَلَمَّ بها [إِلَّا وعيني من منائِحها . أو
أَجَلُ الهوى عن أن أَلَمَّ بها] وليس عيني من منائِحها » وقد كنت أظن

(١) الزيادة من ك . وفي ط م « . . فسقط »

(٢) ط ، ك « قد حينئذ قد تكون »

(٣) في ط ، م : « فإن »

(٤) ط ، ك « البيت »

(٥) ط « الدار »

(٦) ديوانه ٧٢ وشرح التبريزي ١ / ٣٤٧ وانظر رد ابن المستوفى على الآمدي في هامش صفحة

الشرح . والمعنى على رواية الديوان : أَجَلُ الهوى عن أن أَلَمَّ بالدار إِلَّا أَنَا بآك ، أي لم أَلَمْ بها
بكيت . وفي م ، ط : « إن لم أَلَمْ بها »

أنا تمام على هذا نظم الشعر ، وأن غلطاً وقع^(١) في نقل البيت ، حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التي لم تقع في يد « الصولى » وأضرابه ، فوجدت البيت في غير نسخة مثبتاً على هذا الخطأ .

* * *

١٨ - ومن خطائه أيضاً في وصف الربع^(٢) وساكنه ، قوله :
قَدْ كُنْتَ مَعْهُوداً بِأَحْسَنِ سَاكِنٍ ثَاوٍ وَأَحْسَنِ دِمْنَةٍ وَرُسْمٍ^(٣)
والربع لا يكون رسماً إلا إذا فارقه ساكنوه ؛ لأن الرسم هو الأثر الباقي بعد ساكنه^(٤) .

والصواب قولُ البحتري :
يَا مَعَانِي الْأَحْبَابِ صِرْتُ رُسُومًا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكَ عِنْدِي مَلُومًا^(٥)
وقال امرؤ القيس :

* وهل عِنْدَ رَسْمٍ دَارِيں مِنْ مُتَوَلٍ *
قال^(٦) ذلك : لأن الرسم يكون دارساً وغير دارس . وقال :
فَإِنَّمَا نَبِيكَ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَعِزِّفَانٍ
وَرَسْمٍ عَفَتْ آيَاتُهُ مُنْذُ أَرْزَمَانٍ^(٧)

* * *

١٩ - ومن خطائه أيضاً قوله :
طَلَّ الْجَمُوعُ لَمَقْدَ عَفْوَتِ حَمِيدَا وَكَفَى عَلَى رُزْنِي بِذَلِكَ شَهِيدَا^(٨)

(١) ط. « وقع » .

(٢) م. « الربع » .

(٣) « دِمْنَةٍ » : شرح أبي نؤى ٢٠٧/٢ « سناوحه » وم. « بأحسن » .

(٤) « رسماً » : م. « رسماً » .

(٥) « ملوماً » : ٢٧٢ .

(٦) « قال » : م. « قال » .

(٧) « رزمان » : م. « رزمان » .

(٨) « شهيداً » : م. « شهيداً » .

أراد وكنى بأنه مضي حميداً شاهداً على أتى رُزئت ، وكان وجه الكلام أن يقول : وكنى برزنى شاهداً على أنه ^(١) مضي حميداً ؛ لأن حميداً من الطلل قد مضي ، وليس بشاهد ولا معلوم ، ورزؤه بما يظهر ^(٢) من تفجعه مشاهد معلوم ؛ فلأن يكون الحاضر شاهداً على الغائب أول من أن يكون الغائب شاهداً على الحاضر

فإن قيل : إنما أراد أن يستشهد على عظيم رُزئه عند من لم يعلمه . قيل : فمن لا يعلم قدر مرزئته التي بعضها ظاهر عليه ، كيف يعلم ما مضي من حميد أمر الطلل حتى يكون ذلك شاهداً على هذا ؟ !
فإن قيل : هذا إنما جاء به على القلب .

قيل : المتأخر لا يُرخص ^(٣) له في القلب ؛ لأن القلب إنما جاء في كلام العرب على السهو ، والمتأخر إما يحتذى على أمثلتهم ، ويقتدى بهم ؛ وليس ينبغي له أن يتبعهم فيما سهوا فيه .

فإن قيل : فقد جاء القلب في القرآن ، ولا يجوز أن ^(٤) يقال : إن ذلك على سبيل السهو ولا الضرورة ؛ لأن كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك ، وهو قوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ ^(٥) وإنما العصبية تنوء بالمفاتيح : أى تنهض بثقلها ، وقال عز وجل : ﴿ ثُمَّ دَنَى قَتَدَلٍ ﴾ ^(٦) وإنما هو [ثم] تدلّ فدنا ، وقال : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ^(٧) أى : وإن

(١) ط « على أن . . . لأن حمد أمر الطلل »

(٢) ط « بما ظهر . . . شاهد »

(٣) م « لا يركض » وهو تحريف

(٤) ط « أن يكون ذلك »

(٥) سورة القصص : ٧٦ وانظر تأويل مشكل القرآن ١٥٣ ، ١٥٧

(٦) سورة النجم : ٨

(٧) سورة العاديات : ٨

حبه للخير لشديد . ولهذا أشباه كثيرة في القرآن .

قيل : ^(١) هذا ليس بقلب ، وإنما هو صحيح مستقيم ؛ إنما أراد الله تعالى اسمه : ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة ، أى : تميلها من ثقلها ، ذكر ذلك الفراء وغيره ، وقالوا : إنما المعنى ^(٢) لَتُنَىَّ العصبة .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ قيل : المعنى إنه لحب المال ^(٣) لشديد ، والشدة : البخل ، يقال : « رجل شديد ومتشدد » أى : بخل ، يريد إنه لحبه ^(٤) المال لبخيل متشدد ، أى ^(٥) لأجل ^(٦) حبه المال يبخل .

وقالوا فى قوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ دَنَىٰ دَنًى فَنَدَىٰ ﴾ : إنما كان تدلييه عند دُنُوِّه واقترابه ، كما قال أبو النجم :

« قَبْلَ دُنُوِّ الْأَفْقِ مِنْ جَوَازِيهِ * » ^(٧)

والجوزاء إذا دَنَتْ من الأفق فقد دنا الأفق منها ، فهذا ليس من القلب المستكره . ومثله فى الشعر كثير ، ومنه قول الشاعر :

وَمَهْمَهٍ مُّغْبِرَةٍ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاؤُهُ ^(٨)

قالوا ^(٩) : كان الوجه أن يقول : كَأَنَّ لَوْنَ سَمَائِهِ مِنْ غَبْرَتِهَا لَوْنَ أَرْضِهِ ، وليس الأمر فى ذلك بواجب ؛ لأن أرضه وسماؤه ^(١٠) مضافان جميعاً إلى الهاء ،

(١) م « قيل هذا ليس بالقضية ، أى بميلها من ثقلها »

(٢) م « المعنى ليس بالعصبة »

(٣) م ، ك « المال البخيل »

(٤) م « لحبه المال بخيل » . وفى ط : « حب المال لبخيل »

(٥) ط ، ك : « يريد إنه لحب المال » !

(٦) م « من أجل »

(٧) (٧) أمالى المرتضى ٢١٧/١ وسر الفصاحة ١٠٨ وتأويل مشكل القرآن ١٥٠

(٨) (٨) قاله رؤبة ، كما فى ديوانه ١ تأويل مشكل القرآن ١٥١ وأمالي ابن السجوى ٢٢٩-٢٣٠

والصاحب ١٧٢ وأبواب مختارة ٣٤ وشرح شواهد المعنى للسيوطى ٣٢٨ وأمالي المرتضى ٢١٦/٢

(٩) ط « قوله كأن لون أرضه سماؤه أى كأن . . . »

(١٠) م « وسماؤه جميعاً كانا فيه إلى الهاء »

وهي كناية عن المهمة ، فأيهما يشبه^(١) بصاحبه كانا فيه سواء ، وإنما تغبر آفاق السماء من الجذب واحتباس القطر .

وقال الحطيئة :

فَلَمَّا خَشِيتُ الْهُونَ وَالْعِيرَ مُمْسِكُ عَلَى رَغْمِهِ مَا أَمْسَكَ الْجَبَلَ حَافِرُهُ^(٢)
قالوا : وكان الوجه أن يقول : ما أَمْسَكَ الحافر^(٣) حبله . وكلاهما متقاربان ؛ لأن الجبل إذا أَمْسَكَ الحافر فإن الحافر أيضاً قد شغل الجبل .
فهذا كله شائع^(٤) حسن . ولكن القلب القبيح^(٥) لا يجوز في الشعر ، ولا [يجوز مثله] ^(٦) في القرآن ، وهو ما جاء في كلامهم على سبيل الغلط .
نحو قول خدّاش بن زهير :

وَتُرْكَبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضَّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ^(٧)
وإنما الضيافة هي التي تشقى^(٨) بالرماح .

وكقول الآخر :

(١) م « شبهتهما »

(٢) ديوانه ١٠ وتأويل مشكل القرآن ١٤٩ وتفسير الطبري ٨٤/١٤ قال السكري :
« يقول : مادام الحمار مقيداً فهو ذليل معترف بالهون ، وهذا مقلوب . أراد : ما أثبت الجبل حافره فقلب ، فجعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً »

(٣) م ، ك « الجبل حافره »

(٤) م « شائع »

(٥) م « القبيح في الشعر لا يجوز مثله في القرآن هو »

(٦) من ك

(٧) ط « خيلا . . . وتمعى الرماح » والهودة : المصالحة والمودعة . ونعصى : نضرب ونظمن .

والضيافة : جمع ضيطر ، وهو اللثيم الضخم . والبيت من قصيدة لخداش في جمهرة أشعار العرب ١٠٨

« خيلا » وهو في تأويل مشكل القرآن ١٥٢ والصاحبي ١٧٢ والكامل ١/ ٢٧٤ وسر الفصاحة ١٠٦

والأضداد للسجستاني ١٥٣ وأمالى المرتضى ٤٦٦/١ واللسان ١٦٠/٦ والأضداد لابن الأنباري ٨٥

وتفسير الطبري ٢٠/١٧ ، ٢٠/ ٦٩

(٨) م ، ك « تعصى »

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّانِءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ^(١)

وإنما الرجم فريضة الزناء .

وكقول الفرزدق يصف ذنباً :

وَأَظْلَسَ عَسَالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَاتَانِي^(٢)

وإنما أراد^(٣) رفعها للذئب ، أنشده المبرد^(٤) ، وقال : القلب جائز

للاختصار ، إذا لم يدخل الكلام لبس . كأنه^(٥) يجوز ذلك للمتقدمين^(٦)

دون المتأخرين ، وما علمت أحداً قال « الاختصار » غيره ، فلو قال

لإصلاح الوزن^(٧) أو للضرورة ، كما قال غيره ، كان ذلك أشبه .

ويجوز أن يكون الفرزدق في [هذا] البيت سهواً أو اضطر لإصلاح

الوزن ، وأبو تمام وغيره من المتأخرين لا يَصَوِّغُونَ^(٨) مثل هذا . وإنما أراد

أبو تمام : وكفى بما يظهر من تفجيعي بهذا الرزء الذي رزئتته ، شاهداً [لك]^(٩)

على أن الطلل مضى حميداً ، فقلت . وليس له أن يقلب في مثل هذا [لأنه

القلب المستكره .

(١) غير منسوب في تأويل مشكل القرآن ١٥٣ وأمالى المرتضى ١/٢١٦ وسر الفصاحة ١٠٦

ونسبه في اللسان ٧٩/١٩ للجمدى

(٢) ديوانه ٨٧٠ « دعوت لنارى » والأطلس : الأغبر . وعسال : نسبة إلى مشيته ، يقال :

مر الذئب يعسل ، وهو مشى خفيف كالمرولة

(٣) ك « وإنما النار رفعها للذئب »

(٤) فى الكامل ١/٣٢٠ « قوله : رفعت لنارى ، من المقلوب ، إنما أراد رفعت له نارى .

والكلام إذا لم يدخله لبس جاز القلب للاختصار »

(٥) م « فإنه » وط « ذلك للمتقدمين »

(٦) ط ، م « للعرب الأوائل »

(٧) م ، ك « الأوزان والضرورة »

(٨) م « لا يصوغون من هذا شيئاً »

(٩) من ك

فإن قيل : إنه لم يُرد القلب ، وإنما أراد وكنى على رزنى بمحمود أمر
الطلل شهيداً .

قيل : فأى شيء استشهد ؟ وأين شهيدُه ؟

* * *

٢٠ - ومن خطائه قوله في باب الفراق :

دَعَا شَوْقُهُ يَا نَاصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طُلُّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهُ^(١)
أراد أن الشوق دعا ناصراً ينصرده فلباه الدمع ، بمعنى أنه يخفف لاصح
المشوق^(٢) ، ويطفئ حرارته . وهذا إنما هو نُصْرَةٌ للمشتاق على الشوق ، والدمع
إنما هو حربٌ للشوق ؛ لأنه يثلّمه ويتخونه ويكسر^(٣) حده ، كما قال
البحترى :

وَبُكَاءُ الدِّيَارِ مِمَّا يَرُدُّ الشَّاءَ وَقَ ذِكْرًا وَالْحُبُّ نِضْوًا ضَبِيلًا^(٤)
قوله « يرد الشوق ذكراً » أى : يخففه ويثلّمه حتى يصير ذكراً^(٥)
لا يُقلق ولا يزعج كإفلاق الشوق ، وقوله « والحب نضوا » أى يصغره ويمحقه ،
[كما قال جرير :

فَلَمَّا اتَّقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصِي وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ]^(٦)
فلو كان الدمع ناصراً للشوق لكان يُقَوِّيه ويزيد فيه ، ألا ترى أنك
تقول : قد ذبحنى الشوق إليك ، فالشوق عدوُّ المشتاق وحربه ، والدمع
سليمه^(٧) لتخفيفه عنه ، وهو حرب للشوق ، وليس بهذا الخطأ خفاء .

(١) ديوانه ٢٣٠

(٢) ك ، ط « الشوق »

(٣) ط « ويكسر منه »

(٤) ديوانه ٦٨٧

(٥) م « تذكر »

(٦) الزيادة من ط . والبيت في ديوانه ٤٧٨

(٧) ط « سلم »

وقد تبعه البحريرى في هذا الخطأ فقال ينعى^(١) الديار التي وقف عليها :
نَصَرْتُ لَهَا الشُّوقَ اللَّجُوجَ بِأَذْمَعٍ تَلَاَحَقْنَ فِي أَعْقَابِ وَضَلِ تَصَرُّمًا^(٢)

* * *

٢١- ومن خطائه في معنى الشوق قوله :

يكفيكه شوقٌ يُطِيلُ ظَمَاءَهُ فَإِذَا سَقَاهُ سَقَاهُ سُمَّ الْأَسْوَدِ^(٣)
فقلوه « شوق يطيل ظمائه » غلط . لأن الشوق هو الظمأ نفسه ، ألا ترى أنك تقول : أنا عطشان إلى رؤيتك ، وظمآن ، ومشتاق ، بمعنى واحد ؟ فكيف يكون الشوق هو المطيل للظمأ وكيف يكون هو الساقى ، والمحبوب هو الذى يظمئ ويستقى^(٤) ! لا الشوق [وهذا خطأ] .

* * *

٢٢- ومن خطائه قوله :

أَمَرَ التَّجْلُدَ بِالتَّلْدُدِ حُرْقَةً أَمَرْتُ جُمُودَ دُمُوعِهِ بِسُجُومِ^(٥)
جعل الحرقه آمرة للتجلد بالتلدُد ، والحرقه التي يكون معناها التلدُد تُسقط. التجلد ألبته وتذهب به ، فأما أن يجعله متلدداً فإن هذا من أحق المعاني وأولاها بالاستحالة ، وأيضاً^(٦) فأى لفظ أسخف من أن يجعل الحرقه آمرة [وإن كان ليس بخطأ] وإنما العادة في مثل هذا أن تكون باعثة أو جالبة أو نحو هذا ، وأما الأمر فليس هذا موضعه .

(١) م « يعنى »

(٢) ديوانه ٣٥٥

(٣) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٤٣/٢ وظماءه : عطشه . والأسود : الحية التي لا ينجو

لديها . وفي ط « يكفيك شوق قد يطيل »

(٤) ك ، ط « ويستقى أو البعد أو الهجر لا الشوق فكيف يكون الشوق يطيل شوقه »

(٥) ديوانه ٣٥٥

(٦) م « وهو أيضاً »

[ولو كان قال :

أفنى التجلد بالتلدد حرقة أفنت جمود دموعه بسجوم
كان أولى بالصواب]^(١).

* * *

٢٣- ومن خطائه قوله :

مِنْ حُرْقَةٍ أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ أَسْرَتْ قَلْبًا وَمِنْ غَزَلٍ فِي نَحْرِهِ عَذَلٌ^(٢)
قوله « أَطْلَقَتْهَا فُرْقَةٌ » أى أبردتها^(٣) وأظهرتها ، وإِنَّمَا^(٤) قال « أَطْلَقَتْهَا »
من أجل قوله « أَسْرَتْ قَلْبًا » ليطابق بين الإطلاق والأسار^(٥) ، وقوله « أَسْرَتْ
قَلْبًا » يعنى الفرقة ، [وهو]^(٦) معنى ردىء ؛ لأن القلب إِنَّمَا يأسره ويملكه
شدة الحب ، لا الفراق ، فإن لم يكن مأسوراً قبل الفراق فما كان هناك
حب ، فلم حَضَرَ للتوديع ؟ وما كان وجه البكاء والاستهلال والزجل^(٧) الذى
ذكره قبل البيت ، والقصة الفظيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم ؟
أو ما^(٨) علم أن للفراق لوعة صعبة [وناراً محرقة] عند وروده وفجائته^(٩) فلا
يسمى ذلك أسراً^(١٠) ولا علاقة ! وإِنَّمَا هو^(١١) محنة تطرأ على أسير الحب ،

(١) هذه زيادة ط ك وفى ط « ولو قال بعثت » أو « جلبت » لكان له

(٢) ديوانه ٢٢٧ وفى ط « ومن عذل . . . غزل »

(٣) ط « أى ثورتها »

(٤) م « وإِنَّمَا عذل قال »

(٥) ط « والأسر »

(٦) زيادة من ط

(٧) م وط « والرجل » « والوجل » والآمدى يشير إلى الزجل فى البيت السابق وهو :

ولو ترانا وإياهم وموقفنا فى موقف البين لاستهلالنا زجل

(٨) ط « وما علم » وم « علمت أن الفراق »

(٩) م « ومحانه »

(١٠) م « إساراً »

(١١) ط « وإِنَّمَا يسمى »

وربما قتلته كما يقتل الأسير ، فالفراق إنما له لَوَعَةٌ ثم تبرد ناره ، وتُخمد وقتاً فوقتاً^(١) ، حتى يَدْرُس « الحب »^(٢) ؛ والفراق^(٣) يفكُّ أسر الحب ، ويُنسى الخليلَ خليله إذا امتدبه زمان ؛ ألا ترى إلى قول زهير بن جناب^(٤) :

إذا ما شئتَ أَنْ تَسْلَى حَبِيباً فَأَكْثَرَ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي
فَمَا أَنْسَى خَلِيلَكَ مِثْلُ نَائٍ وَمَا أَبْلَى جَدِيدَكَ كَابِتِدَالٍ^(٥)

وقول الآخر :

يُنْسَى الْخَلِيلَيْنِ طُولُ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا وَتَلْتَقِي طُرُقُ شَتَى فَنَاتِلِفُ^(٦)

فهذا هو المعنى الصحيح المعروف ، فإن^(٧) كان تقدم أبا تمام في هذا المعنى من تبعه ، وحذا على حذوه ، فالردىء ، لا يؤثّر به^(٨) .

ولعله سمع معنى سائغاً حسناً فأفسده بسوء عبارته ، وكثيراً ما يفعل هذا . وكان ينبغي أن يقول : من حرقة بعثتها فرقة ، أو أظهرتها فرقة جرحت قلباً ؛ حتى يكون أسير الهوى وقتيل الفراق .

فإن قيل فلم لا يكون « أسرت قلباً » للحرقة لا للفراق^(٩) ؟
[قيل : لا يكون ذلك ؛ لأنَّ الأسر إذا قُبِحَ أن يكون فعلاً للفرقة]^(١٠)

(١) من ك

(٢) ط « والفراق . . . وقتاً فوقتاً »

(٣) ط « والفراق »

(٤) « زهير الكلبي » وترجمته زهير بن جناب الكلبي في المؤتلف والمختلف ١٣٠

(٥) في المؤتلف : « ولا أبلى »

(٦) ط « فيأتلف »

(٧) ط « وإن كان قد »

(٨) م « لا يؤثر به »

(٩) ط « أسرت قلبه الحرقة للفراق »

(١٠) الزيادة من ط

قبح أيضاً أن يكون فعلاً للحرقة ؛ لأنَّ الفرقة هي التي جلبت الحرقة ،
فشأنها كشأنها .

* * *

٢٤ - ومن خطائه قوله :

مَا لِامْرِئٍ خَاصٍّ فِي بَحْرِ الْهَوَىٰ عُمُرٌ
إِلَّا وَلِلْبَيْنِ فِيهِ السَّهْلُ وَالْجَلْدُ^(١)

وهذا عندي خطأ إن كان أراد بالعمر مدة الحياة ؛ لأنه اسم واحد للمدة
بأسرها ؛ فهو لا يتبعَّض^(٢) فيقال : لكل جزء منه عمر ، فكما لا يقال :
ما لزيد رأس إلا وفيه شجة أو ضربة ، وما له لسان إلا وهو ذرب [أو فصيح]^(٣) ،
فكذلك لا يقال : ما له عمر إلا وهو قصير ، وإنما يسوغ هذا فيما فوق الواحد ،
مثل أن تقول : ما له ضلع إلا مكسورة ، وما له يد إلا وفيها أثر ، ولا رجل
إلا وبها خنْف . وليس قولهم : « ما له عيش إلا مُنْغَصٌّ ولا حياة إلا كَدْرَةٌ »^(٤)
مثل قولك : ما له عمر إلا قصير ، ولو قلته ؛ لأنَّ عيش الإنسان ليس هو^(٥)
مدة حياته بأسرها ؛ لأنك قد تقول : كان عيشي بالعراق طيباً ، وكانت
حياتي بمصر^(٦) لذيذة ، وكان عيشي بالحجاز أطيب من عيشي باليمن .

(١) ديوانه ٩٧ وفي شرح التبريزي ١١/٢ « يقول : ما هو أحد إلا وقد جعل البين والفراق
عمره بين الشدة واللين ، فيكون تارة مسروراً ، وأخرى مفتماً » وإلهاء في منه تعود على عمر . والجلد :
الأرض الصلبة »

(٢) م « لا ينتقص »

(٣) الزيادة من ط

(٤) م « إلا قدرة »

(٥) ط « ليس له »

(٦) ط « بمكة »

ولا تقول : كان عمري ؛ لأن العمر هو المدة بأسرها ، والعيش والحياة ليسا ^(١) كذلك ؛ لأنهما يتبعضان ^(٢) .

فإن قيل : فأنت [قد] تقول : ما لزيد رأس حسن ، ولا أنف أشم ، ولا لسان ذرب .

قيل : إنما صلح ^(٣) هذا من أجل النفي ؛ لأنك إنما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ، ولا لسان من اللسان الذرية ؛ وإذا دخلت « إلا » ههنا فقد جعلت المنفى موجباً وحقيقة ، وإذا قلت « ليس لزيد رأس إلا حسن » فقد أوجبت له عدة رؤوس ، وهذا خطأ ، وكذلك سبيل العمر .

وإن كان أراد بالعمر منزلة الذي يتوطنه ويعمره ^(٤) ، فذلك هو المعمر ، وما علمت أحداً ^(٥) سماه عمراً إلا أن يكون دَيْر النَّصَارَى [فإنهم] ^(٦) يسمونه عمرا ، وما كان يمنعه أن يقول « وطن » مكان عمر ؛ لأن لفظهما ومعناهما واحد ، وقد يكون للإنسان عدة أوطان يُوطِنها ^(٧) .

وقد ذكر العمر في موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحياة ؛ فقال :
إذا مارق بالغار جاورَ عمره فذاك حري أن تشم حلائله ^(٨)
أراد أنه إن جاور عمره - أي قارنه ^(٩) - بالغدر فقد عرضه للزوال والنفاد ،

(١) م « ليست »

(٢) م « يتقصان »

(٣) ط « قيل يصلح »

(٤) م « ويعمر » ، ك « يوطنه ويعمره »

(٥) ط « أن أحداً »

(٦) الزيادة من ط

(٧) ط « توطنها »

(٨) م « جاوز » وديوانه ٢٣١ « حاول غدره »

(٩) ط « قاربه »

وهذا من عَوِيص ألفاظه ، وما أراد بالبيت ^(١) إلا مدة الحياة أيضاً ؛ لأن ما قَبِل البيت وما بعده عليه يدل .

٢٥ - وقال في علي بن الجهم :

هِيَ فُرْقَةٌ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مَاجِدٍ فَعَدَا إِذَابَةُ كُلِّ دَمْعٍ جَامِدٍ ^(٢)
فَافْزَعُ إِلَى ذُخْرِ الشُّؤْنِ وَعَذْبِهِ فَالدَّمْعُ يَذْهَبُ بَعْضُ جَهْدِ الْجَاهِدِ ^(٣)
وَلِذَا فَقَدْتَ أَخَا وَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلَا صَبْرًا ، فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ

قوله « يذهب بعض جهد الجاهد » أى : بعض جهد الحزن الجاهد ،
أى : الحزن الذى جَهِدَكَ فهو الجاهد لك ، ولو كان استقام له [أن يقول] ^(٤)
« بعض جهد المجهود » لكان أحسن وأليق ، وهذا أغرب وأظرف ، وقد جاء
أيضاً فاعل بمعنى مفعول ؛ قالوا « عَيْشَةٌ رَاضِيَةٌ » بمعنى مَرْضِيَّةٌ ، و « ملح
باصر » وإنما هو مُبْصَرٌ فيه ، وأشباه لهذا [كثيرة] ^(٥) معروفة ، ولكن
ليس فى كل شيء ^(٦) يقال ، وإنما ينبغى أن ينتهى فى اللغة إلى حيث انتهوا
ولا يتعدى ^(٧) إلى غيره ؛ فإن اللغة لا يقاس عليها .

وقوله « فلم تفقد له دمعاً ولا صبراً » من أفحش الخطأ ؛ لأن الصابر
لا يكون باكياً ، والباكى لا يكون صابراً ؛ فقد نَسَقَ بلفظة على لفظة وهما

(١) ك ، ط « بالبيت الأول »

(٢) ديوانه ٨٦ وشرح التبريزى ٤٠٦/١

(٣) شرح التبريزى ٤٠٦/١ والديوان ٨٦ . ويرى : « وعونه » ، « وغربه » ، وهى التى
وقعت فى أصول ط وقال عنها ناشرها الشيخ محى الدين : « فى الأصول : وغربة وهو تحريف شنيع ! »

(٤) زيادة من ك

(٥) من ط

(٦) ط « فى كل حال »

(٧) م « ولا يتعداه »

نعتان متضادان^(١) ، ومعناه أنك إذا فقدت أخصاً فأدام البكاء عليك فلست بفاقد . ولم يرد فلست بفاقد شخصه ؛ وإنما أراد لست بفاقد وده ولا أخوته ، أى هو^(٢) محصل لك غير مفقود وإن كان غائباً عنك . وإلى هذا ذهب ، إلا أنه أفسده بذكر الصبر مع البكاء ، وذلك خطأ ظاهر .

ولو كان قال « فلم تفقد له دمعاً ولا جزءاً » أو « دمعاً ولا شوقاً [أو دمعاً] ولا قلقاً » لكان المعنى مستقيماً . وظننته قد^(٣) قال نحو^(٤) هذا وأن غلطاً وقع فى كتب البيت عند النقل ؛ فرجعت^(٥) إلى أصل « أبى سعيد السكرى » وغيره من الأصول القديمة ، فلم أجده إلا « دمعاً ولا صبراً » وذلك غفلة منه عجيبة .

وقد لاح لى معنى أظنه - والله أعلم - إياه^(٦) قصد ، وهو أن يكون أراد إذا فقدت أخصاً فلم تفقد له دمعاً - أى فواصل^(٧) البكاء عليه - فلست بفاقده ، على ما [قدمت] ذكره : أى قد^(٨) حصل لك وصار ذخراً من ذخائرك ، وإن غاب عنك أو غيبت^(٩) عنه ، وإن لم تفقد له صبراً - أى وإن صبر عنك - فلست [أيضاً] بفاقد : لأنه إن صبرك^(١٠) وسلاك

(١) ك ، ط « متضادان ولا يجوز أن يكونا مجتمعين »

(٢) ط « وهو »

(٣) من ك

(٤) ط « غير هذا . . . فى كتابه » وفى م « أو غلطاً »

(٥) ط « حتى رجعت »

(٦) ط « إليه »

(٧) ط « أى يواصل »

(٨) ط « فقد »

(٩) ط « وغبت »

(١٠) من ك

فليس ذاك بَأَخٍ تُعَوِّلُ^(١) عليه ، فلست أيضاً بفاقدته : لأنك لا تعتدُّ به موجوداً ولا مفقوداً .

ولكن ذهب على أبي تمام أن هذا غير جائز ؛ لأنه وصف رجلاً واحداً بالوصفين جميعاً ، وهما متضادان . ولو كان جعلهما وصفين لرجلين ، فقال :

وإذا فَقَدْتَ أَخاً لِفَقْدِكَ بِأَكِيًّا أَوْ صَابِراً جَلْدًا فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ
أى : لست بفاقد هذا لأنه محصل لك ، أو لست بفاقد هذا^(٢) لأنه غير^(٣) ناس مودَّتكَ - لكان^(٤) المعنى سائغاً حسناً واضحاً . أو لو جعله شخصاً واحداً وجعل له أحد الوصفين ، فقال :

وإذا فَقَدْتَ أَخاً فَاسْبِلْ دَمْعَهُ أَوْ ظَلَّ مُضْطَبِّراً فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ
لكان أيضاً سائغاً على هذا المذهب .

أو [لو] كان استوى له في ذلك اللفظ بعينه أن يقول « فلم تفقد له دمعاً أو صبراً » حتى لا يجعل له إلا أحدهما - لساغ ذلك ، لكنه نسق بالصبر على الدمع فجعلهما جميعاً له ، ففسد المعنى . وهذا^(٥) وأشباهه الذى قاله الشيوخ فيه : إنه يريد البديع ، فيخرج إلى المحال .

(١) ط « يعول »

(٢) م « هذه »

(٣) ليست في ك

(٤) م « فكان »

(٥) ط « فهذا »

٢٦- وقال أبو تمام :

لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْمَخْضُ وَأَنْصَرَمَتْ أَوْ آخِرُ الصَّبْرِ إِلَّا كَاطِماً وَجِماً^(١)
رَأَيْتُ أَحْسَنَ مَرْتِيٍّ وَأَقْبَحَهُ مُسْتَجْمِعِينَ لِي التَّوْدِيْعَ وَالْعِنَا
الغنم : شجر له أغصان [لطيفة غَضَّةٌ كأنها بَنَانٌ جارية ، الواحدة
عَنَمَةٌ] ^(٢) . كأنه استحسّن أصابعها ^(٣) واستقبح إشارتها إليه بالوداع ، وهذا
خطأ في [هذا] المعنى . أتراه ما سمع قول جرير :

أَتَنْسَى إِذْ تُودِّعُنَا سُلَيْمِي بِفِرْعَ بَشَامَةٍ ؟ سَقَى الْبَشَامُ !^(٤)
فدعا للبشام بالسُّقْيَا ؛ لأنها ودّعته به فسرّ بتوديعها .

وأبو تمام استحسّن إصبعها ، واستقبح إشارتها [مودعة] . ولعمري إن
منظر الفراق منظر قبيح ، ولكن إشارة المحبوبة بالتوديع ^(٥) لا يستقبحها
إلا أجهل الناس بالحب ، وأقلهم معرفةً بالغزل ^(٦) ، وأغلظهم طبعاً ،
وأبعدهم فهماً .

٢٧- وقال [وهو من خطائه] ^(٧) :

فَلَوَيْتَ بِالْمَوْعِدِ أَعْنَاقَ الْوَرَى وَحَطَمْتَ بِالْإِنْجَازِ ظَهَرَ الْمَوْعِدِ^(٨)

(١) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ١٦٧/٣ وقد ذكر الشريف المرتضى أن أبا العباس بن عمار
عابها على أبي تمام ونقل قوله ثم كر عليه بالنقد العنيف . راجع أمالي المرتضى ٢٥٤/٢ - ٢٥٧

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « أصبعها »

(٤) ديوانه ٥١٢ وأمالي المرتضى ٥٤١/١ ، ٢٥٦/٢ والصناعتين ٣٩٢ والبدیع ١٠٧

والعمدة ٤٤/٢ وإعجاز القرآن ١٤٩ وفي اللسان ١٤ / ٣١٧ « البشام : شجر واحدته بشامة .
يعنى أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها ولم تتكلم خيفة الرقيب »

(٥) ك ، ط « بالوداع لا يستقبحه »

(٦) م « بالقول »

(٧) من ك

(٨) شرح التبريزي ٥٣/٢ وفي الديوان ١١٣ « بالمعروف أعناق المني » وظن الشيخ =

حَظُمَ ظهر الموعد بالإنجاز استعارةً قبيحةً جداً ، والمعنى أيضاً في غاية الرداءة ؛ لأنَّ إنجاز الوعد هو تصحيحه وتحقيقه ، وبذلك جرت العادة أن يقال : قد صَحَّ وعدُ فلانٍ ، وتحقَّق ما قال ؛ وذلك إذا أنجزه . فجعل أبو تمام في موضع صحة الوعد حَظُمَ ظهره ، وهذا إنما يكون إذا أخلف الوعد وكذب ، [ألا] ^(١) تراهم يقولون : قد مَرَضَ فلانٌ وعَدَه ، وعَلَّه ، ووَعَدَ ^(٢) . وَعَدًا مريضاً ؛ فإذا أخلف وعده فقد أَمَاتَه ، والإخلاف هو الذى يَحْظُمَ ظهرَ الموعد ، لا الإنجاز . ولا خفاءً بفساد ما ذهب إليه ، وكان ^(٣) ينبغي أن يقول : وحطمت بالإنجاز ظهر المال ^(٤) ، لأنَّ الموعد حينئذ كان يصح ويسلم ، ويتلف المالُ .

* * *

٢٨ - وقال :

إذا وعدَ انْهَلَتْ يَدَاهُ فَأَهْدَتَا لَكَ النُّجَجَ مَحْمُولًا عَلَى كَاهِلِ الْوَعْدِ ^(٥)
 كَاهِلُ الْوَعْدِ إِذَا حَمَلَ النُّجَجَ فَمِنْ ^(٦) سَبِيلِهِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا مُسْلِمًا ،
 لا أن يكون محطوماً ^(٧) كما قال في البيت الأول ؛ فهذه استعارة صحيحة في ^(٨)
 هذا البيت ، وإن كان « كاهل الوعد » قبيحاً .

* * *

« محى الدين » أنها الصواب فقال : « وقع في الأصول : أعناق الورى وتصويبه الذى ذكرناه عن الديوان »
 ولم يرد في شرح التبريزى غير تلك الرواية المزعومة غلطها « يريد أنك عطف أعناق الناس إليك
 بما وعدتهم من الإحسان ، ثم عجلت الإنجاز وأزلت الموعد »

(١) زيادة في ط

(٢) م « ووعدت »

(٣) م « وكان بمعنى »

(٤) ط « المال لا الموعد وحينئذ فالموعد كان »

(٥) ديوانه ١٢٨ وشرح التبريزى ١١٣/٢

(٦) ط « من »

(٧) م « بما »

(٨) ط « على »

٢٩ - ومثل هذا البيت الأول في الفساد أو قريب منه ، قوله :
 إذا مَارَحَى دَارَتْ أَدْرَتْ سَمَاحَةً رَحَى كُلُّ إِنْجَازٍ عَلَى كُلِّ مَوْعِدٍ^(١)
 وهذا إتلافُ الموعد وإبطاله ؛ لأنه جعله مطحوناً بالرحى ؛ وإنما ذهب إلى
 أن الإنجاز إذا وقع بطل الوعد . وليس الأمر كذلك ؛ لأن الوعد ليس
 بضد للإنجاز ؛ فإذا صحَّ هذا بطل ذاك ، بل الوعدُ الصادقُ طَرَفٌ [من]^(٢)
 الإنجاز ، وسبب من أسبابه : فإذا وقع الإنجاز فهو تمام الوعد ، وتصحيح
 له وتحقيق وتصديق ، فهو في هذه الاستعارة غالط . والمعنى الصحيح قوله :
 أَبْلَهُمْ رِيقاً وَكَفّاً لِسَائِلٍ وَأَنْضَرَهُمْ وَعْدًا إِذَا صَوَّحَ الْوَعْدُ^(٣)
 فتصويح^(٤) الوعد هو أن يُخلفه الواعد فيبطل ، ولا يصح ؛ لأنه من
 صَوَّحَ النبت : إذا جف . ومثله في الصحة قوله :
 تَزَكُّو مَوَاعِدَهُ إِذَا وَعْدُ أَمْرِي أَنْسَاكَ أَحْلَامَ الْكَرَى الْأَصْغَاثَا^(٥)
 فهذا هو المعنى الصحيح : أن يكون الوعد يزكو ، لا أن يبطل ويذهب .
 والله در [أبي سحق]^(٦) إبراهيم بن هرمة إذ يقول :
 يَسْبِقُ بِالْفِعْلِ ظَنٌّ سَائِلِهِ وَيَقْتُلُ الرِّيثَ عِنْدَهُ الْعَجَلُ^(٧)

(١) ديوانه ١٠٤ وشرح التبريزي ٣١/٢ « أي كأنك تطحن برحى الإنجاز المواعيد » .

(٢) زيادة من ط .

(٣) ديوانه ١٢٢ وفي شرح التبريزي ٩١/٢ « صوح : أي يبس ولم يكن له منفعة ، أخذ من تصويح الروض وهو يبسه والتواؤه . يحتمل أن يكون أراد أنه إذا سأله السائل لم يحمله البخل على أن يعيا بالجوآب ، فعل من يحصر ويبس ريقه في فمه » . وفي م « أبلهم ربماً »

(٤) م « فتصريح »

(٥) ديوانه ٦٥ وفي شرح التبريزي ٣٢٢/١ « أصغاث الأحلام : هو المختلط منها المشتبه ، وأصله من الضغث وهو أن يقبض الرجل ملء كفه من النبت فيكون منه ضروب مختلفة . والمعنى : وعد هذا المخلف يزيد على أصغاث الأحلام في البطلان والإلغاء » .

وفي طبعه الجواب « إذا وعد امرء » وجعلها الشيخ « محبي الدين » « إذا وعد امرأ » والبيت على هذا تغيير يقلب المعنى من الملح إلى القدح !!!

(٦) زيادة من ط وهي كتيه كما في الأغاني ١٠٩/٤ .

(٧) م « ويقبل » وهو تحريف .

فهذه الاستعارة الصحيحة أن يَقْتَلَ العَجْلُ الإِبْطَاءَ ، لا أن يقتل الإنجاز
الوَعْدَ . فأما قوله :

نَوْمٌ أبا الحُسَيْنِ ، وكان قِدْماً فَتَى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ^(١)
وقولُ البحتري :

وجعلتْ فِعْلَكَ تِلْوُ قَوْلِكَ قاصراً عُمَرَ العدوِّ بِهِ وعُمَرَ المَوْعِدِ^(٢)
فإنَّ عُمَرَ الموعِدِ مدَّةُ وقته ، فإذا أنجز صار مالا ؛ فنفاذ وقته ليس بمبطل
له ، بل ذلك نقله من حال إلى حال أخرى .

ألا ترى إلى البحتري كيف كشف عن هذا المعنى ، وجاء بالأمر من
فَصَّه ؟ فقال :

يُولِيكَ صَدْرَ اليَوْمِ قاصِيةَ الْغِنَى بمَوَاهِبٍ قد كُنَّ أَمْسَ مَواعِدًا^(٣)
فبطلانُ الموعِدِ هو بطلانُ الشَّيْءِ [الذي الموعِدُ واقعٌ به ، وصحته هو صحة
ذلك الشَّيْءِ]^(٤) ثم أتبع البحتري هذا البيت بأن قال :

سَوْمُ السَّحَابِ ما بَدَأَ بَوَارِقًا في عَارِضٍ إِلَّا أَنْشَيْنَ رَواعِدًا^(٥)
[العارض : السحاب] . فجعل البوارق مثالا للمواعِد ، وجعل الرواعد
[التي] هي البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة ، مثالا للغيث [الذي هو
العطايا]^(٦) ؛ فالرواعد ليست بمبطلّة للبوارق : بل هي [هي] ؛ لأن تلك
نور يحدثه ازدحام [السحاب ، والرعد صوت ذلك الازدحام] ؛ فالبرق
يرى أولا ، والرعد يسمع آخرًا ، [وهو هو] وذلك لأنَّ^(٧) العين أسبق

(١) ديوان أبي تمام ١٤١ وشرح التبريزي ١٥٦/٢ ونظم : نقصد ، وأبو الحسين : محمد
ابن الهيثم

(٢) ديوانه ٤٦١

(٣) ديوانه ٦٤٧ « بعوائد قد » ، ٢ / ٨٢٣ المعارف

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « شيم » والديوان « إلآثنين »

(٦) زيادة من ط (٧) ط « أن »

إلى الإبصار من الأذن إلى الاستماع^(١) ؛ لأن العين ترى الشيء في موضعه ، والأذن لا تسمع الصوت إلا إذا وصل إليها ؛ فشبهها [البحتري] بالمواعيد التي تحول مواهب^(٢) ، وهذا أحسن ما يكون من التمثيل وأصح ، وإنما أقام الرواعد مقام المواهب لأنه قد يكون برق ولا مطر معه^(٣) [دائماً] ، ولا يكاد يكون رعد إلا ومعه مطر ؛ ثم إن التشبيه صح بأن صار الرعد بعد البرق . وما أحسن ما قال خلف بن خليفة الأقطع :

مواعدُهم فعلٌ إذا ما تكلموا بتلك التي إن سُميت وجب الفعل^(٤)
يعنى قول « نعم » . فجعل الوعد هو الفعل نفسه ، لصحته وصدقه .
وقد مثل البحتري أيضاً الموعد وكيف تحول عطاء ، تمثيلاً آخر حسناً ، فقال :

وشكرتُ منك مواهباً مشكورةً لو سرنَ في فلكٍ لكنَّ نجوماً^(٥)
ومواعداً لو كنَّ شيئاً ظاهراً تُفضى إليه العينُ كنَّ غيوماً
وذلك لأن الغيم يصير مطراً ، كما أن الموعد يصير عطاء .
فأبو تمام - فيما يذهب إليه - غلط . لأنه وضع الاستعارة^(٦) في غير موضعها .

(١) ط « للاستماع »

(٢) ط « بالمواعد التي تجر المواهب »

(٣) ط « فيه »

(٤) حماسة أبي تمام بشرح المرزوق ١٧٧٤/٤ وفي ط : « فتلك »

(٥) ديوانه ٨٨ ، ١٩٦٨/٣ « مواهباً مشهورة » وفي م « لو مرت »

(٦) ط « الاستعارات »

٣٠- ومن خطائه قوله :

فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأُلْقِيَ عَنْ مَنَاكِبِهِ الدُّثَارُ^(١)
لَعَدَلَ قِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ فِينَا وَلَكِنْ دَهَرْنَا هَذَا حِمَارُ

قوله « وألقى عن مناكبه الدثار » لفظ رديء ، وليس من المعنى الذى قصده فى شيء ، وصدر البيت لائق بالمعنى ؛ فلو كان أتبعه بما يكون [مثله]^(٢) فى معناه بأن يقول : فلو ذهبَت سِنَاتُ الدهر عنه واستيقظ من رقدته أو انتبه من نومه^(٣) أو أنكشف الغطاء عن وجهه ؛ لكان المعنى يعنى^(٤) مستقيماً ؛ لأن مَنْ كان ذا سِنَةٍ أو نَوْمٍ أو مَغْطًى عن وجهه أو عينيه ، فإنه [لا يبصر الرشود]^(٥) لا يكاد يهتدى لصواب . وإنما هذه كلها استعارات ، والمراد بها هداية القلب وإبصاره وفهمه ، وقد جرت العادة باستعارتها فى هذا المعنى .

فأما دِثَارُ المناكب فليس من هذا الباب فى شيء ؛ إذ قد يُبصر الإنسان رُشْدَهُ ويهتدى لصواب أمره وعلى مناكبه دِثَارٌ وعلى ظهره أيضاً حِمْلٌ ، ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطاء على العين : لأنه إنما يراد [به] نوم القلب والتغطية عليه ؛ لأن الإنسان إنما يقال له « قد عمى قلبك » و « قد عميت عن الصواب عينك » و « قد غطى على فهمك » ؛ ولا يقال : قد غُطيت بالدثار عن الصواب مناكبك ولا ظهرك . ولفظة الدثار أيضاً إنما

(١) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ١٥٤/٢ « استعار السنين للدهر ، وهو جمع سنة ، والسنة : النعاس . والدثار ما تدثر به الإنسان فوق شعاره ، وذكره ههنا لأن السنة تؤدي إلى النوم ، والنائم من شأنه أن يتدثر »

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « لاستيقظ . . . وانتبه من نومه وانكشف »

(٤) ط « المعنى مستقيماً »

(٥) زيادة من ط

تستعمل لمنع الهواء والبرد ، لا لمنع الفهم والرشد ^(١) .

* * *

٣١- ومن خطائه قوله :

وَأَرَى الْأُمُورَ الْمُشْكَلَاتِ تَمَزَّقَتْ ظُلُمَاتُهَا عَنْ رَأْيِكَ الْمُتَوَقَّدِ ^(٢)
عَنْ مِثْلِ نَضْلِ السَّيْفِ إِلَّا أَنَّهُ مُذْ سُلَّ أَوَّلَ سَلَةٍ لَمْ يُغْمَدِ
فَبَسَطَتْ أَزْهَرَهَا بِوَجْهِ أَزْهَرٍ وَقَبَضَتْ أَرْبَدَهَا بِوَجْهِ أَرْبَدِ
فقال « الأمور المشكلات » وجعل لها ظلمات ، فكيف يقول : فبسطت
أزهرها ، والأزهر هو النيرة ^(٣) ، والمشكلات لا يكون منها شيء نير ! [وكانه] ^(٤)
يريد أن الأمور المشكلات ^(٥) منها جيد قد أشكل الطريق إليه ، ومنها ردى
قد جهلت أيضاً حاله : فهي كلها مظلمة ، فيمزق ^(٦) ظلماتها برأيه ، ويكشف
عن الجيد منها ويبسطه ^(٧) ، أى يستعمله ، ويكشف عن رديئها ويقبضه
أى يكفه ويطره . ولكن ما كان ^(٨) ينبغى له أن يقول : « بوجه أزهر »
و « بوجه أربد » ؛ لأنه لا صنع للوجه ههنا ولا تأثير ؛ لأن الصنع إنما هو
للرأى وللعقل ^(٩) : فإذا رأى ذو الرأى استنارت به ^(١٠) الأشياء المظلمة ،

(١) قال ابن المستوفى - كما فى هامش شرح التبريزى « هذا الذى أنكره الآسنى غير منكر ؛ لأن
النائم غالباً يتدثر بالدثار ، ألا ترى إلى قول الله تعالى : « يا أيها المدثر » وكذلك قوله تعالى « يا أيها
المزمل » فتأني البيت متعلق بأوله تعلقاً صحيحاً ، ويريد بالسنات حقيقة النوم »

(٢) ديوانه ١١٣ وشرح التبريزى ٥٢/٢

(٣) ط « النيرات . . . لا يكون شيء منها نيراً »

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « المشكلة »

(٦) م « فتمزق »

(٧) م « ويبسطه »

(٨) م « ولكن ما ينبغى أن »

(٩) م « للرأى من الفعل »

(١٠) ط « استبان منه »

وانفتحت المُلَقَّةُ ؛ أو رأى أن يُغلق أمراً مفتوحاً إذا كان الصواب موجباً
 ذلك عنده ؛ فالرأى على الأحوال كلها [أزهر] ^(١) مُسْفَر ، والوجه على
 الأحوال كلها أبيض ، وإن لم يك ^(٢) أبيض في لونه . والعاجز إذا ورد عليه
 الأمر يَبْهَظُه تبين ^(٣) الكآبة في وجهه ؛ ولله درمنصور النمرى حيث يقول :
 يُرَى سَاكِنُ الْأَوْصَالِ بِاسْطَ وَجْهِهِ يُرِيكَ الْهُوَيْنَا وَالْأُمُورُ تَطِيرُ ^(٤)
 فقال : « ساكن الأوصال باسط وجهه » فدلّ على قلة اكتراثه بالأُمور
 التي تَرِدُ عليه ، وقول أبي تمام : « بوجه أَرَبْدٍ » لا معنى له ؛ لأنه من صفة ^(٥)
 الغضبان أو المكتئب من أمر ورد عليه ، وهو عندى في ذلك غالط ، وفي
 ذلك مسيء .

* * *

٣٢- ومن خطائه قوله [يذكر سير الإبل] ^(٦)

كَالْأَرْحَبِيِّ الْمَذْكُومِ سَيْرُهُ الْمَرْطَى وَالْوَحْدُ وَالْمَلْعُ وَالْتَقَرِيبُ وَالْخَبَبُ ^(٧)
 فالأَرْحَبِيُّ من الإبل : منسوب إلى أَرْحَب ^(٨) ، حى من هَمْدان تنسب
 إليهم النجائب .

(١) زيادة من ط

(٢) ط « وليس يريد أبيض »

(٣) ط « تبين »

(٤) ط « ترى »

(٥) ط « من صفات »

(٦) من ك

(٧) ديوانه ٤٨ وفي شرح التبريزي ٢٥٢/١ « كان بعض الناس يقول لأبي تمام : أنا
 أستحسن قول امرئ القيس :

وتعرف فيه من أبيه شائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

سماحة ذا وجود ذا وفاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

فذكر أربعة ورد عليها أربعة أصناف . فلقية أبو تمام بعد مدة فقال له : أنشدتني بيتي امرئ القيس
 وتستحسن ذكره لأربعة ورده عليهم أربعة أصناف ، وقد ذكرت خمسة وردت عليهم خمسة أصناف ،
 وأنشده البيتين « يريد هذا والذي قبله وهو :

وزير حق ووالى شرطة ورحا ديوان ملك وشيخي ومحتب

(٨) م « إلى رحب »

والمذكى : الذى قد انتهى فى سنه وقوته .
 والمَرَطَى من عَدُو الخيل : فوق التَّقْرِيب ودون الإِهْدَاب^(١) .
 والوَخْد : الاهتزاز فى السير مثل وَخْد النعام .
 والمَلْع من سير الإبل : السريع .
 والتقريب من عَدُو الخيل معروف . والخَبَبُ : دونه .
 وليس التقريب من عَدُو الإبل ، وهو فى هذا الوصف مخطئ ، وقد
 يكون التقريب لأَجْنَاسٍ من الحيوان ، ولا يكون للإبل ، فإنَّ ما رأينا
 [قط.]^(٢) يقرب تقرب الفرس .
 والمَرَطَى أيضاً : من عَدُو الخيل ؛ ولم أَره فى أوصاف [سير] الإبل ولا
 عدوها^(٣) .

* * *

٣٣- ومن خطائه قوله :

وَمَشْهَدٌ بَيْنَ حُكْمِ الدَّلِّ مُنْقَطِعٌ صَالِيهِ ، أَوْ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ^(٤)
 جَلِيَّتْ وَالْمَوْتُ مُبْدٍ حُرٌّ صَفْحَتِهِ وَقَدْ تَفَرَّعْنَ فِي أَفْعَالِهِ الْأَجَلُ
 فقولوه : « بين حكم الدل » لو كان حكم الدل أشياء متفرقة لصلحت^(٥)
 فيها « بين » غير أن حكم الدل والذل بمنزلة واحدة ، وكذلك [حكم]^(٦) العز
 والعز ، فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال^(٧)
 هذا ؛ لأن « بين » إنما هى وسط بين شيئين .

(١) اللسان ٢٧٨/٩ . وفى م « ودون الإلهاب »

(٢) زيادة من ط

(٣) ط « ولا سيرها »

(٤) ديوانه ٢٢٨

(٥) ط « لصحت »

(٦) زيادة من ط

(٧) م « يقال : ركذا لأن »

فإن قال : إن حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومن يوصل بها^(١) ؛ فكأنه ذهب بقوله « بين » إلى معنى وسط . أى ومشهد وسط . حكم الذل .
 قيل : وسط لا يحل محل بين ، وبين لا يحل محل وسط . ؛ لأنك تقول : البئر وسط . الدار ، ولا تقول : البئر بين الدار ، وتقول : المال بيننا نصفين ، ولا تقول : المال وسطنا . والمعنى الذى بنى أبو تمام البيت عليه سياقة^(٢) لفظه أن يقول : ومشهد بين حكم الذل وحكم العز ، أو^(٣) ومشهد بين الذل والعز ، محجج من يصلاه - وهو الدليل - أو مُقدم - وهو العزيز - جلّيته وكشفته . [وهو] يعنى الممدوح ؛ فحذف أحد القسمين الذى لا يصلح « بين » إلا به مع القسم الآخر ، وجعل قوله « منقطع » فى موضع مُحجج ، و « متصل » فى موضع مُقدم . [وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع]^(٤) وقد أغراه الله بوضع الألفاظ . فى غير موضعها^(٥) من أجل الطباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به . وقوله « وقد تفرعن فى أفعاله الأجل » معنى فى غاية الركاكة والسخافة ، وهو من ألفاظ العامة ، وما زال الناس يعيونه به ، ويقولون : اشتق للأجل الذى هو مُطَّلٌّ على كل النفوس فعلاً من اسم فِرْعَوْن ، وقد أتى الأجل على نفس فِرْعَوْن وعلى نفس كل فرعون كان فى الدنيا .

• • •

(١) ط « يصلاها »

(٢) لك « فسياقة »

(٣) ط « ي »

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « مواضعها »

٣٤ - ومن خطائه قوله :

سَعَى فَاسْتَنْزَلَ الشَّرْفَ اقْتِسَارًا وَلَوْلَا السَّعَى لَمْ تَكُنِ الْمَسَاعِي^(١)
قوله « سعى فاستنزل الشرف اقتساراً » ليس بالمعنى الجيد ، بل هو عندى
هجاء مصرح ؛ لأنه^(٢) إذا استنزل الشرف فقد صار غير شريف^(٣) ، وذلك
أنك إذا ذممت رجلاً شريفاً شريف^(٤) الآباء ، كان أبلغ ما تدمه به أن
تقول : قد حططت شرفك ، ووضعت من شرفك .
وقد وكده بقوله : « اقتساراً » .

وقوله : « ولولا السعى لم تكن المساعي » فبئس السعى والله سعى ؛ لأن
الشرف^(٥) لا يحط إلا بالأم ما يكون من الأفعال ، وكأنه إنما أراد سعى
نحو^(٦) الشرف بنفسه فأفسد المعنى بذكر استنزاله إياه ، [كأنه]^(٧) لو لم
يستنزله ما كان يكون حاوياً [له]^(٧) ، فهلا قال : ترقى إلى الشرف الأعلى
فجواه ، أو بلغ النجم ، أو علا على الشمس . كما قال الآخر :
لَوْ كَانَ يَتَعَدُّ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ قَوْمٌ بِسُودَدِهِمْ أَوْ مَجْدِهِمْ قَعَدُوا^(٨)

* * *

٣٥ - ومن خطائه قوله :

يَقِظُ وَهُوَ أَكْثَرُ النَّاسِ إِغْضًا ۖ عَلَى نَائِلٍ لَهُ مَشْرُوقٍ^(٩)

(١) ديوانه ١٩٤ وشرح التبريزي ٣٣٩/٢ ويروى : « اقتداراً »

(٢) م « لأنه ليس إذا »

(٣) م « شريف . . . وذلك أنه »

(٤) م « رجلاً بشريف الآباء »

(٥) م « الشرف بنفسه فاسد المعنى إلا بالأم »

(٦) ط « سعى فحوى الشرف نفسه »

(٧) زيادة من ط

(٨) سبق في ص ١٥٣

(٩) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزي ٤٤٥/٢

قوله « على نائل له مسروق » خطأ ؛ لأن نائله هو ما يُنيله ، فكيف يكون مسروقاً منه ؟ وهل يكون الهجو إلا هكذا : أن يجعل نائله مأخوذاً منه على سبيل السرقة ، وإنما اعتمد المطابقة لما وصفه بالتيقظ. جعله ممن يسرق منه ؛ إذ كان من شأن المتيقظ. أن لا يغفل حتى يستتم^(١) عليه السرقة ، وقد كان يصح هذا المعنى لو قال : على مال له مسروق ، حتى يكون يعطى ماله اختياراً لجوده ، [ويُغضى إذا سرق منه لكرمه] ^(٢).

* * *

٣٦- ومن خطائه قوله :

لَوْ يَعْلَمُ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ وَقَرِيحَةٍ لَمْ تُحْمَدِ^(٣)
ويروى « من لذة أو فرجة »^(٤) أى : من لذة وافتراج ، أى ابتداع واستخراج ، وهذا عندى غلط. : لأن هذا الوصف الذى وصفه به^(٥) داعية إلى^(٦) أن يتناهى الحامد له فى الحمد ، ويجتهد فى الثناء^(٧) لا أن يدع حمده . وإنما ذهب إلى أن الإنسان إنما يحمده على الشيء الذى يتكلفه [ويتجشّمه]^(٨) ويتحمل المشقة فيه ، لا على الشيء الذى له بواعث شهوة له^(٩) من نفسه وشدة صباية إليه ومحبة لفعله ، ومن كان غرامه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب أن يحمده ويمدح .

(١) م « يستمر »

(٢) زيادة من ط

(٣) سبق ص ١٢١ ويرى الصول أن أبا تمام نقل قول المأمون : « إني لأعشق العفو حتى أظن أنى لا أوجر عليه » وجعله فى الجود

(٤) ط « من لذة ومن فرجة » والزيادة منها

(٥) من ك

(٦) من ك

(٧) ط « فى الثناء بأن لا يدع حمده » وهو تحريف

(٨) زيادة من ط

(٩) من ك

فأما قول البحتري :

وَلَقَدْ أَبَدْتَ الْحَمْدَ حَتَّى لَوْ بَنَتْ كَفَّاكَ مَجْدًا ثَانِيًا لَمْ تُحْمَدِ^(١)
فمذهب صحيح ، يريد أنك قد أفنيت الأوصاف والمحامد ؛ فإن جئت
بنوع ومن المكارم تبني به مجداً آخر ، لم يقدر من يحمذك ويشفي عليك على
أكثر مما قدم^(٢).

* * *

٣٧ - ومن خطائه قوله :

تَنَاوَلُ الْفَوْتَ أَيْدِي الْمَوْتِ قَادِرَةً إِذَا تَنَاوَلَ سَيْفًا مِنْهُمْ بَطْلُ^(٣)
قوله : « تناول الفوت أيدي الموت » عويص من عويصاته ، وهو أيضاً
محال . وإنما سمع قول سعد بن مالك^(٤) يقول :

هَيْهَاتَ حَالِ الْمَوْتِ دُوْنَ الْفَوْتِ وَأَنْتُضِي السَّلَاحُ^(٥)

والفوت : هو النجاة ، أي : حال الموت دون النجاة ، وهذا صحيح
مستقيم ، فقال هو « تناول الفوت أيدي الموت » وهذا محال ؛ لأن النجاة
لا تتناولها يد الموت ولا تصل إليها ، وإلا لم تكن نجاة .

وهذا من تقعره^(٦) الذي يخرج به إلى الخطأ ، وإنما قصد إلى ازدواج
الكلام في الفوت والموت ، ولم يتأمل المعنى .

(١) ديوانه ٤٦١ « فلقد بنيت المجد حتى »

(٢) ط « مما تقدم »

(٣) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزي ١٨/٣

(٤) قال المؤلف في المؤلف والمختلف ١٣٥ : « سعد بن مالك بن ضبيعة بن ثعلبة ، أحد سادات

بكر بن وائل وفرسانها في الجاهلية »

(٥) له في حسانة أبي تمام بشرح التبريزي ٧٨/٢ « أراد أن الموت قد حال دون أن يفوت الرجل

فيذهب عن هذه الحروب منهزماً ، يريد أنه ليس إلا القتل أو الغلب »

(٦) ط « من تقعيده »

وَالْوَجْهَ الصَّحِيحُ قَوْلُ الْبَحْثِيِّ :

تَتَدَانِي الْأَجَالُ ضَرْبًا وَطَعْنًا حِينَ يَدْنُو فَيَشْهَدُ الْهَيْجَاءُ^(١)

٣٨- ومن خطائه قوله :

وَكَتَسَتْ ضُمُّ الْجِيَادِ الْمَذَاكِي مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَاءِ دَمًا وَحَمِيمًا^(٢)

فِي مَكْرَرٍ تَلَوَّكُهَا الْحَرْبُ فِيهِ وَهِيَ مُقَوَّرَةٌ تَلَوُّكَ الشَّكِيمَا^(٣)

وهذا معنى قبيح جداً : أَنْ جَعَلَ الْحَرْبَ تَلَوُّكَ الْخَيْلِ ، مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِ « تَلَوُّكَ الشَّكِيمَا » . و « تَلَوُّكَ الشَّكِيمَا » أَيْضاً ههنا خطأ ؛ لِأَنَّ الْخَيْلَ لَا تَلَوُّكَ الشَّكِيمَ فِي الْمَكْرَرِ وَحَوْمَةِ الْحَرْبِ ، وَإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ وَاقِفَةً لَا مَكْرَرًا لَهَا .

فَإِنْ قِيلَ : إِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ الْحَرْبَ تَلَوَّكُهَا كَمَا تَلَوُّكَ هِيَ الشَّكِيمَ .

قِيلَ : هَذَا تَشْبِيهِ ، وَلَيْسَ فِي لَفْظِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ دَلِيلٌ ، وَالْفَافُ التَّشْبِيهِ مَعْرُوفَةٌ ، وَإِنَّمَا طَرَحَ أَبَا تَمَامٍ فِي هَذَا قَلَّةُ خَبَرِهِ بِأَمْرِ الْخَيْلِ ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ النَّابِغَةِ :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْمَا^(٤)

وَالصِّيَامُ ههنا الْقِيَامُ : أَيْ خَيْلٌ وَاقِفَةٌ [مُسْتَغْنَى عَنْهَا لِكثْرَةِ خَيْلِهِمْ فَهِيَ وَاقِفَةٌ]^(٥) وَخَيْلٌ تَحْتَ الْعَجَاجِ فِي الْحَرْبِ ، وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللَّجْمَا قَدْ أُسْرِجَتْ وَأُلْجِمَتْ وَأُعِدَّتْ لِلْحَرْبِ .

(١) ديوانه ٧١٣

(٢) ديوانه ٢٩٣ وشرح التبريزي ٢٢٩/٣ والحميم هنا : المرق

(٣) مقورة : ضامرة

(٤) ديوانه ٩٥ واللسان ٣٥٧/١٢ ، ٢٤٤/١٥ والمعانى الكبير ٩١٥/٢ والبحر

المحيط ٢٦/٢ ومجمع البيان ١/ ٢٧١ ومقاييس اللغة ٣/٣٢٣ وغير منسوب في الصاحبي ٤٦

(٥) زيادة من ط

والشاعر الحصين^(١) كان أحذق من أبي تمام وأعلم بأمر الخيل ، قال :
 وإذا احتبى قَرْبُوسُهُ بِعَيْنَانِهِ عَلَكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ^(٢)
 وإلا فمتى رأى فرساً يجرى وهو يلوك شكيمه ؟
 فأما قول أنس بن الريان :

أَقْوَدُ الْجِيَادِ إِلَى عَامِرٍ عَوَالِكَ لُجْمٍ تَمُجُّ الدِّمَاءُ^(٣)
 فإن القود قد يكون في خلاله تَلَبُّثٌ^(٤) وتوقف تلوك فيه الخيل لجمها ،
 والمكر لا يستقيم ذلك فيه [بحال] .
 فأما قول [أبي]^(٥) حُزَابَةَ التَّمِيمِ :

خَاضَ الرَّدَا فِي الْعِدَا قَدَمًا بِمُنْصُلِهِ وَالْخَيْلُ تَعْلُكُ ثَنَى الْمَوْتِ بِاللُّجْمِ^(٦)
 فإنما جعل ثنى^(٧) الموت مثلاً ، والثنى : حطام النبات اليابس ، ولم يرد
 أن الخيل تعلق اللجم على الحقيقة .

٣٩ - ومن خطائه قوله :

وَالْحَرْبُ تَرْكَبُ رَأْسَهَا فِي مَشْهَدٍ عُدِلَ السَّفِيهُ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمٍ^(٨)
 فِي سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ لُقْمَانًا بِهَا وَهُوَ الْحَكِيمُ لَكَانَ غَيْرَ حَكِيمٍ
 جَسَمَتْ طُيُورُ الْمَوْتِ فِي أَوْكَارِهَا فَتَرَكْنَ طَيْرَ الْعَقْلِ غَيْرَ جُنُومٍ^(٩)

(١) ط « الحصين » وهو تحريف

(٢) في معاهد التنصيص ١٣٢/٢ ليزيد بن مسلمة

(٣) م « علائك »

(٤) م « تثبت »

(٥) الزيادة من ط وأبو حذابة ، هو الوليد بن حنيف ، وقد ترجم له أبو الفرج الأصفهاني في

الأغانى ١٥٢/١٩ - ١٥٦

(٦) ط « قدما عنصله . . . ثن » وهو تحريف

(٧) ط « جعل ثن . . . والثن » وهو تحريف

(٨) ديوانه ٣٠٧ وشرح التبريزي ٦٦/٣

(٩) في ديوانه ٣٠٨ « طيور الهلك »

فالبيتان الأولان جيدان ، وقوله « جثمت طيور الموت في أوكارها » بيت ردى^(١) القسمة ، ردىء المعنى ؛ لأنه جعل طير الموت في أوكارها جائمةً : أى ساكنة لا ينفرها شيء ، وطير العقل غير جثوم ؛ يعنى أنها نفرت فطارت ، يريد طيران عقولهم من شدة الرُّوع ، وما كان ينبغي أن يجعل طير الموت جثوماً في أوكارها ، وإنما كان الوجه أن يجعلها جائمة على رؤوسهم ، ووَقَعَا^(٢) عليهم . فأمّا أن تكون جائمة في أوكارها فإنها في السلم و^(٣) في الأمن جائمة في أوكارها أيضاً ، وطير العقل ليست بضدّ لطير الموت ، [ولإنما هى ضد لطير الجهل ، وطير الحياة هى الضد لطير الموت] ^(٤) . ولو كان قال : جَثِمَتْ طُيُورُ الْمَوْتِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ فَتَرَكَنَ أَطْيَارَ الْحَيَاةِ تَحُومُ^(٥) لكان أشبه وأليق ، أو لو قال :

سَقَطَتْ طُيُورُ الرُّوعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ فَتَرَكَنَ طَيْرَ الْعَقْلِ فِي التَّخْوِيمِ^(٦) لكان أيضاً قريباً من الصواب ؛ لأنهم يقولون : طار عقله من الرُّوع ، فإذا تاب إليه عقله وسكن قيل : قد أفرخ رَوْعُهُ ، وهذا مثل ، وذلك أن الطائر إذا أفرخ لزم عُشَّهُ وفراخه ، وقد يجوز أن يكون « أفرخ رَوْعُهُ » أى : ذهب ؛ لأن الطائر إذا أفرخ وطارت فراخه انتقل عن ذلك العش .

وقولهم « جثم الطائر » إنما هو أن يلصق جثمانه بالأرض ، فذهب^(٧) إلى أن طيور الموت ساكنة ، وطيور العقل منزعة طائفة .

(١) ط « ردىء فى . . . ردىء فى »

(٢) ط « أو واقعة »

(٣) ط « أو »

(٤) وزيادة من ط

(٥) ط « الموت فى أوكارها »

(٦) ط « طيور الموت . . . فتركن أطيار العقول فى التخويم »

(٧) ط « يذهب »

وقوله «غير جُثوم» لا ينوب مناب طائفة ولا منزعة ، لأن الطائر قد [لا] يكون جائماً و^(١) يكون قائماً على رجله ساكناً مطمئناً ، وهذه حاله في أكثر أوقاته ، فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به ، ولا يؤدي [إليه] التأكيد الصحيحة عنه .

٤٠ - ومن خطائه قوله في وصف الفرس :

مَا مُقَرَّبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ مَلَانٌ مِّنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَلْهُوقُ^(٢)

قوله «ملان من صلف [به]» يريد التية والكبر ، وهذا مذهب العامة في هذه اللفظة ، فأما العرب فإنها لا تستعملها على هذا المعنى ، وإنما تقول : قد صَلَفَتِ المرأة عند زوجها ، إذا لم تحفظ عنده ، وَصَلَفَ الرجل كذلك ، إذا كانت زوجته تكرهه . وقال جرير :

إِنِّي أَوْاصِلُ مَنْ أَرَدْتُ وَصَالُهُ بِحِبَالٍ لَا صَلَفٍ وَلَا لَوَامٍ^(٣)
وَالصَّلَفُ : الذي لا خير عنده ، ومثل يضرب «رُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ
الرَّاعِدَةِ»^(٤) يعنون الرعد بغير مطر .

فهذا معنى الصلف في كلامهم ، وعلى هذا قد ذم أبو تمام الفرس من حيث أراد أن يمدحه .

والتلهوق : هو لطف المداراة والحيلة بالقول وغيره حتى يبلغ الحاجة ، ومنه قول الأغلب العجلي [في مفاخساته] يصف مداراة رجل^(٥) امرأة [حتى] نال منها [مراده] :

(١) ط «وقد»

(٢) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزي ٤٠٩/٢ . والمقرب الفرس . والمراد بالأشطان هنا : الأرسان . «أى كان فيه من حسن انتصابه وسموه صلفاً وتلهوقاً ، أى مرحاً ونشاطاً كالجنون»

(٣) ديوانه ٥٥١ وفى ط «ولا كوام» وهو تحريف

(٤) في جمهرة الأمثال ١٠٩ «يضرب مثلاً للبخيل الواجد . والراعدة : السحابة ذات الرعد . . .

والمعنى أنه ممنوع مع كثرة ماله كالسحابة الكثيرة الماء لا تجود بغيث» وهو في اللسان ٩٩/١١

(٥) ط «رجل له»

فَلَمْ يَزَلْ بِالْحَلِيفِ النَّجِيِّ لَهَا وَبِالتَّلَهُوقِ الْخَفِيِّ
 أَنْ قَدْ خَلَوْنَا بِفَضَاءٍ بَقِيٍّ وَغَابَ كُلُّ نَفْسٍ مَخْفِيٍّ^(١)
 وقد ذكر أبو عبيد^(٢) القاسم في «الغريب المصنف» في أول نوادر
 الأسماء التهوق، وقال: وهو مثل التملق.
 وما أرى أبا تمام في وَضْعِ هَاتَيْنِ اللَّفْظَتَيْنِ [في هذا الموضع] إِلَّا غَالِطاً^(٣).

٤١ - وقال أبو تمام:

عَطَفُوا الْخُدُودَ عَلَى الْبُدُورِ وَوَكَّلُوا ظُلَمَ السُّتُورِ بِنُورِ حُورٍ نُهَدٍ^(٤)
 وَثَنُوا عَلَى وَشَى الْخُدُودِ صَيَانَةً وَشَى الْبُرُودِ بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدٍ
 البيت الأول حَسَنٌ حُلُوٌّ ، وَأَخَذَ قَوْلَهُ « وَثَنُوا عَلَى وَشَى الْخُدُودِ صَيَانَةً وَشَى
 الْبُرُودِ » مِنْ قَوْلِ الْكُمَيْتِ :

وَأَذْنَيْنِ الْبُرُودَ عَلَى خُدُودٍ يُزِينُ الْفَدَاغِمَ بِالْأَسِيلِ^(٥)
 وقوله « بِمُسْجَفٍ وَمُمَهَّدٍ » فالمسجف يريد ستر باب الْجَحَلَةِ ، وكلُّ
 ستر^(٦) مشقوق فكلُّ شقٍّ منها سَجَفٌ ، وكذلك سَجَفَ الْخِيَاءُ ، والمسجف :
 المرخى ، والتسجيف : إرخاء السجفين ، وقوله « بمسجف » أى من مسجف
 وممهد ؛ فجعل الباء في موضع « من » ، كما قال عنتره :

(١) م « الفضاء في . . كل لقش »

(٢) ط ، م « أبو عبيدة » وهو خطأ

(٣) قال ابن المستوفى كما في هامش شرح التبريزي ٤١٠ « إنما بنى أبو تمام معنى الصلف على ما أرادته العامة ، وهو العجب والته ، وإن كان هذا لا يسوغ استعماله لكونه عامياً ، وكذلك قوله : وتلهوق ، وإن كان لفظاً عربياً إلا أنه مستبشع ، وهو موضوع في غير موضعه في بيته ، فقد جمع بين اللفظ العامي واللفظ الحوشي »

(٤) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٤٦/٢ « بحور عين نهـد »

(٥) سبق ص ١١٠

(٦) ط « وكل باب . . فكل ستر »

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدَّحْرَضَيْنِ فَأَصْبَحَتْ زَوْراءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ^(١)
أى : من ماء الدحرضين .

والممهد : الوطاء الذى يُوطأ تحت المرأة ، فكيف يكون ذلك منسوقاً^(٢)
على السَّجْفِ الذى ذكر أنهم ثَنَوْه على وشى الخدود ؟ والممهد ليس هذه حاله ،
فيعطفه عليه .

فإن قيل : فيكون^(٣) محمولاً على قول الشاعر :

وَرَأَيْتِ زَوْجَكَ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمَحاً^(٤)
والرُّمَح لا يُتَقَلَّد ، وقول الآخر :

* وَزَجَّجَنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيُونَا^(٥) *

والعيون لا تُزَجَّج ، وإنما أراد ذاك : متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً ، وأراد
هذا : وزججن الحواجب وكحلن العيون .

(١) ديوانه ١٤٧ وشرح القصائد العشر ١٨٦ وشرح المعلقات للزوزنى ١٤٤ واللسان ٩٥/١٥
وأساس البلاغة ٢٨١/١ والصاحبى ٧٦ وأدب الكاتب ٥١٧ والاقتضاب ٤٤٧ وسر الفصاحة ٦٥
فى أمالى المرتضى ٨٤/٢ « معناه : شربت من ماء الدحرضين » وقال ابن السيد : « والدحرضان :
وماان يقال لأحدهما : وشيع للآخر : الدحرض ، فلما جمعهما غلب أحدهما على الآخر . وزوراء :
مائلة منحرفة . وأراد بالديلم : الأعداء » . وانظر هامش تأويل مشكل القرآن ٤٣١

(٢) ط « ذلك مشرفاً »

(٣) ط « كيف لا يكون »

(٤) (٤) نسه الأخفش فى تمليقه على الكامل ٢٨٩/١ لعبد الله بن الزبيرى وروايته هناك
« ياليت زوجك قد غدا » وهو كذلك من غير نسبة فى اللسان ١١١/٣ ، ٤٣٠ ، ٣٩١/٩
ومجمع البيان ١١١/١ وتفسير الطبرى ٤٧/١ وأمالى المرتضى ٥٤/١ ، ٢٦٠/٢ ، ٣٧٥
والبحر المحييط ٤٦٤/٢ ، ٤٨٥/٦ وتأويل مشكل القرآن ١٦٥

(٥) صدره : « إذا ما الغانيات برزن يوماً » وهو للرأعى كما فى اللسان ١١١/٣ وشرح شواهد
المغنى للسيوطى ٢٦٣ وغير منسوب فى تأويل مشكل القرآن ١٦٥ وأساس البلاغة ٣٩٤/١ وأبواب
مختارة ١٥ والصناعتين ١٨٢

قيل : متقلّد السيف هو حامله أيضاً ، فحسّن أن يعطف [الرمح] على
السيف ؛ لأنهما جميعاً محمولان .
وكذلك زججن وكحلن هما جميعاً زينة ، فحسّن عطف أحدهما على
الآخر .

والمهّد لا يشرك الستر في شيء من تغطية الوجه^(١) ولا صيانتته ، ولا بنيت
ألفاظ البيت إلا على ستر الخدود بالستور ، ولا يتعلق^(٢) المهّد بالمعنى
بإضمار لفظ ولا غيره .

٤٢- ومن خطائه قوله :

بِقَاعِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْنَا كَوُوسُهَا فَتُبْدِي الَّذِي نُخْفِي وَتُخْفِي الَّذِي نُبْدِي^(٣)
ذهب في هذا إلى أن الخمر تُخفي الذي نبديه^(٤) في حال الصّحو من الحلم
والوقار والكف عن الهزل واللعب ، « وتبدي الذي نخفي »^(٥) أي : الذي نعتقده
ونكتمه من ضد ذلك كله ؛ لأنّه في الطبيعة والغريزة ، والذي كنا نُظهره إنّما
هو تصنّع وتكلف ، ويدخل في هذا ما يبوح به المحب من الحب الذي كان
يكتمه في صّحوه ويظهر ضده ، أو ما يبوح به من بُغض زيد وكان يظهر
في صّحوه مودّته وينافقه^(٦) وكذلك ما يظهره السكر من بُخل البخل

(١) م « تغطية الواحدة »

(٢) م « ولا يتعلق التمهيد على المعنى . . . ولا تأويل » .

(٣) ديوانه ١١٥ وفي شرح التبريزي « فتبدي الذي تخفي ونخفي الذي تبدي » وهو تحريف . بقاعية :

نسبها إلى البقاع ، وهو موضع بدمشق ، تنسب إليه الحمر

(٤) م « تبديه »

(٥) م « تخفي »

(٦) ط « مودته ومنافقه » وهو تحريف

وَمَنْعٌ^(١) ما كان يتجمل^(٢) ببذله في الصُّحُو ، أو ما يظهره من السَّاحَةِ التي كان^(٣) لا يسمح بمثلها في صحوه خوفَ العاقبة ونحو هذا ، وما سقط. قول الحكماء^(٤) : « [إن]^(٥) الشراب يثير [كل] ما وجد » أى : يظهر كل ما في النفس من خير وشر وحَسَن وقبيح ؛ فكلُّ شئ يظهره الإنسان وليس في اعتقاده ولا نيته - فإن الذى يضره ويكتمه في نفسه هو ضده ، فإذا أظهر السكرُ اعتقادَ المعتقد الذى هو الصحيح ، فإن ضده مما كان يتصنع^(٦) بإظهاره يَبْطُل ويتلاشى ؛ لأن الشراب يخفيه ويطويه في الضمير حتى يكون مكتوماً كما كانت الحقيقة مكتومة ، هذا محال ؛ لأن القلب هو محلُّ المعتقدات ؛ فلا يجوز أن يجتمع فيه^(٧) الشئ وضده ، والاعتقادات لا تكون باللسان ؛ لأن اللسان يكذب ، والقلب لا يتضمن إلا الحقيقة .

وقول أبى تمام : « فتبدي الذى نخفى »^(٨) قول صحيح .

[وقوله]^(٩) : « وتخفى الذى نبدي » لفظ.^(١٠) فاسد ؛ لأن تخفى معناه تكتم وتستتر ، والذى قد أبطلته وأزلته لا يجوز أن يعبر عنه بأنك أخفيته ولا كتمته .

فإن قيل : ولم لا يكون هذا توسعاً ومجازاً ؟

(١) م « فيمنع »

(٢) ط يتجمله »

(٣) م « كان الشح يمنعا . . . وخوف العاقبة »

(٤) ط « من قول »

(٥) زيادة من ط

(٦) ط « يتجمل »

(٧) ط « فيها »

(٨) م « يخفى »

(٩) زيادة من ط

(١٠) ط « اللفظ »

قيل : المجاز في مثل هذا لا يكون ؛ لأن الشيء الذي تكتمه^(١) وتطويه إنما أنت خازنٌ له وحافظٌ ؛ فهو ضد للشيء الذي تزيله وتُبْطِله ، والأضداد لا يستعمل أحدهما في موضع الآخر إلا على سبيل المجاز .

* * *

٤٣ - ومن خطائه قوله في وَصَفَ فَرَسَ :

وَبِشُعْلَةٍ تَبْدُو كَأَنَّ فُلُولَهَا فِي صَهْوَتَيْهِ بَدْءُ شَيْبِ الْمَفْرِقِ^(٢)
قوله « فلولها » يريد ما تفرق^(٣) منها في صهوتيهِ ، والصَّهْوَةُ : موضع اللبد ، وهو مقعد الفارس من الفرس ، وذلك الموضع أبداً ينحت شعره لَتَمَزَّ السرج إياه فينبت أبيض ؛ لأن الجلد هناك يرقّ ، وأنت تراه في الخيل كلها على اختلاف شياتها ، وليس بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل ؛ فهذا خطأ من هذا الوجه .

وهو خطأ من وجه آخر ، وهو أن جعله شُعْلَةً ، والشُعْلَةُ لا تكون إلا في الناصية أو الذنب ، وهو أن يبيضَّ عرضها وناحية منها ، فيقال : فرس أشعل وشُعْلَاء ؛ وذلك^(٤) من عيوب الخيل ؛ فَإِنْ كَانَ ظَهَرَ الْفَرَسَ أَبْيَضَ خَلْقَةً فهو أَرْحَلٌ^(٥) ، ولا يقال أشعل .

وقد أخذ البحتري قوله « بَدْءُ شَيْبِ الْمَفْرِقِ » فجاء به حسناً جداً ، ثم

سلم من العيب ، فقال :

(١) م « يكتمه ويطويه وإنما »

(٢) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزي ٤١١/٢ « كأن قليلها » وما روايتان . وفيها وفي ط « وبشعلة نبت » ولم يشرح التبريزي معناها . وقد شرحه ناشر الديوان « محيي الدين الخياط » بقوله « نبت : مطروحة » وقد نقله الشيخ « محمد محيي الدين » ناشر ط . وهو شرح خاطئ . والصواب أن يقال : نبت : أي فيها شيب قليل ، جاء في اللسان ٤٩/٥ « وفي الرأس نبت أي يسير من شيب »

(٣) م « ما يفرق »

(٤) ط « وذلك عيب »

(٥) اللسان ٢٩٧/١٣ وفي م « أرجل »

وَبِشُعْلَةٍ كَالثَّيْبِ مَرَّ بِمَفْرَقِيْ غَزَلٍ لَهَا عَنْ شَيْبِهِ بِغَرَامِهِ^(١)
 فقال « بشعلة » ولم ينص على موضعها ، ومعلوم أنه أراد بياضاً في
 الناصية ، وقال « مر »^(٢) بمفريقي غزل « فأوضح أنه ذاك الموضع أراد وقال
 « لها عن شيبه بغرامه » فأتى بشيء يفوق كل حُسن . إلا أن البياض في
 الناصية من عيوب الخيل ، وكذلك البياض [في الذنب ، ليس بين الناس]^(٣)
 في ذلك اختلاف ، ويقال لبياض الناصية أيضاً : السَّعْفُ .
 وأيضاً فإن البحري وصف فرساً أدهم [أغر] فقال :
 جَذْلَانُ تَلَطَّمُهُ جَوَانِبُ غُرَّةٍ جَاءَتْ مَجِيءَ الْبَذْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ^(٤)
 فأى حُسن يكون لبياض الناصية على بياض غرة ؟
 ومن قبيح وصف شيات الخيل ، قول أبي تمام في [وصف] هذا الفرس
 أيضاً :

مَسْوَدٌ شَطْرٍ مِثْلَ مَا أَسْوَدَ اللَّجَى مُبَيَّضٌ شَطْرَ كَابِيضَا ضِ الْمَفْرَقِ^(٥)
 شَطْرُ الشَّيْءِ : جانبه وناحيته ، قال الله عز وجل : ﴿ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(٦) أى ناحيته .

وقد يُراد بالشَّطر نصفُ الشيء ، يقال : قد شاطرتك مالى ، أى :
 ناصفتك ، فهذا هو الأكثر الأعمُّ فيما يستعملون ، وذلك من أقبح شيات
 الأبلق على ظاهر هذا المعنى . ولم يُرده أبو تمام ، وإنما أراد بالشطر ههنا

(١) ديوانه ٤٣٣ « في شعلة »

(٢) م « مر بمعنى في غزل » وهو تحريف

(٣) الزيادة من ط

(٤) ديوانه ٤٣٢

(٥) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزي ١٤/٢ وفيهما « كابيضا ض المهرق » أى الحريرة البيضاء ،
 وهما روايتان . قال التبريزي : « هذا البيت يوى به إلى الشعلة ، يريد أنه مقسوم على شعرة سوداء وشعرة
 بيضاء . وظاهر لفظه يوم من لا يعلم أن نصفه بكليته : أسود سواداً متصلاً ، وليس كذلك »

(٦) سورة البقرة : ١٥٠

البعض والجزء ، أى مسودّ جزء مبيضّ جزء ؛ فجاء بالشرط لأنها لفظة أحسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع [والله أعلم] .

والجيد النادر قولُ البحتريّ :

أَوْ أَبْلَقِي يَلْقَى الْعُيُونَ إِذَا بَدَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٌ ، بِنَمُودَجٍ (١)؛
وقد جعله (٢) أبو تمام فى أول الأبيات أشعلَ بقوله : و « بشعلة [نَبْدٍ] (٣) » ،
ثم جعله ههنا أبلى ؛ فهذا الفرس هو الأشعل الأبلق على مذهبه فى هذا التشبيه .

ولا يُنكر (٤) هذا من ابتداعاته .

٤٤ - [(٥) ومن خطائه قوله :

فكم دية تِمَّ غَدَوْتَ تَسْوِقُهَا لَهَا أَثَرٌ فى تَالِدِيْ غَيْرُ تَالِدٍ (٦)
وليست دياتٍ من دماءٍ هَرَفَتْهَا حَرَاماً وَلَكِنْ مِنْ دِمَاءِ الْقَصَائِدِ
قوله : « فكم دية تِمَّ » أى تامة ، يعنى عشرات الألوف التى كان يصله بها .

وقوله : « لَهَا أَثَرٌ فى تَالِدِيْ » أى فى مالى الذى ورثته عن آبائى « غير تالد » أى غير (٧) ميراث . يقول : هى زائدة فى ميراثى الذى ورثته عن آبائى ومُقَوِّيةٌ له ، وهى غير ميراث منك ، بل صلة وتفضل . وإنما لم يذكر أنه

(١) ديوانه ٤٣٠

(٢) م « وقد جعلها »

(٣) م « بيد » وهو تحريف

(٤) ط « ولا ينكر مثل »

(٥) من هنا إلى قوله وإنما تأكل اللحوم سقط من ك

(٦) ديوانه ١١٩ وشرح التبريزى ٧٦/٢ .

(٧) م « خير »

أراد أنها قوت أصل ماله الذى عليه يُعَوَّل ، وزادت فيه ، وإذا قوت أصل المال القديم [فهى] ^(١) للطريف أيضاً مُقَوِّية . ثم قال :

وليست ديات من دماء هَرَقَتْهَا حراماً ولكن من دماء القصاص
فأتى في هذا بأقبح ما يكون من الخطأ وأشنعه ، وهجا ممدوحه . وهذا أبو الحسن بن الهيثم بن شبابة ظن أنه مادحه ، فكيف يكون الممدوح قاتلاً لدائحه التى فيها وصف مفاخره ومناقبه ، وهى مشيدة بذكر معاليه وشرف آبائه وفيها إحياء ذكرهم ؟ فإذا سفك دماءها فقد محاذ ذلك كله وهدمه وأبطله وأمانته ، وجازى القصاص بضد ما تستحقه من تدوينها وروايتها وحفظها وإدانة إنشادها . ثم لم يقنع حتى جعل سفك دماءها حلالاً بقوله :

وليست ديات من دماء هَرَقَتْهَا حراماً ولكن من دماء القصاص
وحسبه بهذا خطأ وجهلاً وتخليطاً ، وخروجاً عن العادات فى المجازات والاستعارات .

وقد قال فى آخر هذه القصيدة :

بِسَبَاحَةٍ تَنْسَاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ وَتَنْقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ ^(٢)
جَلَامِدٌ تَخْطُوهَا اللَّيَالَى وَإِنْ سَرَتْ لَهَا مُوضِحَاتٌ فِي رُؤُوسِ الْجَلَامِدِ ^(٣)

فكيف تكون مقتولة مسفوكة الدم ، وهى تنساق من غير سائق وتنقاد فى الآفاق من غير قائد ؟ وكيف تكون كالجلامد تخطوها الليالى ولا تؤثر فيها ، وهى أميتت وأبطلت ؟

(١) زيادة يقتضيه المقام

(٢) ديوانه ١١٩ وشرح التبريزي ٧٧/٢ « بسباحة »

(٣) قال التبريزي : « جلامد : يعنى القصاص ، شبهها بالجلامد لطول بقائها على الدهر . وقوله :

« موضحات فى رؤوس الجلامد » بقول : إني ذمت قوماً لهم شرف مثل شرف الجبال التى تشتمل على الجلامد هادوت فيها القصاص موضحات ، أى شجاعاً ، من الشجعة الموضحة التى تظهر العظم »

فإن قيل : هذا كله إنما جاء به على الاستعارة لا على الحقيقة .
 قيل : الاستعارة لا تستعمل إلا فيما يليق بالمعاني ، ولا تكون المعاني به
 متضادة متنافية . ولهذا حدود إذا خرجت عنها صارت إلى الخطأ والفساد .
 ٤٥ - ومن خطائه قوله :

وقد ظُلِّلَتْ أَغْنَاؤُ أَغْلَامِهِ ضُحَى بَعِيقَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلٍ^(١)
 نواهل من النَّهْلِ ، وهو الشُّرْبُ الْأَوَّلُ . وَالْعَلَلُ : الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ .
 والعقبان وسائر جوارح الطير لا تشرب الدماء ، وإنما تأكل اللحوم .

(١) ديوانه ٢٤٨ « عقبان أعلامه » والوساطة ٢٧١ وخزانة الأدب ١٩٦/٢ وهبة الأيام ١٩٠

والصبح المنى ٣٧ والإبانة عن سرقات المتنبي ٣٨

Handwritten text in Arabic script, mostly illegible due to extreme fading and bleed-through from the reverse side of the page. The text appears to be a continuous paragraph or a list of items.



الجزء الثالث

الموازنة

Handwritten text in Arabic script, mostly illegible due to extreme fading and bleed-through from the reverse side of the page. The text appears to be a continuous paragraph or a list of items.



قال أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى اليمدني :

قد ذكرتُ في الجزء الثاني [من كتاب] الميزنة بين شعر أبي تمام والبحرئى خطأ^(١) أبي تمام في الألفاظ والمعاني ، وبَيَّضْتُ آخرَ الجزء لألحقَ به ما يمر من ذلك في شعره ، وأستدركه من بعدُ في^(٢) قصائده .

وأنا أذكر في هذا الجزء الرَّذَل من ألفاظه^(٣) ، والساقط من معانيه ، والقبيح من استعاراته ، والمستكره المتعقّد من نسجه ونظمه ، على ما رأيت [المتذاكرين بأشعار] المتأخرين يتذاكرونه ، وينعونه عليه ويعيونه [به] وعلى أنى وجدتُ لبعض ذلك نظائر في أشعار المتقدمين فعلمتُ أنه بذلك اغترّ ، وعليه في العذر اعتمد ؛ طلباً منه للإغراب^(٤) والإبداع ، وميلاً إلى وخشي المعاني والألفاظ .

وإنما كان يندر من هذه الأنواع المستكرهه على لسان الشاعر المكثّر^(٥) البيت [الواحد] والبيتان فيَتَجَاوِزَ له عنه ؛ لأنّ الأعرابي لا يعول^(٦) إلا على قريحته ولا يعتصم إلا بخاطره ، ولا يستقي إلا من قلبه^(٧) ، فأما المتأخّر الذي يطبع على قوالب ، ويخذو على أمثلة ، ويتعلم الشعر تعلماً ، ويأخذه تلقناً : فمن شأنه أن يتجنّب المذموم [منه] ، ولا يتبع من

(١) ط « أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وشعر أبي عبادة البحرئى وخطأ »

(٢) م « من بعد معانيه »

(٣) م « لمن اللفظ »

(٤) ط « للإغراق »

(٥) ط « الشاعر المحسن . . أو البيتين يتجاوز له عن ذلك »

(٦) في غيرك « لا يقول »

(٧) في غيرك : « قلبه »

تقدمه إلا فيما استُخِصِنَ منهم ، واستُجِدَ لهم ، واختير من كلامهم ، أو في المتوسط. السالم إذا لم يقدر على الجيد البارِع ، ولا يوقع الاختيار^(١) والاستكثار مما جاء عنهم نادراً ومن معانيهم شاذاً ، ويجعله حجة له وعذراً ؛ فإن الشاعر قد يُعَابُ أشدَّ العيب إذا قصد بالصنعة سائر شعره ، وبالإبداع جميع فنونه ، فإنَّ تلك^(٢) مُجَاهِدَةٌ للطبع^(٣) ومغالبة للقريحة مخرجة^(٤) سهل التآليف إلى سوء التكلفِ وشدة التعمُّل ، كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه السبيل حتى سقط شعره ؛ لأن لكل شيء حداً إذا تجاوزه المتجاوز سُمِّيَ مُفْرِطاً ، وما وقع الإفراط في شيء إلا شأنه وأحال^(٥) إلى الفساد صحته ، وإلى القبح حسنه وبهائه ، فكيف إذا تتبَّع الشاعر ما لا طائل تحته^(٦) ؛ من لفظة مستغثة لمتقدم ، أو معنى وَحْشِيٌّ فجعله إماماً ، واستكثر من أشباهه ، ووشح شعره بنظائره إنَّ^(٧) هذا لعين الخطأ ، وغاية في سوء الاختيار .

(١) ط « الاحتطاب » ك : « الاحتكار »

(٢) من ك

(٣) في غير ك : « مجاهدة الطبع ، ومغالبة القريحة »

(٤) م « ومخرجة »

(٥) ط « وأعاد »

(٦) ط ، ك « فيه من لفظة شنيعة »

(٧) في غير ك : « وإن »

باب

ما جاء^(١) في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات

- ١- فمن مرذول ألفاظه وقبيح استعاراته قوله :
يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْذَعَيْكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرْقِكَ^(٢)
- ٢- وقوله :
سَأَشْكُرُ فُرْجَةَ اللَّيْلِ الرَّخِيَّ وَلَيْلِنَ أَخْذَاعِ الدَّهْرِ الْأَبْيِّ^(٣)
- ٣- وقوله :
فَضْرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْذَعِيهِ ضَرْبَةً غَادَرْتُهُ عَوْدًا رَكُوبًا^(٤)
- ٤- وقوله :
تَرَوْحُ عَلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ وَتَعْتَدِي خُطُوبُ كَأَنَّ الدَّهْرَ مِنْهُنَّ يُضْرَعُ^(٥)
- ٥- وقوله :
أَلَا لَا يَمُدُّ الدَّهْرُ كَفًّا بِسَيِّئِي إِلَى مُجْتَدِي نَصْرٍ فَيُقْطَعُ مِنَ الزُّنْدِ^(٦)

(١) من ك

(٢) ديوانه ١١٠ والوساطة ٣٩ ، ٦٨ ، ٤٤٦ والصناعتين ٦٠ ، ٣٠٣

(٣) ديوانه ٣٤٤ « فرجة الليث » في الوساطة ٦٨ والصناعتين ٣٠٤ « أخادع الزمن » واللبب :

موضع المنحر من كل شيء واللبب : البال ، يقال : فلان في بال رخي ولبب رخي : أي في سعة وخصب وأمن . وفي اللسان ١٩/٤ « الأخدعان : عرقان من جانبي الرقبة قد خفيا وبطنا ... » والجميع الأخادع ورجل شديد الأخدع : ممتنع أبي ، ولين الأخدع بخلاف ذلك « وفيه ١٨/٤ » « رجل أبي : ذو إياه شديد إذا كان ممتنعا »

(٤) ديوانه ٢٧ وشرح التبريزي ١٧٤/١ والوساطة ٦٨ والصناعتين ٣٠٤ والعود : الحمل المسن

ركوبا : مذلا . يريد فصيرت الشتاء سهلا

(٥) ديوانه ١٩٠ والصناعتين ٣٠٣ وفي شرح التبريزي ٢/٣٢٤ « كما يصرع المجنون ، لأن

مثله لا يصدر عن عاقل »

(٦) شرح التبريزي ٢/٦٤ : يريد نصر بن منصور بن بسام . ويروي « فتقطع من زند »

وفي ط والصناعتين ٣٠٤ « فتقطع للزند »

٦- وقوله :

وَالدَّهْرُ أَلَامٌ مَنْ شَرِقتَ بِلُؤْمِهِ إِلَّا إِذَا أَشْرِقَتْهُ بِكَرِيمٍ^(١)

٧- وقوله :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَرَ دَهْرًا أَىٰ عِبَائِهِ أَثْقَلُ^(٢)

٨- وقوله يَصِفُ قَصِيدَتَهُ :

تَحُلُّ يَفَاعَ الْمَجْدِ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا عَلَىٰ كُلِّ رَأْسٍ مِنْ يَدِ الْمَجْدِ مِغْفَرُ^(٣)
لَهَا بَيْنَ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ مَزَامِرُ مِنَ الذِّكْرِ لَمْ تُنْفَخْ وَلَا هِيَ تُزَمَّرُ^(٤)

٩- وقوله :

بِهِ أَسْلَمَ الْمَعْرُوفُ بِالشَّامِ بَعْدَ مَا ثَوَىٰ مُنْذُ أَوْدَىٰ خَالِدٍ وَهُوَ مُرْتَدُّ^(٥)

[وقوله] :

أَمَّا وَأَبَىٰ أَحَدَائِهِ إِنَّ حَادِثًا حَدَابِي عَنْكَ الْعَيْسَ لِلْحَادِثِ الْوَعْدُ^(٦)

١٠- وقوله :

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيحًا بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ^(٧)

(١) ديوانه ٣٠٨ والصناعتين ٣٠٤

(٢) ديوانه ٣٤٥ والصناعتين ٣٠٤

(٣) ديوانه ١٦٠ والصناعتين ٣٠٤ . وفى ك : « من يد المدح »

(٤) شرح التبريزي ٢ / ٢١٦ « ولا تتزمر » وهما روايتان

(٥) ديوانه ١٢٢ والصناعتين ٣٠٤ وفى شرح التبريزي ١ / ٩١ « أى ارتد المعروف بإيائه منذ

أودى خالد ، أى مات ، فأسلم بك وانقاد . قال أبو العلاء المعرى : يعنى خالد بن يحيى البرمكى ، لأنه كان فارسيا ، فتقرب إلى الممدوح بذكره ، لأن الممدوح ، (وهو محمد بن المهيم) أيضا من فارس ، وهذا أشبه من أن يعنى خالد بن يزيد ، أو خالد بن عبد الله القسرى ، أو خالد بن يزيد بن معاوية .

(٦) ديوانه ١٢١ وفى شرح التبريزي ٢ / ٨٤ « ويجوز أن يعنى بأبى أحداثة الدهر ، والشعراء

مولعة بنهم . والمراد بالوجد : الساقط الذى لا خير فيه ولا مروءة له » . وفى ك « عذابى عنك »

(٧) ديوانه ٩٥ وشرح التبريزي ٢ / ٥

١١ - وقوله :

لَوْ لَمْ تُفْتِ مُسِنَّ الْمَجْدِ مَذْزَمِنِ بِالْجُودِ وَالْبَاسِ كَانَ الْجُودُ قَدْ خَرِفَا^(١)

١٢ - وقوله :

لَدَى مَلِكٍ مِنْ أَيْكَةِ الْجُودِ لَمْ يَزَلْ عَلَى كَبِدِ الْمَعْرُوفِ مِنْ فِعْلِهِ بَرْدُ^(٢)

١٣ - وقوله :

فِي غَلَّةٍ أَوْقَدَتْ عَلَى كَبِدِ السَّائِلِ نَارًا أَخْنَتَ عَلَى كَبِدِهِ^(٣)
إِيشَارَ شَرْزِ الْقَوَى يَرَى جَسَدَ الْمَعْرُوفِ أَوَّلَى بِالطَّبِّ مِنْ جَسَدِهِ^(٤)

١٤ - وقوله :

حَتَّى إِذَا أَسْوَدَ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ فَعُودِرَ وَهُوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ^(٥)

١٥ - وقوله :

فَمَا ذُكِّرَ الدَّهْرُ الْعَبُوسُ بِأَنَّهُ لَهُ أَبْنُ كَيَوْمِ السَّبْتِ إِلَّا تَبَسَّمَا^(٦)

(١) ديوانه ٢٠٤ وشرح التبريزي ٢/ ٣٧٥ وعجزه في الصناعتين ٣٠٥ . لو لم تفت : أى تعد إليه الفتاة والشباب

(٢) ديوانه ١٢١ والصناعتين ٣٠٥ وشرح التبريزي ٢ / ٨٧ وفى م ، ك « إلى ملك فى أَيْكَةِ . . . من فيله برد »

(٣) ديوانه ٩٥ والصناعتين ٣٠٥ « وعلى كبد النائل ناراً أخنت » وفى م ، ك « كبد المعروف ناراً أعيى » وفى شرح التبريزي ١/ ٤٤٨ « تعي على كبد » أى أوقدت الغلة التى آثرت فيها ناراً على كبد العطية بأن حولته إلى ونقلته عن صاحبه ، تلك النار كانت أعيت على كبد الشاعر ، لأنه لم يكن يجد ما يشفيه منها ، وقال الصولي : « الهاء فى كبده لأبى تمام يقول كان أملى وما آخذه من ابن أبى داود قد بطل وذهب »

(٤) قال التبريزي : « يقول : آثرتى إيشار رجل قوى فى رأيه وحزمه ، والشزر : المحكم من القتل ، واستعار للمعروف جسداً يقول : هذا الرجل يداوى المعروف ليزيل مرضه ، وهو على شفائه أحرص منه على شفاؤه جسده إذا اعتل »

(٥) الصناعتين ٣٠٥ وديوانه ٥٠٠ « بيض إذا اسود » وفى م « توضحت منه »

(٦) ديوانه ٢٩٧

١٦ - وقوله :

وَكَمْ أَحْرَزَتْ مِنْكُمْ عَلَى قُبْحِ قَدِّهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ مُرْهَفٍ حَسَنِ الْقَدِّ^(١)١٧ - وقوله يصف الروض^(٢) :إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسَجَهُ خِلْتُ أَنَّهُ مَضَتْ حِقْبَةُ حَرَسٍ لَهُ وَهُوَ حَائِكُ^(٣)

١٨ - وقوله :

وَلَا اجْتُنِبْتُ فُرْشَ مِنَ الْأَمْنِ تَخْتَكُمُ هِيَ الْمَثَلُ فِي لَيْنٍ بِهَا وَالْأَرَائِكُ^(٤)

١٩ - [وقوله :

إِذَا لِلْبَيْسْتُمْ عَارَ دَهْرٍ كَأَنَّمَا لَيْالِيهِ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي عَوَارِكُ]^(٥)٢٠ - وقوله يرثي غلاماً^(٦) :أَنْزَلَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا مِنْ بَعْدِ إِثْبَاتِ رِجْلِهِ فِي الرُّكَّابِ^(٧)

(١) ديوانه ١٢٧ والصناعتين ٣٠٥ وشرح التبريزي ١١٠/٢ أى كم فرق بينى وبين حباب لي صروف الدهر . وقوله : على قبح قدها أى على قبح صورتها ، لا أنه جعل لها قائداً مثل قد الإنسان « وفى م ، ك » وكم ملكت منا »

(٢) ط « يصف الأرض »

(٣) ديوانه ٢٢٤ والصناعتين ٣٠٥ وفى ط « نسجها » وفى شرح التبريزي ٤٥٩/٢ « سدى نسجه » وهى روايات . أى إذا أصاب الغيث ندى هذه الأرض وجاده وزينه بالأنوار والزهر - حسب أنه كان يحوكها ويصنعها زماناً من الدهر « . وفى ك « ولا جذبت » .

(٤) ديوانه ٢٥٥ « لا استلبت فرش » وشرح التبريزي ٤٦٥/٢ والمثل : جمع مثال وهو الفراش . والأرائك : الوسائد

(٥) الزيادة من ط ، ك وهو فى ديوانه ٢٢٥ وشرح التبريزي ٤٦٤/٢ « عوارك : أى حيض ، يقول : صرتم فى عار كأن أوقاتكم فيها عوارك نساء لأنها نجسة ، وإذا وصف الرجل بأنه قد دخل فى غدر ومأثم قيل : كأن عليه ثياب الحائض »

(٦) الصناعتين ٣٠٥ وفى ط « غالباً »

(٧) ديوانه ٣٥٤ فى رثاء محمد بن الفضل الحميرى

٢١- وقوله :

كَأَنِّي حِينَ جَرَدْتُ الرَّجَاءَ لَهُ عَضْباً صَبَبْتُ بِهِ مَاءً عَلَى الزَّمَنِ^(١)

٢٢- وقوله يصف فرساً :

وَكَأَنَّ فَارِسَهُ يُصَرِّفُ إِذْ بَدَأَ فِي مَتْنِهِ ابْنًا لِلصَّبَاحِ الْأَبْلَقِ^(٢)

وأشبهه هذا مما إذا تتبعته في شعره وجدته [كثيراً] ؛ فجعل كما ترى - مع غثائته هذه الألفاظ - للدهر أخذعاً ، ويداً تُقَطِّعُ من الزند . وكأنه يُضَرِّع . وجعله^(٣) يشرق بالكرام . [ويفكر] ويتبسم ، وأن الأيام بنون له^(٤) ، والزمان أبلق ، وجعل للمدح يداً ، ولقصائده مزامير إلا أنها لا تنفخ ولا تنزر ، وجعل المعروف مُسْلِماً تارة ومرتبداً أخرى ، والحاث وغداً ، وجذب ندى المدوح بزعمه جذبةً حتى خر صريعاً بين أيدي قصائده ، وجعل المجد ما يجوز^(٥) عليه الخرف ، وأن له جسداً وكبدًا ، وجعل لصروف الذوى قدًا ، وللأمن فرشاً^(٦) ، وظن أن الغيث كان دهرًا حائكاً ، وجعل للأيام ظهرًا يركب ، والليالي كأنها عوارك ، والزمان كأنه صُبَّ عليه ماء ، والفرس كأنه ابن للصباح^(٧) الأبلق ، وهذه استعارات في غاية القبحاة والهَجَانة [والغثائته] والبعد من الصواب .

(١) ط « غضا . . لها ماء » وفي ديوانه ٣٣٤ « غضا أخذت به سيفاً من الزمن »

(٢) ديوانه ٢١٢ وشرح التبريزي ٤١٥/٢ وفي م ، ك « يضرب إذا غدا » والصناعتين ٣٠٥

(٣) ط « ويحل ويشرق »

(٤) ط « الأيام تنزله »

(٥) ط « مما يحقد عليه الخوف » و م « الحرف »

(٦) م « فرسا »

(٧) ط « ابن الزمان »

وإنما استعارت^(١) العربُ المعنى لما ليس [هو] له إذا كان يقاربه :
أو يناسبه أو يشبهه^(٢) في بعض أحواله ، أو كان سبباً من أسبابه ؛
فتكون اللفظة المستعارة حينئذٍ لائقة بالشئ الذي استعيرت له ، وملائمة
لمعناه ، نحو قول امرئ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكُلِّ كَلٍّ^(٣)

وقد عاب امرأ القيس بهذا البيت^(٤) مَنْ لم^(٥) يعرف موضوعات المعاني
[والاستعارات] ولا المجازات^(٦) وهو في غاية الحسن والجودة والصحة ،
لأنه^(٧) قَصَدَ وَصَفَ أحوال الليل الطويل فذكر امتداد وَسَطِهِ ، وتناقل صدره
للذهاب والانبعاث ، وترادف أعجازه وأواخره شيئاً فشيئاً ، وهذا عندي
منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد ما يكون على مَنْ
يراعيه ويترقَّب تصرُّمه ، فلما جعل له وَسْطاً يمتد وأعجَازاً مرادفة^(٨) للوسط.
وصدراً متشاقلاً في نهوضه حَسُنَ أن يستعير للوسط اسم الصُّلْب ، وجعله
تمطيّاً من أجل امتداده ؛ لأن تمطَّى وتمدَّد بمنزلة واحدة ، وصلاح أن يستعير
للصدر اسم الكلِّكل من أجل نهوضه .

وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة^(٩) ، لشدة ملائمة معناها لمعنى ما
استعيرت له .

(١) م « استعارات »

(٢) ط « أو يدانيه »

(٣) سبق ص ١٤ وفي ط « بجوزه »

(٤) ط « بهذا المعنى »

(٥) في ك « من لا يعرف »

(٦) في ك « والمجازات »

(٧) ط « وهو إنما . أجزاء الليل » ، ك « لأنه إنما »

(٨) ط ، ك « رادفة »

(٩) الحقيقة وأسد ملائمة لمعناها لما

وكذلك قول زهير :

* وَغُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ ^(١) *

لما كان من شأن ذى الصُّبا أن يوصف أبداً بأن يقال : رَكِبَ هَوَاهُ ،
وَجَرَى فِي مَيْدَانِهِ ، وَجَمَعَ فِي عِنَانِهِ ، ونحو هذا ، حُسِّنَ أَنْ يُسْتَعَارَ للصُّبا
اسم الأفراس ، وَأَنْ يجعل النزوع عنه ^(٢) أَنْ تُغُرِّيَ أَفْرَاسُهُ ورواحله ، وكانت
هذه الاستعارة أيضاً من أَلْيَقِ شَيْءٍ بما استعيرت له .

ونحو ذلك قول طُفَيْلِ الْعَنَوِي :

وَجَعَلْتُ كُورِي فَوْقَ نَاجِيَةٍ يَقْتَتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ ^(٣)
لما كان شَحْمُ السَّنام من الأشياء التي تُقْتَت ، وكان [الرحل] ^(٤) أبداً
يَتَخَوِّدُهُ ^(٥) ، وَيَتَنَقَّصُ مِنْهُ ، وَيَذِيْبُهُ - كان ^(٦) جعلُهُ إِيَّاهُ قُوْتاً للرحل من
أَحْسَنِ الاستعارات وَأَلْيَقِهَا بِالْمَعْنَى .

وكذلك قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي رِسَالَةً فَمَجْدُكَ حَوْلِي وَكُؤُومُكَ قَارِحُ ^(٧)
لما جعل مجده حديثاً ^(٨) غَيْرَ قَدِيمٍ حُسِّنَ أَنْ يُقَالَ « حَوْلِي » لِأَنَّ الْعَرَبَ
إِذَا نَسَبَتِ الشَّيْءَ إِلَى الصَّغَرِ وَقَصَّرَ الْمُدَّةَ قَالُوا : حَوْلِي ؛ لِأَنَّ أَقْلَ عَدَدِ الْأَحْوَالِ
- وَهِيَ السَّنُونُ - حَوْلٌ وَاحِدٌ ، وَلِهَذَا قَالَ حَسَّان :

(١) سبق ص ١٥

(٢) مِنْ ك

(٣) سبق ص ١٥

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ ط

(٥) ط « يَتَخَوِّفُهُ »

(٦) ط م « وَيَذِيْبُهُ تَجْمَلُهُ إِيَّاهُ »

(٧) الْبَدِيع ٣١ وَالصَّنَاعَتَيْنِ ٣٨٤ وَنَقَدَ الشَّعْرَ ٦٧

(٨) فِي ك « جَزَعًا »

لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ رَّ عَلَيَّهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكُلُومُ^(١)
 لم يرد بالحولي من ولد الذر ما أتى عليه الحول ، ولكنه أراد بالحولي أصغر
 ما يكون من الذر ، وإنما أخذ ذلك من قول امرئ القيس :
 مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرَفِ لَوَدَبَ مُحَوِّلٌ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِتْبِ مِنْهَا لِأَثَرِ^(٢)
 ومما يدل ذلك^(٣) على صحة هذا المعنى وَأَنَّ الْحَوْلِيَّ إِنَّمَا يَرَادُ بِهِ الصَّغَرُ دُونَ مَعْنَى
 الحول قولُ الراجز .

* وَاسْتَبَقَتْ تَحْذِفُ حَوْلِيَّ الْحَصَى^(٤) *

فَأَرَادَ بِحَوْلِيَّ الْحَصَى مَا صَغُرَ مِنْهُ^(٥) ، وقول الآخر أَنَشَدَهُ ثَعْلَبُ :
 تَلَقَّطُ حَوْلِيَّ الْحَصَى فِي مَنَازِلٍ مِنَ الْحَيِّ أَضْحَتْ بِاللَّحْيَيْنِ بَلَقَعَا^(٦)
 ولما جعل لؤمه قديماً حسن أن يقول « قارح » .
 ونحو ذلك قول أبي ذؤيب :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٧)
 لما كانت المنية - إذا نزلت بالإنسان وخالطته - صليح^(٨) أن يقال :
 نشبت فيه ، وحسن^(٩) أن يستعار لها اسمُ الأظفار ؛ لأنَّ النشوب قد يكون
 بالظفر ، وعلى هذا جاءت الاستعارات في كتاب الله تعالى ، نحو قوله

(١) ديوانه ٣٧٧ والحيوان ١٦/٤ وأندبتها : أثرت فيها . والكولم : الجروح
 (٢) ديوانه ٧٤ والصناعتين ٣٦٠ واللسان ٢٠٧/١٣ والإتب : قميص قصير مشقوق الوسط
 لا أكمام له تلبسه المرأة .

(٣) في غيرك « يدل »

(٤) ط « تحذف »

(٥) ط « أصغره »

(٦) اللحيين : اسم موضع

(٧) ديوان الهذليين ٣/١ وانظر تحريجه في المفضليات ٢٠٤

(٨) ط « صح »

(٩) ط « وصح »

عز وجل: ﴿وَاشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(١) لما كان الشيب يأخذ في الرأس ويسعى فيه شيئاً فشيئاً حتى يُحِيلَهُ إلى غير حالِهِ الأولى كالنار التي تشتعل في الجسم من الأجسام فتُحِيلُهُ^(٢) إلى النقصان والاحتراق ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾^(٣) لما كان انسلاخ الشيء من الشيء هو أن يتبرأ منه ويتزِيلُ عنه^(٤) حالا فحالا كالجلد عن^(٥) اللحم وما شاكلهما - جعل انفصال النهار عن الليل شيئاً فشيئاً حتى يتكامل الظلام انسلاخاً ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾^(٦) لما كان الضرب بالسَّوْطِ من العذاب استعار^(٧) للعذاب سوطاً .

فهذا مَجْرَى الاستعارات في كلام العرب .

* * *

وأما قول أبي تمام «ولين أخادع الدهر^(٨) الأبي» فأى حاجة دعت^(٩) إلى الأخادع حتى يستعيرها للدهر؟ [وقد]^(١٠) كان يمكنه أن يقول: ولين معاطف الدهر الأبي ، أو لين جوانب الدهر ، أو خلائق الدهر ، كما تقول : فلان سَهْلُ الخلائق ، ولين الجانب^(١١) ، وموطأ الأكناف ، ولأن الدهر

(١) سورة مريم : ٤

(٢) م «وتحيطه» وهو تحريف

(٣) سورة يس : ٣٧

(٤) في غيرك : «منه»

(٥) ط «من اللحم . . شاكلها»

(٦) سورة الفجر : ١٣

(٧) ط «استعير . . . سوط»

(٨) ط «الزمن . . . يستعيرها للزمن»

(٩) الزيادة من ك

(١٠) من ك

(١١) ط «الجوانب»

قد يكون سهلاً وحزناً وليناً وخشناً ^(١) على قدر تصرّف الأحوال فيه ؛ فإن ^(٢) هذه الألفاظ كانت أولى بالاستعمال في هذا الموضع . وكانت تنوب [له] عن المعنى الذى قصده ويتخلص من قبح الأخادع ؛ فإن في الكلام متسعاً ، ألا ترى إلى قوله ما أحسنه وأصحه ^(٣) .

لَيْكَالِي نَحْنُ فِي وَسَنَاتِ عَيْشِ كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فِي وَثَاقٍ ^(٤)

وَأَيَّاماً لَنَا وَلَهُ لِدَاناً غَنِينَا فِي حَوَاشِيهَا الرِّقَاقِ ^(٥)

فاستعار للأيام [رقّة] الحواشي ، وقوله :

أَيَّامَنَا مَضْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ ، وَاللَّيَالِي كُلُّهَا أَشْحَارُ ^(٦)

وأبلغ من هذا وأبعد من التكلف وأشبهه بكلام الأوائيل ^(٧) قوله :

سَكَنَ الزَّمَانُ فَلَا يَدُ مَذْمُومَةٌ لِلْحَادِثَاتِ وَلَا سَوَامٌ تُذْعَرُ ^(٨)

فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح ، والجيد بالردىء ، وإنما قبّح

الأخذع ^(٩) لما جاء به مستعاراً للدهر ، ولو جاء في غير هذا [الموضع] ^(١٠) أو

أتى [به] حقيقة ووضعه في موضعه لما ^(١١) قبّح ، نحو قول البحتري :

(١) ط « وصعبا »

(٢) ط « لأن »

(٣) ط « وما أوضحه »

(٤) شرح التبريزي ٢ / ٤٢٦ والصناعتين ٢٨٨ والديوان ٢١٥ « سبكي بعده غفلات عيش »

وهما روايتان

(٥) م ، ك « وأيام . . لدان » وفي الديوان وشرحه والصناعتين « عرينا » ويروى : « نعمنا في

حواشينا »

(٦) ديوانه ١٥٨ وشرح التبريزي ٢ / ١٨١

(٧) ط « وأشبهه بكلام العرب »

(٨) ديوانه ١٥٨ وشرح التبريزي ٢ / ١٩٧

(٩) ط « الأخادع »

(١٠) م « هذا وأتى حقيقة »

(١١) في غيرك « ما »

• وَأَعْتَقْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْدَعِي ^(١) •

ونحو قوله :

• وَلَا مَالَتْ بِأَخْدَعِكَ الضِّيَاعُ ^(٢) •

ومما يزيد على كل جيد قول الفرزدق :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ ضَرْبِنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِمَ الْأَخَادِعُ ^(٣)

* * *

فأما قوله « فضربت الشتاء في أخدعيه » فإن ذكر الأخدعين [ههنا] - على قببحها - أسوُغٌ ؛ لأنه قال « ضربة غادرته عوداً ركوباً » وذلك أن العود المسنُّ من الإبل [والبعير أبداً] يضرب على صفحتي عنقه فيذل ؛ فقربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلا .

ومن القبيح في هذا قوله :

يَا دَهْرُ قَوْمٍ مِنْ أَخْدَعِيكَ فَقَدْ أَضَجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خُرُوكِ ^(٤)
فأى ^(٥) ضرورة دعته إلى الأخدعين ؟ و [قد] كان يمكنه أن يقول
« قوم ^(٦) من اعوجاجك » أو « قوم معوج صنعك » ^(٧) أو : يَا دَهْرُ أَحْسِنْ
بِنَا الصَّنِيعَ ؛ لَأَنَّ الْأَخْرَقَ هُوَ الَّذِي لَا يُحْسِنُ الْعَمَلَ ، وضده الصَّنَعُ .

وكذلك قوله :

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا أَيُّ عِبَائِهِ أَثْقَلُ ^(٨)

(١) ديوانه ٩١ « من رق » وصدرة : « وإني وإن أبلغتني شرف العمل »

(٢) ديوانه ٢٢٨ وصدرة : « فأرفع التصفح منك طرفاً » وفي م « الطباع »

(٣) ديوانه ٥١٩

(٤) سبق ص ٢٦١

(٥) في غيرك « أى » .

(٦) من ك

(٧) « ما تموج من صنعك أى »

(٨) سبق ص ٢٦٢

فجعل للدهر عقلاً^(١) ، وجعله مفكراً في أى العباين أثقل ، وما شئ هو^(٢) أبعد من الصواب من هذه الاستعارة ، وكان الأشبه والأليق بهذا المعنى لما قال « تحملت ما لو حمل الدهر شطره » أن يقول : لتضعضع ، أو لانهد ، أو لأمن الناس صروفه ونوازله^(٣) ، ونحو هذا المعنى^(٤) مما يعتمد على أهل المعاني في البلاغة والإفراط .

وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة في أشعار القدماء كما عرفت^(٥) لا تنتهي في البعد إلى هذه المنزلة ، فاحتدأها ، وأحب الإبداع ، والإغراب^(٦) بإيراد أمثالها ، فاحتطب ، واستكشر منها . فمن ذلك قول ذى الرمة :

تَيْمَمَنَّ يَا فُؤُخَ الدُّجَى فَصَدَّعَتْهُ وَجَوَزَ الْفَدَلَا صَدْعَ السُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ
فجعل للدجى يافوخا .

وقول تائب شراً :

نَحْزُ رِقَابَهُمْ حَتَّى نَزَعْنَا وَأَنْفُ الْمَوْتِ مَنْخِرُهُ رَثِيمٌ^(٧)
فجعل للموت أنفاً .

وقول ذى الرمة :

يُعِزُّ ضِعَافَ الْقِيَوْمِ عِزَّةَ نَفْسِهِ وَيَقْطَعُ أَنْفَ الْكِبَرِيَاءِ عَنِ الْكِبَرِ^(٨)

(١) في ك « دهر » وهو خطأ

(٢) ط « وما معنى أبعد »

(٣) م « ونواذره »

(٤) من ك

(٥) راجع ص ٢٦١

(٦) ط « الإبداع وأغراق في إيراد »

(٧) رثيم ورثيم : مكسور

(٨) ديوانه ٢٧٣ « تمز ضعاف الناس »

فجعل للكبيرياء أنفًا .

وقول معقل بن خويلد الهذلي ، أو غيره :

تُخَاصِمُ قَوْمًا لَا تَلْقَى جَوَابَهُمْ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْ أَنْفٍ لِحْيَتِكَ الْيَدُ^(١)
فجعل للحية أنفًا : أى قبضت يده على طرف لحيتك كما يفعل النادم
أو المهموم ، وما أظن ذا الرمة أراد بالأنف إلا أول الشيء والمتقدم منه ، كما
قال^(٢) يصف الحمار :

إِذَا شَمَّ أَنْفَ الصَّيْفِ أَلْحَقَ بَطْنَهُ مِرَاسُ الْأَوَابِي وَامْتِحَانُ الْكَوَائِمِ^(٣)
وقال أبو العباس : عبد الله بن المعتز بالله في كتاب «سركات الشعراء»
وبهذا البيت^(٤) اغتر الطائي حتى أتى [بما أتى] به^(٥) [قال أبو القاسم]^(٦)
وإنما أراد ذو الرمة بقوله «أنف الصَّيْفِ»^(٧) : [أول الصيف] كقولهم
«أنف النهار» : أى أوله [ورعينا أنف الغيث أى أوله] قال امرؤ القيس :
قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ لَاحِقُ الْإِطْلِينَ مَحْبُوكٌ مَمَرٌ^(٨)
وقوله «في أنفه» أى في أول جريه وأشدّه ، ويقال «في أنفه» في أنف

(١) البيت لمعقل في ديوان الهذليين ١٦٧/٢ ولأبي خراش في اللسان ٣٥٦/١٠ . وأنف كل شيء أوله ، يقول كنت غلاما حدثا لا تعاتب ، واليوم قد أخذت بلحيتك .
(٢) في ك «كقوله»

(٣) ط «أنف الصَّيْفِ .. مراسى الأواس ... الكرائم» وهر تحريف . وفي ديوانه ٦٢١
«أنف البرد . إذا شم الفحل أنف البرد ، وأنف البرد أوله ، ألحق بطنه : أضمر ، ممارسة الأوابي :
تكتم حملها . وامتحنها أى يجتبرها هل جبلت أم لا فإن كانت جبلت وإلا رد عليها الضرب لتجبل » .

(٤) ط «وهذا . . . غر»

(٥) زيادة من ط

(٦) ما بين القوسين من ك

(٧) ط «الصَّيْف»

(٨) ديوانه ٩٠ «لاحق الأيطل» والأيطل : الخاصرة

محبوك : شديد الخلق . ممر : سوى الأعضاء صحيحها

الغَيْثِ الذِي ذَكَرَهُ فِي أَوَّلِهِ ، يَقُولُ : لَمْ يَطَأْ هَذَا الْغَيْثَ أَحَدٌ قَبْلِي ، وَلَمْ يَذْهَبْ
هَذَا الشَّاعِرُ حَيْثُ ذَهَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُ أَعْرَابِي يَصِفُ الْبَرَقَ :

إِذَا شِيمَ أَنْفَ اللَّيْلِ أَوْ مَضَّ وَسْطَهُ سَنَا كَابِتِ سَامِ الْعَامِرِيَّةِ شَاغِفٌ^(١)
إِنَّمَا أَرَادَ إِذَا شِيمَ أَوَّلَ اللَّيْلِ .

وَقَوْلُ الْآخَرِ : أَنْشَدَنَاهُ الْأَخْفَشُ عَنْ ثَعْلَبٍ يَذُمُ رَجُلًا^(٢) :

مَا زَالَ مَذْمُومًا عَلَى أَنْتِ الدَّهْرِ ذَا حَسَدٍ يَنْمِي وَعَقْلٍ يَخْرِي^(٣)
فَجَعَلَ لِلدَّهْرِ اسْتَا .

وَقَوْلُ شَاتِمِ الدَّهْرِ وَهُوَ أَحَدُ شُعْرَاءِ عَبْدِ الْقَيْسِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ وَغَرًّا سَبِيلُهُ وَأَبْدَى لَنَا ظَهْرًا أَجَبٌ مُسْلَعًا^(٤)
وَمَعْرِفَةٌ حَصَاءٌ غَيْرَ مُفَاضَةٍ عَلَيْهِ وَلَوْ نَأَى ذَا عَثَانِينَ أَجْدَعًا^(٥)

(١) ط « شيم » يقال : شام السحاب والبرق نظر إليه أين يقصد وأين يطر

(٢) في الأغاني ١٨ / ١٤١ عن العتي قال : لما حبس عمر بن هبيرة الفرزدق ، وهو أمير

العراق ، أبى أن يشفع فيه أحداً ، فدخل عليه أبو نخيلة الراجز في يوم فطر ، فوقف بين يديه وأنشأ
يقول :

أطلقت بالأمس أسير بكر فهل فذاك نفرى ووفرى
من سيب أو حجة أو عذر ينجي التيمي القليل الشكر
من حلق القيد الثقال السمر ما زال مجنوناً على است الدهر
ذا حسب يعمل وعقل يزرى هبسه لأخوالك يوم الفطر

(٣) لأبي نخيلة في اللسان ٣٩٠ / ١٧ « ذا حمق » وغير منسوب فيه ١٨ / ١٨٧ « في بدن

ينمي » يقال : ما زال فلان على است الدهر مجنوناً : أى لم يزل مجنوناً دهره كله . ويجرى : ينقص
ويجاء في ط « ما زال مذموماً . . . ذا حسد . . . يجرى » ! وفي ل « ما زال مجنوناً » .

(٤) ذكرها أبو تمام في الحماسة الصغرى ، وهي المروفة بالوحشيات (القطعة رقم ٣٦٢) وفي م

« أحب » وهو تحريف . والأجب : المقطوع السنام ، والمسلع : المشقق .

(٥) م « ومعرفة خضاء » و ط « أجبعاً » وفي الوحشيات : « بالعثانين أجدعا » والمعرفة بالفتح :

منبت عرف القرس . وحصاء : لا شعر عليها . ذا عثانين : منبراً . أجدع : مقطوع الأذن .

وَجَبْهَةً قِرْدٍ كَالشَّرَاكِ ضَبِيلَةً وَصَعَرَ خَدَيْهِ وَأَنْفًا مُجْدَعًا^(١)
 فجعل للدهر ظهراً أجَب^(٢) ، ومعرفةً خَصَاءً^(٣) ، ولوناً ذا عثانين ، وشبه
 جبهته جبهة قرد ، وجعل له^(٤) أنفًا مجدعاً ، وهذا الأعرابي إنما تملح^(٥) بهذه
 الاستعارات في هجائه للدهر ، وجاء بها هازلاً^(٦) .
 ومثل هذا في كلامهم قليل جداً ، ليس^(٧) مما يعتمد ويعمل أصلاً
 يُحتذى عليه ويستكسر منه [ويستعمل في الجد كما يستعمل في الهزل] .

* * *

٢٣ - ومن ردى استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله :

لَمْ تُسَقِّ بَعْدَ الْهَوَى مَاءً أَقَلَّ قَدِّي مِنْ مَاءٍ قَافِيَةٍ بِسَقِيكَهُ فَهَمْ^(٨)
 فجعل للقافية ماءً على الاستعارة ؛ فلو أراد الرونق لصلح ، ولكنه قال
 « يسقيكه » ففسد^(٩) معنى الرونق ؛ لأنك إذا قلت « هذا ثوب له ماء
 [أو لفظ له ماء] » لم تجعل الماء مشروباً [على الاستعارة] فتقول : ما

(١) وبعده في الوحشيات :

هناك ذكرت الذاهين أولى النهى	وقلت لعمرو والحسام به ألا دعا
فإني أرى الحيين كميا ودراما	أصاهم دهر وإن كان مفجما
أرى كل مأفون وكل حزيل	وترعية بهدارية قد فصلما
وسامى المعاني يبتغيها لنفسه	فيالك دهرأ لا يزال مروعا

والحزيل الهمزة : "حزيلة" : الراعى ابن الرعاة ، تطلع : امتلأ

(٢) م « أحب »

(٣) م « خضاء »

(٤) في غيرك : « وجعل أنفه »

(٥) ط ملح «

(٦) ط « ك » هازلاً «

(٧) في ك « ليس مثله »

(٨) في ك « كماء قافية »

(٩) ط « فبئس معنى »

شربت ماء [أعذب] ^(١) من ماء ثوب شربته عند فلان ، ورأيت على فلان ^(٢) وكذلك لا تقول : ما شربت ماء أعذب من ماء « قِفَا نَبْكَ » ، أو أعذب من ماء [قصيدة] كذا ؛ لأن للاستعارة حداً تصلح فيه ، فإذا تجاوزته ^(٣) فسدت وقبحت .

فأما قولهم « فلان حلو الكلام » و « عذب المنطق » أو « كأن ألفاظه فُتَّت السكر » فهذا كلام الناس على هذه السياقة ، وليس يريدون حلاوة على اللسان ، ولا عذوبة في الفم ، وإنما يريدون عذباً في النفوس ، وحُلُوّاً في القلوب ، كما قال [هو أعنى أبا تمام] :

يَسْتَنْبِطُ الرُّوحَ اللَّطِيفَ نَسِيمَهَا أَرَجاً ، وَتُوَكِّلُ بِالضَّمِيرِ وَتُشْرَبُ ^(٤)

وكذلك قولهم « حلو المنظر » إنما يريدون حلواً ^(٥) في العين ، ولا تقول : ما ذقت أحلى من كلام فلان ، ولا ما ^(٦) شربت أعذب من ألفاظ فلان ^(٧) ؛ لأن هذا القول صيغة الحقيقة ، لا الاستعارة ، ولكن يقال : هذا كلام يصلح أن يُتَنَقَّلَ به ، وزيد يُشْرَبُ مع الماء لحسن أخلاقه وحلاوته ، وعمرو يؤكل ويشرب لرقه طبعه ، ولا تقول : ما شربت أعذب من عمرو ، ولا ما أكلت أحلى من عبد الله ، فاعرف ^(٨) هذا ؛ فإن حدود الاستعارة معلومة .

(١) زيادة من ط

(٢) ط ، ك « فلان الملك »

(٣) في غير ك « جاوزته »

(٤) ديوانه ٣٩ وشرح التبريزي ١/١٣٦

(٥) ط « حلاوة »

(٦) من ك

(٧) ط « عمرو »

(٨) ط « فاعلم »

فأما قوله ^(١) :

لَمَكَايِرُ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ أَطِيبُ وَأَمْرٌ فِي حَنْكِ الْعَدُوِّ وَأَعَذِبُ ^(٢)
فالمكاسر : الأخلاق ، وإنما أراد أمرٌ في حنك العدو إذا نطق بها ، أو
أمر في حنكه أن يذكرها ، أو يخبر بها ، وأعذب في حنك وليه ووديده ،
إذا سترها ، وكما قال زهير :

تُدَجِّلُجُ مَضْغَةً فِيهَا أَنْيَضُ أَصَلَّتْ فَهِيَ تَحْتَ الْكَشْحِ دَاءُ ^(٣)
لأنه أراد كلمة فصلح أن يقول أنيض : أى لم تنضج ، وأصلَّت :
تغيرت وأنتنت ، وذلك لما جعلها مضغة أى لقمة في فيه ؛ فهذا طريق
الاستعارة فيما يصلح منها ^(٤) ويفسد ؛ فتفهّمه فإنه واضح .

فأما قوله :

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبٌّ قَدْ اسْتَعَذِبْتُ مَاءَ بُكَائِي ^(٥)
فقد عيب ، وليس بعيب عندي ؛ لأنه لما أراد أن يقول « قد استعذبت
ماء بكاى » جعل للملام ماء ؛ ليقابل ^(٦) ماء بماء وإن لم يكن للملام ماء على
الحقيقة ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ^(٧) ومعلوم أن
الثانية ليست بمسيئة ، وإنما هي جزاء عن المسيئة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنِ

(١) فى ك « فأما قول أبى تمام أيضا »

(٢) ديوانه ٣٨ وشرح التبريزى ١٣٤/١ « المكاسر : جمع مكسر ، وهو الأصل مثل العنصر ،
تقول العرب : فلان طيب المكسر إذا كان لين الجانب حسن الخلق » . وفى ط ، ك « حنك الحسود »

(٣) سبق ص ٩٠

(٤) من ك

(٥) ديوانه ٢ وشرح التبريزى ٢٥/١ « أى لا تلمنى فإنى عاشق قد ألفت البكاء واستعذبت
فلا أكاد أقلع عنه للومك إياى فكف عنى » وانظر أخبار أبى تمام ٣٣ - ٣٧ ورسر الفصاحة ١٣٢ - ١٣٦

(٦) ط « ليقابل ما أراد »

(٧) سورة الشورى : ٤٠

تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ^(١) والفعل الثاني ليس بسُخْرِيَّة ، ومثلُ هذا في الشعر والكلام كثير مستعمل ، فلما كان [في] مجرى العادة أن يقول قائل : أغلظت لفلان القول ، وجَرَّعته منه كأساً مرة ، أو سقيته منه أمراً من العلقم ، وكان الملامُّ مما يُستعمل فيه التجرع على الاستعارة - جعل له ماء على الاستعارة ، ومثل هذا كثير موجود .

وقد احتج محتج لأبي تمام في هذا بقول ذى الرمة :

أَدَارًا بِحُزْوَى هِجَتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفُضُ أَوْ يَتَرَفَّقُ^(٢)

وقول الآخر :

وَكَأْسٍ سَبَّاهَا التَّجْرُ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ كَرَقَةٍ مَاءِ الْبَيْنِ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ

وهذا لا يشبه ماء الملام ؛ لأن ماء الملام استعارة ، وماء الهوى ليس باستعارة ؟ لأن الهوى يُبكي ٤ : فتلك الدموع [هي ماء الهوى على الحقيقة ، وكذلك البين يبكي : فتلك الدموع] هي ماء البين [على الحقيقة]^(٣) .

فإن قيل : فإن^(٤) أبا تمام أبكاه الملام ، واللام قد يبكي على الحقيقة ؛ فتلك الدموع هي ماء الملام على الحقيقة .

قيل : لو أراد أبو تمام ذلك لما قال « قد استعذبت ماء بكائي » لأنه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكائه^(٥) أيضاً ، ولم يكن يَسْتَعْفِي

* * *

(١) سورة هود : ٣٨

(٢) احتج له الصولي بهذا البيت في أخبار أبي تمام ٣٤ والبيت في ديوان ذى الرمة ٣٨٩

(٣) زيادة من ط

(٤) في ك « فإن قيل إن أبا تمام إنما . . . »

(٥) ط « بكاء »

(٦) ط « استعاراته »

٢٤- ومن ردى استعارته^(١)؛ وقبيحها قوله :

مُقَصِّرٌ خُطُواتِ الْبَثِّ فِي بَدَنِ عِلْماً بِأَنِّي مَا قَصُرْتُ فِي الطَّلَبِ^(٢)
فجعل للبث - وهو أشد الحزن - خطواتٍ في بدنه ، وأنه قد قصرها ؛
لأنه^(٣) ما قصر في الطلب ، وهذا من وساوس المحكمة ، وإنما أراد أنه^(٤) قد
سهل أمر الحزن عليه أنه ما قصر في الطلب ؛ لأنه لو قصر لكان^(٥) يأسف
ويشند جزعه ، فجعل للحزن خطى في بدنه قصيرة لما جعله سهلاً خفيفاً .
وهذا ضد المعنى الذى أراد ؛ لأن الخطى إذا طالت [أخذت من الشيء الذى
تمر عليه أقل مما تأخذه الخطى القصيرة ، فعلى هذا] يجوز أن يقع قلبه
أو كبده بين تلك الخطى الطويلة فلا يمسه من البث - وهو الحزن - قليل
ولا كثير .

فإن قيل : إنما أراد [أن]^(٦) الحزن هو [فى]^(٧) قلبه خاصة ، وأن قوله
« فى بدنى » أى فى قلبى ، لأن قلبه فى بدنه .
قيل : الأمر واحد فى أن الخطى إذا طالت على الشيء - قلبه كان أو
ما سواه - أخذت منه أقل مما تأخذه إذا قصرت .
فإن قيل : أراد بطول الخطى الكثرة وبقصرها القلة .
قيل : هذا غلط من التأويل^(٨) ، وليس العمل على إرادته ، وإنما العمل
على توحيه معانى ألفاظه .

(١) ديوانه ٤٧١ وشرح التبريزى (مخطوطة الدار) ٧٦٧ «خطرات المم» وفى م ، ك
«مقصراً... على»

(٢) م «أنه»

(٣) م «أراد به قد»

(٤) فى غيرك «كان»

(٥) الزيادة من ط

(٦) ط «التأويل»

وبعد ؛ فمن أعجب الوسواس^(١) خطوات البث في البدن .

* * *

٢٥- ومن ردى استعارته [وبعيدها] وقبحها قوله :

جَارَى إِلَيْهِ الْبَيْنُ وَضَلَّ خَرِيدَةً مَا شَتَّ إِلَيْهِ الْمَطْلَ مَشَى الْأَكْبَدِ^(٢)
 الهاء في «إليه» راجعة إلى المحب ، يريد أن البين [ووضّل الخريدة
 تجارياً إليه ، فكأنه أراد أن يقول : إن البين]^(٣) حال بينه وبين وصلها ،
 واقتطعها عن أن تصله ، وأشباه هذا من اللفظ المستعمل الجارى [في العادة] ؛
 فعدل إلى أن جعل البين والوصل تجارياً إليه ، كأن^(٤) الوصل في تقديره
 جرى إليه يريد فجرى البين ليمنعه ، فجعلهما متجارين ، ثم أتى في
 المصراع^(٥) الثاني بنحو من هذا التخليط . فقال : ما شتَّ إليه المظل مشى
 الأكبد^(٦) ، فالهاء هنا راجعة إلى الوصل : أى لما عزمْتُ على أن تصله عزمْتُ
 عزم متشاغل مُماطل فجعل عزمها مشياً ، وجعل المظل مماشياً لها .

فيا معشر الشعراء والبلغاء ويا أهل اللغة العربية : خبرونا كيف يجارى
 البين وصلها ؟ وكيف تماشى هي مظلها ؟ ألا تسمعون ؟ ألا تفهمون ؟

* * *

وأنشد^(٧) أبو العباس بن المعتز في كتاب «سرقات الشعراء» لسلم
 الخاسر يعييه بردى الاستعارة في قوله يرثى موسى الهادى :

(١) ط «فإن من أعجب العجب»

(٢) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٢ / ٤٤ - ٤٥

(٣) زيادة من ط

(٤) ط «وأن»

(٥) ط «بالمصراع»

(٦) الأكبد هنا : الفرس الذى يشتكى كبده فيبطىء في سيره

(٧) في ك «أنشدنا»

لَوْلَا المقادير مَا حَطَّ الزَّمَانُ بِهِ لَا ، بَلْ تَوَلَّى بِإِنْفٍ كَلِمُهُ دَائِمِي
 وقال : هذا رديء كَأَنَّهُ من شعر أَبِي تمام الطائي ، وليت ^(١) لم يكن
 لأبي تمام من رديء الاستعارة إِلَّا مِثْلُ استعارة «سَلَم» هذه أَوْ نحوها ، ونعوذ
 بِاللَّهِ من حرمان التوفيق .

ما جاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس

ورأى أبو تمام أيضاً المجانسن من الألفاظ متفرقاً^(١) في أشعار الأوائيل ،
وهو ما اشتق بعضه من بعض ، نحو قول امرئ القيس :
لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبِسَنِي مِنْ دَائِدِ مَا تَلَبَّسَا^(٢)
وقوله أيضاً :

وَلَكِنِّي أَسْعَى لِمَجْدٍ مُوْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُوْتَلُ أَمْثَالِي^(٣)
وقول القطامي :

وَلَمَّا رَدَّهَا فِي الشَّوْلِ شَالَتْ بِذِيَالٍ يَكُونُ لَهَا لِفَاعَا^(٤)
وقول ذى الرمة :

كَأَنَّ الْبَرَى وَالْعَاجَ عِيجَتْ مُتُونُهُ عَلَى عَشْرِ يَرِي بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحَ^(٥)
وقول رجل من عبس :

وَذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الْجَارِ خَالَفَكُمْ وَأَنَّ أَنْفَكُمْ لَا يَعْرِفُ الْأَنْفَا^(٦)

(١) ط « شرفاً » !

(٢) سبق ص ١٧

(٣) ك ، ديوانه ١٤٦ « ولكنا »

(٤) سبق ص ١٦

(٥) سبق ص ١٦

(٦) نقد الشعر ٦١ والعمدة ٢٩٢/٢ وشر الفصاحة ١٨٤ والبدیع ٥٨ وإعجاز القرآن ٢٢٩

وقول مسكين الدرامي :

وَأَقْطَعُ الْخَرْقُ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً
إِذَا الْكَوَكِبُ كَانَتْ فِي الدُّجَى سُرُجًا^(١)

وقول حيّان بن ربيعة الطائي :

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي لَهُمْ حَدٌّ إِذَا لَبَسَ الْحَدِيدُ^(٢)

وقول النعمان بن بشير لمعاوية :

أَلَمْ تَبْتَدِرْ كُمْ يَوْمَ بَدْرِ سَيُوفُنَا وَلَيْلِكَ عَمَّا نَابَ قَوْمَكَ نَائِمُ^(٣)

وقول جرير :

فَمَا زَالَ مَعْقُولًا عَقَالُ عَنِ النَّدَى وَمَا زَالَ مَحْبُوسًا عَنِ الْخَيْرِ حَابِسُ^(٤)

وقول الفرزدق :

خُفَافٌ أَحَفَّ اللَّهُ عَنْهُ سَحَابُهُ وَأَوْسَعُهُ مِنْ كُلِّ سَافٍ وَحَاصِبُ^(٥)

وكان [قول] ^(٦) هذين الشاعرين في تجنيس ما جنّسناه من هذه الألفاظ

وحاجتهما ^(٧) إليه يشبه قول النبي صلى الله عليه وسلم «عَصِيَّةٌ عَصَتِ اللَّهَ ،

وَعَفَّارٌ عَفَّرَ اللَّهَ لَهَا ، وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللَّهَ» ^(٨)

(١) البيت لمسكين في البديع ٥٨ ونقد الشعر ٦١ وسر الفصاحة ١٨٤ ، وأخطأ أبو هلال العسكري فذكر صدره منسوباً للناطقة في الصناعتين ٣٢٦ . والخرق : القفلة الواسعة ، سميت بذلك لانفراق الريح فيها . والخرقاء : الناقة التي لا تتمهد مواضع قوائمها ، وبمعير أخرق : يقع منسه بالارض قبل خفه .

(٢) البديع ٥٨ ونقد الشعر ٦١ والصناعتين ٣٢٧ وحجاسة أبي تمام يشرح المرزوقي ٢٨٨/١ وفي المؤلف والمختلف للآمدی ٩٨ حبان ، بفتح الحاء والباء - وفيه : « لقد علم العائثر . . ذو وجد » قال المرزوقي : يقول : شهدت القبائل أن قومي يجدون في الحرب إذا تدجج أهلها في الأسلحة ويبلون فيها ولا يقصرون . وفي ك « ذو وحيد »

(٣) البديع ٥٩ والصناعتين ٣٢٧ ونقد الشعر ٦١ وهو محرف في الأغاني ١٢٦/١ وفي لكعقال عن

(٤) سبق ص ١٦

(٥) سبق ص ١٧

(٦) الزيادة من ك

(٧) ط « وحاجتهما »

(٨) راجع ص ١٦

ونجس هذا مما تعمل الشعر (١) لتجنيسه قول جندل بن الراسي :
 فَمَا عَمَرْتُ عَمْرُوَ وَقَدْ جَدَّ سَعْيُهَا وَمَا سَعِدَتْ يَوْمَ التَّقِينَا بَنُو سَعْدٍ (٢)
 ومن أطف ما جاء من التجنيس وأحسنه في كلام العرب قول القطامي :
 كَنِيَّةَ الْحَيِّ مِنْ ذِي الْقَيْظَةِ احْتَمَلُوا مُسْتَحْقِبِينَ فَوَادًا مَا لَهُ فَادَى (٣)
 ومثل هذا في أشعار الأوائل موجود ، لكن (٤) إنما يأتي منه في القصيدة
 البيت الواحد أو البيتان ، على حسب ما يتفق للشاعر ، ويحضر في خاطره ،
 وفي الأكثر لا يعتمد ، وربما خلا ديوان الشاعر الكثير منه ، فلا تُرى له (٥)
 لفظة واحدة .

فاعتمده الطائي ، وجعله غرضه ، وبني أكثر شعره عليه ، فلو كان قلل
 منه واقتصر على مثل قوله :

* يَا رَبُّعُ لَوْ رَبَّعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومٍ (٦) *

وقوله :

* أَرَامَةٌ كُنْتُ مَالَفَ كُلِّ رِيمٍ (٧) *

وقوله :

* يَا بُعْدَ غَايَةِ دَمْعِ الْعَيْنِ إِنْ بَعْدُوا (٨) *

(١) في ك : « تعمل الشعر »

(٢) ك ، م « جد وقها - ولا »

(٣) سبق ص ١٦

(٤) م « لكنه »

(٥) ك ، ط « فيه »

(٦) عجزه : « مستلم بلوى الفراق سقيم » وهو في ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزي ٣ / ٢٦١

(٧) ديوانه ٢٨٧ وشرح التبريزي ٣ / ١٦٠ ورامه : اسم موضع . وفي م « كنت رامة »

(٨) عجزه : « هي الصباية طول الدهر والسهد » ديوانه ٩٦ وشرح التبريزي ٢ / ١٠ ومعنى

قوله : يا بعد غاية دمع العين ، معناه : ما أشقك ! وفي م « إذ بعدوا »

وأشبهه هذا من الألفاظ المتجانسة المستعذبة اللاتقة بالمعنى - لكان قد أتى على^(١) الغرض ، وتخلص من الهجنة والعيب .

فأما أن يقول :

قَرَّتْ بِقِرَّانِ عَيْنِ الدِّينِ وَانْشَرَّتْ بِالْأَشْتَرَيْنِ عِيُونَ الشُّرْكِ فَاصْطُلِمَا^(٢)

فإن انتشار^(٣) عيون الشرك في غاية الغثاثة والقباحة ، وأيضاً فإن انتشار العين ليس بموجب للاصطلام .

وقوله :

إِنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُو نٌ ، وَمَنْ عَقَّ مَنْزِلًا بِالْعَقِيقِ^(٤)

وقوله :

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الظُّنُونُ أَمْذَهَبُ أَمْ مُذْهَبُ^(٥)

(١) ط « بالغرض »

(٢) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ١٦٩/٣ الصناعتين ٣٣٥ وسر الفصاحة ١٨٥ ودلائل الإعجاز ٢٧٧ وأسرار البلاغة ١٦ « واشترت » وقران : اسم مكان ببلاد الخزمية : والاشترار من أمراض العين أن يرتفع جفنها الأعلى حتى لا يغطي بياضها . وأشتر : موضع بين نهاوند وهمدان . والاصطلام : الاستئصال

(٣) ك ، ط « فانتشار »

(٤) ديوانه ٢١٥ وشرح التبريزي ٤٣١/٢ والصناعتين ٢٣٥

(٥) ديوانه ٣٩ وشرح التبريزي ١٣٦/١ والبدیع ٧٣ والموضح ٣٠٩ ودلائل الإعجاز ٢٧٧ وأسرار البلاغة ٦ . بمذهبه : أى بطريقته ، والمعنى ذهب بطريقته السماحة أى غلبت عليه ، كما يقال : ذهب فلان بالمجد أى حازه وصار له . وقوله : التوت فيه الظنون : أى اختلفت ولم تحقق شيئاً واحداً . وقوله : أمذهب أم مذهب : أى طريقة هو وخلق أم مذهب ، من قول العامة بفلان مذهب ، إذا كان يلج في الشيء ويعزى به وقيل : المذهب بالفتح واحد المذاهب ، والمذهب بالضم : اللوح والسفر من الكتب التى فيها السير ، أى ذهب السماحة بمذهبه كل مذهب فأخذ من كل شيء حظاً فلا يدرى أمذهبه مذهب ، أم هو السفر الذى تشعب فيه المذاهب لسمتها واقتنائها في كل فن . وقال المرزبانى : « يريد غلبت على مذهبه السماحة فكأن فيها مذهبا يظنه بعض الناس » وقال المرزوقى : « المذهب بضم الميم : الجنون والمعنى : أن السماحة قد غلبت عليه واستولت على شمائله وسجاياه ، فهو يفرط فيها ويسرف في لزومها ، حتى قيل على طريق التشكك : أهذا خلق ومذهب أزم جنون ومذهب » وشرح المرزوقى هو الشرح

وقوله :

* خُشِنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خُشَيْنٍ ^(١) *

فهذا كله تمجيس في غاية البشاعة ^(٢) والركاكة والهجانة ، ولا يزيد زيادة على قبح قوله :

فَأَسْلَمَ سَلِمَتْ مِنَ الْآفَاتِ مَا سَلِمَتْ
سَلَامٌ سَلْمِي وَمَهْمَا أَوْرَقَ السَّلْمُ ^(٣)

فإن هذا من كلام المُبرِّسَمِينَ ^(٤) .

وقد عابه أبو العباس عبد الله بن المعتز ببعض هذه الأبيات في « كتاب البديع » ، جاء بها في قبح التجنيس .
و [قد جاء من التجنيس] في أشعار العرب ما يُستكره ، نحو قول امرئ القيس :

* وَسِنَّ كُسْنِيَّ سَنَاءٌ وَسُنْمًا ^(٥) *

ولم يعرف الأصمعي هذا [ولا أبو عمرو] ، وقال أبو عمرو : وهو بيت مسجدي : أي من عمل أهل المسجد .

وقال الأصمعي : السن : الثور ، ولم يعرف سنيقا ^(٦) ، ولا سنا ،

(١) عجزه : « وأنجح فيك قول العاذلين » ديوانه ٣٢١ وشرح التبريزي ٢٩٧/٣ بنوخشين قبيلة من اليمن

(٢) ط « الشناعة »

(٣) السلام : الحجارة الصلبة ، وسلمى : جبل طيء ، والسلام : شجر له شوك يدبغ بورقه وقشره .

(٤) في ك « المبلسمين »

(٥) في ديوانه ١١١ « وسنم » ذعرت بمدلاج الهجير نهوض . والمعاني الكبير لابن قتيبة .

٧٧٣/٢ والصناعتين ٣٣٥

(٦) ك ، م « سنيق ولا سنم »

ويقال : سنيق جبل ، ويقال : أَكَمَّةٌ ، وسَم ههنا : البقرة [الوحشية ^(١)] ،
سنا : أى ارتفاعاً ، ويروى « سناما » ^(٢) أى ارتفاعاً أيضاً ، من « تَسَنَّمْتُ ^(٣) »
الجبل « علوته .

وقول الأعشى :

• شَاوٍ مِشَلٍّ شُلُولٌ شُلُشْلٌ شُولٌ ^(٤) •

وهذا عند أهل العلم من جنون الشعراء ^(٥) .

وقرأ هذه القصيدة على أبى الحسن على بن سليمان [الأخفش] النحوى
قارئ ، فلما بلغ إلى هذا البيت قال أبو الحسن : صُرِعَ والله الرجل .

وما زلت أراهم يستكروهن قول ذى الرمة :

• عَصَا قَسٍّ قُوسٍ لِينُهَا وَاعْتِدَالُهَا ^(٦) •

ويروى « عَصَا عَسْطُوسٍ » ^(٧) وقد قيل : إنه الخيزران .

وهذا إنما جاء من هؤلاء مفلتاً ^(٨) نادراً ؛ لأنك لو اجتهدت أن ترى

للوّاحد منهم حرفاً واحداً ^(٩) ما وجدته .

والطائي استفرغ وسعته فى هذا الباب ، وجدّ فى طلبه ، واستكثر منه ،

وجعله غرضه ! فكانت إيساعته فيه أكثر من إحسانه ، وصوابه أقل من
خطئه ^(١٠) .

(١) زيادة من ط

(٢) م « سنا »

(٣) ط « سمنت »

(٤) سبق ص ٤٣

(٥) ك ، ط « الشعر »

(٦) صدره « على أمر منتقد العفاء كأنه » ديوانه ٥٣٢ واللسان ٨ / ١٧ . والعفاء : الوبر ،

ومنتقد العفاء عنه ، يعنى الحمار ، والقس : العابد من النصارى . والقوس : المنارة التى يكون فيها
الراهب نفسه . شبه الحمار بعصا القس العابد فى ملاستها واعتدالها

(٧) م « عصى عسوطوس » والعسوطوس : من رؤوس النصارى . والعسوطوس : ضرب من الشجر

(٨) ط « مقللا »

(٩) ك و م « واحداً ثانياً مثله ما وجدت »

(١٠) ط « خطائه »

ما يستكره للطائي من المطابق

[ورأى ^(١) الطائي الطَّبَّاقَ في أشعار العرب ، وهو أكثر وأوجد في كلامها
[مما قدمت ذكره] ^(٢) من التجنيس ، وهو : مقابلة الحرف بضده أو ما يقارب
الضد ، وإنما قيل « مطابق » ، لمساواة أحد * القسمين صاحبه ، وإن تضاداً أو
اختلفا في المعنى . ألا ترى إلى قولهم في أحد المعنيين - إذا لم يشاكل صاحبه :
ليس هذا طَبَّقَ هذا ، وقولهم في المثل : « وَافَقَ شَنْ طَبَقَةً » ^(٣) والطبق للشئ
إنما قيل له طَبَّقَ لمساواته إياه في المقدار ، إذا جُعِلَ عليه ، أو غُطِّيَ به ، وإن
اختلف الجنسان ، قال * * الله عز وجل : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ ^(٤) أى :
حالا بعد حال ، ولم يرد تساويهما في تمثيل ^(٥) المعنى ، وإنما أراد عز وجل
- وهو أعلم ^(٦) - تساويهما فيكم ، وتغييرهما إياكم ، بمرورهما عليكم ، ومنه
قول العباس بن عبد المطلب :

[ينقل من صالب إلى رحم] إذا مضى عَالَمٌ بَدَا طَبَقٌ ^(٧)

أى : جاءت حال أخرى تتلو الحال الأولى ، ومنه طَباق الخيل ، يقال :
طابَقَ الفرسُ ، إذا وَقَعَتْ قوائمُ رجله في موضع قوائم يديه في المشي أو
العدو ، وكذلك [مشى] * * * الكلاب ، قال الجعدي :

(١) الزيادة من ط

(٢) الزيادة من ك

(٣) جبهة الأمثال ٢٠٢ ، وجمع الأمثال ٣٥٩/٢ * في ك « إحدى »

(٤) سورة الانشقاق : ١٩

(٥) في ك « في نفس »

(٦) ك : « أعلم وأحكم »

(٧) من أبيات في مدح النبي عليه السلام في أمالي الزجاسي ٤٤ والفائق للزنجشري ٢٨١/٢

والمنتار من شعر بشار ١٣٩ ونهاية الأرب ٣٦٢/٢ والزيادة من ك وفي م ، ط « إذا انقضى عالم »

والطبق : القرن من الناس

* * * الزيادة من ك

* طِبَاقُ الْكِلَابِ يَطَّانُ الْهَرَّاسَا ^(١) *

فهذه ^(٢) حقيقة الطباق ، إنما هو مقابلة الشيء بمثل الذي هو على قدره ،
فسموا المتضادين - إذا تقابلا - متطابقين ^(٣) .

ومنه قول زهير :

لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا ^(٤)
فطابق بين قوله « كَذَّبَ » وبين [قوله] ^(٥) « صدقا » .
وقول طُفَيْلٍ الْغَدَوِيِّ يَصِفُ فَرَسًا :

* يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْذُولٌ ^(٦) *

فطابق بين قوله « يُصَانُ » و [بين] ^(٧) قوله « مَبْذُول » .
وقول طرفة [بن العبد] ^(٨) :

بَطِيءٌ عَنِ الْجُلَى سَرِيعٌ إِلَى الْخَنَا [ذُلُولٌ بِأَجْمَاعِ الرِّجَالِ مُلْهَدٌ]

فطابق بين « بطيء » و « سريع » .

فلو اقتصر الطائي على ما اتفق له في هذا الفن من حلول اللفظ ^(٩) وصحيح
المعنى نحو قوله :

(١) صدره « وخيل يطابقن بالدارعين » هو في المعاني الكبير ٤٦/١ والصناعتين ٣٠٧ واللسان ٨٠/١٢ وفي ١٣٤/٨ « الهراس : شوك كأنه حسك . والمطابقة أن تضع أرجلها مواضع أيديها وتقدم أيديها حتى تبصر مواقعها ، يريد أنها لا تريد الحرب فهي تثبت في مشيها كما تمشي الكلاب في الهراس متقية له » وفي م « الهراشا »

(٢) ط « فهذا . . . لمثل » وفي ك « فهذا حقيقة . وانطباق »

(٣) ط « مطابقين »

(٤) سبق ص : ١٧

(٥) زياده من ك و ط

(٦) سبق ص : ١٧

(٧) زياده من ك و ط

(٨) ديوانه ٣٥ وفي شرح القصائد العشر ٩٦ « الجلى : الأمر العظيم الذي يدعى له ذوو الرأي . الذلول والذليل المقهور . وأججاع : جمع جمع وهو ظهر الكف إذا جمعت أصابعك وضمتها والمههد : المضروب .

(٩) ط « الألفاظ »

• نَشَرْتُ فَرِيدَ مَدَامِعٍ لَمْ تُنْظَمْ ^(١) •

ونحو قوله :

• جُفُوفَ الْبَيْلِ أَسْرَعَتْ فِي الْغُصْنِ الرَّطْبِ ^(٢) •

ونحو ^(٣) قوله :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى وَإِنْ عَظُمَتْ
وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنْ جِيدِ أَبْيَاتِهِ .

ثم تَجَنَّبَ مِثْلَ قَوْلِهِ :

قَدْ لَانَ أَكْثَرُ مَا تُرِيدُ ، وَبَعْضُهُ
خَشِنٌ ، وَإِنِّي بِالنَّجَاحِ لَوَاثِقٌ ^(٤)

وقوله :

لَعَمْرِي لَقَدْ حُرُزَتْ يَوْمَ لَقِيَّتَهُ
لَوْ أَنَّ الْقَضَاءَ وَخَذَهُ لَمْ يُبْرِدِ ^(٥)

وقوله :

وَإِنْ خَفَرَتْ أَمْوَالَ قَوْمٍ أَكْفَهُمْ
مِنَ النَّيْلِ وَالْجَدَوَى فَكَفَاهُ مِقْطَعٌ ^(٦)

ونحو هذا مما يكثرُ إِنْ ذَكَرْتَهُ ، = لَتَهْذَبُ ^(٨) عَظْمُ شَعْرِهِ وَسَقَطَ . أَكْثَرُ

مَا عَيْبَ عَلَيْهِ مِنْهُ .

(١) سبق مع عجزه في ص : ٢١٠

(٢) عجزه « وخطب الردي والموت أبرحت من خطب » ديوانه ٣٥٦

(٣) م « وهو قوله »

(٤) ديوانه ٢٨٠/٣ (شرح التبريزي)

(٥) ديوانه ٢٢٢ وشرح التبريزي ٤٥٢/٢

(٦) ديوانه ١٠١ وشرح التبريزي ٢٥/٢ « حررت : من الحرارة التي هي خلاف البرودة ،

يقول : كنت قربت قتله غير أن القضاء نجاه » وهو في الصناعتين ٣٢٠ والوساطة ٦٨ والموشح ٣٠٨
فقلاع رسالة ابن المعتز في محاسن شعر أبي تمام ومساويه

(٧) ديوانه ١٩١ وفي شرح التبريزي ٣٣٠/٢ « يقول : إذا كانت يد الرجل كالخفير لماله
تحفظه من السؤال ، فكفاه مقطع أي يقطع فيها الطريق على المال ، لأن العادة جارية بأن المال يؤخذ
في قطع الطريق »

(٨) ط « ذكرته ذهب عظيم . . . وأكثر » وفي م « مما عيب » . وقوله : « تهذيب » ، جواب

قوله في الصفحة السالفة : « فلو اقتصر الطائي »

وهذا باب ^(١) أعنى - المطابق - لقبه أبو الفرج قدامة بن جعفر [الكاتب] في كتابه المؤلف في نقد الشعر : « المتكافئ » ، وسمى ضرباً من المتجانس ^(٢) المطابق ، وهو : أن تأتي بالكلمة ^(٣) مثل الكلمة سواء في تأليفها واتفاق حروفها ، ويكون معناهما مختلفاً ، نحو قول الأَفْوَاهِ الأَوْدَى : وَأَقْطَعُ الهَوْجَلَ مُسْتَأْنِساً بِهَوْجَلِ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيْسٍ ^(٤) والهوجل الأول : الأرض البعيدة ، والهوجل الثاني : الناقة العظيمة الخلق الموثقة .

وقول أبي دُوَادٍ الإِيَادَى :
عَهْدَتْ لَهَا مَنْزَلاً دَارِساً وَآلَا عَلَى الْمَاءِ يَحْمِلُنَ آلَا ^(٥)
فالآل الأول : أَعْمِدَةُ الخِيَامِ ، والآل الثاني : ما يرفع الشُّخُوصَ .
وقول ^(٦) زياد الأَعْيَجَمِ :
وَبُسَّتُهُمْ يَسْتَنْصِرُونَ بِكَاهِلٍ وَلِلْدُومِ فِيهِمْ كَاهِلٌ وَسَنَامٌ ^(٧)
وما علمت [أن] ^(٨) أحداً فَعَلَ هذا غير أبي النرج ؛ فإنه وإن كان هذا اللقب يصح لموافقته ^(٩) معنى الملقَّبات ، وكانت الألقاب ^(١٠) غير محظورة ؛

(١) ك « باب من »

(٢) ط « المجانس »

(٣) ط « الكلمة . . . معناها مخالفاً »

(٤) نقد الشعر ٦٠ وديوانه ١٦ وسر الفصاحة ١٨٥ والعمدة ١ / ٢٩٠ والصناعتين ٤٢٠ وإعجاز

القرآن ١٢٣

(٥) نقد الشعر ٦٠ واللسان ٣٩ والعمدة ١ / ٢٨٨ وإعجاز القرآن ١٢٤

(٦) ك ، ط « وقال »

(٧) ط « فيه » و م « منهم » وهو في نقد الشعر ٦٠ واليدبع ٥٨ وسر الفصاحة ١٨٤ والصناعتين

٣٠٧ والأغانى ١١ / ١٧١ وإعجاز القرآن ١٢٣

(٨) زيادة من ط

(٩) م « بموافقته »

(١٠) ط « الألفاظ »

فلما لم أكن أحبُّ له أن يخالف مَنْ تقدَّمه ، مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع وألَّفَ فيها ؛ إذ قد سبقوا^(١) إلى التلقيب : وكفَّوه المؤونة .

وقد^(٢) رأيت قوماً من البغداديين يسمُّون هذا النوع [من] ^(٣) المجانس : المماثل ، ويلحقون به الكلمة إذا تردَّدت وتكررت^(٤) ، نحو قول جرير :
تَزَوَّدَ مِثْلَ زَادِ أَبِيكَ فِينَا فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أَبِيكَ زَادًا^(٥)
[وبابه قليل] ^(٦) .

(١) ط « سبقوه إلى اللقب »

(٢) م « ومنذ »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ك « وتكررت في البيت »

(٥) ديوانه ١٣٥

(٦) زيادة من ط وفي ك : « وهو قليل »

وهذا باب

في سوء^(١) نسجه ، وتعقيد [نظمه]^(٢) ، ووحشي ألفاظه

وما أكثر^(٣) ما تراه من ذلك ، وتجده في شعره ، وأظنه سمع بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في زهير بن أبي سلمى لما قال [فيه] : « كان لا يُعَاطِلُ بين الكلام ، ولا يتتبع حُوشِيَّه . ولا يمدح الرجل إلا بما في الرجال »^(٤) فلم يَرْتَضِ^(٥) ما قاله عمر ، وأحبَّ أن يستكثر مما ذمَّ وعابه . وقد فسر أهل العلم هذا من قول عمر : وذكروا معنى المعاظلة . وهى : مُداخلة الكلام بعبءه فى بعض ، وركوب بعبءه^(٦) لبعض . كقولك^(٧) : تعاطَل الجراد ، وتعاطلت الكلاب . ونحوهما مما يتعلق بعبءه ببعض عند السَّفاد ، وأكثر ما يستعمل فى هذين النوعين .

وكذلك فَسَّرُوا [معنى] حُوشَى الكلام ، وهو [اللائظ الغريب] الذى لا يتكرر فى كلام العرب كثيراً ؛ فإذا ورد مُسْتَهْجَأً . وقالوا فى معنى قوله : « وكان لا يمدح الرجل إلا بما^(٨) فى الرجال » أنه أراد : لا يمدح السوق بما يمدح به الملوك ، ولا يمدح^(٩) التجار وأصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والأبطال وحملة السلاح ؛ فإن الشاعر إذا فعل ذلك فقد وصف

(١) ط « فى سوء نظمته وتعقيد ألفاظ نسجه »

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « وأكثر . . . أظنه سمع ما »

(٤) الشعر والشعراء ٨٧/١

(٥) ط « يرتضى هذا لشعره »

(٦) ك « بعض »

(٧) ك وم « من قولك »

(٨) ط « بما يكون » .

(٩) ليست فى ك

كل فريق بما ليس فيه ، فذكروا هذه الجمل ، ثم ^(١) مثلوا لها أمثلة تزيد ما قاله عمر رضى الله عنه وضوحاً وبياناً ، إلا أبو الفرج قدامة بن جعفر فإنه ^(٢) ذكر ذلك فى كتابه المؤلف فى نقد الشعر ومثل له أمثلة ، فغلط فى أمثلة المعاظلة غلطاً قبيحاً ، وقد ذكرت ذلك فى كتاب بيّنت فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه .

* * *

وأنا أذكر ههنا ما إليه قصدت من تبين ^(٣) ما فى شعر أبى تمام من هذه الأنواع ، فإنها كثيرة . وأورد من كل نوع قليلاً ^(٤) يستدل به على الكثير فأقول :

إن من المعاظلة التى قد لخصت معناها فى الكتاب على « قدامة » شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض ، وأن يداخل لفظة [من أجل لفظة] ^(٥) تشبهها [أو] ^(٥) تجانسها ، وإن أخل ^(٦) بالمعنى بعض الإخلال .

١- وذلك كقول أبى تمام :

خان الصفاء أخُ خان الزمانُ أخياً عنه فلم يتخونَ جسمهُ الكمدُ ^(٧)

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت ، وهى سبع كلمات آخرها قوله : « عنه » ما أشد تشبث بعضها ببعض ، وما أقرب ما اعتمده من إدخال

(١) ك ، م « ولم يثلوا »

(٢) ك « فإنه لما ذكر »

(٣) ط « من سائر »

(٤) ط « فيستدل » . . . وفى م « فأما قوله »

(٥) زيادة من ك ، ط

(٦) ك ، ط « اختل المعنى . . . الاختلال »

(٧) ديوانه « الزمان له أخا » وفى شرح التبريزى المخطوط ٦٣٦ « كان الزمان له أخا »

ألفاظ في البيت من أجل ما يشبهها : وهي قوله ^(١) : « خان » و « خان » و « يتخون » وقوله : « أخ » و « أخا » .

وإذا ^(٢) تأملت المعنى - مع ما أفسده من اللفظ - لم تجد له حلاوة ، ولا فيه كبير فائدة ؛ لأنه يريد : خان الصفاء أخُ خان الزمان أخاً من أجله إذ لم يتخون جسمه الكمد .

٢- وكذلك قوله :

يا يَوْمَ شَرَدَ يَوْمَ لَهْوِي لَهْوُهُ بِصَبَابَتِي وَأَذَلَّ عِزِّي تَجَلُّدِي ^(٣)
فهذه الألفاظ إلى قوله : « بصبابتي » كأنها ^(٤) [أيضاً] ^(٥) سلسلة في شدة تعلق بعضها ببعض . وقد كان أيضاً يستغنى ^(٦) عن ذكر اليوم في قوله « يوم لهوى » ؛ لأن التشريد إنما هو واقع بلهوه . فلو قال : « يا يوم شرد لهوى » لكان أصح في المعنى من قوله : « يا يوم شرد يوم لهوى » وأقرب في اللفظ ؛ فجاء باليوم الثاني من أجل اليوم الأول ، وباللهو الثاني من أجل اللهو الذي قبله ، ولهو اليوم [أيضاً] بصبابته هو ^(٧) من وسأوسه وخطائه ^(٨) ، ولا لفظ [هو] أولاً بالمعاطلة من هذه الألفاظ .

(١) ط « وهو خان »

(٢) ك ، ط « فإذا »

(٣) ديوانه ١١١ وشرح التبريزي ٤٥/٢ « تقديره : يا يوم شرد لهو بصبابتي يوم لهوى وأزال

صبري » .

(٤) م « كأنه »

(٥) الزيادة من ك

(٦) ط « استغنى »

(٧) ط « هو أيضاً »

(٨) ك ، م « وخطراته »

٣ ونحو قوله [أيضاً] ^(١) :

يَوْمٌ أَفَاضَ جَوَى أَغَاضَ تَعَزَّى خَاضَ الْهُوَى بَحْرَى حِجَاهُ الْمَزِيدِ ^(٢)

فجعل اليوم أَفَاضَ جَوَى ، والجوى أَغَاضَ تَعَزَّى ، والتعزَّى موصولاً به «خاض الهوى» إلى آخر البيت ؛ وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه ، مع أنه قال ^(٣) «أفاض» و «أغاض» و «خاض» [وهى] ألفاظ أوقعها في غير مواقعها ^(٤) ، وأفعال غير لائقة بفاعلها ، وإن كانت مستعارة ؛ لأن المستعمل في هذا أن يقال : قد عُلِمَ ما بفلان من جَوَى ، وظَهَرَ ما يكتمه من هَوَى ، وبأن عنه العزاء أو ذهب عنه التعزى ^(٥) ، فأما أن يقال : فاض الجوى ، أو أفيض ، أو غاض [التعزى] أو أغيض ؛ فإنه - وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة - قبيحٌ جداً .

وكذلك خَوْضُ الهوى بحرَ التعزى معنًى نى غاية البعد والهَجَانة ، ثم اضطر إلى أن قال «بَحْرَى حِجَاهُ الْمَزِيدِ» فوَحَّدَ المَزِيدَ ، ونخفِضه ، وكان وجهه أن يقول : «المزبدین» صيغة للبحرين ، فجعله صفة للحجى . ويقال إنه أراد ببَحْرَى حِجَاهُ الْمَزِيدِ : قلبه ودماعه ؛ لأنهما موطنان للعقل ، وذلك ^(٦) محتمل ، إلا أنه جعل المَزِيدَ وصفاً للحجى ، ولا يوصف العقل بالازدياد ، وإنما يوصف به البحر . وهذا وإن كان يُتَجَاوَزُ في مثله ، فإنه ^(٧)

(١) زيادة من ط

(٢) ديوانه ١١١ وشرح التبريزى/٤٦

(٣) ط ، م «مع أن أفاض»

(٤) ط «موضعها»

(٥) في ط «عنه العزاء والتعزى»

(٦) ك ، م «وذاك»

(٧) ط «فإنه إلى»

الوجه الأردأ ، عَدَلَ به [إليه] خبث^(١) الطريقة عن الوجه الأوضح .
 وإذا^(٢) تأملت شعره وجدت أكثره مبنياً على [مثل] هذا^(٣) وأشباهه .
 وفيما ذكرته^(٤) من هذا الأمثلة من شعره ما دلل على^(٥) سواها .

فإن قال قائل : إن هذا الذى أنكرته وذمته في الأبيات المتقدمة وفي
 هذا البيت : من [شدة] تشبث الكلام ببعضه ببعض ، وتعلق كل لفظة
 بما يليها ، وإدخال كلمة من أجل أخرى تشبهها وتجانسها - هو المحمود
 من الكلام ، وليس من المعازلة في شيء ، ألا ترى أن البلغاء والفصحاء لما
 وصفوا ما يستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا : هذا كلام يدل بعضه
 على بعض ، ويأخذ^(٦) بعضه برقاب بعض ؟

قيل : هذا صحيح من قولهم ، ولم يريدوا [به] هذا الجنس من النثر
 والنظم ، ولا قصدوا هذا النوع من التأليف ، وإنما أرادوا المعانى إذا وقعت
 ألفاظها في مواقعها ، وجاءت الكلمة مع أختها المشاكلة لها التى تقتضى أن
 تجاورها لمعناها^(٧) : إما على الاتفاق ، أو التضاد^(٨) ، حسبما توجبها قسمة
 الكلام ، وأكثر الشعر الجيد هذه سبيلُهُ ، وذلك نحو قول زهير بن
 أبى سلمى :

سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ ، وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَاكَ يَسَامُ^(٩)

(١) م « وحيث الطريقة » ، في ط « وجنب الطريق »

(٢) ط « فإذا »

(٣) زيادة من ط ، ك

(٤) ط « وقد ذكرت . . . ما دل »

(٥) ك : « على ما سواها »

(٦) ط « وأخذ »

(٧) ك ، م « بمعناها »

(٨) م « فالتضاد »

(٩) ديوانه ٢٩ وشرح القصائد المشر ١٢٢

لما قال : « ومن يعيش ثمانين حولاً »^(١) وقدم في أول البيت « ستمت »
اقتضى أن يكون في آخره « يسأم » .
وكذلك قوله أيضاً :

السُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ^(٢)
فالستر الأول اقتضى المستر الثاني .

وكذلك قوله :

وَمَنْ لَا يُقَدِّمُ رِجْلَهُ مُطْمَئِنَّةً فَيَسْبِتُهَا فِي مُسْتَوَى الْأَرْضِ، تَزَلَّتِ^(٣)
لما قال : « ومن لا يقدم رجله مطمئنة » اقتضى أن يأتي في آخر البيت
« يزلق » .

وكذلك قول امرئ القيس :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعَدَمِ لِلْمَرْءِ قُنُوءَ وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولَ عُمَرٍ وَمَلْبَسَا^(٤)
اقتضى « العدم » في البيت أن يأتي بعد « قنوة » وكذلك^(٥) اقتضى
قوله : « وبعد المشيب » [قوله :] « طول عمر وملبسا » .

وكذلك قوله :

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لَا نُخْفِهِ^(٦) وَإِنْ تَقْصِدُوا لِيَدَمِ نَقْصِدِ^(٧)

(١) م « علما »

(٢) ديوانه ٩٥ وفي ك ، م « ولا »

(٣) ديوانه ٢٥٠

(٤) ديوانه ٩٩ وفي م « بعد اليوم »

(٥) م « ولذلك »

(٦) عجز هذا الشطر كما في ديوانه ٦١ « وإن تبعثوا الحرب لا نقعد »

(٧) هذا عجز بيت آخر وصدده في ديوانه ٦١ « وإن تقتلونا نقتلكم »

كل لفظة تقتضى ما بعدها .

فهذا هو الكلام الذى يدلُّ بعضُه على بعض ، ويأخذ بعضُه برقاب بعض ؛ وإذا أنشدت صدر البيت علمت ما يأتى فى عَجْزِه ؛ فالشعر الجيد - أو أكثره - على هذا مبنى ، وليست بنا حاجة إلى زيادة^(١) فى التمثيل على هذه الأبيات .

(١) ط « الزيادة »

[حوشى الكلام وما يستكره من الألفاظ]

وأما قول عمر رضى الله عنه فى زهير : « إنه كان لا يتتبع حوشى الكلام » فإن أبا تمام كان لعمري يتتبعه ، ويتطلبه ، ويتعمل^(١) لإدخاله فى شعره ، فمن ذلك قوله :

أَهْلَسُ أَلَيْسَ لَجَاءٌ إِلَى هِمَمٍ تُغْرِقُ الْعَيْسَ فِي آذِيهَا اللَّيْسَا^(٢)
ويروى « أهيس أليس » والأهيس : الجاد^(٣) ، وهذه الرواية أجود .
وهى مثل^(٤) :

* إَحْدَى لِيَالِيكَ فَهَيْسِي هَيْسِي^(٥) *

والهَلَّاسُ : السَّالُّ من [شدة] الهزال ؛ فكأن قوله : « أهلس » يريد
خفيف اللحم .

والأَلَيْسُ : الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة ، وهو الذى لا يكاد يبرح
موضعه فى الحرب حتى يظفر أو يهلك .

فَهَاتَانِ^(٦) لفظتان مستكرهتان إذا اجتمعتا ، [ثم] لم يقنع بأهلس
أليس حتى^(٧) قال فى آخر البيت : « الليسا » يريد جمع أليس .

(١) ط « ويتعمد إدخاله »

(٢) م « نجاه إلى » وفى م والوساطة ٢٢ وديوانه ١٧٢ وشرح التبريزى ٢٥٨/٢ « تفرق الأسد »
قال التبريزى : « يقال : رجل أليس : إذا كان شجاعا لا يبرح موقفه فى الحرب ، وأهيس من قولم :
هاس يهيس ، إذا وطئ شديدا ، أو سار سيرا عجلا »

(٣) م « الحاد . . . أجود فى مثل »

(٤) ك « وفى مثل »

(٥) شرح التبريزى ٢/ ٢٥٨ وفى اللسان ٨ / ١٣٩ وبعده : « لا تنمى الليلة بالتمريس »
وهى : أى سبى أى سبى كان

(٦) ك و م « فهما »

(٧) ط « ثم »

وقوله :

وَأِنْ بُجَيْرِيَّةٌ بَانَتْ جَارَتْ لَهَا إِلَى ذُرَى جَلْدِي فَاسْتَوْهَلَ الْجَلْدُ^(١)

فقال : « بجيرية » و « جارت لها » وهذه الألفاظ وإن كانت معروفة مستعملة فإنها إذا اجتمعت استقبحت^(٢) وثقلت .

وكذلك قوله :

* هُنَّ الْبَجَارِيُّ يَا بُجَيْرُ^(٣) *

والبجاري : جمع بُجَيْرِيَّة ، وهي الداهية .

وقوله :

بِنْدَاكَ يَوْسَى كُلُّ جَرْحٍ يَعْتَلِي رَأْبَ الْأَسَاةِ بِدَرْدٍ بَيْسٍ قَنْطَرٍ^(٤)
الدردبيس والقنطر^(٥) : من أسماء الدواهي .

وقوله :

* قَدْكَ أَتَشِبُّ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلْدَاءِ^(٦) *

وزاد^(٧) هذه الألفاظ هجئة [أنها] ابتداء قصيدة .

وقوله :

لَقَدْ طَلَعْتُ فِي وَجْهِهِ مِضَرَ بَوَجْهِهِ بِلا طَائِرٍ سَعْدٍ وَلَا طَائِرٍ كَهْلٍ^(٨)

(١) ديوانه ٣٦٧ وشرح التبريزي المخطوط ٦٣٦ والصناعتين ٣٠ وفي ط « نابت » و م ك « إلى أيدي » .

(٢) م ك « استهجت »

(٣) « بقى س ٢٦ »

(٤) ديوانه ٣٩٦ وشرح التبريزي المخطوط ٧٣٦ . ويؤى : يداوى ويصلح . والرأب : الإصلاح ، والأساة : الأطباء

(٥) ك « وهما »

(٦) سبق ص ٢٦

(٧) ط « ومثل هذه هجئة (لا يكون) في ابتداء القصيدة »

(٨) طلعت : أوى وساس الآمال المذكورة في البيت التالي وهو :

وساوس آمال ومذهب همة نخيمة بين المطية والرحل

في ديوانه ٤٢١ « طائر سهل »

ولمّا سمع قول بعض الهذليين :

فَلَوْ كَانَ سَلْمَى جَارُهُ أَوْ أَجَارُهُ رِيَّاحُ بْنُ سَعْدٍ رَدَّهُ طَائِرُ كَهْلٍ^(١)

وجدت في تفسير أشعار هذيل : أن الأصمعي لم يعرف قوله : « طائر

كهل » وقال بعضهم : كهل : ضخم .

وما أظنّ أحداً قال : « طائر كهل » غير هذا الهذلي ، فاستغرب

أبو تمام معنى الكلمة فأتى بها ، وأحبّ أن لا تفوته . فمثل هذه الألفاظ لا

يستعملها شاعر [مقدم] إلا أن يأتي في جملة شعره منها اللفظة أو اللفظتان ،

وهي في شعر أبي تمام كثيرة فاشية .

وقد أنكر الرواة على زهير - مع ما قاله عمر فيه : « كان لا يتتبع حوشى

الكلام » - قوله :

نَقِيٌّ نَقِيٌّ لَمْ يَكْثُرْ غَنِيمَةً بِنَهْكَ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلٍ^(٢)

واستشنعوا^(٣) « حقلد » وهو : السبي الخلق ، ولا يُعرف في شعره لفظة

هي أنكر منها ، وليس مجيئه بهذه اللفظة^(٤) الواحدة قادحاً فيها وصفه به

عمر رضى الله عنه .

وأكثر ما ترى هذه الألفاظ الوخشية في أراجيز الأعراب^(٥) ، نحو قول

بعضهم .

(١) البيت لأبي خراش الهذلي ، كما في اللسان ١٢٢/١٤ وأساس البلاغة ٣٩/٢٤ وفي

ديوان الهذليين ١٦٥/٢ يريد : سلمى بن معقل من بني صاهلة ، ورياح بن سعد من بني زليفة .
وقوله طائر كهل ، أراد رجلاً كهلاً عظيم الشأن « وفي ك : » الهذليين ، وهو صخر الغي » .

(٢) ديوانه ٢٣٤ والصناعتين ٣٠ وصبح الأعشى ٢١٦/٢ النهكة : النقص والإضرار
والحقلد : الضيق البخل السبي الخلق . أى لم يكثر ما له بظلم قرابته وأخذ ما لم .

(٣) ط « بحقلد وهي » وفي ك : « فاستبشعوا »

(٤) ك « الكلمة »

(٥) ك : « العرب وما شاكل ذلك . أنشد أبو حاتم »

[وأنشده أبو حاتم] :

• فَشَحَا جَحَافِلُهُ جُرَافٌ هِبْلَعٌ^(١) •

وقول آخر^(٢) :

• غَرِبًا جَرُورًا وَجَلَالًا خُرْخِزٌ^(٣) •

[الغرب : الدلو . والجورور : العظيم . والجلال : الشديد والخُرْخِز :

القوى]^(٤)

وأنشد الأصمعي :

وَأَخَذَ طَعْمَ السَّقَاءِ سَامِطٌ وَخَائِرٌ عُمَاجِلِطٌ عُمَاجِلِطٌ^(٥)
إِذَا ذَهَبَ عَنِ اللَّبَنِ حَلَاوَةُ الْحَلَبِ^(٦) وَلَمْ يَتَغَيَّرْ فَهُوَ سَامِطٌ ، وَإِذَا خَشَرَ
اللَّبَنِ جَدًّا حَتَّى يَتَكَبَّدَ^(٧) فَهُوَ عُمَاجِلِطٌ [وَعُمَاجِلِطٌ] .

(١) صدره : « وضع الخزير فليل : أين مجاشع ؟ » وهو لحرير ، كما في ديوانه ٣٤٥ واللسان ، ٣١٩/٥ ، ٢٤٦/١٠ ، ٣٦٩ وغير منسوب في سر الفصاحة ٦٤ . الخزير : عصيدة فيها لحم . وشحا : فتح ، وجعافل الخليل : أفواهاها ، والجحفلة من الخيل والحمر والبنغال بمنزلة الشفة من الإنسان والمشر للبر . ورجل جراف : شديد الأكل لا يبق شيئا . والهيلع : العظيم اللقم الأكل

وفي ط « فشحا » وهو تحريف

(٢) ط « أنشد أبو تمام وقول »

(٣) م « غربا مروراً وجلالا فرفة » وط « غربا مروراً وجلالا مرير » وقال ناشرها الشيخ محمد محي الدين : « مع طول البحث فيما بين يدي من كتب اللغة وبجاميع الشعر ، لم يتيسر لي العثور على تحقيق هذا الشاهد فأثبتته كما هو في أصول الكتاب غير متحمل تبعته » .

والشاهد في الصحاح ٨٧٤/٢ واللسان ٢١٢/٧ وصدره فيهما : « أعددت للورد إذا الورد حفز » والرجز غير منسوب في سر الفصاحة ٦٤

والورد : الماء الذي يورد ، ووقت يوم الورد بين الظمأين . وحفز : حث وساق ، أودنا . والغرب : الدلو الكبير الذي يستق به . جروراً : أى يجز على شفير البر لبعد قعرها . والجلال : البعير الضخم الكريم . والخزخز : القوى الشديد

(٤) الزيادة من ك

(٥) ط « وأجد . . للقاء » وفي ط و م « عجلط » وكذلك هو في سر الفصاحة ٦٤

(٦) ط « الحليب »

(٧) ط « حتى فخن فهو عكالط وقال آخر »

وقول الآخر أنشدته الأصمعي :

(١) في رَبِّ رَبِّ خِمَاصٍ يَأْكُلْنَ مِنْ قُرَاصٍ

* وَحَمَصِيصٍ وَاصٍ *

واص : نبتٌ متصل ببعضه ببعض .

وإذا كان هذا يُسْتَهْجَنُ (٢) من الأعرابي القحَّ الذي لا يتعمَّلُ (٣) له ولا يتطلَّبُه (٤) ، وإنما يأتي به على عادته وطبعه ، فهو من المحدث الذي ليس هو من لغته ولا من ألفاظه ولا من كلامه الذي تجرى عادته به - أخرى أن يُسْتَهْجَنُ .

ولهذا ما أنكر الناس على رؤية استعماله الغريب الوحشي ، وذلك لتأخره وقرب عهده ، حتى زهد كثير من الرواة في رواية شعره ، إلا أصحاب اللغة [والغريب] .

وقد ذكر أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتابه المؤلف في سرقات الشعراء ومعايبهم ، عن العنزي ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمي الذارع (٥) ، قال : حدثني ابن عائشة ، قال :

قال أبو العتاهية لابن مُناذر : إن كنت أردت بشعرك شعر العجاج

(١) قبله في اللسان ٨ / ٣٣٨ « يارب شاة شاص » وشاص : متنصب . وخصاص : ضامرات البطون : والقارص : اللبن الذي يحذو اللسان . والحمصيص : بقلة حامضة تجعل في الأقط . تأكلها الناس والإبل والغنم . وآص : متصل مثل واص ، كما في اللسان . والأبيات في المعاني الكبير ١٨٠ / ١ . وما هنا في سر الفصاحة ٦٤

(٢) ط « يستحسن » وزاد قبلها الناشر « لا »

(٣) م « لا يستعمل » وهو تحريف

(٤) م ، ط « ولا يطلبه »

(٥) ط « الزراع . . . ابن أبي عائشة » وهو خطأ . والخبر رواه المرزباني في الموشح ٢٩٥

ورؤية فما صنعت شيئاً ، وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت
مأخذنا ، أرايت قولك :

• وَمَنْ عَادَاكَ لاقى المَرْمَرِيسَا ^(١) •

أى شئ في المَرْمَرِيس ^(٢) [أعجبك] ؟

ووجدت أبا عبيدة ذكر في كتاب الخيل في باب ما يُستدل به على
جودة الفرس وهو يُخَضِرُ « بيضة مَرْمَرِيس [وهامة مَرْمَرِيس] ، وهي
الضخمة » وأراد ابن مناذر الداهية .

وقد جاء أبو تمام بالدرّديس ، وهي أخت المَرْمَرِيس ، فقال :

بنداك يوسى كل جُرح يَغْتَلِي رَأبَ الأَسَاةِ بَلَدَرْدِيسٍ قَنْطَرٍ ^(٣)
[وهي : الداهية أيضاً ، وكذا القَنْطَر] ^(٤) .

(١) ط « يلق »

(٢) م « بالمرييس » . والزيادة من ط

(٣) م « بنداك يرأب » وقد سبق البيت في ص ٣٠١

(٤) زيادة من ط

بما كان من شأنه أن يجمع بين الشعر والنثر في أسلوبه الفريد، وهو الذي سمي «شاعرًا من طراز المتنبي».

باب

فيما كثر في شعره من الزحاف واضطراب الوزن^(١)

وذلك هو^(٢) ما قاله دِغْبِيلُ بن علي الخُزاعي وغيره من المطبوعين : إن شعر أبي تمام بالخطب وبالكلام المنشور أشبه منه^(٣) بالكلام المنظوم .

١ - فمن ذلك قوله :

وَأَنْتَ بِمَوْضِعٍ غَابَتِي وَقَرَابَتِي رَمِيمًا ، وَبَنُو أَبِيكَ فِيهَا بَنُو أَبِي^(٤)

وهذا من أبيات النوع الثاني من الطويل ، ووزنه «فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ» وعروضه وضربه «مَفَاعِيلُنْ» فحذف نون «فَعُولُنْ» من الأجزاء الثلاثة الأول^(٥) وحذف الياء من «مفاعيلن» التي^(٦) في المصراع الثاني ، وذلك كله يسمى المقبوض ؛ لأنه [حذف]^(٧) خامسه .

٢ - وكذلك^(٨) قوله من هذا النوع :

كَسَاكَ مِنَ الْأَنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ وَأَحْمَرُ سَاطِعٌ^(٩)

(١) في «الأوزان»

(٢) م «وهو»

(٣) ك ، م «منه بالمنظوم»

(٤) ديوانه ٢٥ وفي شرح التبريزي ١٦٢/١ «وبنو الآباء» وها روايتان . يقول : أنت غاية منى بمصر ، وأنت قرابتي لأني أمت إليك بحمة الأدب ووسيلته وإن لم يكن بيننا قرابة النسب بها ، يعنى بمصر

(٥) م «الأولة»

(٦) ط «التي هي» . مقبوضا

(٧) م «زيادة من ك ، ط»

(٨) م «ومن ذلك»

(٩) ديوانه ٤٧٨

(٩) ديوانه ٤٧٨

فحذف النون من أجزاء^(١) «فعولن» كلها ، وهى أربعة ، وحذف الياء من «مفاعيلن» التى فى المصراع الثانى أيضاً ، كما فعل فى البيت قبله .

٣- ومن ذلك قوله من هذا النوع أيضاً :

يَقُولُ فَيُسْمِعُ وَيَحْمِشِي فَيُسْرِعُ وَيَضْرِبُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ فَيُوجِعُ^(٢)

فحذف النون من «فعولن» الأولى^(٣) ، والياء من «مفاعيلن» التى تليها ، ومن «فعولن» التى هى أول المصراع الثانى ، وذلك كله [أيضاً] يسمى مقبوضاً ، وهو^(٤) من الزحاف الحسن الجائز إلا أنه إذا جاء على [هذا] التوالى والكثرة [فى البيت الواحد] قبح جداً .

٤- وقال :

لَمْ تَنْتَقِضْ عُرْوَةٌ مِنْهُ وَلَا قُوَّةٌ لَكِنَّ أَمْرَ بَنَى الْأَمَالِ يَنْتَقِضُ^(٥)

وهذا من النوع الأول من البسيط . ووزنه «مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ» . وعروضه وضربه «فَعِلُنْ» فزاد فى عروضه [وهو فَعِلُنْ] حرفاً فصار «فاعِلُنْ» لأنه قال : «قُوَّةٌ» فشدد ، وذلك إنما يجب^(٦) له فى أصل المدائنة لا فى هذا الموضع ، فإن خَفَّفْنَاهَا حتى تصير على وزن «فَعِلُنْ» فيتزَن البيت - كان مخطئاً من [طريق اللغة] .

(١) ط «من آخر»

(٢) ديوانه ١٩١ وشرح التبريزى ٣٢٦/٢ وفيه ٣٢٧ «وأخذ أبو تمام هذا البيت من قول عائشة رضى الله عنها فى وصف عمر : كان إذا قال أسمع ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضرب أوجع»

(٣) ط «الأول»

(٤) ط «وهى»

(٥) ديوانه ١٨١ وشرح التبريزى ٢٨٦/٢ «منه ولا بسبب» أى لم يؤثر فيه أحواله وفى العزل ولكن فى زمر عفاة

(٦) ط «إنما يجب» دم «إلا فى»

ثم ^(١) نقص [من] «فاعلن» الأولى من المصراع [الثاني] الألف فصار «فعلن». وهذا يسمى مخبُوناً ؛ لأنه حذف ثانيه .

٥- وقال :

إلى المُفْدَى أَبِي يَزِيدَ الَّذِي يَضِلُّ عَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمَةِ ^(٢)
وهذا من النوع الأول من المنسرح . ووزنه :
مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ مُسْتَفْعِلُنْ
فحذف السين من مستفعِلُنْ [الأولى ومن مستفعِلُنْ] التي هي أول المصراع
[الثاني] فبقى «متفعِلُنْ» وهذا يُنْقَلُ إلى «مفاعِلُنْ» ويسمى مخبُوناً ؛ لأنه
حذف ثانيه .

وحذف الفاء من مستفعِلُنْ الأخيرة ^(٣) فبقى «مستعلُنْ» فنُقِلَ إلى
«مُفتعلُنْ» ويقال له : مَطْوِيٌّ ؛ لأنه ذهب رابعه .

وحذف الواو من «مَفْعُولَاتُ» الأولى والثانية ، فصار «فاعلات» ويقال
له أيضاً : مَطْوِيٌّ ؛ فافسد البيت ^(٤) بكثرة الزحاف . وتقطيعه :

إِلْمَفْدَ * دَا أَبَى يَ * زِيدَ الَّذِي * يَضِلُّ لُغَمَ * رُلْمُلُوكِ * فَيْثَمِدِ
مَفَاعِلُنْ * فَاعِلَاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفَاعِلُنْ * فَاعِلَاتُ * مُفْتَعِلُنْ

٦- ثم قال في هذه القصيدة :

جِلَّةٌ أَنْمَارِهِ وَهَمْدَانِهِ وَالشُّمُّ مِنْ أَزْدِهِ وَبَيْنَ أَدَدِهِ ^(٥)

(١) ط «ثم حين نقص . . . الأول»

(٢) ديوانه ٩٢ وشرح التبريزي ٤٣٦/١ . ويريد بأبي يزيد : خالد بن يزيد بن يزيد
الشيبياني . وانشد : الماء القليل . أي يقل كثير الملوك في قليله

(٣) م «الآخرة فبقى مستفعِلُنْ»

(٤) ك «فأفسد وزن البيت» .

(٥) ديوانه ٩٤ وشرح التبريزي ٤٤٧/١ وم «والشمر»

فحذف الفاء من « مستفعلن » الأولى ، فعادت إلى « مفتعلن » وحذف
الواو من « مفعولات » الأولى « ومفعولات » الثانية [فصارت « فاعلات » .
وحذف الفاء من « مستفعلن » الأخيرة فصارت « مفتعلن » . وتقطيعه :
جَلَّتَانِ * مَارِهِيَوَ * هَمْدَانِهِي * وَشُشْمُومِنَ * أَرْذِهِي وَ * مِنْأُدَدَه
مُفْتَعِلُنْ * فَاعِلَاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * فَاعِلَاتُ * مُفْتَعِلُنْ
وهذه الزخافات جائزة في الشعر وغير منكرة إذا قلَّت ، فأما إذا جاءت
في بيت واحد في أكثر أجزائه فإن هذا في غاية ^(١) القبح ، ويكون بالكلام
المنثور أشبه منه بالشعر الموزون .

٧- ومن هذا النوع من المنسرح قوله :
وَلَمْ يَغْيَرْ وَجْهِي عَنِ الصَّبْغَةِ آلَ أُولَى بِمَسْفُوعِ اللَّوْنِ مُلْتَمِعَةٍ ^(٢)
وتقطيعه :

وَلَمْ يَغْيَرْ * يَزْ وَجْهِي * نَضْصَبْقَلْ * أُولَى بِمَسْ * فَوَعْلَوْنِ * مُلْتَمِعَةٍ
مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولَاتُ * مُسْتَفْعِلُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولَاتُ * مُفْتَعِلُنْ
فحذف السين من « مستفعلن » الأولى فصارت « مفاعِلن » وحذف الفاء
من « مستفعلن » الأخيرة فصارت [« مُسْتَعِلن » فنقل إلى] ^(٣) « مفتعلن »

* * *

ومثل هذه الأبيات في شعره كثير إذا أنت تتبَّعته ، ولا تكاد ترى في
أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً .

* * *

تم السفر الثاني من الموازنة على ما جزأه مؤلفه ، رحمه الله تعالى
والحمد لله رب العالمين

(١) ط « في نهاية »

(٢) ديوانه ١٩٦ شرح التبريزي ٣٤٥/٢ « لم تغير » وفي م « بمسفوح » هو خطأ . يقال :
سفع وجهه : إذا أصابه النار بحرما والشمس يوهجها فغيرت لونه ، والتفع منه ، يعنى أنه أعطاه بلا سؤال
وحفظ ماء وجهه

(٣) الزيادة من ك

Handwritten text in Arabic script, mostly illegible due to extreme fading and bleed-through from the reverse side of the page. The text appears to be a continuous paragraph or a list of items.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

قال أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى :

لما^(١) كنت خرجت مساوياً أبى تمام وابتدأت [منها] بسرقاته - وجب أن أبتدىء من مساوى البحتري بسرقاته ؛ فإنه [قد] أخذ من معانى من تقدم من الشعراء ، وتأخر^(٢) أخذاً كثيراً .

وحكى [أبو عبد الله محمد بن داود] بن الجراح فى كتابه [الذى سماه الورقة :]^(٣) أن ابن أبى طاهر أعلمه أنه أخرج للبحتري ستمائة بيت مسروق ، ومنها ما أخذه من أبى تمام خاصة مائة بيت .

وكان^(٤) ينبغى أن لا أذكر السرقات فيما أخرجه من مساوى هذين الشاعرين ؛ لأننى قد قدمت القول فى^(٥) أن من أدركته من أهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوى الشعراء ، وخاصة المتأخرين إذ^(٦) كان هذا باباً [ما] تعرى منه متقدم ولا متأخر ، ولكن أصحاب أبى تمام أدعوا أنه أول^(٧) وسابق ، وأنه أصل فى الابتداع والاختراع ؛

(١) فى هامش ك : « وهو أول الجزء الثانى منقولاً من نسخة عبد السلام البصرى »

(٢) ط « ومن »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ط « فكان »

(٥) م « وان »

(٦) م « أول أن . . . بابا يعرى »

(٧) ط « أول سابق »

فوجب إخراج ما استعاره من معاني الناس ؛ ووجب ^(١) من أجل ذلك إخراج ما أخذه البحتري أيضاً من معاني الشعراء . ولم أستقص بابَ البحتري ، ولا صرفت ^(٢) الاهتمام إلى تتبعه ؛ لأن أصحاب البحتري لم يدعوا ^(٣) ما ادعاه أصحاب أبي تمام [لأبي تمام] ، بل استقصيت ^(٤) ما أخذه من أبي تمام خاصة : إذ كان من أقبح المساوي أن يتعمد ^(٥) الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فيأخذ من معانيه ما أخذه البحتري من [معاني] أبي تمام ، ولو كان عشرة أبيات ، فكيف والذي أخذه منها ^(٦) يزيد على مائة بيت ؟

فأما مساوي البحتري - من غير السرقات - فقد حرصت ^(٧) واجتهدت [في] أن أظفر له بشيء يكون بإزاء ما أخرجته من مساوي أبي تمام في سائر الأنواع التي ذكرتها ، فلم أجد في شعره - لشدة تحرزه ، وجودة طبعه ، وتهذيب ألفاظه ^(٨) - من ذلك إلا أبياتاً يسيرة أنا ذاكرها ^(٩) عند الفراغ من سرقاته إن شاء ^(١٠) الله تعالى .

(١) ط « فوجب »

(٢) ط « ولا قصبت »

(٣) م « لم يدعوا » وط « ما ادعوا »

(٤) م « بل استقصيت »

(٥) م « يتعمد . . . ديوان كل »

(٦) ط « منه »

(٧) ط « دقت »

(٨) ك ، م « لألفاظه »

(٩) ط « أذكرها »

(١٠) في ط « سرقاته ، فإن مر بي منها شيء ألحقته به . . . »

سرقات البحري

١- قال [البحري] :

بُخْفِي الرُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَانَهَا فِي الْكَاسِ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ^(١)أخذه من قول علي بن جبلة^(٢) :كَانَ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا شُعَاعًا لَا يُحِيطُ عَلَيْهِ كَأْسٌ^(٣)

٢- وقال أيضاً :

كَالرَّمَحِ فِيهِ بِضْعَ عَشْرَةِ فِقْرَةٍ مُنْقَادَةٌ تَحْتَ السَّنَانِ الْأَصِيدِ^(٤)

أخذه من قول بشار :

خَلِقُوا قَادَةً وَكَانُوا سَوَاءً كَكُؤُوبِ الْقَنَاةِ تَحْتَ السَّنَانِ^(٥)

وأخذه أبو تمام [أيضاً] فقال :

جَمَعْتَ غُرَى أَعْمَالِهِ بَعْدَ فُرْقَةٍ إِلَيْكَ كَمَا ضَمَّ الْأَنْبِيبُ عَامِلُ^(٦)

(١) التشبيهات ١٧٣ وقد سبق ص ٢٨ وفي ك « في الكف قائمة »

(٢) ط « جبلة حيث يقول »

(٣) التشبيهات ١٧٣

(٤) ديوانه ٤٦١ « خلف السنان »

(٥) ط « خلفوا . . . فكانوا »

(٦) ديوانه ٢٥٧ وشرح التبريزي ١٢٢/٣ « أي ضمت ما انتشر من أمور الملك » وفي ك :

« غرى أعبائه » وفي الصناعتين ١٩٩ أنه أخذه من قول الحبال الربيعي :

أولئك إخوان الصفاء رزقهم فا الكف إلا لصبح ثم لصبح

وفي م « غرى أعيانه . . . عاسل »

٣- وقال البحتري :

أَعْطَيْتَنِي حَتَّى حَسِبْتُ جَزِيلَ مَا أَعْطَيْتَنِيهِ وَدِيعةٌ لَمْ تُوهَبِ^(١)
أخذه من قول الفرزدق :

أَعْطَانِي الْمَالَ حَتَّى قُلْتُ: يُودِعُنِي أَوْ قُلْتُ: أَعْطَى مَالًا قَدَرَاهُ لَنَا^(٢)
وبيت البحتري أجود .

٤- وقال البحتري :

أَرَدُ دُونَكَ يَقْضَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَشَنَانَا^(٣)
أخذه من قول قيس بن الخطيم :

مَا تَمْنَعِي يَقْضَى فَقَدْ تَوَيْتَنِي فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مَحْشُورٍ^(٤)
٥- وقال البحتري :

مُلُوكٌ يَعْدُونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَعَزَعُوها وَالدُّرُوعَ غَلَاظًا^(٥)
وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الفقعسي ، ولعله منه أخذه :
وَلَا لَأَقْيَا كَعْبَ بْنَ عَمْرِو يَقُودُهُمْ أَبُو دَهْمٍ تَسْلُجُ الْحَلِيدِ شِيَابَهَا^(٦)
٦- وقال البحتري :

كَوْعُولُ الْهَضَابِ رُحْنٌ وَمَا يَدُ لِي كُنْ إِلَّا صُمُّ الرِّمَاحِ قُرُونًا^(٧)

(١) ديوانه ٦٠٢

(٢) ط « قلت أعطيت »

(٣) ديوانه ١٤٩/٤ م المعارف أمال المرتضى ٤٤٥/١ وطيف الخيال ٣٤٦ نقلاً عن الموزنة

في الكتابين

(٤) ديوانه ٥ وأمالي المرتضى ٤٤٥/١ وطيف الخيال ٣٤٦ وقدم « رجب » ٧٧١

(٥) ديوانه ٧١٠ ، ١٦٠٦/٣

(٦) م « أبو دهر » ط « ثيابها »

(٧) ديوانه ٢٤٧

وهذا من نادر^(١) المعاني ، وما أعرف مثله إلا قول نصر بن الحجاج بن

علاط السلمي ، ولعله منه أخذه :

تَرَى غَابَةَ الْخَطِيِّ فَوْقَ مُتُونِهِمْ كما أَشْرَقَتْ فَوْقَ الصُّوَارِ قُرُونُهَا^(٢)

٧- وقال البحتري :

يَنَالُ الْفَتَى مَا لَمْ يُؤْمَلْ وَرُبَّمَا أَتَاخَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَاذِرْ^(٣)

أخذه من قول الآخر وأنشده ثعلب :

وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرِ فَمَرٍّ بِجَانِبِي لَمْ يَلْقَنِى . وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَخْذِرْ^(٤)

٨- وقال البحتري :

وَإِذَا الْأَنْفُسُ اخْتَلَفْنَ فَمَا يَبُ فِي اتِّفَاقِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ^(٥)

أخذه من قول الفرزدق :

وَقَدْ تَلْتَقَى الْأَسْمَاءُ فِي النَّاسِ وَالْكُنَى

كَثِيرًا وَلَكِنْ فَرَّقُوا فِي الْخِلَاقِ^(٦)

٩- وقال البحتري :

لَمْ تَخْطُ بَابَ الدُّهْلِيِّ مُنْصَرِفًا إِلَّا وَخَلَّخَالُهَا مَعَ الشَّنْفِ^(٧)

أخذه من قول أبي نواس^(٨) :

« قَدْ جَمَعُوا آذَانَهُ وَعَقَبَهُ »

(١) ط « فوادر . . وما عرف . . بن حجاج »

(٢) م « الخطي . . . كما أشرقت » ط « فوق بيوتهم » وفي ديوان المعاني ٦١/٢ « وقد أحسن

القائل في صفة الرماح على العواتق : ترى غابة . . فوق رؤوسهم » والصوار : القطيع من البقر ، كما

في اللسان ١٤٦/٦ .

(٣) ديوانه ٣٥٠ ، ٢ / ٩٦٢ وفي م « أناخت به الأقران »

(٤) في ك « لم يَنْكِنِي » وفي م « لم يكني »

(٥) ديوانه ٥٦٤ « وَإِنَّ الْأَنْفُسَ »

(٦) ديوانه ٥٧٨/٢ « فقد . . . ولكن لا تلاقى الخلائق »

(٧) ديوانه ٦٤٢ ، ٣ / ١٤١١

(٨) م « أبي نواس رجز »

١٠- وقال البحتري :

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِضْيَانِ قَلْبِكَ لِي عَمْدًا ، إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِيَنِي ^(١)
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ الْحُسَيْنِ ^(٢) بِن الضحاك الخليل :

وَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سُعْدَى وَتَزْعُمُ أَنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَ ^(٣)

وبيت البحتري أجود .

١١- وقال محمد بن وهيب ^(٤) :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا عَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي وَشَيْكَأ ، وَإِلَّا ضَيْقَةٌ تَنْفَرُجُ ^(٥)
أَخَذَهُ الْبَحْتَرِيُّ فَقَالَ :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا عَمْرَةٌ وَأَنْجِلَاؤُهَا وَشَيْكَأ ، وَإِلَّا ضَيْقَةٌ وَأَنْفِرَا جُهَا ^(٦)

١٢- وقال في وصف الذئب :

فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ ^(٧)

وقال في هذا المعنى :

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مَشْغُوفَةٌ بِمَوَاطِنِ الْكِتْمَانِ ^(٨)

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَمْرُو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ الزَّبِيدِي :

وَالضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْبَضٍ مُرْهَفٍ وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعِ الْأَضْغَانِ ^(٩)

(١) ديوانه ٤١٨

(٢) م « الحسن » وهو تحريف

(٣) في ك « أنطمع » .

(٤) م « فقال . . . وهب » وهو تحريف

(٥) م « ففزع » والبيت في الياطة ١٩٢

(٦) ديوانه ٢١٧ والياطة ١٩٢

(٧) ديوانه ١٧٣ ومعاهد التنصيص ١٧٣ / ٢ وفي م « فصلها » وهو تحريف وفي ك « فصلها »

(٨) الصناعتين ٢٣٤ .

(٩) الصناعتين ٢٣٤ ومعاهد التنصيص ١٧٢ / ٢ والمطول على التلخيص ٤٠٩ / ١ . وفي ك

« أبيض صارم » .

إلا أن قول عمرو « والطاعنين مجامع الأضغان » في غاية الجودة والإصابة ؛^(١) لأنهم إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم . فإذا وقع الطعن في موضع الطعن فذلك غاية كل مطلوب .

١٣- وقال البحتري :

إِلَى فَتَى يُتْبِعُ النُّعْمَى نَظَائِرَهَا كَالْبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجاً بِأَمْوَاجٍ^(٢)
أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي ذَهَبٍ الْجَمْحَى :
وَلَيْلَةَ ذَاتِ أَجْرَاسٍ وَأَرْوَقَةٍ كَالْبَحْرِ يُتْبِعُ أَمْوَاجاً بِأَمْوَاجٍ^(٣)
وهذا إنما أراد قول امرئ القيس :
وَلَيْلَ كَمْوَجِ الْبَحْرِ [أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَى بَنَائِغِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِيَ]^(٤)

١٤- وقال البحتري :

مُحَرِّكُ رَأْسِهِ تَوَهَّمُهُ مِنْ عَطْسَةٍ قَائِماً عَلَى شَرَفٍ^(٥)
يشبه قول الآخر :
كَأَنَّ أَبَا السَّمِيِّ إِذَا تَغَنَّى يُحَاكِي عَاطِساً فِي عَيْنِ شَمْسٍ^(٦)

١٥- وقال البحتري :

سَقَمٌ دُونَ أَعْيُنٍ ذَاتِ سُقْمٍ وَعَذَابٌ دُونَ الثَّنَائِيَا الْعَذَابِ^(٧)

(١) في ك « وإصابة المني »

(٢) ديوانه ٣٨٧ وفي م « إلى متى » وهو تحريف

(٣) الأجراس : جمع جرس ، وهو الوقت ، يقال : مر جرس من الليل ، أي وقت وطائفة

منه . وفي م « أحراس » والأروقة : جمع رواق ، وهو ستر الظلام

(٤) زيادة من ط

(٥) ط « محركا » وديوانه ٦٤٣ ، ١٤١٤/٣ « قد قام من عطسة حل » .

(٦) ط « أبا الشمي » .

(٧) ديوانه ٥٦٣

أخذه من قول بشار :
ذات الثنايا العذاب من دونهن عذاب (١)
١٦ - وقال البحتري :

وكان في جنسي الذي في ناظر ذلك من السقم (٢)
أخذه من قوله منصور بن العرج :
حل في جنسي ما كان رقة بعينيك رقيقاً (٣)
١٧ - وقال البحتري :

تجد يزل الشجر يذبو يشمس (٤)
أخذه من قول الخليل :
قمرًا يخيل فمساً من رقيق خضرواني (٥)
١٨ - وقال البحتري :

كان سبلاً شخص ظمان جانح
مع الأفق في نهي أم الأرض يكرح (٦)

أخذه من قول [محمد بن يزيد] الحصني [السلمي] (٧) لوصف النجوم :

- (١) ط « عذاب »
- (٢) ديوانه ١٣ والوساطة ٢٢٢
- (٣) الوساطة ٢٢٢ وفي ك م « في جسدك » وهو تحريف
- (٤) ديوانه ١٤٥ « تجد شمس الضحى تدنو » وكذلك ديوانه طبع مطر ٢٧٨ / ٢
- (٥) ط « ظنر » الخسرواني
- (٦) ديوانه ٣٠٧ وفي م « في نهر »
- (٧) زيادة من ط قال المرزباني في معجم الشعراء ٤١٩ « أبو الأسبع » محمد بن يزيد بن مسلمة ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، يعرف بالحصني . كان يزل حصن مسلمة بديار مصر فنسب إليه . وهو شاعر محسن مكثر مدح المأمون وهبنا عبد الله بن طاهر « وترجم له ابن المعتز في طبقات الشعراء ٢٩٩ - ٣٠١ »

حَتَّى إِذَا مَا الْحُوتُ فِي حَوْضٍ مِنَ الدَّلْوِ كَرَعَ^(١)

١٩- وقال البحتري :

قَوْمٌ إِذَا شَهِدُوا الْكَرِيهَةَ صَبَرُوا كُتِمَ الرَّمَاخُ جَمَاعَتِ الْأَقْرَانِ^(٢)

أخذه من [قول] مسلم بن الوليد^(٣) :

يَكْسُو السُّيُوفُ رُؤُوسَ النَّاكِتِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامُ تَيْجَانِ الْقَنَا الذُّبُلِ^(٤)

وأخذه^(٥) مسلم من قول جرير :

كَانَ رُؤُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا

غَدَاةَ الْوَعَى تَيْجَانُ كَسْرَى وَفَيْصَرَا^(٦)

٢٠- وقال البحتري :

وَلَيْمَ لَا أَعَالِي بِالضِّيَاعِ وَقَدْ دَنَا عَلَى مَدَاهَا وَاسْتَقَامَ خِرَاجُهَا^(٧)

إِذَا كَانَ لِي تَرْيِيمُهَا وَاغْتِلَالُهَا وَكَانَ عَلَيْكُمْ عُشْرُهَا وَخِرَاجُهَا^(٨)

أظنه - والله أعلم - هذا على قول شبيب بن البرصاء :

تَرَى إِبِلَ الْجَارِ الْغَرِيبِ كَأَنَّمَا بِمَكَّةَ بَيْنَ الْأَخْشَبَيْنِ مَرَادُهَا^(٩)

يَكُونُ عَلَيْنَا نَقْصُهَا وَضَمَانُهَا وَلِلْجَارِ، إِنْ كَانَتْ تَرْيِيلُهَا، أَوْ هِيَ أَوْهَا^(١٠)

(١) الأنواء لابن قتيبة ٣٣

(٢) الكم : جمع كة وهي القلنسوة

(٣) م « مسلمة »

(٤) سبق ص ٨١ وفي م ، ك « نفوس الناكثين له »

(٥) ك و م « أو أخذه »

(٦) سبق ص ٨١

(٧) ديوانه ٢١٨

(٨) في الديوان « وكان عليك كل عام خراجها » وفي م « تربييمها » وتربييمها : أخذ ربيمها ، واغتلاها : استخرج غلتها

(٩) م « نوى إبل » والأخشبان : جبلا مكة ، كما في معجم ما استعجم ١٢٣/١ ومزادها :

مواطن ارتيادها

(١٠) ط « يكون عليه » وهو خطأ

٢١- وقال أبو صخر الهذلي :

[أَغْرُ أُسَيْدِي تَرَاهُ كَأَنَّهُ إِذَا جَدَّ يُعْطَى مَالُهُ وَهُوَ لَا عِبُ

أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ] ^(١) :

وَادِعٌ يَلْعَبُ بِالْدَّهْرِ إِذَا جَدَّ فِي أَكْرُمَةٍ قُلْتَ هَزَلٌ ^(٢)

٢٢- وقال عبد الصمد بن المعدل :

ظَنَيْتُ كَأَنَّ بِخَضِرِهِ مِنْ دِقَّةٍ ظَمًا وَجُوعًا ^(٣)

إِنِّي عَلِقْتُ لِشِقْوَتِي يَا قَوْمٍ مَمْنُوعًا مَمْنُوعًا ^(٤)

أَخَذَهُ الْبَحْتَرَى فَقَالَ :

مِنْ غَادَةٍ مُنَعْتُ وَتَمَنَعُ نَيْلُهَا فَلَوْ أَنَّهَا بُلِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْذُلِ ^(٥)

فزاد على عبد الصمد بقوله : « فلو انها بذلت لنا لم تبذل » .

٢٣- وقال البحتري :

سَلِّبُوا وَأَشْرَقَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحَرَّمَةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَلِّبُوا ^(٦)

(١) زيادة من ط

(٢) ديوانه ٣٣٣

(٣) البيتان له في الصناعتين ٢٣٤ والأول غير منسوب في ديوان المعاني ٢٥١/١ « من ضميره » وفي ط « من رقة »

(٤) م « ممنوعاً ممنوعاً » وط « ممنوعاً ممنوعاً » ورواية صدره في الصناعتين : « ومن البلية أني » (٥) ديوانه ٧٣٠ والصناعتين ٣٣٤ وفي إعجاز القرآن ٣٣٩ « فالبليت - على ما تكلف فيه من المطابقة وتجنس الصنعة - ألفاظه أوفر من معانيه ، وكلماته أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد وضع العبارات في مثله ، ولو قال : هي ممنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ، ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان »

(٦) ديوانه ٦٨٤ والوساطة ٢٥٢

وهذا مثل قول الجَنْتِف بن السُّجْف الضُّبِّي^(١) ويجوز أن يكون أخذه منه :
وَفَرَّقْتُ بَيْنَ ابْنَيْ هُتَيْمٍ بَطْنَةٍ لَهَا عَائِدٌ يَكْسُو السَّلِيبَ إِذَا رَا^(٢)
قوله : « لها عائد » يعنى الدم .

٢٤- وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي^(٣) :
وَأَمْنِي لَيْدَعُونِي لِأَنَّ اسْتَزِيدَهَا فَوَادِي ، فَأَخْشَى سُخْطَهَا وَأَهَابُهَا^(٤)
ونحوه قول البحتري ويجوز أن يكون منه أخذ^(٥) .
وَعَتَبْتُ مِنْ حُبَيْكِ حَتَّى لَأْنِي أَخْشَى مَلَامِكِ أَنْ أَبْثُكِ مَا بِي^(٦)
٢٥- وقال أبو نؤاس :

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ^(٧)

(١) قال الشيخ « محمد محي الدين عبد الحميد » : « لم يتم لنا مع كثير المراجعة تحقيق هذا الاسم » .

وقد ترجم له الأملى في المؤلف والمختلف ١٠٧ ، وقال : « وهو الذى قتل ابني هتيم العامريين : عامراً ، وطارقاً ، من بني عوف بن عمرو بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . عادى بينهما فقتلها ، وهزمت بنو عامر ، فقال الحنف في ذلك :

وفرت بين ابني هتيم بطعنة لها عائد يكسو السليب إذا رَا
وجدت بنفس لا يجاد بمثلها وقد كان نبح النابحات هرا رَا
حفاظاً وذبا عن حريمي ونصرة ولم أتحصل في المواطن حارا

(٢) ط « ابني هيم » . وفي الوساطة ٢٥٢ « ابني هتيم » وهو تحريف فيهما . ويؤكد صواب المخطوطة ورواية المؤلف والمختلف أن الفرزدق قال فيهما - كما في ديوانه ٨٥٨ - :

ونحن قتلنا ابني هتيم وأدركت بجيراً بنا ركض الذكور الصلادم

وفي النقائص ٣٨٨ : « ابني هتيم : هما من بني عمرو بن كلاب ، قتلها بنو ضبة يوم دارة مأسل ، وهو يوم أخذوا إبل النعمان » . وفي الوساطة « لها عائد » وهو تحريف .

(٣) ط « عبد الرحمن » وهو تحريف . ويؤيد ما في م في شرح الحماسة للتبريزي ١٠٨/١ ، ٣٤٤/٢ والمرزوق ١١٠/١ ، ٨٧٩/٢ ،

(٤) ط « وأخشي » .

(٥) ط « أخذه منه » .

(٦) ديوانه ٣٤١ .

(٧) ديوانه ٥٩ طبع الحلبي . وفي م و ط « منك ييكي » .

أخذه البحتري فقال :

فَكَمْ لَكَ فِي الْأَمْوَالِ مِنْ يَوْمٍ وَقَعَتْ
طَوِيلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ فِيهِ عَوِيلُهَا^(١)

٢٦- وقال جابر بن السليك الهمداني :

أَرَى بِهَا اللَّيْلَ قَدَائِي فَتَغْشِي بِي
إِذَا الْكَوَاكِبُ مِثْلُ الْأَخْيَرِ الْخُولِ^(٢)

أخذه البحتري فقال :

وَحَدَانُ الْقَلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا
بَلَنْ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَمْحَارِ^(٣)

٢٧- وقال عروة بن الورد :

مُطْلَأٌ عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ
فَإِنْ بَعُدُوا لَا يَأْمَنُونَ اقْتِرَابَهُ
بِسَاكِنِهِمْ زَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُسْتَهْزِ^(٤)
تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ^(٥)

(١) ديوانه ١٧٨٢/٣ م « من الأموال » وهو تحريف

(٢) ط « فيهشم » وهو تحريف . ومعنى فتغشم بي : أي تمضي سرعة لا تلبث على شيء

(٣) ديوانه ٤٤٥ ، ٩٨٧/٢ ، وميث الوليد ١٩٧

(٤) ديوانه ٧٨ ، ٨٠ وجمهرة أشعار العرب ١١٥ والشعر الشعراء ٦٥٨/٢ والأصمعيات ٣٩

شرح الحاشية للمرزوقي ٤٢٣/١ ، ٤٢٤ والتبريد ٣٩٥/١ والكاظمي ١١٦/١ وشرح الشواهد

الكبرى للمعنى بهامش الخزانة ٦٥٢/٣ والخلاصة ١٩٦/٤ واللسان ٧٥/٧ والمهر والقذاح

٦٤ . مطلا : أي مشرفا على أعدائه ، أي يفزوم أبدا فهو بطل عليهم ، يعني عاليا عليهم . يزجرونه

أي يصيحون به كما يزجر القذاح إذا ضرب به ، والمنيح ههنا : التلويح من القذاح وهو لا نصيب له ،

وإنما مجال لتكثير القذاح . وقبل البيت :

ولكن صلوكا صليحة وجهه كفضو شعاب القابس المنور

قال المرزوقي يقول : ولكن الفقير الرضى الوجه الذى يبدل جهده ويقتل نفسه في طلب غناه ويقتصر

سعيه على ما يبلغ عنده فيشرف على أعدائه غازيا ومفيرا وهم يزجرونه حالا بعد حال ، ويكره هو عليهم وقتا

بعد وقت كما يزجر هذا القذاح في خروجه ومع ذلك يرد

(٥) يقول : إن بعد أعدائه لم يهله بعدم أن يفزوم ولا يأمنون ذلك منه ، فهم ينتظرونه في كل

ساعة كما ينتظر أهل الغائب غائبهم متى يقدم ، فأعينهم إليه بتشوفونه

أَلَمْ بِهِ الْبَحْتَرَى فَقَالَ :

فَتَرَى الْأَعَادَى مَا لَهُمْ شُغْلٌ إِلَّا تَوَهُمَ مَوْقِعَ يَقَعَةٍ^(١)

٢٨- وقال البحتري :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَا فِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ^(٢)

ذكر « علي بن يحيى للنجم » أن البيت للمجثم^(٣) الراسبي ، وكان شاعراً اتصل بمحمد بن منصور بن زياد فكسب معه [ألف] ألف دينار^(٤) فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكي فأساء صحبته ، فهجاه ، فقال^(٥) :

شَتَانُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدٍ حَيٌّ أَمَاتَ وَمَيَّتُ أَخِيَانِي
فَصَحِيحَتُ حَيًّا فِي عَطَايَا مَيَّتٍ وَبَقِيَّتُ مُشْتَبِلًا عَلَى الْخُسْرَانِ

فهذا ما مرّ بي من سرقات^(٦) البحتري من أشعار الناس على تتبّع فخرّجتها .
ولعلّي لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات أبي تمام أو تزويد^(٧)
عليها ، وعلى أنّي قد بيضت في آخر الباب^(٨) ، فمهما مرّ بي [من] شيء
[منها] ألحقته به ، إن شاء الله تعالى .

(١) ديوانه ٢٣٧ ، ٢ / ١٢٥٠

(٢) ديوانه ٦٧٣ وفي ط « على إذا لم »

(٣) م « وأن البيت للمجثم »

(٤) ك ، ط « درهم »

(٥) م « وقال »

(٦) ط « سرقة »

(٧) م « أو زيد »

(٨) ط « انفي . . . الكتاب »

وهذا ما أخذه البحترى من معانى أبي تمام خاصة

مما نقلته من صحيح ما خرّجه أبو الضياء : بشر بن يحيى ^(١) الكاتب ؛
لأنه استقصى ذلك استقصاء بالغ فيه حتى تجاوزه ^(٢) إلى ما ليس بمسروق .
فكفانا مؤونة الطلب .

١- قال أبو تمام :
فَسَوَاءٌ لِجَابَتِي غَيْرَ دَاعٍ وَدُعَايَ بِالْقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبٍ ^(٣)
فقال البحترى :
وَسَأَلْتَ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ فَكُنْتُ فِي اسْتِخْبَارِهِ كَمُجِيبٍ مَنْ لَا يَسْأَلُ ^(٤)

٢- وقال أبو تمام :
فَكَادَ بَأَن يُرَى لِلْمَشْرِقِ شَرْقًا وَكَادَ بَأَن يُرَى لِلْمَغْرِبِ غَرْبًا ^(٥)
فقال البحترى :
فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ أَلْ أَقْصَى وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ ^(٦)

٣- وقال أبو تمام :
وَلِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتُ أَتَاحَ لَهَا لِمَانَ حُسُودٍ ^(٧)

(١) ط « بشر بن تميم »

(٢) ط « تجاوز »

(٣) ديوانه ٣٦ والموشح ٣٣١ وفي شرح التبريزي ١٢٦/١ « يقول : لست من يقف على الأطلال يخاطبها ويائها ويشركها في زعمه في لوجه ويستحملها على تقديره بعض جزئه ، فسواء عنى في الاستعالة أن أجيب من غير أن أدعى ، وأن أدعى لا يجب . » وفي م « ودعائي الفقر » وهو تحريف .

(٤) ديوانه ٢٥ ، ١٧٥٤/٣ والموشح ٣٣١ وفي ط « وسألت مالا . . . وكنت »

(٥) الموشح ٣٣٩

(٦) ديوانه ٦٠١ والموشح ٣٣٩

(٧) سبق ص ١٣٨

فقال البحرى :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدْلِكَ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ^(١)

٤- وقال أبو تمام :

فَإِنْ تَكُنْ وَعَكَّةُ قَاسِيَتْ سَوَرَتَهَا
إِنَّ الرِّيحَ إِذَا مَا أَغْصَفَتْ قَصَفَتْ
فَالْوَرْدُ حِلْفُ اللَّيْلِ الْغَابَةِ الْأَضْمِ^(٢)
عِيدَانِ نَجْدٍ وَلَمْ يَعْبَأَنَّ بِالرَّثَمِ^(٣)

فقال البحرى :

وَلَسْتُ تَرَى شَوْكَ الْقَتَادَةِ خَائِفًا
وَلَا الْكَلْبَ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ
رِيحَ السُّمُومِ الْآخِذَاتِ مِنَ الرَّنْدِ^(٤)
أَلَا إِنَّمَا الْحُمَى عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ^(٥)

٥- وقال أبو تمام :

رَأَيْتُ رَجَائِي فِيكَ وَحَدَّكَ هِمَّةً
وَلَكِنَّهُ فِي مَآئِرِ النَّاسِ مَطْمَعٌ^(٦)

فقال البحرى :

ثَنَى أَمَلِي فَاخْتَارَدُ عَنْ مَعَاشِرٍ
يَبْتَغُونَ وَالْأَمَالَ فِيهِمْ مَطَامِعُ^(٧)

(١) ديوانه ٥٤ والموشح ٣٣٩ وأخبار أبي تمام ٧٧ والمختار من شعر بشار ٧٠ وزهر الآداب ٢٠٢/١ وفى م، ك « ولن تستبىر »

(٢) ديوانه ٣١٥ وشرح التبريزي ٢٧٩/٣ « فإن يكن وصب عانيت سورتها » وفى ط « تكن وقعة » والورد : الحمى ، والأضم : الغضبان

(٣) فى شرح التبريزي : « يقال عصفت الريح وأعصفت ، بمعنى . والعيدان : جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة ، وربما استعمل ذلك فى السدر . والرثم : ضرب من الشجر »

وأخطأ الشيخ محي الدين فى قوله : « نجد : شجر » وهو فى هذا الخطأ تابع لمحي الدين الخياط الذى يقول فى تعليقه على الديوان : « النجد : شجر كالتيريم ! وفى م ، ك « ولم يعرضن للرثم »

(٤) ديوانه ٢١٤ « עוד القتادة » وفيه وفى ط « سموم الرياح »

(٥) هذا البيت مقدم على سابقه فى الديوان وروايته : « وما الكلب » والورد : الذى يشبه لونه لون الورد ، كما فى اللسان ٤/٧٠

(٦) ديوانه ١٩٢ وشرح التبريزي ٣٣٣/٢

(٧) ديوانه ٧٢ وفى م « والأمال فىك »

٦- وقال أبو تمام :

بِمُحَمَّدٍ وَمُسَوِّدٍ وَمُحَسَّدٍ وَمُكَفِّرٍ وَمُمدِّحٍ وَمُعَدِّلٍ^(١)

فقال البحتري :

ذَلِكَ الْمُسَوِّدُ وَالْمُمَجَّدُ لُ الْمُكَفِّرُ وَالْمُحَسَّدُ^(٢)

٧- وقال أبو تمام :

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الْأَرْضُ الْعَزَازَ رَكَايَتُهُ^(٣)

فقال البحتري :

أَدَارَ رَجَاهُ فَاعْتَدَى جَنْدَلُ الْفَلَا تُرَابًا ، وَقَدْ كَانَ التُّرَابُ جَنَادِلًا^(٤)

٨- وقال أبو تمام :

رَافِعٌ كَفَّهُ لِيَرَى فَمَا أَخَذَ سَبَّهُ جَاءَنِي لِغَيْرِ اللَّطَامِ^(٥)

فقال البحتري :

وَوَعْدٌ لَيْسَ يُعْرِفُ مِنْ عُبُوسٍ أَنْ قَبَاضِهِمْ أَوْعَدُ أَمْ وَعِيدُ^(٦)

(١) ديوانه ٢٣٦ وشرح التبريزي ٣ / ٤٤ وقيله :

حتى تقرر عيونا وقلوبنا بالمسجد المستقبل والمستقبل

وفي الديوان « محمد ومكند » وهو تحريف صوابه : « مكفر » كما في الشرح ، والمكفر : العظيم من قولهم : كفر الذي إذا وضع يديه على صدره وهو يريد التظلم للرئيس والخضوع له . كما قال الشاعر : فإذا سمعت بحرب قيس بعدها ففضموا السلاح وكفروا فكفروا

(٢) ديوانه ٥٨٣ والمزني والمبجل والمقول والمحد « وط » المحمد والمسد والمكرم

(٣) شرح التبريزي ٢٣٣/١ وفي الديوان ٤٥ « العراز » وهو تحريف : « العراز » والصلب

من الأرض

(٤) ديوانه ٧١١ وفي « أدار رواه »

(٥) في ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزي ٣ / ٢١٠ « رافعا » وفي الديوان « وط » « السبري » وشرحه

الشيخ محي الدين بالاختبار ، وهو خطأ

(٦) ديوانه ٤١٤

٩- وقال أبو تمام :

وَنَعْمَةُ مُعْتَفٍ جَدَّوَاهُ أَخَى عَلَى أُذُنَيْهِ مِنْ نَعَمِ السَّاعِ^(١)

فقال البحتري :

نَشْوَانٍ مِنْ طَرَبِ السُّوَالِ كَأَنَّمَا غَنَاهُ مَالِكُ طَبِيبٍ أَوْ مَعْبَدٍ^(٢)

١٠- وقال أبو تمام :

وَمُجَرَّبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَأْسِهِ فإِذَا لُقُوا فَكَأَنَّهُمْ أَغْمَارُ^(٣)

فقال البحتري :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامٌ غِرٌّ وَاعْتِزَامٌ مُجَرَّبٍ^(٤)

١١- وقال أبو تمام :

لَا الْمَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزْكُو فِي مَقَاوِمِهِ يَوْمًا ، وَلَا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ^(٥)

فقال البحتري :

إِنْ أَغْفَلُوا حُجَّةً لَمْ يُلَفَّ مُسْتَرْقًا لَهَا ، وَإِنْ وَجِعُوا فِي الْأَمْرِ لَمْ يَجِمَ^(٦)

١٢- وقال أبو تمام :

مَجْدٌ رَعَى تَلْعَاتِ الدَّهْرِ وَهُوَ فَتَى حَتَّى غَدَا الدَّهْرُ يَمْشِي مِشْيَةَ الْهَرَمِ^(٧)

(١) ديوانه ١٩٤ وشرح التبريزي ٣٣٩/٢ « معترف يربو » وقد وضع هذا البيت في م مكان بيت البحتري السابق

(٢) ديوانه ٦٩٠ والوساطة ٢٠١ وأخبار أبي تمام ٨١ « يطرب السؤل » وكذلك في ك

(٣) سبق ص ٧٨

(٤) ديوانه ٦٠٢ « إقدام ليث »

(٥) شرح التبريزي ٢٥٤/١ وفي الديوان « حجة الملهوب » وهي خطأ . وشرحها ناشره بقوله :

الملهوب : المتهمج ، ونقل هذا الشرح الشيخ محي الدين ! والمقاوم : جمع مقام

(٦) ديوانه ٦٥٤ وط « وإن يهوا في القول لم يهيم » ولم يهيم : لم يخطئ

(٧) ديوانه ٢٦٩ وشرح التبريزي ١٨٧/٣ وفي اللسان ٣٨٥/١٩ « والتلعة : أرض مرتفعة

غلظة يتروء فيها السيل ثم يدفع إلى تلعة أسفل منها . وهي مكربة من المنابت » وفي م « قلعات » وهو

تحريف

فقال البحتري :

صَحِبُوا الزَّمَانَ الْفَرْطَ ، إِلَّا أَنَّهُ هَرَمَ الزَّمَانُ وَعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمَ^(١)

١٣- وقال أبو تمام :

كَرِيمٌ مَتَى أَمَدَحَهُ أَمَدَحَهُ وَالْوَرَى مَعِيَ ، وَمَتَى مَا لُتُّهُ لُتُّهُ وَخَدِي^(٢)

فقال البحتري :

أَلْتَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَ مَا وَسَّعَ الْوَرَى وَمَنْ ذَا يَلْمُ الْغَيْثَ إِلَّا مُلَمَّمٌ^(٣)

١٤- وقال أبو تمام :

الْبَيْدُ وَالْعَيْسُ وَاللَّيْلُ التَّمَامُ مَعًا ثَلَاثَةٌ أَبَدًا يُعْرَنُ فِي قَهْوَنٍ^(٤)

فقال البحتري :

أَطْلُبَا ثَالِثًا يَسْوَى فَلَمْنِي رَابِعُ الْعَيْسِ وَاللَّجِي وَالْبَيْدِ^(٥)

١٥- وقال أبو تمام :

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ صَادِيًا إِذَا مَا سَاءَ الْيَوْمَ طَالَ أَنْهَارُهَا^(٦)

فقال البحتري [وقصر] :

وَأَعْلَمَ بَأَنَ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَانِهِ^(٧)

(١) ديوانه ١٢٥ ، ٤ / ٢٠٨٤ المعارف والفرط : المتقدم

(٢) ديوانه ١٢٩ وشرح التبريزي ١١٦ / ٢ وبمعاهد التنصيص ٣٧ / ١ وأخبار أبي تمام ٢٠٤

وجهة الأيام ١٥٥ وسر الفصاحة ٩٥ . وفي ط « وإذا ما لته »

(٣) ديوانه ٦٨ وفي ط « بعد أن »

(٤) سبق ص ٨٣

(٥) سبق ص ٨٤

(٦) ديوانه ٣٩٩ وشرح التبريزي المخطوط ٧٤٠ ولكن الشيخ محي الدين عددا غلطا وصورها

« بات » لتوافق رواية الديوان . وفي ط « إذا ما السماء »

(٧) ديوانه ٧٠٦

١٦- وقال أبو تمام :

نَسْكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُرُ عِرَاضَهَا فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقِي إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ^(١)

فقال البحرى :

لَوْ أَنَّ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَمَشَى إِلَيْكَ الْمُنْبِرُ^(٢)

١٧- وقال أبو تمام :

وَكَيْفَ اخْتِمَالِي لِلْسَحَابِ صَنِيعَةً بِإِسْقَانِهَا قَبْرًا وَفِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ^(٣)

فقال البحرى :

مَلَانُ مِنْ كَرَمٍ ؛ فَلَيْسَ يَضُرُّهُ مَرُّ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَهُوَ جَهَامُ^(٤)

١٨- وقال أبو تمام :

فَلْيَشْكُرُوا جَنَحَ الظَّلَامِ وَدَرُودًا فَهُمْ لِدَرُودَ وَالظَّلَامِ مَوَالِي^(٥)

فقال البحرى :

نَجَا وَهُوَ مَوَالِي الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ يُؤَلِّ الصَّنِيعَةَ يَشْكُرُ^(٦)

(١) ديوانه ٤١ وفي شرح التبريزي ٢١٢/١ « المراس : جمع عرصة وهي ساحة الدار ، واستعار لها المشاة التي هي البشر والأريحية . يقول : من شهوته لإعطاء المال وبذله تكاد عراض مغانيه تسير إلى من يسير إليها طالبا نيله »

(٢) ديوانه ١٨ ، ١٠٧٣/٢ و ط « ولو . . . غير ما »

(٣) سبق ص ٩٢

(٤) ديوانه ٤٨٩ ، ١٩٥٠/٣ والجهام : السحاب الذي فرغ ماله

(٥) شرح التبريزي ١٣٩/٣ وفي الديوان ٢٦٢ و ط « ودرودافهم الدروز » وفي م « واشكروا »

فهم له رود « وهو تخريف

(٦) ديوانه ٤٠٠ ، ٩٨٥/٢ « مضى وهو »

١٩- وقال أبو تمام :

أَنْتَ الْمُقِيمُ فَمَا تَغْدُ رَوَاحِلُهُ وَعَزْمُهُ أَبَدًا مِنْهُ عَلَى سَفَرٍ^(١)

فقال البحتري :

مُسَافِرٌ وَمَطَايَاهُ مُحَلَّلَةٌ غُرُوضُهَا وَمُقِيمٌ وَهُوَ مُزَنَجِلٌ^(٢)

٢٠- وقال أبو تمام :

وَتَشَرَّفُ الْعُلِيَا ، وَهَلْ بِكَ مَذْهَبٌ عَنْهَا وَأَنْتَ عَلَى الْمَكَارِمِ قِيمٌ^(٣)

فقال البحتري :

مُتَقَلِّقِلُ الْعَزَمَاتِ فِي طَلَبِ الْعُلَا حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْمَكَارِمِ قِيمًا^(٤)

٢١- وقال أبو تمام :

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ أَمْرِئٍ وَالذُّرَاهِمُ^(٥)

فقال البحتري :

لِيَفْزِرَ وَفَرُّكَ الْمُوقَى وَإِنْ أَاءَ وَزَا أَنْ يُجْمَعَ النَّدَى وَوُفُورُهُ^(٦)

(١) ديوانه ٤٠٠ وشرح التبريزي المخطوط ٧٤١ وفي ط « فاعملوا » وفي م « فاقهرى » . وعزمه .

على سهر « وفي ك » فاقهرى رواحله وطرفه . . على سهر «

(٢) ديوانه ٧١٨ ، ١٧٦٤/٣ والفروض : جمع غرض ، وهو حزام الرجل . وفي م

« مسافرون » . . عروضا « وهو تحريف

(٣) تشرف : أى تطلع لها . وضبط فى ط تبعا لضبط الديوان بضم التاء وكسر الراء ، وهو خطأ .

وفي م وك « على المال » .

(٤) ديوانه ٢٣٠ وفي م وك « مقلقل الأحشاء » . . على المال «

(٥) ديوانه ٢٨٦ وفي شرح التبريزي ١٧٨/٣ « أى كما لا يجتمع السير نحو الشرق والغرب فى

حالة واحدة من سائر واحد ، كذلك لا يجتمع الشرف والمال لرجل مع إمساكه المال ؛ لأن الحميد يكتسب بهذا المال وإتلاف الرغائب «

(٦) ديوانه ٥٠٧ ، ٩١٢ ٢/٢ المعارف « وفرك الملقى » وفي م « ليفز وفرك » . أن

تجمع « وهو تحريف

٢٢- وقال أبو تمام :

فَوَقَرْتُ يَا فُؤُخَ الْجَبَانَ عَلَى الرَّدَى وَزِدْتَ غَدَاةَ الرُّوعِ فِي نَجْدَةِ النَّجْدِ^(١)

فقال البحتري :

وَيَغْدُو وَنَجْدَتُهُ فِي الْوَعَى تُدْرِبُ نَجْدَاتِ فُرْسَانِهِ^(٢)

٢٣- وقال أبو تمام :

مَا زَالَ وَسْوَاسِي لِعَقْلِي خَادِعًا حَتَّى رَجَا مَطَرًا وَلَيْسَ سَحَابُ^(٣)

فقال البحتري :

وَعَجِيبٌ أَنَّ الْغُيُوثَ يُرْجَى مِنْ مَنْ لَا يَرَى مَكَانَ الْغُيُومِ^(٤)

٢٤- وقال أبو تمام :

بِكُلِّ صَغْبِ الذَّرَى مِنْ مُصْغَبٍ يَقْظِ أَقَامَ مُتَشِدًّا أَمْ سَارَ مُعْتَزِمًا^(٥)

فقال البحتري :

لَا يَبْرَحُ الْحَزْمُ يَسْتَوِي صَرِيْمَتُهُ أَقَامَ مُتَشِدًّا أَمْ سَارَ مُعْتَزِمًا^(٦)

٢٥- وقال أبو تمام :

لَرَدَدْتُ تُحَفَّتُهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَلَتْ عَنْ ذَاكَ وَاسْتَهْدَيْتُ بَعْضَ خِصَالِهِ^(٧)

(١) ديوانه ١٣٢ وفي شرح التبريزي ١٢٣/٢ « وقبرت : من القار ، يقال : هو مطمئن الهامة عند الفزع : إذا كان رابط الجأش » وفي م « وزدن غداة » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٥٧٣ وفي م « نجلان » وهو تحريف

(٣) ديوانه ٤٨٨ وشرح التبريزي المخطوط ٧٠١ وفي م « زجا » وهو تحريف

(٤) ديوانه ٤٧٠/١٩٣٧ وفي ط « أن الغيوم »

(٥) ديوانه ٣٠٢ وشرح التبريزي ١٦٩/٣ « إن حل متشدا أو » « من مصعب : أي من

بنى مصعب رهط إسحاق بن إبراهيم المدوح . والمعنى : من كل صعب الذي يقظ من بنى مصعب

يقول : أكثر القتلى بمحنة كل صعب جسور من بنى مصعب ، متيقظ في حالتي حلوله ومسيره »

(٦) ديوانه ٥٤٢ « عزيمته » وفي اللسان ٢٢٧/١٥ « والصريمة : المزيمة على الشو ، وقطع

الأمر » .

(٧) ديوانه ٢٣٩ وفي شرح التبريزي ٥٧/٣ وقيله :

لو كان يهدى لامرئى ما لا يرى يهدى لعظم فراقه وذيله -

وقال أبو تمام أيضاً^(١) :

وَأَنْفَعُ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيَمِكَ نَفْحَةٌ
فَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

لَا تَسَلُ رَبِّكَ الْكَثِيرَ وَسَلُهُ
خَصْلَةً تَسْتَفِيدُهَا مِنْ خِصَالِهِ^(٢)

٢٦- وقال أبو تمام :

غَرِيبَةٌ تُؤْنِسُ الْآدَابَ وَخَشْتُهَا
فَمَا تَحُلْ عَلَى قَوْمٍ فَتَرْتَحِلْ^(٣)

فَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

ضَوَارِبَ فِي الْأَفَاقِ لَيْسَ بِبَارِحٍ
بِهَا مِنْ مَحَلٍّ أَوْ طَنْتُهُ أَرْجَحَالُهَا^(٤)

٢٧- وقال أبو تمام :

كَأَنَّمَا خَامَرُهُ أَوْلَقُ
أَوْ غَازَلَتْ هَامَتُهُ الْخَنْدَرِيسُ^(٥)

فَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

وَتَخَالَ رَيْنَعَانَ الشَّبَابِ يَرُوعُهُ
مِنْ جِنَّةٍ أَوْ نَشْوَةٍ أَوْ أَفْكَلٍ^(٦)

= أي لو كان يهدى لأمري ما لا يتبها إهداؤه لعظم فراقه إذا زال عن صاحبه - لرددت نجفته وسألته أن يهدي لي بعض خصاله الحميدة ، ولكن لا سبيل إلى ذلك . وفي م « ازدادت لحفته . . . وإن غلت في السوم » . وفي ك : « وإن غلت في السوم »

(١) م « وقوله »

(٢) ديوانه ٤٠ وفي شرح التبريزي ١ / ١٤٤ - يقول : « غدا العبد إليك » ، وأعطى من أخلاقك

ما هو أحسن منه ، وإن كان للكريم إذا رُفد رفقاً لم يرتجمه »

(٣) ديوانه ٥٧٢ « الخطير وسله خصلة تستعيرها »

(٤) ديوانه ٢٢٩ يقصد بالغريبة : قصيدته

(٥) ديوانه ٢٢٤ ، ٣ / ١٦٩٤ ويريد بالضوارب : قضائده الغريبة . وفي ط « ليس

بنازح »

(٦) ديوانه ١٧٩ وشرح للتبريزي ٢ / ٢٨٠ . خامره : أي يحالط هذا الغريب الموصوف .

أولق : جنون ، وغازلت من مغازلة النساء ، ذكره مستشاراً . والخندريس : الخمر القديمة . وفي م و ك « أو خالطت »

(٧) ديوانه ٧٣٢ ، ٣ / ١٧٤٨ « وقطن » والأفكل : الرعدة كما في اللسان ١٤ / ٤٥

٢٨- وقال أبو تمام :

حَمْدٌ حُبِّتَ بِهِ وَأَجْرٌ حَلَّقَتْ مِنْ دُونِهِ عُنُقَاءُ لَيْلٍ مُغْرِبٌ^(١)

فقال البحتري :

فَأَنْتَ تُصِيبُ الْحَمْدَ حَيْثُ تَلَأُلَاتُ

كَوَأَكْبُهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تُصِيبِ الْأَجْرَ^(٢)

٢٩- وقال أبو تمام :

تُدْعَى عَطَايَاهُ وَفَرًّا وَهِيَ إِنْ شُهِرَتْ كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَغْفُوهُ مُؤْتِنِفًا^(٣)

فقال البحتري :

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعُلَى فِي سَنِيهِ الْمَوْهُوبِ^(٤)

٣٠- وقال أبو تمام :

وَتَلْبِسُ أَخْلَاقًا كِرَامًا كَانَهَا عَلَى الْعَرِضِ مِنْ قَرِطِ الْحَصَانَةِ أَذْرُعُ^(٥)

فقال البحتري :

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الدَّرُوعَ لِمَوْقِفٍ لَبَسُوا مِنَ الْأَخْسَابِ فِيهِ دُرُوعًا^(٦)

(١) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزي ١٣٤/١ يعنى غلاما كان وهبه له الحسن بن سهل . يقول كما قال الصولي : قد جلب إليك هذا الغلام حمداً وشكراً لما أهديته إلى ، ولكن ليس لك في إهدائه أجر ، لأنك أهديته لأسومه الحرام ، فكان أجره طارت به عنقاه مغرب . وفي م « مجد . . . به وآخر . . . » مغرب » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٥٥٩ وم « وأنت . . . المجد »

(٣) ديوانه ٢٠١ وشرح التبريزي ٣٦٥/٢ ومؤتلفا : أى مستقبلا ، ويعفوه : يسأله ، ووفراً : أى غنى ؛ لأن كل من أعطاه هذا فقد استغنى عن الناس كلهم ، وهو يعطى سرا وجهراً ، فعطاياه في السر إن شهرت كانت فخراً ومؤتلفاً وشرفاً مستطرفاً لائله ، لأنه شريف العطاء ، فن أعطاه أكسبه إعطائه فخراً وغنى

(٤) ديوانه ١٧٧ « في نيله الموهوب » والسيب والنيل : العطاء ، واجتداه : سأله . ٢٤٨/١

معارف

(٥) ديوانه ٣٧٣

(٦) ديوانه ٢٥٨ ، ١٢٥٥/٢ « لبستم الأعراض فيه دروعا » وفي م وك « لبستم

الأجساد » .

٣١- وقال أبو تمام :

لَمَّا أَظْلَلْتَنِي غَمَامُكَ أَصْبَحْتَ تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهِيَ شُهُودِي^(١)

فقال البحتري :

وَمُعْتَرِضِينَ إِنْ حَاوَلْتُ أَمْرًا بِهِمْ شَهِدُوا عَلَيَّ وَهُمْ شُهُودِي^(٢)

٣٢- وقال أبو تمام :

أَنْصَرْتُ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ حَتَّى صَارَ سَاقًا عُودِي وَكَانَ قَضِييَا^(٣)

فقال البحتري :

حَتَّى يَعُودَ الذَّنْبُ لَيْثًا ضَيْغَمًا وَالْغَضْنُ سَاقًا وَالْقَرَارَةُ نَيْقًا^(٤)

٣٣- وقال أبو تمام :

* فَمَا تَصْطَادُ غَيْرَ الصَّيْدِ^(٥) *

فقال البحتري :

* تصطاد الفوارس صيدها^(٦) *

(١) ديوانه ٨٤ وشرح التبريزي ٤٠١/١ : أصنيت إلى قبل وتحققت أرى فكف أعضائي فلك ممي

(٢) ديوانه ٢٨٤ : إن عظمت أمراً وفي ط « ومترضون »

(٣) ديوانه ٢٨ وفي شرح التبريزي ١٧٩ / ١ « أي جعلتها نصيرة ، والنضارة : الخضرة ، وأصل الأيكة الشجر الملتف » وفي ك « حتى عاد غصني ساقا »

(٤) ديوانه ٧٢٥ والصناعتين ٢٢٨ . والنبي : الجبل الطويل كما في اللسان ٢٤٢/١٢

(٥) بقية البيت كما في ديوانه ٨٢ وشرح التبريزي ٣٨٩/١ :

وحشية ترى القلوب إذا اغتلت وسني فا

قال المرزوقي : « وحشية : يجوز أن يكون أراد أنها في حسناتها كالوحشية ، ويجوز أن يكون أراد أنها تنفر عن الرب ، فكأنها وحشية . وقوله : فا تصطاد غير الصيد ، يجوز أن يكون عنى أنه لا يرومهم ولا يهجم بهم إلا الكبار من الرجال المتكبرين ، لعزتهم وجلالهم في النفوس ، ويجوز أن يكون أراد أنهم لا يتواضعن إلا لرى الرجال المعجبين بأنفسهم ظرفاً ومزة . قال الصولي : وسني : كأنها ناعسة من النعمة

(٦) تمتته كما في ديوانه ٤٦٥ :

عل أذن أخشى على دار أنها بني الروح يصطاد . . .

٣٤- وقال أبو تمام :

الآن حين غرستُ في تلك الرُبى تلك المُنَى وبُنيتُ فوقَ أساسٍ^(١)

فقال البحتري :

غفلُ الرجالِ بنوا على جدِّ الثرى لَمَّا بنوا ، وبُنيتُ فوقَ أساسٍ^(٢)

٣٥- وقال أبو تمام :

فَعَلَامَ الصُّدُودِ في غيرِ جُرمٍ والصُّدُودُ الفِرَاقُ قَبْلَ الفِرَاقِ^(٣)

فقال البحتري :

عَلَى أَنَّ هِجْرَانَ الْحَبِيبِ هُوَ النَّوَى لَدَى ، وَعِرْفَانَ الْمَشِيبِ هُوَ الْعَذْلُ^(٤)

٣٦- وقال أبو تمام :

وَقَتَّى إِذَا جَنَفَ الزَّمَانُ فَمَا يُرَى إِلَّا إِلَى عَزَمَاتِهِ يُتَظَلَّمُ^(٥)

فقال البحتري :

وَكَيْفَ أَنْصَفْتَنِي سُرَّ مَرَاءٍ لَمْ أَكُنْ إِلَى الْعِيسِ مِنْ إِيْطَانِهَا أَتَظَلَّمُ^(٦)

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزي ٢٥٢/٢ « فالآن . . . في كرم الثرى » وفي ط « في كرم النسي » .

(٢) في ديوانه ٣٨٦ :

فإذا بنى غفل الرجال بنى على جدد بنيت على ذرى وأساس

(٣) ديوانه ٤٥٣ وشرح التبريزي المخطوط ٦٨٤ .

(٤) الوساطة ٢٣٢ وفي ديوانه « النوى المشت وعرفان » .

(٥) ديوانه ٢٨٦ وشرح التبريزي ٢١٤/٣ « ظلم الزمان » وهما روايتان . وفي م و ك

« خيف »

(٦) ديوانه ٦٧ وفي ط « من قطنها » وإيْطَانُهَا : اتخذها وطنًا ،

وقال الشيخ محي الدين « العيس : جمع أعيس ، وهو الكريم من الإبل ، وأراد بها الرجال الكرام »

وقد أصاب ، في نقل معنى العيس ، وأخطأ في بيان المراد منها . ذلك أن البحتري لم يرد من العيس أى

شيء غيرها ؛ لأنه يقول : لو أنصفتني مدينة سرمن رأى لأقمت بها ولم أعود إلى العيس متظلماً من قوطنها

لتزِيل ظلامي بالارتحال عنها ، وبعد البيت :

لقد خاب فيها جاهد وهو ناطق وأعطى منها وادع وهو مفهم

٣٧- وقال أبو تمام :

مِنْ دَوْحَةِ الْكَلِمِ الَّذِي لَمْ يَنْفَكِكَ
وَقَفَا عَلَيْكَ رَصِيْنُهُ مَحْبُوسًا^(١)

فقال البحتري :

وَلَكَ السَّلَامَةُ وَالسَّلَامُ فَلِئَنِّي
غَادٍ وَمَنْ عَلَى غَلَاكَ حَمَائِمُ^(٢)

٣٨- وقال أبو تمام :

وَكَذَلِكَ لَمْ تُفْرِطْ كِتَابَةَ عَاطِلٍ
حَتَّى يُجَاوِزَهَا الزَّمَانُ بِخَطَالٍ^(٣)

فقال البحتري :

وَقَدْ زَادَهَا إِفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا
خَلَاتِنِ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيْبٍ^(٤)

٣٩- وقال أبو تمام :

وَمَا الْعُرْفُ بِالتَّسْوِيفِ إِلَّا كَخُلَّةٍ
نَسَلَيْتَ عَنْهَا حِينَ شَطَّ مَزَارُهَا^(٥)

فقال البحتري :

وَكُنْتُ وَقَدْ أَمَلْتُ مُرَّ الْحَاجَتِي
كَطَالِبٍ جَدَوَى خُلَّةٍ لَا تُوَاصِلُ^(٦)

٤٠- وقال أبو تمام :

آسَادُ مَوْتٍ مُخْدِرَاتُ مَالِهَا
إِلَّا الصَّوَارِمَ وَالْقَنَا آجَامُ^(٧)

(١) ديوانه ١٧٨ وشرح التبريزي ٢٧٣/٢ «الكلم الذي . . . رصينه»

(٢) ديوانه ٣٨١ وقبله :

هذه القصائد قد زفت صباحها تهدي إليك كأنهن عرائس

(٣) ديوانه ٢٦٠ وشرح التبريزي ١٣٢/٣ «بحال»

(٤) ديوانه ٧٥ والفسير في زاده يمد على أطلال المذكرة في البيت السابق ١٩٢/١

من لك .

(٥) ديوانه ٣٩٩ وشرح التبريزي المخطوط ٧٤٠ «وما للنفع» والخلة : الخلية ، وشط : يمد .

(٦) ديوانه ٦٦٢ ، ١٨٦٨/٣ في هجاء مر بن علي بن مر ، الطائي ، وفيه «مرأ لناثل» .

(٧) ديوانه ٢٨١ وشرح التبريزي ١٥٦ والمخدر : الذي اتخذ الأجمة خدرًا . وفي م و ك

« ما لها غير »

فقال البحتري :

حَشَدَتْ حَوْلَهَا سِبَاعَ الْمَوَالِي وَالْعَوَالِي غَابٌ لَتِلْكَ السِّبَاعِ^(١)

٤١- وقال أبو تمام :

وَلَاذَتْ بِحَقْوِيهِ الْخِلَافَةُ وَالتَّقَتْ عَلَى خِذْرِهَا أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ^(٢)

فقال البحتري :

لَاذَتْ بِحَقْوِيهِ الْخِلَافَةُ ؛ إِنَّهَا قَسَمٌ لِأَفْضَلِ هَاشِمٍ فَأَلْفَظِلِ^(٣)

٤٢- وقال أبو تمام :

قَدْ جَاءَنَا الرَّشَاءُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ خِرْفًا وَلَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا الْمَرْكَبُ^(٤)

فقال البحتري :

حَمَلْتُ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ فُتُوْةٍ هِيَ الشَّغْرُ خَلْفَ الْمَجْدِلِ تَفْضُلُ الشَّغْرِ^(٥)

٤٣- وقال أبو تمام :

وَقَدْ تَأَلَّفَ الْعَيْنُ الدُّجَى وَهُوَ قَيْدُهَا وَيُرْجَى شِفَاءُ السُّمِّ وَالسُّمُّ قَاتِلُ^(٦)

(١) ديوانه ١٣٢ ، ١٢٤٤/٢ والعوالى : الرماح

(٢) ديوانه ٢٣١ وشرح التبريزي ٢٦/٣ وفي م « فالتقت » وهو تحريف . والحقو : الخصر ومشد الإزار من الجنب . والعرب تقول : عذت بحقو : إذا استجرت به واعتصمت ليعتمك

(٣) ديوانه ١٦ « عاذت بحقوك » ، ٣ / ١٦٢٧ « بحقوك »

(٤) ديوانه ٤٠ وفي شرح التبريزي ١٤٢/١ « يعنى الغلام الذى أهداه إليه الحسن بن وهب . والخرق : الذى قد دهش وتحير كأنه رشاء ، وهو مع ذلك يصلح للتمتع . وأصل الخرق الضعف فى القوائم من النعمة »

(٥) ديوانه ٥٥٩

(٦) ديوانه ٢٥٩ وفي شرح التبريزي ١٢٨/٣ « قال المرزوق : المرذول من الأمور والمعضول من الأسباب قد يعلق الرجاء بهما إذ مست الحاجة إليهما ودعت الضرورة نحوهما ، كما أن العين الرميدة تستنفع بالظلمة وإن كانت قيداً لشعاعها ، والسم كلحوم الحيات وما أشبهها يتداوى به وإن كان قاتلاً فى نفسه »

الموازنة : أول

فقال البحتري :

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يُسْتَحْسَنُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ^(١)

٤٤- وقال أبو تمام :

أَوْرَقْتَ لِي وَعَدًّا وَفَقْتُ بِنُجْجِهِ بِالْأَمْسِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُثْمِرِ^(٢)

فقال البحتري [وقصر] :

وَالْوَعْدُ كَالْوَرَقِ الْجَنِيِّ تَأَوَّدَتْ مِنْهُ الْغُصُونُ وَنُجْجُهُ أَنْ يُثْمِرَا^(٣)

٤٥- وقال أبو تمام :

إِنَّ الْهِلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُمُوَّهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا

فقال البحتري :

مِثْلُ الْهِلَالِ بَدَأَ فَلَمْ يَبْرَحْ بِهِ صَوْنُ اللَّيَالِي فِيهِ حَتَّى أَقْمَرَا^(٤)

٤٦- وقال أبو تمام :

نَزَرِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدْبِهِ^(٥)

فقال البحتري :

نَغْدُو فِيمَا اسْتَمَحْنَا مِنْ مَوَاهِبِهِ فَضْلًا وَإِمَّا اسْتَفَدْنَا مِنْهُ آدَابَا^(٦)

(١) ديوانه ٣٠٠ ، ٣ / ١٨٢٢

(٢) م « لنا وعداً »

(٣) في ديوانه ٣٧٧ « كالورق النضير . . . ونجحها » ولم يرو هذا البيت في م و ك وورد بدله :

أفديك مورك موعد لم ينفق من قول باع إنه لم يثمر

وليس له ، وإنما هو لأبي تمام ، كما في ديوانه ٣٩٧ وشرح التبريزي المخطوط ٧٤٧

(٤) ديوانه ٣٧٨ ، ٢ / ٩٧٩ .

(٥) ديوانه ٥٢ وشرح التبريزي ٢٧٦ / ١ . ترى : أي العيس . وفي م « بنا أشباحنا » وفي أخبار أبي تمام ١٧٧ « تحمل أشباحنا »

(٦) م « استجنا » . . وفيها وفي ك : « وإما استمرنا »

٤٧- وقال أبو تمام :

وَمَا خَيْرُ بَرْقٍ لَّاحَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ وَوَادٍ غَدَاً مَلَانَ قَبْلَ أَوَانِهِ^(١)

فقال البحتري :

وَاعْلَمْ بِإِنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَانِهِ^(٢)

٤٨- وقال أبو تمام :

لَا يَكْرُمُ النَّائِلُ الْمُعْطَى وَإِنْ أُخِذَتْ
مِنْهُ الرِّغَائِبُ حَتَّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ^(٣)

فقال البحتري :

عَلَّمْتَنِي الطَّلَبَ الشَّرِيفَ وَرُبَّمَا كُنْتُ الْوَضِيعَ مِنْ اتِّضَاعِ مَطَالِبِي^(٤)

٤٩- وقال أبو تمام :

أَرَمَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ نَفْسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفًا^(٥)

فقال، البحتري :

رَاحِبَ رِيبِ الرِّيحِ مَرِيضَةً وَأَصَابَ مَغْذَاكَ الْغَمَامُ الصَّيْبُ^(٦)

(١) ديوانه ٣٢٠ وشرح التبريزي ٢٩٦/٣

(٢) ديوانه ٧٠٦ وسبق ص ٣٢٨

(٣) ديوانه ٤٨ وشرح التبريزي ٢٥٠/١ « لن يكرم الظفر . . . به الرغائب » وفي ط « السائل المعطى » قال المرزوقي : « إنما العرف يكرم والنوال يشرف ، متى صين طلب العاق الزائر من المطل ، ولم يهن ولم يتبدل بالتسويق والدفاع »

(٤) ديوانه ٦٩٨ وفي ط « وإنما كنت » ١٠ / ١٦٢ معارف

(٥) سبق ص ١٠٧ ، ١٦١

(٦) سبق ص ١٦٢ وفي ط « ضميقة » (٦٨٢)

٥٠- وقال أبو تمام :

الْوُدُّ لِلْقُرْبَى وَلَكِنْ رَفْدُهُ لِلْأَبْعَدِ الْأَوْطَانِ دُونَ الْأَقْرَبِ (١)

فقال البحتري :

بَلْ كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنْ سَبَبِهِ سَبَبًا مَنْ كَانَ أَبْعَدَهُمْ مِنْ جِذْمِهِ رَحِمًا (٢)

٥١- وقال أبو تمام :

شَرَحُّ مِنَ الشَّرَفِ الْمُئِيفُ يَهْزُهُ هَزُّ الصَّفِيحَةِ شَرَحُّ عُمَرِ مُقْبِلِ (٣)

فقال البحتري :

أَدْرَكْتَ مَا فَاتَ الْكُهُولَ مِنَ الْحِجَى

فِي عُنُقِ الْوَانِ شَبَابِكَ الْمُسْتَقْبَلِ (٤)

٥٢- وقال أبو تمام :

بَعَثَنَ الْهَوَى فِي قَلْبِي مَنْ لَيْسَ هَائِمًا

فَقُلْ فِي قُودٍ رُغْنَهُ وَهُوَ هَائِمٌ (٥)

(١) سبق ص ١٧٥

(٢) سبق ص ١٨٨ وفي م « من حزمه » وهو تحريف

(٣) شرح التبريزي ٥٠/٣

وقد ظن الشيخ محي الدين أن قوله : « شرح عمر مقبل » خطأ فغيره إلى « عمر مقبل » ليوافق ما في الديوان ص ٢٣٧ وقال في شرحه نقلا عن هامش الديوان أيضا : « الشرح : العرق . والمنيف : العالي ، والصفيحة : السيف العريض . والشرح الثاني : أول الشباب ، والنمر : الكريم ، والمقبل : الذي نبت شعر وجهه » .

ورواية الديوان محرفة . والمراد بالشرح الأول : الأصل . والممدوح بالبيت أبو الوليد بن أحمد بن أبي دؤاد الإيادي .

(٤) ديوانه ٦٨٢ ولم يرد هذا البيت في م و ل و ورد بدله فيهما :

فاسلم لشرح مكسار مستقبل أنف وبرد شبية مستقبل

والبيت ليس للبحتري ولكنه لأبي تمام في ديوانه بعد بيته السابق ، وروايته فيه : « فاسلم لجة سؤدد . . »

(٥) ديوانه ٢٨٥ وشرح التبريزي ١٧٧/٣ بعث : أي الحماض المذكورة في البيت قبله .

فقال البحتري :

فَبَعَثَنَ وَجْدًا لِلْخَلِيٍّ وَرَدَّنَ فِي بُرْحَاءَ وَجَدِ الْهَائِمِ الْمُسْتَهْتَرِ^(١)

٥٣- وقال أبو تمام :

غُرَّةٌ بِهَيْمَةٍ أَلَا إِنَّمَا كُنْتُ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِيْمًا^(٢)

فقال البحتري :

عَجِبْتُ لِتَقْوِيْفِ الْقَذَالِ وَإِنَّمَا تَقْوِيْفُهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ مُقَوِّفٍ^(٣)

٥٤- وقال أبو تمام :

وَمَا زَالَتْ تُجِدُّ أَسَى وَشَوْقًا لَهُ وَعَلَيْهِ إِخْلَاقُ الرُّسُومِ

فقال البحتري :

فَهَيَّجَ وَجْدِي رَبْعَهَا وَهُوَ سَاكِنٌ وَجَدَّ شَوْقِي رَسْمَهَا وَهُوَ مُخْلِقٌ^(٤)

٥٥- وقال أبو تمام :

تَرَاهُ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ الْمَعَالِي فَتَحَسِبُهُ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ^(٥)

فقال البحتري :

حَامِي عَنِ الْمَكْرُمَاتِ مُجْتَهِدًا ذَبَّ الْمُحَامِي عَنْ مَالِهِ وَدَمِهِ^(٦)

(١) ديوانه ٣١ « وجد العاشق »

(٢) ديوانه ٢٩١ وشرح التبريزي ٢٢٣/٣ ، « والبهمة : من قولك : فرس بهيم ، وهو الذي لا يخالط لونه غيره ، كأنه أبهم عن الشيات أي أغلق دونها من أبهت الباب إذ أغلقته . وجاز أن يجعل نفسه بهيما لأنه أراد الشعر وأنه أيام كان أسود لم تكن له غرة ، أي شيب . وفي ك : « غرة سرة » .

(٣) ديوانه ١٤١٦/٣ والشهاب ٧ في الصحاح ١٤١٢/٤ « ويرد مقوف : أي فيه خطوط بيض . وفي م « وإنما تقويفه . . . مقوف » ! والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان .

(٤) ديوانه ٥١٨ « فحرك بثي . . . وجد وجدلي »

(٥) ديوانه ٢٨٨ وشرح التبريزي ١٦١/٣ .

(٦) ديوانه ١٩٥ « جهد المحامي » . ٤٠٦٤/٤ .

٥٦- وقال أبو تمام :

تَنْصَلَّ رَبِّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ سِوَى النَّصِيحَةِ وَالْوَدَادِ^(١)

فقال البحتري :

أَفِرُّ بِمَا لَمْ أَجْنِهِ مُتَنَصِّلاً إِلَيْكَ ، عَلَى أَنِّي إِخَالُكَ أَلَوْماً^(٢)

٥٧- وقال أبو تمام :

وَتَدُّ عِنْدَهُمُ الْعُلَى إِلَّا عَلَى جُعِلَتْ لَهَا مَرُّ الْقَصِيدِ قُبُوداً^(٣)

فقال البحتري :

وَالْمَجْدُ قَدْ يَأْبِقُ عَنْ أَهْلِهِ لَوْلَا غُرَى الشَّعْرِ الَّذِي قَيْدُهُ^(٤)

٥٨- وقال أبو تمام :

شَكَّ حَشَاها بِخُطْبَةٍ عَنِّي كَأَنَّهَا مِنْهُ طَعْنَةٌ خَلُسَ^(٥)

فقال البحتري :

فَرَجَّتْ جَوْنَتَهَا بِخُطْبَةٍ فَيَصِلُ مِثْلُهَا فِي الرَّوْعِ طَعْنَةٌ فَيَصِلُ^(٦)

(١) ديوانه ٨١ وشرح التبريزي ٣٨٦/١ . ربحا : أي صاحب القصائد المنزعة عن السرق المكرومة عن المعنى المعاد ، كما قال في البيت الذي قبله

(٢) ديوانه ٩٥

(٣) ديوانه ٩٠ وشرح التبريزي ٤٢٦/١ . تند : أي تشرد وتذهب ماضية على وجهها . عنلهم : عند العرب الأول . والمرر بكسر الميم - جمع مرة ، وأصلها الحبل الذي أجيد قتله . يقول : إن المكارم إذا لم تقيد بالشمر تتفرق وتتبدد . وفي م و ك « مرر القريض » .

(٤) ديوانه ٣١٥ .

(٥) ديوانه ١٦٨ وشرح التبريزي ٢٣١/٢ والضمير في « حشاها » يعود على حومة الخطاب التي قد فرجها الحسن بن وهب ببلاغته وبيانه ، كما قال أبو تمام في بيته السابق . والعن : المعارضة ، من قولهم : عن الشيء ، يعني ، إذا بدا لك ، وخلص أي مختلصة سريعة .

(٦) م « فرجت حوضها » . ولم يرد البيت في ديوان البحتري .

٥٩- وقال أبو تمام :

جَمُّ التَّوَّاضِعِ وَالْدُّنْيَا يَسُودُهُ
تَكَادُ تَهْتَزُّ مِنْ أَقْطَارِهَا صَلَفًا^(١)

فقال البحتري :

أَبْدَى التَّوَّاضِعِ لِمَا نَالَهَا رِعَةً
عَنْهَا وَنَالَتُهُ فَاخْتَالَتَ بِهِ نِيهَا^(٢)

٦٠- وقال أبو تمام :

إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعَ غُلَّةٍ
تَيَقَّنَ أَنَّ الْمَنَّ أَيْضًا جَوَامِعُ^(٣)

فقال البحتري :

وَفِي عَقْوِهِ لَوْ تَعَلَّمُونَ عُقُوبَةً
تُقَعِّقُ فِي الْأَعْرَاضِ إِنْ لَمْ يُعَاقِبِ^(٤)

٦١- وقال أبو تمام :

قَصْرُ بَيْدَلِكَ عُمَرَ مَطْلِكَ تَحْوِيلِ
حَمْدًا يُعَمِّرُ عُمَرَ سَبْعَةَ أَنْسُرٍ^(٥)

(١) شرح التبريزي ٣٦٤/٢ وديوانه ٢٠١ « لسؤده » وفي م « بادي التواضع » والصلف :
التيه . أى هو كثير التواضع والدنيا تتكبر بمكانه

(٢) ديوانه ٢٨ « نالها دعة » وهو تحريف وفي ط « فنالت » والرعة : الورع

(٣) ديوانه ٤٨٠ يفخر بقوته . عنه أى عن الأسير الذى إذا أسروه لم يأسر البغى عظيم عنه ،
كما قال فى البيت قبله . وفى ط « أطلقوه عن » وفى م « غلة » وهو تحريف . والجوامع : جمع جامعة ،
وهى الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه

وقد أخطأ الشيخ محيى الدين إذ فسرها بقوله : « وهى ضرب من الحللى يجمع اليدين إلى العنق » !!!
والغل : القيد

قال التبريزي فى شرحه المخطوط ٧٨١ « يقول : إذا منوا على الأسير فأطلقوه تيقن أنه من الصنمية
فى جوامع تمنه من أن يجارهم أو يمرض لهم بما يكرهون . وكأنه من قول الخاريجي : غل يدا مطلقها
واسترق ربة ممتقها »

(٤) ديوانه ٧٢١ وفى ط « يعلمون » وفى م « فى الأعواذ وإن لم تعاقب » . ٨٢/١ معارف

(٥) ديوانه ٣٩٧ وشرح التبريزي المخطوط ٧٣٧ وفى ط « وعدك تحويل شكرًا » وفى م « وعدى
تحتوى » . وفى ك « شكرًا يعمر »

فقال البحتري :

وَجَعَلْتَ فِعْلَكَ تَلَوْ وَعَدِكَ قَاصِرًا عُمَرَ الْعَدُوِّ بِهِ وَعُمَرَ الْمَوْعِدِ^(١)

٦٢- وقال أبو تمام :

دَعَا شَوْقُهُ يَا نَاصِرَ الشَّوْقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طُلَّ الدَّمْعِ يَجْرِي وَوَابِلُهُ^(٢)

فقال البحتري :

نَصَرْتُ لَهَا الشَّوْقَ اللَّجُوجَ بِعَبْرَةٍ تَلَاخَقُ فِي أَعْقَابِ وَضَلٍ تَصَرَّمًا^(٣)

٦٣- وقال أبو تمام :

مِنْ لَيْلَةٍ فِي وَبِلِهَا لَيْلَاءٌ فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاءً^(٤)

فقال البحتري :

أَشْرَقَنَ حَتَّى كَادَ يُقْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطْبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرِي الْجَنْدَلُ^(٥)

٦٤- وقال أبو تمام :

بِرٌّ بَدَأَتْ بِهِ وَدَارٌ بِأَبِهَا لِلْخَلْقِ مَفْتُوحٌ وَوَجْهٌ مُقْفَلُ^(٦)

فقال البحتري :

إِلَامٌ بِأَبْلِكِ مَعْقُودٌ عَلَى خُلُقِي وَرَأَاهُ مِثْلُ مَدِّ النَّيْلِ مَحْلُولِ^(٧)

* * *

فهذا ما أخذ البحتري من أبي تمام .

(١) ديوانه ٤٦١ « تلو قولك » وفي ط « نيلك تلو »

(٢) سبق ص ٢٢١

(٣) ديوانه ٣٥٥ « بأدمع تلاحقن » وفي م « قصرت له » وفي ط « توأصل في أعقاب »

(٤) ديوانه ٤١٣ وشرح التبريزي المخطوط ٧٥٣ والأول فيهما مؤخر عن الثاني

(٥) ديوانه ٢٦ طبع بيروت وأشرقن : أى أيام المتوكل

(٦) ديوانه ٢٤٠ وشرح التبريزي ٥٨/٣ وفي م « بدان »

(٧) ديوانه ٢٧٦ « معقوداً . . . مثل ماء المزن »

ولعل قائلًا يقول : [إني] قد تجاوزت في هذا الباب ، وقصّرت ، ولم أستقص^(١) جميع ، ما خرّجه «أبو الضياء : بشر بن يحيى»^(٢) من المسروق . وليس الأمر كذلك ، بل قد استوفيتُ جميعه [فأوضحت]^(٣) ، وتسامحت بأن ذكرتُ ما لعلّه لا يكون مسروقاً ، وإن اتفق المعنيان أو تقارباً . غير أنّي أطرحت سائر ما ذكر «أبو الضياء» بعد ذلك لأنه لم يقنع بالمسروق الذي يشهد التأمّل الصحيح بصحّته^(٤) حتى تعدّى ذلك إلى التكثير ، وإلى أن أدخل في الباب ما ليس منه ، بعد أن قدّم مقدمة افتتح بها كلامه ، فقال : ”ينبغي لمن نظر في هذا الكتاب أن لا يعجل بأن يقول : (٥) هذا مأخوذ من هذا ، حتى يتأمّل المعنى دون اللفظ ، ويعمل الفكر فيما خفي . وإنما المسروق^(٦) في الشعر ما نُقل معناه دون لفظه ، وأبعد آخذه في أخذه“ .

قال : ”ومن الناس من يبعد ذهنه إلا عن مثل^(٧) امرئ القيس وطرفة حين لم يختلفا إلا في القافية ، فقال أحدهما : «وتجمل»^(٨) ، وقال الآخر : «وتجلّد» .

قال : ”ففي الناس طبقة أخرى يحتاجون إلى دليل من اللفظ مع المعنى^(٩) ، وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة [اللفظ]^(١٠) الظاهر ، وهم قليل“ .

(١) ط « ولم تستقص »

(٢) ط « بشر بن تميم »

(٣) من ط وفيها « وساحت »

(٤) م و ك « لصحته . . . ذاك إلى »

(٥) ط و ك « ما هذا »

(٦) ط و ك « السرّ »

(٧) ط « بيت » وفي ك « بيتي »

(٨) م « وتجمل » .

(٩) م « مع النفي »

(١٠) الزيادة من م

فجعل هذه المقدمة ^(١) توطئة لما اعتمده من الإطالة والحشر ^(٢) ، وأن يُقبَّلَ منه كلُّ ما يورده ، ولم يستعمل - مما وصَّى به من التأمل وإعمال الفكر - شيئاً ، ولو فعل ذلك لرجوتُ ^(٣) أن يُوَفَّقَ لطريق الصواب ، فيعلم أن السرقة ^(٤) إنما هي في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر ، لا في المعاني المشتركة بين الناس التي هي جارية في عاداتهم ، ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال : [إنه] أخذه من غيره .

غير أن «أبا الضياء» امتكث من هذا الباب ، وخلط به ما ليس من السرِّق في شيء ، ولا بين المعنيين ^(٥) تناسب ولا تقارب ، وأتى بضرب آخر ادعى أيضاً فيه السرِّق والمعاني مختلفة ؛ وليس فيه إلا اتِّغافُ ألفاظ ^(٦) ليس مثلها مما يحتاج واحد أن يأخذه من آخر ؛ إذ كانت الألفاظ مباحة غير محظورة ، فبلغ غرضه في توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب .

وأنا أذكر [في كل باب] من هذه الأبواب أمثلة يستدل بها ^(٧) على صحة ما ذكرناه ^(٨) ، ونجعلها قياساً على ما لم نذكره ؛ فإن في البعض غنى عن الإطالة بذكر الكل .

١ - فمما أورده «أبو الضياء» من المعاني المستعملة الجارية مجرى ^(٩)

(١) ط «المقدمة»

(٢) ط «والحشد» وفي ك «الحشو»

(٣) م و ك «لمحوزت وأن» وهو تحريف

(٤) ط و ك «السرقة إنما هو»

(٥) م «بين التقيضين»

(٦) م و ك «الألفاظ . . ما احتاج»

(٧) ط «تدل على . . ما ذكرناه ونجعلها»

(٨) في ك «ما ذكرته . . ما لم أذكر»

(٩) ط «مجرى»

الأمثال ، وَذَكَرَ أَنَّ الْبَحْتَرِيَّ ، أَخَذَهُ مِنْ أَبِي تَمَامٍ - قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

جَرَى الْجُودُ مَجْرَى النَّوْمِ مِنْهُ ؛ فَلَمْ يَكُنْ

بِغَيْرِ سَمَاحٍ أَوْ طِعَانٍ بِحَالِمٍ^(١)

وقول البحتري :

وَيَبِيتُ يَحْلُمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى حَتَّى يَكُونَ الْمَجْدُ جُلًّا مَنَامِهِ^(٢)

وهذا المعنى^(٣) موجود في عادات الناس ، ومعروف في [معاني]^(٤) كلامهم ، وجارٍ^(٥) كالمثل على ألسنتهم ، بَأَنَّ يَقُولُوا لِمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَوْ اسْتَكْثَرَ مِنْهُ : فلان لا يَحْلُمُ إِلَّا بالطعام ، وفلان لا يحلم إلا بفلانة من شدة وجده بها ، وهذا الزنجي ما حُلِمَ إِلَّا بالتمر ، ولا يقال لما^(٦) كانت هذه سبيله : سَرَقَ ، وإنما يقال له : اتفاق ، فإن كان واحد سمع هذا المعنى أو مثله من آخر واحتذاه^(٧) فإنما ذكر معنى قد عرفه واستعمله ، لا أَنَّهُ أَخَذَهُ أَخَذَ سَرَقَ^(٨)

٢- وأنشد لأبي تمام :

إِذَا الْقَصَائِدُ كَانَتْ مِنْ مَدَائِحِهِمْ يَوْمًا فَانْتَ لَعَمْرِي مِنْ مَدَائِحِهَا^(٩)

وذكر أَنَّ الْبَحْتَرِيَّ أَخَذَهُ فَقَالَ :

(١) ديوانه ٣٨٥ « جرى المجد » وشرح التبريزي المخطوط ٦٥٥ وفيها « بغير طعان أو سماح » .

وفى ك « مجرى الروح »

(٢) ديوانه ٤٣٢

(٣) ط « وهذا الكلام . . . ومعروف في معاني »

(٤) الزيادة من ك

(٥) م « وحاز »

(٦) ط « لمن »

(٧) ك و م « فاحتذاه فإنما ذكره بمعنى »

(٨) ط « سرقة »

(٩) ديوانه ٧٤ وشرح التبريزي ٣٥٧/١ وفى م و ك « في مدائحهم » يقول : كما يفتخر هؤلاء

بالقصائد تفتخر بك القصائد .

وَمَنْ يَكُنْ فَاخِرًا بِالشُّعْرِ يُذَكَّرُ فِي أَضْعَافِهِ فَبِكَ الْأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ^(١)
وهذا غلط. على البحترى ؛ لأن الناس لا يزالون يقولون : فلان يزِينُ
الشباب ولا تزينه ، ويجمّلُ الولاية ولا تجملهُ ، وفلانة تزيدُ في حسن الحلّى
ولا يزيد في حسنّها ، وفلان تفخر^(٢) به الأنسابُ ولا يفخر بها . وهذا ليس
من المعاني التي يجوز أن يدعى أحد من الناس أنه ابتدعها واخترعها أو سبق
إليها ، ولا يجوز أن يكون مثل هذا - إذا اتفق فيه خطيبان ، أو شاعران -
أن يقال : [إن] ^(٣) أحدهما أخذ من الآخر .

٣- وأنشد لأبي تمام :

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلُهَا فَكَانَ هَا وَكَانَ هُنَّ أَحْلَامُ^(٤)
وذكر أن البحترى أخذه فقال :

وَأَيَّامُنَا فَبِكَ اللّوَاتِي تَصَرَّمَتْ مَعَ الوَصْلِ أَضْعَافُ وَأَحْلَامُ نَائِمٍ^(٥)
وكانه ما سمع الناس يقولون : ما كان الشباب إلا حلماء ، وما كانت
أيامنا^(٦) إلا نومة نائم ، وما أشبه ذلك من اللفظ ، فكيف يجوز أن يكون
ذلك^(٧) مسروقاً ؟

٤- وذكر أن من ذلك قول أبي تمام :

« قَدْ يُقَدِّمُ الْغَيْرُ مِنْ دُعْرِ عَلَى الْأَسَدِ^(٨) »

(١) ديوانه ٦٥٧ ، ٩٥٨/٢ المعارف « بالشعر يمدح » وفي م « فالشعر يذكر وأصنافه قبل »
وهو تحريف

(٢) ط « تفتخر »

(٣) زيادة من ط

(٤) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزي ١٥٢/٣

(٥) ديوانه ٤٤٧ « الوصل أم أضغاث أحلام » وفي م و ك « وأيامنا فيها »

(٦) ط « أيامه » (٧) في ك « مثل ذلك »

(٨) صدره : « أطلت روعك حتى صرت لي غرضاً » كما في ديوانه ٤٩٥ وشرح التبريزي

المخطوط . ٧١٢

وقول البحتري :

فَجَاءَ مَجِيءَ الْعَيْرِ قَادَتُهُ حَيْرَةٌ إِلَى أَهْرِتِ الشُّدْقَيْنِ تَذْمِي أَظَافِرُهُ^(١)
أَوْ لَمْ يَسْمَعْ مَا^(٢) هُوَ كَالْمَجْمَعِ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ الْعَيْرَ إِذَا رَأَى السَّبْعَ أَقْبَلَ إِلَيْهِ
مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْهُ ، حَتَّى صَارَ مِثْلًا يُتَمَثَّلُ بِهِ ، كَمَا يُتَمَثَّلُ بِالْفَرَّاشَةِ إِذَا
تَهَاوَنَتْ فِي النَّارِ ، وَفِي ذَلِكَ أَشْعَارُ وَأَمْثَالُ كَثِيرَةٌ ، مَا أَذِنَ عَلَمُهَا سَقَطَ عَنْ
الْبَحْتَرِيِّ .

٥- ومن ذلك قول أبي تمام :

هَيْهَاتَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ ذَوَى بِالصِّينِ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصِّينُ^(٣)
وقول البحتري :

يُضْحِي مُطِلًّا عَلَى الْأَعْدَاءِ لَوْ : « وَقَفُوا »

بِالصِّينِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصِّينَا^(٤)

وهذا جارٍ على أفواه العامة والخاصة والنساء والصبيان أن يضربوا المثل في
البعد بالصين ، وأن يوقعوا التهديد^(٥) به ؛ فيقولوا : لو أنك بالصين لما
بعدت عليّ ، فكيف لا يهتدي البحتري إلى مثل^(٦) هذا ؟

٦- ومن ذلك قول أبي تمام :

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وفَاتِهِ نُجُومٌ سَمَاءَ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَذَرُ^(٧)

(١) ديوانه ٢٥١ وأهريت الشدقين : واسمهما

(٢) في ك « بما »

(٣) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣/٣٢١ « لم يعلم : أي بابلك الخمرى »

(٤) ك وط « لو وقفوا في الصين من بعدها » . وفي ديوانه ٢٢٠٣/٤ المعارف « يسمى قريبا

من الأعداء » وفي ط : « بالصين من بعدها » .

(٥) م « التهديد »

(٦) ليست في ك

(٧) سبق ص ٧٢

وقول البحتري :

فَإِذَا لَقَيْتَهُمْ فَمَوَكِبُ أَنْجُمٍ زُهِرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بِدَرُ الْمَوَكِبِ^(١)
وهذا معنى متقدّم مبتذل، [قد]^(٢) جاء به النابغة وغيره ، وكثر على
الألسن حتى صار أشهر من كل مشهور^(٣) .

وبيت أبي تمام خاصة فلانما سرقه على ساقته^(٤) من مريم بنت طارق
ترثي أخاها :

كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدُّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرَ^(٥)
[أو من قول جرير يرقى الوليد بن عبد الملك :

أَمْسَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مَصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مَا بَيْنَهَا الْقَمَرُ]^(٦)
٧- ومن ذلك قول أبي تمام :

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدٌ أَلِفٌ لِلْحَضِيضِ فَهَوَ حَضِيضُ^(٧)
وقول البحتري :

مُتَحَيِّرٌ يَغْدُو بِعِزِّهِ قَائِمٌ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ وَجَدٌ قَاعِدِ^(٨)
وهذان المعنيان جنسهما واحد ، ولفظهما مختلف ، وهما شائعان [في
الكلام]^(٩) وجاريان في الأمثال ، يقال^(١٠) : فلان على الهمة ، وهمته في

(١) ديوانه ١٢٣

(٢) الزيادة من ك

(٣) ط « مشتهر »

(٤) ط « سياقه » وفي ك « سياقه »

(٥) سبق ص ٧٢ وفي ك « بيننا »

(٦) سبق ص ٧٢ وفي ك : « من بينها »

(٧) سبق ص ١٢٦

(٨) ديوانه ٤٦٤ « كل نازلة » وفي م « متحيز » وهو تحريف

(٩) زيادة من ط وك

(١٠) م وك « بأن يقولوا »

الثريا وحاله في الحضيض ، وفلان يسامى^(١) بهمه [النجم] ولكن [قد] قَعَدَ به حَظُّهُ ، ونحو هذا من اللفظ. ؛ فليس يجوز أن يَغْتَوِرَ هذا المعنى شاعران فيقال : [إن] أحدهما أخذ من الآخر .

٨- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِّ الْوَدَاعِ^(٢)
وقول البحتري :

مَا لِشَيْءٍ بِشَاشَةٍ بَعْدَ شَيْءٍ كَدَلَاقٍ مُوَاشِكٍ بَعْدَ بَيْنٍ^(٣)

وهذا معنى مستفيض معروف ، ومنه قول الحجاج [بن يوسف]^(٤) :
لَوْلَا فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ لَمَا عَذِبْتَهُمْ^(٥) إِلَّا بِالْأَسْفَارِ .

وغرض كل واحد من هذين الشاعرين في هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه ؛ لأن أبا تمام ذكر أنه لا يفرح بالقدوم إِلَّا مَنْ شَجَاهُ وَحَزَنَهُ^(٦) التوديع .

وأراد البحتري أنه ليس شيء من المسرة والجدل إذا جاء في أثر شيء ما كالتلاق^(٧) بعد التفرق .

فليس - وإن كان جنس المعنيين واحداً- يصح^(٨) أن يقال : إن أحدهما

(١) ط « سام » .

(٢) ديوانه ١٩٣ وفي شرح التبريزي ٣٣٦/٢ « أى لم يعرف ترح الوداع من قولهم : وقفت فلانا على أمرى فهو موقوف عليه ، أى من لم يجد ألما للفراق لم يجد فرحا باللقاء »

(٣) ديوانه ٤٠٥ وطبع مصر ٢٩٤/٢ وفي ط « بين بعد »

(٤) من ط

(٥) ط « لما عرفهم » وهو تحريف

(٦) ط « وأحزنه » وفي اللسان ٢٦٦/١٦ « حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم ، وقد

قرئ بهما »

(٧) م و ك « للتلاق »

(٨) م و ك « وجب أن »

أخذ من الآخر : لأن هذا قد صار جارياً في العادات ، وكثيراً على الألسن ،
فالتهمة ترتفع عن أن يأخذه^(١) واحد من آخر .

٩- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَهُمْ نَسَبٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سَمَاحٌ وَأَجْسَامٌ وَلَيْسَ لَهُمْ قُلُوبٌ^(٢)

وقول البحتري :

خَلَقَ مَمْلُوءَةً بِغَيْرِ خَلَاثِقٍ تُرْجَى ، وَأَجْسَامٌ بِلاَ أَرْوَاحٍ

وهذا المعنى^(٣) أيضاً هو أعرف في كلامهم وأشهر من أن يحتاج شاعر أن يأخذه من آخر ، وهم دائماً يقولون : ما فلان إلا شُبَّحٌ من الأشباح ، وما هو إلا صورة في حائط ، أو جسد فارغ ، ونحو هذا من القول الشائع المشتهر .

١٠- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَا تَدْعُونَ نُوحَ بْنَ عَمْرِو دَعْوَةً لِلْمَخْطَبِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَلِيلًا^(٤)

وقول البحتري :

يَا أَبَا جَعْفَرٍ ! وَمَا أَنْتَ بِالْمَدِّ عَوْ إِلَّا لِكُلِّ أَمْرٍ كُبَارٍ^(٥)

ونسى قول الناس : اختَر لعظيم الحوائج العظيم من الناس^(٦) ، ولكبار الأمور كبيرهم ، وقال رجل لابن عباس : إن لي إليك حاجة صغيرة ، فقال : اطلب لها رجلاً صغيراً .

(١) ط « يأخذ أحد عن أحد »

(٢) م « لهم نسب » وهو تحريف

(٣) ط « وهذا الكلام »

(٤) ديوانه ، ٢٤ وشرح التبريزي ٧٠ / ٣

(٥) ديوانه ٤٤٦ والكبار : الكبير ، والبيت في مدح أبي جعفر بن حميد

(٦) ك « عظيم الناس »

١١ - ومن ذلك قول أبي تمام :

بِيضٌ فَهِنَّ إِذَا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صُورٌ ، وَهِنَّ إِذَا رَمِقْنَ صَوَارًا^(١)

وقول البحتري :

أَنْتِ لِحَظَتِ فَأَنْتِ جُودَرُ رَمَلَةٍ وَإِذَا صَدَدْتَ فَأَنْتِ ظَبْيُ كِنَاسٍ^(٢)

وهذا يشبهه^(٣) أعين النساء بأعين البقر : ويمثلهن بالصَّوَار ، وبالظباء .

وجُلَّ كلام العرب عليه يجرى ؛ فلا يكون الشعراء فيه إلا متفقين .

١٢ - ومن ذلك قول أبي تمام :

وَلَقَدْ جَهِدْتُمْ أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ فَإِذَا أَبَانُ قَدْ رَسَا وَيَلْمَلِمُ^(٤)

وقول البحتري :

وَلَكِنْ يَنْقُلُ الْحُسَادُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا تَمَكَّنَ رَضْوَى وَاطْمَأَنَّ مُتَالِيعُ^(٥)

وهذا المعنى أيضاً شائع من معانيهم^(٦) ، وكثير في أشعارهم ، ومنه قول

الفرزدق :

فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا ثَهْلَانَ ذَا الْهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ؟^(٧)

(١) ديوانه ١٤٥ وفي شرح التبريزي ١٦٧/٢ « يقول : إذا رآهن الناظر فكأنهن صور من

سهنن ، وقوله : وهن إذا رمقن صوَار ، أى عيونهن تشبه عيون بقر الوحش إذا نظرت »

(٢) ديوانه ٣٨٥ ، ١١٣٤/٢ « إما » وفي ط « أنى لحظت » وفي ك « إما لحظت » والجوذر :

ولد البقرة الوحشية ، كما فى اللسان ١٩٤/٥

(٣) ط و ك « تشبيه . . . تمثيلهن والظباء »

(٤) ديوانه ٢٧٤ وشرح التبريزي ٢٠٠/٣ وفى م « جهدهم عن وجههم . . . » وهو

تحريف. وفى ك « ولقد جهلتم عزه وجههم » وأبان ويللم : جيلان ، كما فى معجم ما استعجم للبكري

١٣٩٨/٤ ، ٩٥/١

(٥) ديوانه ٧٣ ورضوى ، ومتالع - بضم الميم - جيلان كما فى معجم ما استعجم ٦٥٥/٢ ،

١١٨١/٤

(٦) م « من معانيه » و ط « من أشعارهم »

(٧) ديوانه ٧١٧/٢ وفى اللسان ١٨٤/١٣ « ما يتحلل » أى ما يتحرك عن مكانه .

وثهلان جبل باليمن أو بالعالية ، كما فى معجم ما استعجم ٣٤٧/١ وفى هامش ك : « الذى أعرف

ثهلان ذو بالرفع »

وقوله يخاطب جريراً [أيضاً] ^(١) :

* فَرُمَ حَضَنًا فَانْظُرْ مَتَى أَنْتَ نَاقِلُهُ ^(٢) *

أفترى البحتري ما سمع بهذا ^(٣) من قول الفرزدق ولا من قول غيره فنقله كما سمعه أبو تمام فنقله ؟

١٣ - ومن ذلك قول أبي تمام :

وَفِي شَرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيلُ صِدْقٍ لِمُخْتَبِرٍ عَلَى شَرَفِ الْقَدِيمِ ^(٤)
وقول البحتري :

عَلَى أَنَا نُوكَلُ بِالْأَدَانِي وَتُخْبِرُنَا الْفُرُوعُ عَنِ الْأَصُولِ
وهذا معنى شائع في الكلام أيضاً ، مشهور كثير على الأفواه أن يقولوا :
[إن] ^(٥) العروق عليها ينبت الشجر ، وَمَنْ أَشَبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ ، وَالْعَصَى ^(٦)
من العَصِيَّة ، والغصن من الشجرة ، ودللت على الأم السُّخْلَةُ ، ومثل هذا لا
يكون مأخوذاً مستعاراً .

١٤ - ومن ذلك قول أبي تمام :

وَلِذَاكَ قِيلَ : مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ ، وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونٌ ^(٧)
وقول البحتري :

وَإِذَا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْمًا فَسَوَاءَ ظَنُّ أَمْرِي وَعِيَانُهُ ^(٨)

(١) زيادة في ط

(٢) صدره كما في ديوانه ٧٣٧ « فإن كنت ترجو أن توازن دارياً » وحسن جبل ، كما في
معجم ما استعجم ٤٥٥/٢

(٣) ط « سمع هذا . . . غيره حتى سمعه »

(٤) ديوانه ٢٨٩ وشرح التبريزي ١٦٣/٣

(٥) ديوانه ١٦٧١/٣

وتستوي الشكوك عليه مالم تخبر الأصول عن الفروع
(٦) الزيادة من ك

(٧) ديوانه ٣٢٩ وفي شرح التبريزي ٣٢٦/٣ « من قولهم : إن المؤمن ينظر بنور الله »
وقد « ولذلك »

(٨) ديوانه ٣١٩

وهذا أيضاً من الأمثال المشهورة المتداولة^(١) السائرة ، وهو قولهم : ظنُّ
[العافل] كيقين [غيره] ومنه^(٢) قول أوس بن حجر :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّ نَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا^(٣)

١٥- و [من ذلك] قول أبي تمام :

لَا نَجْمَ مِنْ مَعْشَرٍ إِلَّا وَهْمُهُ عَلَيْكَ دَائِرَةٌ يَا أَيُّهَا الْقُطْبُ^(٤)

[وقول البحترى :

مَا دَارَ لِلْمَكْرُمَاتِ مِنْ فَلَكٍ إِلَّا وَزَاكِي أَفْعَالِهِ قُطْبُهُ^(٥)

وكأنه ما سمع قول الناس : فلان قُطْبُ هذا الأمر ، وعلى فلان مدار
القصة ، ونحو هذا من القول الذى يستغنى الإنسان بما جرى منه فى عاداته
أن يستعيره من غيره .

١٦- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَأَقْلُ الْأَشْيَاءِ مَخْصُولَ نَفْعٍ صِحَّةُ الْقَوْلِ وَالْفَعَالُ مَرِيضُ^(٦)

وقول البحترى :

وَمَا لِمِثْلِي فِي الْقَوْلِ مِنْكَ رِضًا وَالْقَوْلُ فِي الْمَجْدِ غَيْرُ مَحْسُوبٍ^(٧)

(١) ط « المشهورة المبثولة »

(٢) ط « ومن ذلك »

(٣) فى اللسان ٢٠٣/١٠ « قال الأزهري : الألمى : الخفيف الظريف . وأنشد قول أوس
ابن حجر » والبيت فى الكامل ١٢٠٥/٣ ومعاهد التنصيص ١٨٢/١ وفى ك « يظن لك »

(٤) ديوانه ٥٠ وشرح التبريزي ٢٦١/١ وفى م « فى معشر »

(٥) ديوانه ١٩٨ وجاء فى ط مكان هذه الزيادة : « بقى بيت البحترى لم يذكره ، وهو هذا :

ودارت بنو سامان طرا عليهم مدار النجوم السائرات على القطب »

وكان خليقاً بالشيخ محمى الدين أن يضع هذا الكلام فى هامش الكتاب أو يضمه بين علامتين ويشير إلى أنه
من تعليق بعض القراء ، وليس من صلب الكتاب

(٦) ديوانه ١٨٣ وشرح التبريزي ٢٩٣/٢ وفى م « والفعال قريض » وهو تحريف

(٧) ديوانه ٦٦٥ « ولا لئلى » وفى م « وما كئلى » ٢٦٧/١ معارف

وأبو تمام زعم أن رَوَّنَقَ القول بالمواعيد لا يتحصّل منه نفع إذا لم يكن فعال ، وجعل الصحة في القول والمرض في الفعل^(١) مثلين على^(٢) الاستعارة .
 والبحترى إنما^(٣) ذكر أنه لا يرضى بالقول ؛ لأن القول لا يُحتسب به للماجد بغير فعل ؛ فالغرضان مختلفان ؛ والمعنى معنى واحد شائع جارٍ في عادات الناس أن يقولوا^(٤) : إنما زيد كلام ، وإنما عمرو قول بلا فعل .
 ومثل هذا - مع كثرته على الألسن - لا يقال : إنه مسروق .

١٧ - ومن ذلك قولُ أبي تمام :

سَتَرَ الصَّنِيعَةَ فَاسْتَمَرَ مُلْعَنًا يَدْعُو عَلَيْهِ النَّائِلُ^(٥) الْمَظْلُومُ
 وقول البحترى :

لَكَافِرٌ مِنْكَ فَضَلَ نُعْمَى وَسَتَرَ نُعْمَى الْكَرِيمِ كُفْرُ^(٦)
 فذكر أبو تمام رجلاً ذمّه بِسَتَرِ الصَّنِيعَةِ^(٧) ، وجعله مُلْعَنًا يدعو عليه النائل [المظلوم]^(٨) ، على الاستعارة .

والبحترى ذكر أن سَتَرَ النُعْمَى كفر . وكِلَا اللفظين مستعملان^(٩) شائعان [جاريان] على الألسن ؛ فلا يقال لمن تكلم بأحد^(١٠) اللفظين : إنه استعاره من آخر^(١١)

(١) ط « في الأفعال »

(٢) في ط « في »

(٣) ك « وإنما »

(٤) م « يقول »

(٥) ديوانه ٣٠١ وشرح التبريزي ٢٩٣/٣ «سرق الصنعة فاستمر بلعنة». و في ط « واستمر»

(٦) ديوانه ٧١ « لذاكر »

(٧) ك « يستره للصنعة » -

(٨) زيادة من ط

(٩) م « مستعملين . . . ولا »

(١٠) ك « بأحدهما »

(١١) ط « من الآخر »

١٨ - ومن ذلك قول أبي تمام :

شَهِدْتُ جَسِيمَاتِ الْعُلَى وَهُوَ غَائِبٌ وَلَوْ كَانَ أَيْضاً شَاهِداً كَانَ غَائِباً^(١)
وقول البحتري :

بَشِيرًا لَكُمْ فِيهَا نَذِيرًا لِغَيْرِكُمْ لدى شاهدٍ عَنْ مَوْضِعِ الْفَهْمِ غَائِبٌ^(٢)
وهذا المعنى أيضاً جارٍ على الأفواه ، ومستعمل في الكلام ، يعرفه العام^(٣)
كما يعرفه الخاص . وذلك قولهم : فلان شاهد كغائب ، وحاضر كمن لم
يحضر ، وفلان سَوَاءٌ والعدم .

١٩ - ومن ذلك قول أبي تمام :

دَعَيْتَنِي عَلَى أَخْلَاقِ الصَّمِّ لِلَّتِي هِيَ الْوَفْرُ أَوْ سِرْبٌ تَرِنُ نَوَادِبُهُ^(٤)
وقول البحتري :

وَحَدَّ الْقِلَاصِ يَرُدُّنِي لَكَ بِالْغِنَى فِي بَعْضِ ذَا التَّطَوَّافِ أَوْ يُرْدِينِي^(٥)
وهذان المعنيان أصلهما واحد ، وهو قول امرئ القيس :
* نَحَاوِلُ مُدْكَأٍ أَوْ نَمُوتَ فَنُغْدَرَا^(٦) *

(١) ديوانه ١٧ وشرح التبريزي ١٤٩/١ وجسيمات العلى : ضخمها . وفي م « حسيان » وهو تحريف

(٢) م « لكم فيه بداراً » وط « له شاهد . . . غائب » والذي في ديوانه :

نصحتكم لو كان للنصح موضع لدى سامع عن موضع النصح غائب
نذيراً لكم منه بشيراً لكم به وما لي ، في هاتين قولاً .. كاذب

(٣) ط « العامة كما تعرفه الخاصة » .

(٤) ديوانه ٤٤ وشرح التبريزي ٢٢٧/١ وفي م « التي » ويروى : « أخلاق الصبل » وهي جمع صامل ، وهو الصلب الشديد . يريد أنه إذا عزم على أمر لم يسمع قول العاذل ، فكان أخلاقه صم على معنى الاستعارة . وقوله : التي هي الوفرة ، أي للرحلة التي تؤدي إلى الوفرة ، أي المال . والسرب : الجماعة من النساء . يقول : دعيتني فأما أن أتمول وإما أن يقوم على سرب نساء يندبن .

(٥) ديوانه ٢١١ وقبله وهو المطلع :

ليس الزمان بمعتبى فذريني أرى تجهم خطبه بجبني

والبيت في ديوانه طبع مصر ٢٨٠/٢ وإن قال الشيخ محيي الدين : « لا يوجد هذا البيت في ديوان البحتري المطبوع في مصر » ! ! والوخد : ضرب من سير الإبل ، وهو سمة الخطوف المشي . والقلاص : جمع قلوص ، وهي الفتية من الإبل ، بمنزلة الجارية الفتاة من النساء . البيت في ديوانه ٢٢٣/٤ المعارف

(٦) صدره كما في ديوانه ٧٢ « فقلت له لاتبك عينك إنما »

وشهرته وكثرة استعمال الناس إياه ، يغنى البحرى عن أن يقال : إنه أخذه أو استعاره .

٢٠ - ومن ذلك قول أبى تمام :

كُحِلْتُ بِقُبْحِ صُورَتِي فَأَمْسَى لَهَا إِنْسَانٌ عَيْنِي فِي السِّيَاقِ^(١)

وقول البحرى :

شَكَوْتُ قَذَى بَعَيْنِكَ بَاتَ يَدِي كَأَنَّكَ قَدْ نَظَرْتَ إِلَى طَمَاسٍ^(٢)

وهذا أيضاً من المعانى التى تمنع شهرتها وأبتذال العامة والخاصة لها من أن يقال : [إنها مسروقة ، و]^(٣) إن واحداً يشتم^(٤) فيها بآخر .

* * *

١ - وما جاء به « أبو الضياء » على أنه مسروق ، والمعنيان مختلفان ليس

بينهما اتفاق ولا تناسب - قول أبى تمام :

وَأَقْسِمَ اللَّحْظَ بَيْنَنَا إِنْ فِي اللَّحْظِ ظَرٌ لَعْنَوَانٍ مَا يُجِنُّ الضَّمِيرُ^(٥)

وقال البحرى :

سَلَامٌ وَإِنْ كَانَ السَّلَامُ تَحِيَّةً فَوَجْهُكَ دُونَ الرَّدِيِّ كَفَى الْمُسْلِمًا^(٦)

وأبو تمام سأل مَنْ يُخَاطَبُهُ أَنْ يُقْبَلَ عَلَيْهِ ، ويجعل قسْطاً من النظر له ؛

لأن^(٧) إدامة النظر تدلُّ على المودة ، كما أن الإعراض يدل على

البغضة^(٨) .

(١) ديوانه ٥٠١ وشرح التبريزى المخطوط ٧٢٦ « فأضفى » وهو فى هجاء ابن الأعرشى

(٢) ديوانه ٧٣٦ وطماس : اسم المهجو

(٣) زيادة من ط

(٤) ط « ائتم »

(٥) ديوانه ٣٩٨ وشرح التبريزى المخطوط ٧٣٤

(٦) ديوانه ١٢٨ ، ٢٠٨٩/٤ المعارف

(٧) ط « فإن »

(٨) ط « البغض »

والبحتريُّ إِنَّمَا سَلَّمَ عَلَى الْهَيْثَمِ الْغَنَوِيِّ ، وذكر أَنَّ السَّلامَ تَحِيَّةٌ ، وَأَنَّ
وَجْهَهُ لِحَمَالِهِ وَطَلَاقَتَهُ يَكْفِي الْمُسْلِمَ قَبْلَ رَدِّهِ [السَّلام] . والمعنيان مختلفان ،
وليس لواحد^(١) منهما من الدقة والغرابة ما ينسب أحدهما [إلى] أَنَّهُ مَحْذُومٌ^(٢)
عَلَى الْآخِرِ أَوْ مَسْرُوقٌ [منه] ^(٣) .

٢- ومن ذلك قولُ أبي تمام :

وَرَحْبَ صَدْرٍ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ وَاسِعَةٌ كَوْثُرِهِ لَمْ يَضُقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ^(٤)

وقول البحتري :

مَفَاذَ صَدْرٍ لَوْ تُطْرَقُ لَمْ يَكُنْ لِيَسْلُكَهَا فَرْدًا سُلَيْكُ الْمَقَانِبِ^(٥)

فأبو تمام ذكر أَنَّ رَحْبَ صَدْرٍ الممدوح و[أَنَّ] سَعَتَهُ تَزِيدُ عَلَى سَعَةِ
الْأَرْضِ ، فَاسْرَفَ ، وَأَخْطَأَ فِي الْمَعْنَى بِمَا قَدِمْتُ ذَكَرَهُ^(٦) فِي بَابِ خَطْئِهِ فِي
الْمَعْنَى .

والبحتريُّ ذكر سَعَةَ صَدْرٍ الممدوح ، وجعل لَهُ مَفَاذَ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ ،
وذكر أَنَّهُ لَوْ تُطْرَقُ لَمْ يَكُنْ لِيَسْلُكَهَا سُلَيْكُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ [لِيَكْبِر] ^(٧) عَلَيْهِ
سُلُوكُ أَرْضٍ^(٨) وَإِنْ عَرُضَتْ وَطَالَتْ .

وإِنَّمَا^(٩) أَرَادَا جَمِيعاً سَعَةَ صَدْرٍ الممدوح ، كما جرت العادة بهذا الضرب

(١) لكوم « بواحد . . . من الدقة »

(٢) م « مجنوا »

(٣) زيادة من ط

(٤) سبق ص ٢٠٣

(٥) سبق ص ٢٠٤ . . . وفي م « يسلكها »

(٦) ط « بما قد ذكرته . . . خطائه »

(٧) زيادة من ط

(٨) ط « الأرض »

(٩) ك وم « فإنما . . . جمعا »

من الملاح ، فأفراطا ، ولكن سَلَكَ كل واحد منهما معنى غير معنى صاحبه
[كلما ترى] (١) .

٣- ومن ذلك قول أبي تمام :

إِنَّمَا الْبِشْرُ رَوْضَةٌ فَإِذَا مَا كَانَ بِرُفْرَوْضَةٍ وَعَدِيرٌ (٢)

وقول البحتري :

فَإِنَّ الْعَطَاءَ الْجَزْلَ مَا لَمْ تُحْلِهِ بِبِشْرِكَ مِثْلَ الرُّوضِ غَيْرَ مُنَوَّرٍ (٣)

فأراد (٤) أبو تمام [أن] البشر مع البر كالروضة والغدير .

وأراد البحتري أن العطاء متى (٥) لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور .

فليس بين المعنيين اتفاق إلا في ذكر البشر والروض ، والألفاظ غير محظورة على أحد (٦) .

٤- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَلَأِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى وَلَكِنَّمَا حُورِفْتُ فِي الْمَكَارِمِ (٧)

وقول البحتري :

إِذَا ابْتَدَأَ بُخْلَاءُ النَّاسِ عَارِفَةً يَتَّبِعُهَا الْمَنُّ فَالْمَرْزُوقُ مَنْ حُرِمَا (٨)

فأراد (٩) أبو تمام أنه ليس بمحدود ولا محارف في ملتمساته ومطالبه ،

(١) زيادة من ط وك

(٢) ديوانه ٣٩٨ وشرح التبريزي المخطوط ٧٣٤ « إن في البشر .. كان ببذل » وفي ك « كان وبر »

(٣) ديوانه ٢٨٠ ، ٨٩١/٢ المعارف « وكان العطاء »

(٤) م وك « وأراد »

(٥) ط « ما لم »

(٦) ط « واحد »

(٧) سبق ص ١٠٣ وفي م « ما جوزفت ... العلى .. جوزفت » وفي ك « العلى »

(٨) ديوانه ٥٣١ « إذا بدا »

(٩) م « وأراد ... ولا مجازف »

ولكن الذى أمَّهم^(١) وطلب ما عندهم حُورِفُوا^(٢) فى مكارمهم . وأحسن فى المعنى واللفظ كلَّ الإحسان .

وأراد البحترى أن البخيلَ إذا امتنَّ بمعروفه فالمرزوق من حُرِّم ذلك المعروف .
فهذا المعنى غير معنى أبى تمام ، وليس بينهما اتفاق ولا تقارب .

٥ - ومن ذلك قول أبى تمام :

إِذَا شَبَّ نَارًا أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمٍ وَقَامَ لَهَا مِنْ خَوْفِهِ كُلُّ قَاعِدٍ^(٣)

وقول البحترى :

وَمُبْجَلٍ وَسَطَ الرِّجَالِ خُفُوفُهُمْ لِقِيَامِهِمْ وَقِيَامُهُمْ لِقُعُودِهِ^(٤)

وليس أحد المعنيين من الآخر فى شىء ؛ لأنَّ أبا تمام أراد أن المدوح إذا شبَّ نار الحرب أقعدت كل قائم [أى كل قائم] لقتاله ومنايذته : أى^(٥) تُزعج كلَّ واحد خوفاً وفرقاً . وذلك مأخوذ من قول الفرزدق :

أَتَانِي وَرَخْلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةٌ لَّالِ تَعِيمٍ أَقْعَدَتْ كُلَّ قَائِمٍ^(٦)

وقوله : « وقام لها من خوفه كل قاعد » أى : [أنه] زال^(٧) عن الطمأنينة [والهدوء] والقرار فقام ، وإنما يريد انزعاج الخائف ؛ فجعل ذلك قياماً له .
والبحترى إنما^(٨) ذكر أن الرجال [إنما]^(٩) يَخِفُّونَ لقيام ممدوحه ، أى :

(١) ك « أملهم »

(٢) م « أملهم . . . جوزفوا »

(٣) ديوانه ٣٦٦ وشرح التبريزى المخطوط ٦٣٦

(٤) ديوانه ٦٥٩

(٥) م وك « ومنايذته أو أراد الحجر لها كل أحد »

(٦) ديوانه ٨٥٣/٢

(٧) م « أزال »

(٨) م وك « فإنما »

(٩) زيادة ن ط

يُسْرِعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا قَامَ ، فَإِذَا قَعَدَ قَامُوا إِجْلَالًا وَهَيْبَةً ، لِأَنَّ^(١) مِنْ شَأْنِهِ أَنْ لَا يَجْلِسَ أَحَدٌ بِجُلُوسِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ النَّاسُ كُلُّهُمْ قِيَامًا إِذَا جَلَسَ .
فَالْمَعْنَيَانِ مُخْتَلِفَانِ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا اتِّفَاقٌ إِلَّا فِي ذِكْرِ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ ،
وَالْأَلْفَافُ مَبَاحَةٌ .

٦- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامَ :

وَرُبَّ يَوْمٍ كَأَيَّامٍ تَرَكْتَ بِهِ مَتْنَ الْقَنَاءِ وَمَتْنَ الْقِرْنِ مُنْقَصِفًا^(٢)
وقول البحتري :

فِي مَعْرِكٍ ضَنْكَ تَخَالُ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْتَنَيْنَ ضُلُوعًا^(٣)
وليس بين المعنيين اتفاق إلا في أن الشاعرين وصفا حال الطعن بالقنا^(٤)
كيف يقع ؛ فذكر ذلك أن ممدوحه يَقْصِفُ مَتْنَ الْقِرْنِ وَمَتْنَ الْقَنَاءِ ، وَشَبَّهَ
هذا انطواء الرماح واعوجاجها - إِذَا وَقَعَتْ^(٥) بضلوع القوم - باعوجاج
ضلوعهم . وهذا من التشبيهات الظرفية العجيبة ، وهو المعنى الذي استغربه
واستحسنه أبو تمام [لما أنشد البحتري محمد بن يوسف القصيدة ، وذلك
أول اجتماعهما وتعارفهما] على ما يرويه الشاميون .

٧- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامَ :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدْهَا ، قَلَمًا تَهْ رِفْ فَقَدْهَا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا^(٦)

(١) ط « وَأَنْ »

(٢) ديوانه ٢٠٣ وشرح التبريزي ٣٧١/٢ وفي م « منقضا »

(٣) سبق ص ٩ وفي م وك « إِذَا انْتَنَيْنَ »

(٤) م وك « الْقَنَا »

(٥) م « إِذَا وَقَعَتْ »

(٦) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزي ١٦٦/١ وقوله :

وَكَمَا بَا كَأَمَّا أَلْبَسَهَا غَفَلَاتُ الشَّابِّ بَرْدًا قَشِيَا

وفي ط « يعرف فقد »

وقول البحتري :

فَاضِلَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ عُسْرِي فِي ظَلَمَاءَ لَيْلٍ تَفَاضَلَتْ شُهْبُهُ^(١)

وليس بين المعنيين تناسب [ولا تقارب] ؛ لأن أبا تمام ذكر أن موضع فقدتها بَيَانٌ ، وأنه^(٢) قليلا ما يعرف فقد الشمس إلا بعد غروبها . وهذا جارٍ في عادات الناس واستعمالهم ، أن يقولوا : لا تَعْرِفْ فضل الإنسان حتى تفقده ، ولا تَعْرِفْ فضل^(٣) العافية إلا عند البَلِيَّةِ : [ولا] قَدَّرَ الدرهم إلا عند الحاجة [إليه] .

والبحتري أراد أن عُسْرَهُ بَيْنَ له عن مراتب إخوانه ، وَفَضْلَ بعضهم على بعض [في معونته وبرّه] ، كما تتفاضل الشهب في ظلمة الليل وبين^(٤) فضل بعضهم على بعض [بعض] ، وأراد بالشهب الكواكب . وهذا معنى لطيف جداً ، [و] ليس من معنى^(٥) أبي تمام في شيء .

* * *

[هذا]^(٦) ، ومما ادعى فيه «أبو الضياء» على البحتري السَّرِقَةَ والاتفاق في أكثر ذلك إنما^(٧) هو في الألفاظ التي ليست بمحظورة على أحد ، وقد مضى فيما قبل من هذا الباب أبيات .

١ - فمن ذلك قول أبي تمام :

إِنَّ الصَّفَائِحَ مِنْكَ قَدْ نُضِدَتْ عَلَى مُلْقَى عِظَامٍ لَوْ عَلِمْتَ عِظَامُ^(٨)

(١) ديوانه ١٩٨ «الإخوان عدى» وفي م «إخواني .. وعن» وفي ك «وعن ظلماء»

(٢) ط «وأنه قلما»

(٣) ك «قد»

(٤) ط «وبين»

(٥) ط «من معنى»

(٦) زيادة من ط

(٧) ط «في ذلك أكثر فيما هو من الألفاظ .. محظورة»

(٨) ديوانه ٢٧٥ وقبله :

ياترية المصوم تريك مودع ماء الحياة وقاتل الإعدام
وفي شرح التبريزي ٣/٣٠٣ «ياحفرة» وفي م «نضدت لمخامع إل» وهو تحريف

وقول البحتري :

مَسَاعٍ عِظَامٌ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُهَا وَإِنْ بَلَّيَتْ مِنْهُمْ رَمَانُكُمْ أَعْظَمُ^(١)
فأراد^(٢) أبو تمام أن عظام الرجل الذي رثاه عظام^(٣) القدر .

وأراد البحتري أن مساعي القوم عظام لا يبلى جديدها وإن بَلَّيَتْ عظامهم .

وليس ههنا اتفاق إلا في لفظ العظام لا غير .

٢- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَا يَدْهَمُكَ مَنْ دَهَمَهُمْ عَدَدٌ فَإِنْ أَكْثَرَهُمْ أَوْ كُلَّهُمْ بَقَرُ^(٤)

وقول البحتري :

عَلَى نَحْتِ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَى لَهُمْ أَنْ تَفْهَمَ الْبَقَرُ^(٥)
فأراد أبو تمام أنه لا يجب أن ينظر إلى كثرة عددهم ، فإن أكثرهم بقرة .
وذكر البحتري أن عليه أن يُجيد القول ، وليس عليه أن تفهمه البقرة .
وما ههنا [أيضاً] اتفاق إلا في لفظ^(٦) البقرة .

٣- ومن ذلك قول أبي تمام :

* لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا^(٧) *

(١) ديوانه ٤٨٧ / ٣٠ ١٩٤٨

(٢) م « وأراد . . . الذي رثاه »

(٣) ط « عظيم »

(٤) ديوانه ١٥٠ وشرح التبريزي ١٨٦/٢ « فإن جلهم » أو « كلهم » وفي ط « أو جلهم »
من دهانهم : أي من جماعتهم .

(٥) سبق ص ٣٢٣ .

(٦) ط « لفظة » .

(٧) عجزه كما في ديوانه ٢٥٢ وشرح التبريزي ٩٨/٣ - : « ونذكر بعض الفضل منك
فتفعلنا » أي لقد هان علينا أن نسأل بالقول ، وتعطى أنت بالفعل ، ونمدحك ببعض ما فيك
من الفضائل وتكافئنا بالإفضال علينا »

وقول البحتري :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَيْسَ بِرَقَبٍ فِي الَّذِي حَاوَلْتُ إِلَّا أَنَّ نَقُولَ وَيَفْعَلَا^(١)
والاتفاق ههنا إنما هو في القول والفعل^(٢) .

٤- ومن ذلك قول أبي تمام :

وَمَا يَوْمُ زُرْتُ اللَّحْدِيَوْمُكَ وَخَدَهُ عَلَيْنَا ، وَلَكِنْ يَوْمُ زَيْدٍ وَحَاتِمِ^(٣)
وقول البحتري :

بِأَبْيَضٍ وَصَّاحٍ كَأَنَّ قَمِيصَهُ يُزْرُ عَلَى الشَّيْخَيْنِ زَيْدٍ وَحَاتِمِ^(٤)
أفترى البحتري ما سمع بذكر زيد الخيل ولا^(٥) حاتم الطائي اللذين تفخر
بهما اليمن كلها ، فيشبهه ممدوحه بهما - إلا من بيت أبي تمام ؟

٥- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَعَمْرُكَ مَا كَانُوا ثَلَاثَةً إِخْوَةً وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَ قَبَائِلِ^(٦)
وقول البحتري :

كَانُوا ثَلَاثَةً أَبْخَرِ أَفْضَى بِهِمْ وَلَعُ الْمَنُونِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْبَرِ^(٧)
فجعلهم أبو تمام ثلاث قبائل ، وجعلهم البحتري ثلاثة أبحر .

(١) ديوانه ٣ / ١٨٧٧ « طالبت . . تقول فيفعلا » م « أن يقول »

(٢) م « وهو في يقول ويفعلا »

(٣) ديوانه ٣٨٦ وشرح التبريزي المخطوط ٦٥٥ « يوم عمرو وحاتم » والبيت في رثاء هاشم
ابن عبد الله الخزاعي

(٤) ديوانه ٤٤٨ « بأروع من طى كأن »

(٥) م و ك « وحاتم »

(٦) ديوانه ٣٨١ وشرح التبريزي المخطوط ٦٥٠ ثلاثة أخوة ، يعني بهم أبا نصر محمداً
وهو الأكبر ، ومحمداً وقحطبة ، بني حميد .

(٧) ديوانه ٦٨٠ ، ٢ / ١٠٣٢ « أفضى بها » .

وليس ههنا اتفاق إلا في لفظ (١) ثلاثة .

٦- ومن ذلك قول أبي تمام :

كَمَاكَ مِنَ الْأَنْوَارِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ وَأَحْمَرُ قَانٍ وَأَصْفَرُ فَاقِعٌ (٢)

وقول البحتري :

مِنْ وَاصِحٍ يَتَّقِي وَأَصْفَرٍ فَاقِعٍ وَمُضْرَجٍ جَسَدٍ وَأَحْمَرٍ قَانٍ (٣)

أفتري البحتري لم يكن ليهتدى إلى أصفر فاقع وأحمر قان لولا بيت أبي تمام ؟

٧- ومن ذلك قول أبي تمام :

لَوْلَا مُرَاقِبَةٌ فَيْكُمْ لَغَادَرَكُمْ فَرِيَسَةُ الْمُرْهَمَيْنِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ (٤)

وقول البحتري :

زِنْتَ الْخِلَافَةَ إِشْرَافًا وَحِيْطَةً وَذُذْتَ عَنْ حَقِّهَا بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ (٥)

وكذلك أيضاً لم يكن البحتري يهتدى إلى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما [له] أبو تمام !

(١) ط « في ذكر »

(٢) سبق ص ٣٠٦ باختلاف . وقد سقط من شرح التبريزي المخطوط . وفي م و ك « وأحمر ساطع »

(٣) ديوانه ٦٢٦ ومضرج : أي ملطخ ، والجسد : الدم ، كما في اللسان ٩٤/٤

(٤) ديوانه ٢٧٠ وشرح التبريزي ١٩١/٣ « لولا مناشدة القربى لغادركم حصائد » ويروى : « لولا مناشدة فيكم »

(٥) ديوانه ٦٥٤ « ست الخلافة .. عن حوضها » وفي ط « إشرافا وقد حبطت » وفي م و ك « إشرافا »

٨- ومن ذلك قول أبي تمام :

أَبَى لِي نَجْرُ الْفَوْثِ أَنْ أَرَامَ التِّيْ أَسْبُ بِهَا ، وَالنَّجْرُ يُشْبِهُهُ النَّجْرُ^(١)

وقول البحري :

سَيِّدُ نَجْرٍ الْمَعَالِي نَجْرُهُ يَمْلِكُ الْجُودَ عَلَيْهِ مَا مَلَكَ^(٢)
وقد كان ينبغي لأبي الضياء أن لا يُخَرِّجَ مثل هذا في السَّرق ، ولا يَقْضِحَ نفسه .

٩- ومن ذلك قول أبي تمام :

مُتَوَاطِثُو عَقَبَيْكَ فِي طَلَبِ الْعُلَى وَالْمَجْدِ ثَمَّةٌ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ^(٣)

وقول البحري :

حُزَّتْ الْعُلَى سَبْقًا ، وَصَلَّى ثَانِيًا ثُمَّ اسْتَوَتْ مِنْ بَعْدِهِ الْأَقْدَامُ^(٤)

١٠- ومثله قول أبي تمام :

فِي غَذَاةٍ مَهْضُوبَةٍ كَانَ فِيهَا نَاضِرُ الرُّؤُوسِ لِلْسَّحَابِ نَدِيمًا^(٥)

(١) ديوانه ٤٧٥ « بحر الفوئ » وشرح التبريزي المخطوط ٧٧٥ وفي م « لى بحر . . . التى أبت بها والبحر . . البحر » قال التبريزي : « النجر : الأصل . والفوئ من طى . » وكل من لزم شيئا وألفه وأحبه فقد رثمه

(٢) ديوانه ٤٠٨ وسيد : يريد به عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر

(٣) ديوانه ٢٨٢ وقبلة :

فينو أيبك على نفاسة قدرهم فيهم وأنهم هم الأعلام
وفي شرح التبريزي ١٥٨/٣ « متواطئو ، يقول : أنت المقدم فى طلب العلى ، وعشيرتك يقتلون بك ويطئون على عقيبك ، ثم يتقارب التفاضل بين الناس »

(٤) ديوانه ٤٨٩/٣/ ١٩٥٢ وفي م « جزت . . من بعلك الأقوام »

(٥) شرح التبريزي ٢٣٠/٣ وفي ديوانه ٢٩٣ و م و ك « فى غداة » والغداة : أرض طيبة التراب بعيدة من الماء ، ولذلك قالوا : أرض غذية ، أى أنها لا تحتاج إلى السقى لأنها لا تقتصر إلى ذلك . ومهضوبة : أى قد أصابها هضبة من المطر ، أى دفعة منه

[وقول البحتري :

قد تَعَالَتْ بِكَ الْمُرُوءَةُ حَتَّى قَدْ حَسِبْنَاكَ لِلْسَّامِكِ نَدِيمًا^(١)
وما يجعل مثل هذا مسروقاً إلا مَنْ لا معرفة له بجليّ المعاني فضلاً عن
خفيها .

١١ - ومن ذلك قول أبي تمام يصف الفرس :

مِنْ نَجَلِي كُلِّ تَلِيدَةٍ أَعْرَاقُهُ طَرَفِ مُعِمٍّ فِي السَّوَابِقِ مُخَوِلٍ^(٢)

وقول البحتري :

وَإِنِ الضُّلُوعِ يَشُدُّ عَقْدَ حَزَامِهِ يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَى مُعِمٍّ مُخَوِلٍ^(٣)
وما في « معممٌ مخول » من الغرابة حتى يتلقنه البحتري من أبي تمام على
كثرته^(٤) على الألسن ، وقول الناس في مدح الفرس : كريم الآباء والأهات ،
وشريف الأنساب ، [ونحو هذا] ؟

١٢ - ومن ذلك قول أبي تمام :

فَأَذَرَتْ جُمَانًا مِنْ دُمُوعِ نِظَامِهَا عَلَى الْخَدِّ إِلَّا أَنَّ صَائِفَهَا الشَّفَرُ^(٥)

(١) ديوانه ٢٧٤ « بك المآثر حتى » وفي م « حسناك »

(٢) ديوانه ٢٣٥ وشرح التبريزي ٤٣/٣ والمراد بالتليدة هنا : الناقة الأصيلة الموروثة عن
الآباء وطرف : كريم النسب كثير الآباء إلى جده الأكبر . وفي اللسان ٣١٨/١٥ « والعرب تقول :
رجل معم مخول : إذا كان كريم الأعمام والأخوال كثيرهم ، قال امرؤ القيس « يجيد معم في العشرة
مخول » »

(٣) ديوانه ٧٣١ وفي نقده يقول الباقلافي في إعجاز القرآن ٣٤٨ - : « نبل المحزم مما تمدح به
الخيال ، فهو لم يأت فيه ببديع . وقوله : يشد عقد حزامه ، داخل في التكلف والتعسف لا يقبل من
مثله وإن قبلناه من غيره ، لأنه يتتبع الألفاظ وينقدها نقداً شديداً ، فهلا قال : يشد حزامه ، أو
يأتى بحشو آخر سوى العقد ؟ فقد عقد البيت بذكر العقد . ثم قوله : يوم اللقاء ، حشو آخر لا يحتاج
إليه »

(٤) م « على كثرة » وفي ك « على كثرة ذكره »

(٥) شرح التبريزي المخطوط ٧٧٤ وفي ديوانه ٤٧٤ « فأبدت » و م و ك « وأذرت . . . »

نظامه . . . صائفه الشفر « وفي الديوان وشرحه « على الصدر »

وقول البحرى :

جَرَى فِي نَحْرِهَا مِنْ مُقْلَتَيْهَا جُمَانٌ يَسْتَهْلُ عَلَى جُمَانٍ^(١)

فالانفاق ههنا إنما هو فى لفظ « جُمَانٌ » وقول ذلك^(٢) : « نظامها^(٣) »

على الخد « وقول هذا : « جرى فى نحرها » لا^(٤) يقتضى أن يكون أحدهما مأخوذاً من الآخر ؛ لأنّ الدمع على الخد يجرى^(٥) ، وإلى النحر يصل . وهذه حال لا يجهلها أحد ممن^(٦) وصف الدمع .

١٣ - ومن ذلك قول أبى تمام :

وَهَلْ لِلْقَرِيضِ الْغَضُّ أَوْ مَنْ يَحْكُوهُ عَلَى أَحَدٍ - إِلَّا عَلَيْكَ - مُعَوَّلٌ^(٧)

وقول البحرى :

وَعَلَيْكَ سُقْيَاهُمْ لَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي نَوْمَةٍ إِلَّا عَلَيْكَ مُعَوَّلٌ^(٨)

فحظّر على البحرى لفظة « معول » وحرّمها عليه من أجل أن أبا تمام

لفظ بها !

١٤ - ومن ذلك قول أبى تمام :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ^(٩)

(١) ديوانه ٢١٢ ويستهل : ينصب بشدة

(٢) ط « ذلك »

(٣) م و ك « نظامه »

(٤) ط « فلا »

(٥) ط « جريه »

(٦) م و ك « من »

(٧) ديوانه ٢٤٥ وشرح التبريزى ٧٤/٣

(٨) ديوانه ٦٦٦ وفى طبعة مصر ٣٠٩/٢ وإن قال الشيخ محبى الدين : « لا يوجد هذا

البيت فى ديوان البحرى المطبوع بمصر !

(٩) وشرح التبريزى ٦٠/٣ وقد سبق ص ٧١ . وفى ك « أهلى إلى » .

الموازنة - أول

وقول البحترى :

حَازَ حَمْدِي ، وَلِلرَّيَّاحِ الدَّوَاتِي تَجَلِبُّ الْغَيْثُ مِثْلُ حَمْدِ الْغُيُومِ^(١)
 فمعنى أبي تمام مشترك بين الناس ، وليس مخترعاً [له] : لأنك تسمع
 أبدا قول القائل - إذا بلغ حاجته بشفاعة - أن يقول للشفيع : ما أعتدُّ
 هذا إلا من الله ومنك ، فليس لأبي تمام فيه شيء أكثر من أن عَبَّرَ عنه^(٢)
 بعبارة حسنة مكشوفة ، فالبحترى لم يأخذ المعنى منه ؛ لأنه في العادات
 موجود ، ولكنه أبدع^(٣) في التمثيل ، وأغرب وأحسن .

* * *

(١) ديوانه ٤١٩ ، ٤ / ٢٠٧٢ المعارف وفي م و «حاز شكرى»

(٢) ط « غير فيه »

(٣) ط « أحسن . . . وأبدع »

وهذا الآن ما أخطأ فيه البحترى من المعانى

١- قال البحترى :

ذَنْبٌ كَمَا سُحِبَ الرِّدَاءُ يَذُبُّ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبِلِ^(١)

هذا خطأ من الوصف ؛ لأن ذنب الفرس - إذا مس الأرض - كان عيباً ، فكيف إذا سحبه . وإنما الممدوح من الأذنان ما قرب من الأرض ولم يمسها ، كما قال امرؤ القيس :

* بِضَافٍ فُويِقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلِ^(٢) *

فقال « فويق » أى : فوق الأرض بقليل .

وقد عيب^(٣) على امرئ القيس قوله :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ^(٤)

(١) سقط من ديوانه طبع بيروت وهو فى طبعة المعارف ١٧٤٦/٣ وفى إعجاز القرآن ٣٥٢ « البيت وحسن الابتداء منقطع عما سبقه من الكلام . . . وكان يحتاج أن يقول : ذنب كالرداء ، فقد حذف والوصل غير متسق ولا مليح . . . ثم قوله : كما سحب الرداء ، قبيح فى تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم فى العبارة إلا على إضمار أنه ذنب يسحبه كما يسحب الرداء . وقوله : يذب عن عرف ، ليس بحسن ولا صادق ، والمحمود ما ذكره امرؤ القيس ، وهو قوله : * فويق الأرض ليس بأعزل * » .
* نقل البغدادى فى الخزانة ٢١/٤ هذا الكلام إلى قوله : « وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يس الأرض »

(٢) ديوانه ١٣٤ وشرح المعلقات العشر ٤٤ وصدره : « ضليح إذا استدبرته سد فرجه » وفى المعانى الكبير ١ / ١٩٩ « ضاف : سابع ، سد فرجه : أى فرج ما بين فخذه ، يريد كثرة الذنب . والعزل : أن يعزل ذنبه فى أحد الجانبين ، وذلك عادة لا خلقة »

(٣) لك « عيب امرؤ القيس بقوله »

(٤) ديوانه ٨١ . وانظر ما سبق ص ٣٨ و ٢٧٣

وما أرى العيب يلحق^(١) امرأ القيس في هذا ؛ لأن العروس وإن كانت
تسحبُ ذيلها ، وكان ذنب الفرس إذا لمس الأرض فهو عيب ؛ فليس
يُنكر^(٢) أن يشبه الذنب به [و] إن لم يبلغ [إلى] أن لمس الأرض ؛
لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قاربه^(٣) ، أو دنا^(٤) من معناه ، فإذا شابهه^(٥)
في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ، ولآق به . ولأن^(٦) امرأ القيس لم يقصد
طول الذنب أن يشبهه بطول ذيل العروس فقط . وإنما أراد السبوغ^(٧)
والكثرة والكثافة . ألا تراه قال : « تسد به فرجها من دُبُر » .

وقد يكون الذنب طويلاً يكاد لمس الأرض ولا يكون كثيفاً ، بل [قد]
يكون رقيقاً^(٨) نَزَرَ الشعر خفيفاً فلا يسد فرج^(٩) الفرس ، فلما قال :
« تسد به فرجها » علمنا أنه [إنما] أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإذا
أشبه^(١٠) الذنب الطويل [ذيلَ العروس]^(١١) من هذه الجهة ، وكان في الطول
قريباً منه ؛ فالتشبيه صحيح ، وليس ذلك بموجب للعب ، ولا أن يكون
ذنبُ الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر أيضاً أنه قصد
إلى أن الفرس يسحبه على الأرض .

(١) ط « لحق . . . العروس إذا كانت »

(٢) ط « ينكر »

(٣) ط « إذا قرب منه »

(٤) م « أو ضامن »

(٥) ط « فإذا أشبهه »

(٦) م و ك « لأن امرؤ »

(٧) م « الشبوع »

(٨) م و ك « دقيقاً » والزيادة من ك

(٩) ك « فروج »

(١٠) ط « فإنما »

(١١) زيادة من ط

وإنما العيب^(١) في قول البحترى : « ذنبٌ كما سُحِبَ الرداء » فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قول خِدَاش بن زُهَيْر :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَدْيِ إِلَى جُوجُوٍّ أَيْدِ الزَّافِرِ^(٢)

الهدى : العروس التى تُهْدَى إلى زوجها ، وأيد : شديد ، والزافر : الصدر ؛ لأنها تزفر منه . وإنما أراد^(٣) بذيل العروس طولَه وسُبوغَه ، فشبه الذنبَ [الطويل] السابغ به ، وإن لم يبلغ فى الطول إلى أن يَمَسَّ الأرض . وما يصحح^(٤) ذلك ولهم : فرسٌ ذِيَالٌ ؛ إذا كان طويلا طويل الذنب ، وإن^(٥) كان قصيرا طويل الذنب قالوا : ذائل^(٦) ، وإنما قالوا ذلك تشبيها للذنب بالذيل لا غير ، قال النابغة [النبائى] :

بِكُلِّ مُدَجَّجٍ فِي الْبَاسِ يَسْمُو إِلَى أَوْصَالِ ذِيَالٍ رِفْنٍ^(٧)

رفنٌ ورفلٌ واحد ، وهو : الطويل الذنب .

وقد استقصيت الاحتجاج لصحة بيت^(٨) امرئ القيس فيما بينته من سهو [أبى العباس عبد الله]^(٩) بن المعتز فيما ادعاه على امرئ القيس من الغلط ، فى كتابه الذى جمع فيه « سرقات الشعراء » .

(١) م « وإنما أجيب »

(٢) المعانى الكبير ١ / ١٤٩

(٣) ط « فإنما »

(٤) م « يصح »

(٥) ط « فإذا »

(٦) فى المعانى الكبير ١ / ١٥٠ بعد ذلك : « والأدنى ذائلة »

(٧) المعانى الكبير ١ / ١٥٠ وفى م و ك « فى الناس » وفى ط وديوانه ١٩٠ « كاليث »

(٨) ط « لبيت »

(٩) زيادة من ط

٢- وقال البحتري :

هَجَرْتَنَا يَقْظَى وَكَادَتْ عَلَى عَا دَاتِهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى ^(١)

وهذا [أيضاً] عندي غلط. ؛ لأنَّ خيالها يَتَمَثَّلُ له في كل أحوالها ،
كانت يقظى أو وَسَنَى [أو ميتة] . والجيد قوله :

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْظَانًا ، وَيَأْذُنِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكِرَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانًا ^(٢)
فصحح المعنى وأتى به على حقيقته .

وكذلك قوله :

إِذَا مَا تَبَادَلْنَا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا مِنْ الْجَدِّ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ ^(٣)

وقوله :

• نَعَذَّبُ أَيْقَاطًا وَنَنَعَمُ هُجْدًا ^(٤) •

جيد أيضاً ؛ لأنه حملها ^(٥) على أن حالها مع خياله إذا نامت كحالها مع
خيالها إذا نام ، وإن كان واحد منهما ينعم منفرداً ^(٦) مع خيال صاحبه ؛
لأنهما ينعمان معاً في حال واحد ^(٧) إذا نام أحدهما فرأى خيال الآخر .
وإنما أخذ معنى بيته الأول - وعليه بنى أكثر أوصافه للخيال - من ^(٨) قول
قيس بن الخطيم :

(١) ديوانه ٣٥٧/٤، ٢١٤٣/٤ المعارف وأمالى المرتضى ٥٤٤/١ وطيف الخيال ٣٤ وفي م « وكانت »

(٢) سبق ص ٣١٤ .

(٣) في ديوانه ٣٦٣ « ما تبادلنا » وأمالى المرتضى ٥٤٤/١ وهو في طيف الخيال ٧٠

(٤) ديوانه ١٣٣ وصدرة « ولم أرمثلينا ولا مثل شأننا »

(٥) م « خطمه لأن » وفي ك « حمله »

(٦) ط « مفرداً »

(٧) ط و ك « واحدة »

(٨) م « في قول »

أَنْتَى سَرَبْتِ وَكُنْتَ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتُقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(١)
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تَوْتِينَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مَحْسُوبٍ

وما أظن أحداً سبق قياساً إلى هذا المعنى في وصف الخيال ، وهو حسن جداً ، ولكن فيه أيضاً مقال لمعترض . وذلك هو الذى أوقع البحترى في الغلط ؛ لأن قياساً قال : « ما تمنع يقظى فقد توتينه في النوم » فأراد أنها أيضاً توتيه^(٢) نائمة ، وخیال المحبوب يتمثل في حال يوم المحبوب^(٣) ويقظته كما ذكرت .

وكان الأجود لو قال : ما تمنع في اليقظة فقد توتينه في النوم : أى ما تمنعنه في يقظتى فقد توتينه في حال نومي ، حتى يكون النوم واليقظة معاً منسوبين^(٤) إليه ، إلا أنه يتسع من التأويل^(٥) [في هذا] لقيس ، لا يتسع للبحترى ؛ لأن قياساً قال : « فقد توتينه في النوم » ولم يقل : فقد توتينه نائمة [فقد يجوز أن يجعل^(٦) على أنه أراد ما تمنع يقظى وأنا يقظان فقد توتينه في [النوم ، أى في] نومي . ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحترى ؛ لأن البحترى قال « وُسْنِي » ولم يقل في الوسن^(٧) .

(١) ديوانه ٥ ، وأمالى القالى ٢٧٣/٢ وطيف الخيال ٣٦ وزهر الآداب ٨٨٠/٢ وأمالى المرتضى ٢ / ٣٩٣ ، ٥٤١ وحماسة ابن الشجرى ١٨٩ وغير سرروب أى غير مبهمة

(٢) م « توتينه »

(٣) ط « المحب »

(٤) ط « منسوبة »

(٥) ط « التأويل »

(٦) ك « يحمل »

(٧) قال الشريف المرتضى في أماليه ٢ / ٢٤٥ « وقد يمكن من التأويل للبحترى ما أمكن مثله

لقيس ؛ لكن الآمدى قد ذهب عن ذلك ؛ لأن البحترى لما قال : وسنى ، دل على حال الوسن ، والحال =

٣- وقال البحتري في مدح المعتز بالله :

لَا الْعَدْلُ يَرَعُهُ وَلَا إِلَّا تَغْنِيفُ عَنْ كَرَمِ بَصْدُهُ^(١)

وهذا عندى من أهجى^(٢) ما مدح به خليفة وأقبحه ، ومن ذا يُعَنَّفُ الخليفة أو يصدده ؟ إن هذا ابالهجو أولى منه بالمدح .

٤- وقال البحتري :

تَشْقُ عَلَيْهِ الرِّيحُ كُلَّ عَشِيَّةٍ جُيُوبَ الْغَمَامِ بَيْنَ بَكْرٍ وَأَيْمٍ

وهذا أيضاً غلط ؛ لأنه ظن أن الأيم هى الشيب ، وقد غلط في مثله أبو تمام ، وذكرته في أغاليطه ، وسها أيضاً فيه « بعضُ كبار الفقهاء^(٣) » فظن البحتري أن الأيم هى الشيب ، فجعلها في البيت ضدَّ البكر . والأيم : هى التى لا زوج لها ، بكرًا كانت أو ثيبًا ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ^(٤) ﴾ أراد جل ثناؤه اللواتى لا أزواج لهن ؛ والشيب والبكر جميعاً داخلتان تحت الأيم^(٥) فتكون بكرًا وتكون ثيبًا .

[فإن قيل : إن الأيم قد تكون ثيبًا وإنما أراد الشيب .

== الممهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة ، كما أن الحال الممهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة ؛ فقوله : وسى ، ينبى عن كونه هو أيضاً نائماً ؛ وإنما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظى وسى . وقوله : يقظى ، متى لم يحمل أيضاً على هذا المعنى لم يصح ؛ لأنه لا بد أن يريد بذلك : هجرتنا في أحوال اليقظة ، ويكون معنى يقظى يتعدى إليه ؛ ألا ترى أن الأمدى حمل قول قيس : يقظى على معنى : وأنا يقظان ، وإن لم يبين الوجه ، فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري ! وقوله : وسى ويقظى مثل قول قيس : يقظى ، ولومكن قياساً وزن الشعر من أن يقول : وسى في مقابلة يقظى لقاله وما عدل عنه إلى النوم ؛ لأنه لم يكن عليه فى « وسى » إلا ما عليه فى « يقظى » وما يتأول له فى أحد الأمرين يتأول له فى الآخر » وقد كرر هذا الكلام بنصه فى كتابه طيف الخيال ٣٥

(١) ديوانه ٦٣٣

(٢) ط « أهجن »

(٣) يقصد الشافعى ، كما سبق بيانه فى ص ١٦٩

(٤) سورة النور : ٣٢

(٥) م « تحت الآية قد تكون بكرًا وقد تكون ثيبًا . وإنما أراد الشيب »

قيل : أجل إنها تكون ثيباً [وتكون بكرًا ومعنسة [أيضاً] وكتاباً ، إلا أن لفظة « أيم » لا تدل^(١) على شيء من هذه الأوصاف ، وليست عبارة^(٢) لإعنى التى لا زوج لها لا غير ، وقد شرحت هذا المعنى شرحاً شافياً فى غلط أبى تمام^(٣) .

٥- وقال البحتري :

شَرَطِي الْإِنْصَافُ إِنْ قِيلَ اشْتَرَطُ وَصَدِيقِي مَنْ إِذَا صَافَى قَسَطُ^(٤)
وكان يجب أن يقول « أقسط » أى^(٥) : عدل ، وقسط - بغير ألف - [إنما] معناه جار .

[قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾^(٦)] وقيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٧)]^(٨) .

٦- وقال البحتري :

صِبْغَةُ الْأَفْقِ بَيْنَ آخِرِ لَيْلٍ مُنْقَضِ شَأْنُهُ وَأَوَّلِ فَجْرِ^(٩)
يصف فرساً أشقر أو خلوقياً ، والحمرة لا تكون بين آخر الليل وأول الفجر ، وهو عندي^(١٠) فى هذا غلط ، لأن أول الفجر الزرقة ، ثم البياض ،

(١) ط « لا تزول عن »

(٢) م « عبارة الأيم إلا عن » وفى ك « عبارة الأيم إلا عبارة عن »

(٣) راجع ص ١٦٨ - ١٦٩

(٤) ديوانه ٧٤١ « و خليل » وفيه ٢ / ١٢٢٧ « لو قيل : اشترط وعدى » وفى ط « إذا قل »

(٥) م و ك « إذا »

(٦) سورة الجن : ١٥

(٧) سورة المائدة : ٤٢

(٨) زيادة من ط

(٩) ديوانه ٣٧٢

(١٠) م « عندى غلط فى هذا . . الفجر البياض ثم الزرقة » وهو تحريف

ثم الحمرة عند بدو قرْنِ الشمس ، كما أن آخر النهار عند غيوبة الشمس
الحمرة ، ثم البياض ، ثم الزرقة وهي آخر الشفق . و [قد] قال البحتري :
وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ رَشٌّ ثُمَّ يَنْسَكِبُ^(١)
وقال آخر :

وَأَنْ يَنْسَجَعَ الْقَمَرِيُّ فِيهَا إِذَا غَدَا بِرُكْبَانِهَا قَرْنَ مِنَ الشَّمْسِ أَزْرَقُ^(٢)
وكان البحتري أراد أن يقول : بين آخر ليل منقضى شأنه وأول نهار ؛
فيكون قد قابل بين الليل والنهار ، والحمرة قد تكون بين آخر الليل وأول
النهار ، كما تكون بين آخر النهار وأول الليل ؛ فقال : «أول فجر»^(٣)
[ضرورة] .

والجيد في [مثل] هذا [المعنى] قول أبي تمام يصف فرساً أشقر :
[ضُمَخَ مِنْ لَوْنِهِ فَجَاءَ] كَانَ قَدْ كُسِفَتْ فِي أَدِيمِهِ الشَّمْسُ^(٤)

٧- وقال البحتري :

قِفِ الْعَيْسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا وَمَلَّ دَارَ سُعْدَى إِنْ شَفَاكَ سُؤَالُهَا^(٥)
هذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد : لأنه قال : «قد أدنى خطاها
كلالها» أي قاربَ من خطوها الكلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الدار
التي تعرض لأن يشفيه سؤالها ، وإنما وقف لإعياء المطي .

(١) ديوانه ٧٠٨ «يأتي قبل . . . الغيث طل»

(٢) ط «بركبانه»

(٣) م «الفجر»

(٤) ديوانه ١٦٨ وشرح التبريزي ٢٢٨/٢ «ضُمَخَ : أي لُطَخَ . وفي الشمس قولان :
أحدهما أنه ضُمَخَ الشمس من لون هذا الفرس ، فجاء الفرس كأن قد كسفت في أديمه وجلده لأنها توصف
بشدة الاصفرار في حال كسوفها . والثاني : أنه أراد ضُمَخَ سائر ألوان الصفر من لون هذا الفرس ،
فجاء هذا الفرس وكأن الشمس كاسفة في لونه»

(٥) ديوانه ٢٥٦ ، ١٦٢٩/٣

والجيد قول عنتره ؛ لأنه ^(١) لما ذكر الوقوف على الدار احتياط بأن شبهه
ناقته بالقصر ، فقال :

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَأَنَّهَا فَدَنُ لِقَضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ ^(٢)
قال ذلك ليعلم أنه لم يقفها ^(٣) ليريحها .

وقد كشف ذو الرمة عن هذا المعنى فأحسن [فيه] وأجاد ، فقال :
أَنَحْتُ بِهَا الْوَجْنَاءَ لَا مِنْ سَامَةٍ لِثَنَتَيْنِ بَيْنَ اثْنَيْنِ جَاءَ وَذَاهِبٍ
يقول : أنحتها لأصلي ، لا من سامة بها . وقوله «لثنتين» يريد
[ركعتي العصر] اللتين يقصرهما المسافر «بين اثنين جاء» يريد الليل
«وذاهب» ^(٤) يريد النهار .

فإن قيل : إنما قال : «قد أدنى خطاها كلالها» ليعلم أنه قصد الدار من
شقة بعيدة .

قيل : العرب لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فيقول
الرجل لصاحبه أو صاحبيه ؛ قف ، وقفا . ولو كان هناك قصد إليها لكانوا
إذا وصلوا لا يقولون : قف «ولا قفا» وإنما ذلك تعريج على الديار ، في
مسيرهم ^(٥) وسأزيد في شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار .

٨- وقال البيهقي :

غَرِيبُ السَّعْجَايَا مَا تَزَالُ عُقُولُنَا مُدْلَهَةٌ فِي خَلَّةٍ مِنْ خِلَالِهِ ^(٦)

(١) م و ك « فإنه »

(٢) ديوانه ١٤٣ وشرح القصائد العشر ١٧٣ والفدن : القصر ، والمتلوم : المتكث ، وبنى
بالتلوم نفسه

(٣) ط « لم يقف بها »

(٤) ك « يعني »

(٥) ط « في سيرها »

(٦) ديوانه ١٩٦ ، ١٦٢٤/٣

إِذَا مَعَشَرُ صَانُوا السَّمَاحَ تَعَسَّفَتْ بِهِ هِمَّةٌ مَجْنُونَةٌ فِي ابْتِدَالِهِ (١)

قوله : « إِذَا مَعَشَرُ صَانُوا السَّمَاحَ » معنى ردىء ؛ لأن البخيل ليس من أهل السماح فيكون له سماح يصونه . وسواءً عليه قال : صانوا السماح ، أو صانوا السخاء ، أو صانوا الجود ، أو صانوا الكرم ؛ فإن هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئاً ، وهو منهم بعيد ، فكيف يصونونه ؟
فإن قيل : إنما أقام السماح مقام الشيء الذى يُسَمَّح به ، وفي مجازات العراب ما هو أبعد من هذا .

قيل : البحتري لا يسوغ [له] مثل ذلك ، ولا يجوز له ؛ لأنه متأخر ، ولا سيما (٢) وليست ههنا ضرورة ؛ لأنه قد كان يمكنه أن يقول : « صانوا الثراء » (٣) مكان « صانوا السماح » .

(١) فيه « صانوا التلاد »

(٢) ط « ولا سيما أن ليست »

(٣) م « الثوى » وهو تحريف

وهذا ما عيبُ به البحترى وليس بعيبٍ

ولمّا ذكرته لثلا يظان ظان أنه صحيح ، وأنى ^(١) تخطئته .

فمن ذلك ما نعاد عليه أصحاب أبي تمام ، وهما بيتان ، وقد ذكرت احتجاج أصحاب البحترى فيهما في ^(٢) الجزء الأول من هذا الكتاب ^(٣) ، وأنا أعيد ذكرهما [ها هنا] لزيادةٍ عندي في الاحتجاج يحتاج إليها .

١ - أنكروا عليه قوله :

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنْاءٍ
وقالوا : لو ملأ الإناء دُبْساً لكانت هذه حاله .

والمعنى عندي صحيح لا عيب فيه ، ولا قَدَح ، وذلك أن الرجل قد دلَّ بهذا الوصف على أن شُعاع الشراب [في غاية الغلبة ، وأن الكأس] في غاية الرقة ، واعتمد أن وَصَفَ الإناء وما فيه ووصَفَ الهيئة على ما هي عليه .

ولمّا أخذ المعنى من قول على بن جبلة :

كَأَنَّ يَدَ النَّدِيمِ تُدِيرُ مِنْهَا شُعَاعاً لَا تُحِيطُ عَلَيْهِ كَأْسٌ ^(٤)
ألا ترى أن هذا أيضاً قد دل على أن الكاس في غاية الرقة ؟
ومثله قول الآخر :

(١) م « وأسند خطاته » وهو تحريف . وفي ك « خطاته »

(٢) م و ك « فيهما فيما قبل »

(٣) راجع ص ٢٧ - ٣٧

(٤) سبق ص ٣٤ و ٣١٣ .

إِنَّمَا نَعَجُّنَا مُوسِمًا ضُمْنَتْ حَمْرَاءُ تَرْمِي بِالزَّبْدِ؟^(١)

وإذا ما نَزَلَتْ في كَأْسِهَا فَهِيَ وَالْكَأْسُ مَعًا شَيْءٌ أَحَدٌ^(٢)

وقد أنشد «أبو العباس ثعلب» بيت البحري هذا في «أماله» ،
وقال : إنه أخذ المعنى من قول الأعشى :

تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ^(٣)

[و] قال «أبو العباس» في^(٤) هذا البيت : [إنه] أجود ما قيل في
وصف الخمر ؛ لأنه جمع بين اللون والطعم ، ونحوه قول الآخر [وهو
الأخطل]^(٥) :

وَلَقَدْ تُبَاكِرُنِي عَلَى لَذَائِهَا صَهْبَاءُ عَارِيَةِ الْقَدَى خُرْطُومُ^(٦)

يريد أنها صافية ، فالقذى فيها لا يستتر .

ولم يعب^(٧) «أبو العباس» البحري ، ولا طعن في بيته ، بل دل^(٨)
إنشاده [له] وذكره في موضع السرق ، على استجاده [له] واستحسانه
إياه .

(١) كذا في ط وفي م و ك «لحقنا» ولست أعرف وجه الصواب فيها

(٢) م «ما بذلت» ورواه المؤلف فيما سبق ص ٣٤ «فإذا ما مزجت» .

(٣) ديوانه ١٤٧ وفي اللسان ٢٢٢/١٢ «التمطق والتلمظ : التنوق والتصويت باللسان ،
وقيل : هو إلصاق اللسان بالفار الأعلى فيسمع له صوت ، وذلك عند استطابة الشيء والتمطق
بالشفتين : أن يضم إحداها بالأخرى مع صوت يكون منهما ، وأنشد : «تراه إذا ما ذاقها يتمطق» .

(٤) ط «قال» . . . وهذا الحمرة

(٥) زيادة في ط

(٦) ديوانه ٨٤ والشعر والشعراء ٢٢١/١ والخزانة ٥٥٢/١ وفيهما «عالية القذى

والخرطوم : الخمر السريعة الإسكار

(٧) م «ولم يغلب»

(٨) ط «بل يملك»

٢- وأنكروا قوله :

ضَحِكَاتٌ فِي إِثْرِ هِنِّ الْعَطَايَا وَبُرُوقُ السَّحَابِ قَبْلَ رُعُودِهِ^(١)
وقالوا : أقام الرعد مَقَامَ العطايا^(٢) ، وإنما كان ينبغي أن يقيم الغيوث
مَقَامَ العطايا .

وهذا جهل ممن قاله بمعنى^(٣) كلام العرب ، ومعنى التمثيل في البيت
صحيح ؛ لأن الرعد مقدّمة الغيث ، وَقَلَّ^(٤) رعدٌ لا يتلوهُ المطر ، وإذا كان
هذا هكذا فقد صار^(٥) كأنه أوله .

وإنما أخذ البحتري المعنى من قول بشار :

وَعَدُّ الْجَوَادِ يَحُثُّ نَائِلُهُ كَالْبَرْقِ ثُمَّ الرَّعْدِ فِي أَثَرِهِ
فَأَقَامَ الرعدُ مَقَامَ الْغَيْثِ ، ونحوه قول بشار أيضاً :
حَلَبْتُ بِحَمْدِي رَاحَتِيهِ فَلَمَرْتَا سَمَاحاً كَمَا دَرَّ السَّحَابُ عَلَى الرَّعْدِ^(٦)

وأظنهما جميعاً أخذوا المعنى من قول الأعشى :
وَالشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا أَنَّهُ تَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا^(٧)
وأنشد ابن الأعرابي في نوادره :

فَلَمَّا لَمْ أَصْدُقْ ظَنَّهُمْ بِتَيْقُنِي فَلَا سَقَتِ الْأَوْصَالِ مِنِّي الرَّوَاعِدُ

(١) سبق ص ٢٨ و ٣٣ و ٣٥

(٢) م « العطايا » محرفة

(٣) م « معاني » محرفة

(٤) م « وكل » محرفة

(٥) ط « صار المعنى »

(٦-٦) ما بين الرقيمين في ط مؤخر عن بيت الأعشى

(٧) ديوانه ١٥٧ وسبق ص ٣٥

فجعل التي نستقي هي الرواعد .

وقال الكميت :

وَأَنْتَ فِي الدُّشُونِ الْجَمَادِ إِذَا أَخْلَفَ مِنْ أَنْجُمٍ رَوَاعِدُهَا^(١)

ومثل هذا كثير في كلامهم لا ينكره منكر .

وقد قال أبو تمام :

وَكَذَا السَّحَابُ قَلَمًا تَدْعُو إِلَى مَعْرُوفِهَا الرُّوَادَ مَا لَمْ تَبْرِقْ^(٢)

فجعل البرق عند الرواد دليل الغيث ، وقد يكون برق لا مطر معه كثيراً ، وبرق الخلب تلك^(٣) حاله .

فالبحتري في أن أقام الرعد مُقَامَ الغيث أعذر من أبي تمام ؛ لأنه قد يرتفع سحاب^(٤) ويبرق ولا يمطر ، فإذا أَرعد فلا يكاد يخلف .

٣- ومن ذلك قول^(٥) البحتري :

يَا هِلَالاً أَوْفَى بِأَعْلَى قَضِيبٍ وَقَضِيباً عَلَى كَثِيبٍ مَهِيلٍ^(٦)

وقالوا : هذا خطأ ؛ لأن الكثيب - إذا كان مهيلاً - فإنه يذهب ولا يستمسك ، وذلك مذموم من الوصف .

(١) سبق ص ٣٥

(٢) سبق ص ٩٥

(٣) ط « هذه »

(٤) ط « سحاب وبرق لا مطر فيه . . . لا يكاد » وفي م « أن يخلف » .

(٥) ك « قوله »

(٦) ديوانه ٦٠٣ ، ١٦٧٧/٣ وفي اللسان ١٩٦/٢ « قال الفراء الكثيب : الرمل ، والمهيل : الذي تحرك أسفله فينهال عليك أعلاه »

قالوا : والجيد قوله :

كالبدر غير مُخَيَّلِ والغُصْنِ غَيْرِ مُمَيَّلِ والدَّعْصِ غَيْرِ مُهَيَّلِ ^(١)
وقالوا : فقد تراه هنا كيف شرط في الدَّعْصِ - لما شبه العَجْزَ به - أن
جعله غير مهيل ؛ لأن العرب إذا شبهت أعجاز النساء بكشبان الرمل شَرَطَتْ
فيها أن تكون ندية ، وأن تكون مَمْطُورَة ، [كما قال الراجز :

جِنَّ بَأَعْجَازٍ لَهْنَ نَآوِيَة] كَأَنَّهَا الْكُثْبَانُ غِبَّ سَارِيَة

نَآوِيَة : سِيَمَانٌ ، من النَّيِّ وهو الشَّحْمُ ، كقول الآخر :

مِنْ لُ الْكَثِيبِ إِذَا مَا بَلَّهَ الْمَطَرُ *

وكما قال مِرْدَاس ^(٢) بن أبي عامر السُّلَمِي :

إِذَا هِيَ قَامَتْ فِي النِّسَاءِ حَسِبْتُ مَا فُؤَيْقَ نِطَاقِ الْعَقْدِ صَعْدَةَ سَأْسَمِ ^(٣)

(١) ديوانه ٧٣١ ، ١٧٤٢/٣ غير مخيل : غير محبوب بنيم . والدعص : الكثيب

من الرمل

قال الباقلاني في إعجاز القرآن ٣٤٠ « التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ، ولا
فضيلة في التشبيه بنحو ذلك . وإنما يبقى تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في البيت ، وهذا أيضا قريب ؛ لأن
المعنى مكرر . ويبقى له بعد ذلك شيء آخر ، وهو عمله للتوصيف في البيت كله إلا أن هذه الاستثناءات
فيها ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصن كاف ، فإذا زاد فقال : كالغصن غير معوج ، كان
ذلك من باب التكلف خللا ، وكان ذلك زيادة يستغنى عنها . وكذلك قوله : كالدعص غير مهيل ، لأنه
إذا انهار خرج أن يكون مطلق التشبيه مصروفاً إليه ، فلا يكون لتقييده معنى »

(*) اللسان ٢٢٤/٢٠

(٢) م « داس بن عامر » وهو تحريف . ورداس بن أبي عامر ، أحد أزواج الخنساء ، ووالد

العباس بن مرداس الشاعر ، راجع الأغاني ٦٤/١٣

(٣) م « فوق » والنطاق : كل ما يشد به الوسط . والعقد : موضع ربط الإزار ، والصعدة :

القناة التي تنبت مستوية . والسأسم : شجرتنخذ منه القسي . وفي ط « مأسم » وهو تحريف . والنجاء :
جمع نجو ، وهو السحاب الذي قد أراق ماءه ثم مضى . والسماء : النجم المعروف . والحجم : الضخم المرتفع
وفي م « المخيم » .

وقد ضبط الشيخ محمد محي الدين كلمة « العقد » بكسر العين لأنه فهم أن الشاعر « شبه عنق المرأة
في استوائه بالقناة » ولم يذهب الشاعر إلى هذا التشبيه ، بل ذهب إلى تشبيه ما فوق خصرها بالقناة
المستقيمة ، وما تحته بالكثيب الذي أصابه المطر . وفي هذا المعنى يقول بعض الشعراء :

خلقت غير خلقة النسوان إن قمت فالأعلى قضيب بان
وإن توليت فدعصتان وكل إد تفعل العينان

وَأَسْفَلُ مِنْهُ ظَهَرُ دِغِصٍ أَصَابَهُ نَجَاءُ السَّمَاءِ فِي الْكَثِيبِ الْمُجَسَّمِ^(١)

وقال الأخضر بن جابر الفزاري^(٢) :

تَلَوْتُ أَثْنَاءَ اللَّفَاعِ الْأَنْحَمِيِّ بِمِثْلِ دِغِصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَمِيمِ^(٣)

أراد الذي قد بليت^(٤) الدِّمَّة ، وهي السحابة .

وقال جندل بن المثنى الطُّهَوِيُّ :

لَا بَلَّ كَدَغِصَاءَ نَفَاها مُثْرَى عَفْرَاءَ حُفَّتْ بِرِمَالِ عُفْرِ^(٥)

وقال امرؤ القيس :

كَحِيفِ النَّقَا يَمْشِي الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ

بِمَا اخْتَبَسَا مِنْ لَبِنٍ مَسَّ وَتَسْهَالِ^(٦)

والْحِيفُ : المستدير من الرمل ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ تَنْخَلُهُ^(٧) وتجمعه ، وقال :

« يَمْشِي الْوَلِيدَانِ فَوْقَهُ » لِأَنَّ النَّدَى أَصَابَهُ فَهُوَ صَلْبٌ وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ لَبِنٌ وَنَعْمَةٌ .

وقد شبه امرؤ القيس أيضاً كَفَلَ الْقُرْسِ بِالْدَغِصِ النَّدَى ، فقال :

لَهُ كَفَلٌ كَالدَّغِصِ لَبْدُهُ النَّدَى إِلَى كَاهِلِ مِثْلِ الرِّتَاجِ الْمُضَبِّبِ^(٨)

(١) في ك « المخيم »

(٢) ترجم له الآمدي في المؤلف والمختلف ٣٤

(٣) ط « بكرت » وهو تحريف ، والأثناء : جمع ثنى وهو ما انثنى من الثوب ، وهي معاطفه وتضاعيفه . واللفاع الأتحمي : الثوب الأحمر خاصة ، أو المخطط بالصفرة . وفي م و ك « تلوث أنبار »

(٤) م « بليت »

(٥) الدغصاء : أرض سهلة فيها رملة نداها مثرى : أى كثير . وفي هامش ك « نداها » و ط

« نفاها » وهو تحريف تكلف في شرحه ناشرها ص ٢٢٣ والمقرة : الغبرة في حمرة

(٦) ديوانه ١٤٠ وفي م « فا احتسبا » وفيها وفي ك : « وإسهال »

(٧) ط « تنخله »

(٨) ديوانه ٣٦ وله هناك رواية أخرى . والرتاج : الباب ، والمضبيب : الملبس بالحديد . وفي

« مثل الرياج » وهو تحريف

[وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وَإِنْ مَالَ الضَّجِيعِ بِهَا فَدَغِصُ مِنَ الْكُثْبَانِ مُلْتَبِدٌ مَطِيرٌ^(١)

[و] قالوا: هذا [هو] الوصف المحمود^(٢) ، والمعنى الصحيح من معاني العرب . ولولا أن تشبيهه^(٣) أردافه بالكثيب المنهال خطأ لما قال البحتري في بيته الآخر : « والدعص غير مهيل » .

وهذا المذهب الذي ذهبوا إليه لعمري صحيحٌ من مذاهبهم ، إلا أن الشعراء إذا شُبِّهَتْ أعجاز النساء بكثبان الرمل^(٤) ثم وصفتها بالانهيال فإنما تقصد^(٥) إلى تحرك أعجازهن عند المشي ، كما قال [رؤبة بن] ^(٦) العجاج :

إِذَا وَصَلْنَ الْعَوْمَ بِالْهَرَكْلِ رَجَرَجْنَ مِنْ أَعْجَازِهِنَّ الْخُزْلَ^(٧)

* أَوْرَاكَ رَمْلٍ وَالْجِ فِي رَمْلٍ *

فقال : « أوراك رمل والـج في رمل » ووُلُوجه ، [هو] ^(٨) تحركه ودخول بعضه في بعض وكما قال الأعشى :

رَوَادِفُهُ تَشْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ إِلَى مِثْلِ دَغِصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهِيلِ^(٩)

(١) زيادة من ط و ك

(٢) ط « المجود »

(٣) م « يشبه الردافة » وهو تحريف . وفي ك « تشبه الرادفة بالكثيب المهيل »

(٤) ط « ووصفتها »

(٥) م « يقصد »

(٦) زيادة من ط

(٧) الزيادة من ك

(٨) ديوانه ١٣١ وفي م « وخرجن من أعجازهن » والعوم : السباحة ، وسير الإبل والسفينة ، كما في اللسان ٣٢٧/١٥ والمراد هنا : السير السريع . والمركلة : ضرب من المشي فيه اختيال وبطء . والخزل : الثقيلة

(٩) ديوانه ٢٢٦ وفي م و ك « ورابية »

نِيَافٌ كَغُضْنِ الْبَنَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ

دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ^(١)

فدل بقوله : « ترتج إن مشت » على أن قوله : « إلى مثل دعص الرملة المتهيل » إنما أراد تحرك^(٢) عجزها في حال مشيها .

وكذلك قول رُؤْبَة :

مَيَالَةٌ مِثْلُ الْكَيْبِ الْمُنْهَالِ عَزَزَ مِنْهُ وَهُوَ مُعْطَى الْأَسْهَالِ^(٣)

* صَوْبُ السَّوَارَى مَتْنُهُ بِالتَّهْيِيلِ *

التهتال والتهتان واحد^(٤) ، فقال : « مثل الكئيب المنهال » لما قال : [إنها] « ميالة » أي : أنها تتثنى في مشيتها وتحرك روادفها^(٥) ، وشرط أنه « عزز منه صوب السواري » أي شدّه ليهنح من سيلانه وذهابه ، وإنما أراد حالا بين الحالين ، ألا تراء قال : « وهو معطى الأسهال » [أي شدة] ضرب السواري وهو مع ذلك يتهيل^(٦) .

(١) نياف : مرتفعات مشرفات . ويقال : امرأة نياف : تامة الطول والحسن

(٢) م « تجرى عجزها » وهو تحريف

(٣) الثاني والثالث مع شرحهما في اللسان ٢٢٤/٧ ، ٢١٣/١٤ وثلاثتها فيه ٣٤٩/١٢ « قال العجاج يصف الجارية : فهي ضناك كالكئيب . . . الضناك : الضخمة . كالكئيب الذي ينهال . عزز منه : أي سد من الكئيب . ضرب السواري : أي أطار الليل ، فلزم بعضه بعضاً . شبه خلقها بالكئيب وقد أصابه المطر . وهو معطى الأسهال : أي يعطيك سهولة ما شئت » ورواية الأول في اللسان كرواية ملحق ديوان العجاج ٨٦ وفي م « صوب السواري » .

(٤) في اللسان ٢١٣/١٤ « التهتال : مثل التهتان ، وبحائب هتل وهتن : هطل ، وقيل متابعة المطر قال العجاج : غزز . . . وفي م و ك « . . . والتهتان بمنزلة واحدة . . . مثل الكميث » والكلمة الأخير محرفة

(٥) م و ك « أردافها ثم شرط . . . »

(٦) ط « ضرب » وفي م ، ك « . . . مع ذلك سهل »

وقال ابن أبي (١) سفيان الغامدي :

ذَاتُ شَوَى خَدَلٍ وَخَصْرٍ أَبْتَلٍ وَكَفَلٍ مِثْلِ الْكَثِيبِ الْأَهْيَلِ (٢)
فَارَادَ بِالْأَهْيَلِ الَّذِي يَتَرَجَّجُ (٣) عِنْدَ الْمَشَى .

وقال الْمُقَنَّنُ الْكِنْدِيُّ :

إِذَا قَامَتْ تَنَوُّ بِمَرْجَحِينَ كَدِغْصِ الرَّمْلِ يَنْهَالُ أَنْهِيَالًا (٤)
فَجَاءَ (٥) بِذِكْرِ الْإِنْهِيَالِ مِنْ أَجْلِ ذِكْرِهِ لِلْقِيَامِ ، وَلَوْ لَمْ يَذْكُرْ لَكَانَ غَرَضُهُ
فِيهِ مَعْرُوفًا .

وقال عبد الرحمن بن الحكم (٦) :

كَأَنَّ مَا بَيْنَ قُصْرَاهَا وَخِنْصَرِهَا مِنْهَا نَقًّا دِمْتُ مِنْ عَالِجٍ هَارٍ (٧)

(١) ط « ابن أخى »

(٢) فى اللسان ١٧٨/١٩ « الشوى : اليدان والرجلان » والخدل : العظيم الممتلئ ، ويقال :
امرأة خدلة وخلاء : ممثلة الساقين والذراعين . وفى ط « شوى عبل » والعبل : الضخم . والمراد بالأبتل :
الدقيق الضامر . وفى م « وكهل مثل » وهو تحريف

(٣) م ط « الذى يتدرج »

(٤) تنو بمرجحين : أى بمجزم مهتر ، جاء فى اللسان ١٦٩/١ « والمرأة تنو بها عجيزتها :
أى تثقلها ، وهى تنو بعجيزتها : أى تنهض بها مثقلة »

(٥) م و ك « فحسن ذكر الانهيال »

(٦) راجع ترجمته فى الأغاني ٧٢/١٢ - ٧٦

(٧) النقا : الكتب من الرمل . والدمت : السهل اللين . وفى اللسان ١٥١/٣ « وعالج : رمال
معروفة بالبادية . . . وعوالج الرمال : جمع عالج ، وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض »
وهار : منهار

ويقول الشيخ « محمد محيى الدين عبد الحميد » : « القصرى : الضلع التى تلى الشاكلة بين الجنب
والبطن . والقصرى - مصغرة - مثله . وأراد بما بين قصرها وخنصرها : بطنها !!! »
وعلى هذا يكون الشاعر قد وصف محبوبته بأن بطنها تتحرك إذا مشت كما يتحرك الكتيب من الرمال
عند إرادة الانهيال !

وسياق البيت يأتى هذا التفسير لأن الأمدى قد أورد قبله أربعة عشر بيتاً كلها فى تشبيه الردف
بالكتيب ، ثم أعقب البيت بما يوضح معناه إذ يقول : « فدل بقوله : هار على أنه أراد تحرك روادفها »
ولو لم يسق الأمدى البيت هذا المساق ولم يشرحه هذا الشرح لما كان هناك مندوحة عن الذهاب إليه ، =

قَصْرَها : آخر الأضلاع ، وهى القُصْرَى^(١) والقُصَيْرَى ، فدل بقوله :
« هار » على أنه أراد تحرك رِدَافَتِها^(٢) .

وكذلك قول البحترى :

* وقَضِيْباً على كَثِيْبٍ مَهِيْلٍ *

إنما أراد تحرك أردافه ، وقد دل على المشى بقوله :

* يا هالِلاً أَوْ فِى بَأْغِى قَضِيْبٍ *

فالمعنيان لا يتناقضان ؛ لأن الشاعر إن ذكر الانهيار فإنه أراد الحركة
عند المشى ، وإن لم يذكر ذلك وشَرَطَ فى الكَثِيْبِ الندى أو^(٣) إصابة الغيث
فإنما قصد أن يَنْصُ^(٤) على اجتماعه واستمساكه ؛ كما قال رؤبة :

* مِيَالَةً مِثْلُ الكَثِيْبِ المُنْهَالِ *

ثم قال :

عَزَزَ مِنْهُ وهو مُعْطِى الأَنْهَالِ صَوْبُ السَّوَارِى مَتْنَهُ بالْتَهْتَالِ^(٥)
فانتظم الوجهين^(٦) جميعاً .

= لأن الشاعر قد حدد مراده تحديداً دقيقاً .

ويدهى أن ما يرى من المرأة المدبرة مهترًا متجرجا بين قصيرها وخنصرها إنما هو ردفها لا بطنها ،
وجمال البطن فى ضموها ودقة خلقها . وقبحها فى عظمها وتكرشها ، فإذا استرخت وترجرجت نبت
عنها الأنظار والأذواق .

(١) ك : « القصيرة » .

(٢) ط « روافدها » وفى اللسان ١٤/١١ « والروادف : الأعجاز . . قال ابن سيده :
ولا أرى أهو جمع ردف نادر ، أم هو جمع رداقة » وفى ك « رادفتها »

(٣) ط « الندى وإصابة »

(٤) ك « أن يبق »

(٥) ط « ضرب »

(٦) ط « الوجهان » وهو تحريف لأنه يريد أن يقول : إن رؤبة قد أصاب فى شعره المعنيين معا

وحققهما

والذى شَرَحَ هذين المعنيين أتمَّ الشرح ، وأبرَّ في الوصف على كل محسن -
 تميمُ بن أبي بن مقبل ، في قوله يصف مشى النساء :
 يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا لَأَنْتَ جَسَوَانِيَهُ يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينًا^(١)
 إنما^(٢) أراد بقوله : « ينهال حيناً » تحرك أعجازهنَّ إذا مشينَ كما يتحرك
 جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب والرمل الندى ،
 وهذا لا شيء أوضح منه .

٤ - ومن ذلك قوله :

مَتَى أَرَدْنَا وَجَدْنَا مَنْ يُقْصِرُ عَنْ مَسْعَاتِهِ أَوْ فَقَدْنَا مَنْ يُدَانِيهِ^(٣)
 وقالوا : ليس هذا بالجيد ؛ لأنه وصفٌ يَشْرَكُ ممدوحه فيه البقال
 [والحمال]^(٤) والمَرَّاق وباعة الدواء ولُقَاط النوى ؛ لأن هؤلاء أيضاً متى شئنا
 وجدنا من يقصر عن مسعاتهم ، وهو الحجام والكنَّاس والنَّبَّاش .
 والبيت عندى صحيح ، وغرض البحترى فيه معروف ، ومثله [أو نحو] :
 قول الأعشى :

وَأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَضْرِمْنَهُ وَيَعْدُنْ أَعْدَاءَ بُعَيْدٍ وَدَادٍ^(٥)
 وهو لا يشاء ذلك [بحال ، و] إنما أراد أن ذلك سهلٌ موجود فى النساء .
 وكذلك قول البحترى : « متى أردنا وجدنا » أى : أن ذلك موجود
 سهل حاصل ، وإن لم يكن هناك إرادة ولا طلب ؛ لأن تلك حال قد علمت
 منه ، وقد صحَّح المعنى ووَكَّد المدح بقوله : « أو فقدنا من يدانيه » والبقال

(١) ط « مالت » وانظر ما سبق ص ١٥٨

(٢) ك « فإنما »

(٣) الزيادة من ك

(٤) ديوانه ١٧٥ وفى ط « وفقدنا »

(٥) ديوانه ٩٨ « منه ويكن »

والمراق وأمثالهما غير مفقود من يدانيهم ؛ فجعل البحترى أحد القسمين في البيت معلقاً بالآخر : أى ذلك كله سهل موجود ، ولو انحصر على نصف البيت ^(١) الأول كان لعمرى [اللقح] ^(٢) فيه متعلق .

٥ - ومن ذلك قوله :

تَهَاجِرُ أُمِّمْ لَا وَضَلَّ يَخْلُطُهُ إِلَّا تَزَاوُؤُ طَيْفَيْنَا إِذَا هَجَدَا ^(٣)
قالوا : والطيفان لا هجدان ^(٤) ، وإنما أراد [أن يقول] : ^(٥) إذا هجدنا ،

فقال : « إذا هجدنا » .

وقد سمعت من يهجو فيه بما لا يبعد عندى من الصواب ، وهو أن قال :
إنه أراد ألا تزاور نفسينا إذا هجدنا ، فأقام الطيف مقام النفس ، وقال :
« هجدنا » ولم يقل : « هجدنا » للفظ الطيف وهو مذكر .

وقال : إن النفس تنام على الحقيقة كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ ^(٦) .

ف قيل له : النفس لعمرى يطلق عليها النوم ، فإذا نامت رأت خيالات الأشياء التي ترى حقائقها في اليقظة - فالنفس غير الخيال ، وقد تتمثل للنفس في حال يقظتها [خيالات الأشياء الغائبة عنها وصورها على ما هي فعراها النفس في حال يقظتها] ^(٧) وإن لم ترها العين ؛ فليس النفس من الخيال في شيء .

(١) ط « على النصف الأول »

(٢) الزيادة من ك ، م

(٣) ديوانه ٤٦ وطيف الخيال ٣٧ وفي ط « هجرا » وهو تحريف من أجل ذلك قال الشيخ

بحي الدين « لا يوجد هذا البيت في ديوان البحترى المطبوع في مصر » وهو فيه ١٣٤/١

(٤) ط « لا هجروا . . . هجروا . . . هجرا » وهكذا في بقية الكلام

(٥) الزيادة من ك

(٦) سورة الزمر : ٤٢

(٧) الزيادة من ك

فقال^(١) : فإذا كانت النفس والخيال يلتقيان في النوم ، فلم لا أسميهما خياليين - وإن كان أحدهما خيالاً والآخر نفساً - على المجاز الذي تفعله العرب ؟

وهذا عندي احتجاج صحيح ، ويصح عليه معنى البيت .

٦ - ومما نسبوا فيه البحتري إلى سوء القسمة^(٢) قوله :

فَكَأَنَّ مَجْلِسَهُ الْمُحَجَّبَ مُحْفِلٌ وَكَأَنَّ خَلْوَتَهُ الْخَفِيَّةَ مَشْهَدٌ^(٣)

وقالوا : إنه ليس في المصراع الثاني من الفائدة إلا ما في الأول ؛ لأن مجلسه المحجَّب هي خلوته الخفية ، وقوله : « محفل » كقوله : « مشهد » . والمعنى عندي صحيح ؛ لأن المجلس المحجَّب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصصهم ، وفي الأكثر الأعم لا يسمى مجلساً إلا وفيه قوم ، ألا ترى إلى قول مُهَلَّهْل :

* وَأَسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلَيْبُ الْمَجْلِسُ^(٤) *

أى : أهل المجلس ، على الاستعارة ؟

فجعل البحتري مجلسه الذي احتجب فيه مع من يخصه كالمحفل ، والمحفل : هو الجمع الكثير ، والخلوة الخفية قد يكون فيها منفرداً ، وقد يكون معه محبوب^(٥) فيها ، وبين المجلس والمحفل فرق ؛ فكأنه إذا خلا خلوة خفية فسيها^(٦) معه من يشاهده - ومن يشاهده يجوز أن يكون واحداً

(١) ط « قال »

(٢) ط « التقسيم »

(٣) ديوانه ٦٩٠ .

(٤) صدره : « نبيت أن النار بعدك أوقدت » كما في شرح الحماسة للمرزوق ٩٢٨/٢

(٥) م « محبوبة » وفي ك : « محبوبة فبينها وبين المجلس فرق »

(٦) ط « وفيها »

أو اثنين - والمحفل لا يكون إلا عددًا كثيرًا . فهذا أيضاً فرق صحيح [بين
المحفل والمشهد] .

ولما أراد البحترى أنه لا يفعل في مجلسه المحجّب إلا ما يفعله في
المحفل ، ولا يفعل في خلوته الخفية إلا ما يفعله^(١) مع مَنْ يشاهده ، ينسبه
إلى شدة التصون وكرم السريرة .

٧-- ومثله قوله :

أَمِينَ اللَّهِ ، دُمْتَ لَنَا سَلِيماً وَمُلِّيتَ السَّلَامَةَ وَالِدَوَامَا^(٢)

قالوا : فقوله^(٣) : « دمت لنا سليماً » هو قوله : « ومُلِّيتَ السلامة والدواما »
وهذا قبيح جداً .

وليس الأمر عندى كذلك ، بل القسمة صحيحة ؛ لأنه لما تقدم ذكر
السلامة والدوام في أول البيت قال في عجزه : « ومُلِّيتَ السلامة » أى :
أدّيت لك تلك السلامة [وذلك الدوام] . وأجود من هذا أن يكون لما قال :
دمت لنا سليماً وكَدَّ بذكر السلامة وفيها الألف واللام ؛ لأنها اسم الجنس ،
وكذلك الدوام . فكأنه قال : ملّيت السلامة كلها والدوام كله . ثم إنه^(٤)
ليس بمنكر أن يقول [القائل في الدعاء]^(٥) « دام لك السلام » كما يقول :
طال طولك ، وقر قرارك ، وضلّ ضلالك ، وزال زوالك . وذلك كلام مستعمل
حسن . ومعنى « مُلِّيت » : [أى] أطّلت لك وأدّيت ، مثل تَمَلَّيت

(١) ك : « ما يفعله إذا حضره من يشاهده »

(٢) ديوانه ٣١

(٣) ط « وقوله . . . فإن هذا »

(٤) في ط بدل هذه الزيادة « والملاوة - بكسر الميم وضمتها وفتحها ، ذكر ابن السكيت لها ثلاث

لغات وذلك الدوام وليس « وهى ليست من أصل الكتاب

(٥) الزيادة من ك

[جيبك] وهو مأخوذ من المَلَاوَة والمَلَاوَة^(١) وهما الدهر ، والملوان : الليل والنهار ، ومنه قولهم : وَقَفْتُ مَلِيًّا .

٨- وقال البحتري :

الْيَوْمَ أَطْلَعَ لِلْخِلَافَةِ سَعْدَهَا وَأَضَاءَ فِينَا بَدْرَهَا الْمُتَهَلِّلُ^(٢)
لَبِسَتْ جَلَالََةَ جَعْفَرٍ فَكَانَهَا سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهَارُ الْمُقْبِلُ^(٣)
وقالوا : هذا معنى فاسد ؛ لأنَّ السَّحَرَ طُرَّةُ النهار وأوله وبدء ضيائه ،
والشيء في مثل هذا لا يتجلل أوله ؛ لأنَّ التجلل هو : أن يشتمل عليه
ويغطيه ، والسحر أمام النهار أبداً ، فلا يجوز أن يتغشاه ؛ لأنه المتصل
بالظلمة والمختلط بها والطارد لها ، فهو يدور حول « كرة الأرض » دائماً على
صورة واحدة لا يتغير .

وهذه^(٤) عندي معارضة صحيحة ، إلا أن هذا معنى يُتَجَاوَزُ في مثله ؛
لأنَّ البحتري إنما أراد تجلله النهار في رأى أعيننا وما نشاهده ؛ لأنَّ زُرْقَةَ
السحر لما استطار الضوء كان كأنه^(٥) شيء غَطَّى عليها ، وإن كانت
حقيقتها أنها انتقلت^(٦) إلى قطر آخر من الأرض .

٩- وقال البحتري :

لَمْ أَرَ كَالْهَجْرِ لَمْ يُرْحَمْ مُعَذِّبُهُ وَالْوَصْلُ لَمْ يَعْتَدِ مُعْطَاهُ بِالْحَسَدِ^(٧)
وهذا كان بعضهم يراه سهواً ، ويقول : إن المعذب بللهجر مرحوم ،

(١) ط « والملوة »

(٢) ديوانه ٢٥ وأضاء فيه وفيه ١٧٥٤/٣ وفي ك : « وأضاء فيها » وهما في مدح المتوكل

(٣) في ديوانه طبع بيروت ، وفيه طبع المعارف « تجلله الصباح » « يجلله النهار »

(٤) ط « وهذا »

(٥) ط « صار »

(٦) ط « انقلبت »

(٧) ديوانه طبع مصر ١٧٨/١ وفي م « لم يركم » وهو تحريف . وفي ط « وهذا بمضهم كان »

فأما من ^(١) يواصله حبيبه فمغبوط أبداً ومحسود ، وقد قيل في ذلك من
الأشعار ما هو أشهر وأكثر ، فمنها قول يزيد بن الطثرية :

أَعُوذُ بِخَدِّكَ الْكَرِيمَيْنِ أَنْ يَرَى لَنَا حَاسِدٌ فِي غُبْرِ الْوَصْلِ مَطْمَعًا ^(٢)
وقول أبي صخر الهذلي :

فَقَدْ تَرَكْتَنِي أَحْسَدُ الطَّيْرِ أَنْ أَرَى الْيَقِينَ مِنْهَا لَمْ يَرَوْعُهُمَا الذُّفْرُ ^(٣)
وقول جرير :

وَنُحْسَدُ أَنْ نَزُورَكُمُ - وَنَرْضَى بِدُونِ الْبَذْلِ - لَوْ عَلِمَ الْحُسُودُ ^(٤)

وقول جميل بن معمر :

لَوْلَا الْوُشَاةُ لَزُرْتَكُمُ بِيَلَادِكُمْ لَكِنْ أَخَافُ مَقَالََةَ الْحُسَادِ
وقول عتبة بن ربيعة ^(٥) الحارثي :

أَيَّامَ تَهْجُرُنِي لَيْلَى وَأَحْسَدُهَا وَأَطِيبُ الْعَيْشِ عِنْدِي مُضْغَةُ الْحَسَدِ

أى : هى تهجرنى وأنا أحسدُها : أى أحسد عليها .

وليس الأمر عندى فى هذا البيت [على] ما تأوله [هذا] المتأول وظنه ،
وذلك لأن البحترى لم يرد بقوله : « لم أر كالهجر » جنس الهجر ^(٦) ، ولا
جنس الوصل ، فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل ،
[كما] يقال : أهلك الناس الدينار والدرهم ، وإنما أراد « لم أر كالهجر لم

(١) ط « الذى »

(٢) فى م وك « فى غير » وغير الوصل : بقيته

(٣) شرح الحماسة أبى تمام للمرزوق ١٢٣١/٣ وفى أسالى القالى ١٤٩/١ « أغبط
الرجل . . . لا يردعهما الذعر » وفى ك : « لا يروعهما » وانظر تخريج الأستاذ عبد العزيز الميمنى
له فى السبط ٣٩٩/١ .

(٤) ديوانه ١٦٠ « ونحسد » وفى ط « ويحسد . . . ويرضى »

(٥) ط « ابن حجر » وهو تحريف

(٦) ط « حسن . . . ولا حسن » وهو تحريف

يرحم معذبه « أى : كالهجر الذى هذه حاله [على طريق التعجب والوصل .
ولم يعتمد معطاه بالحسد ، أى والوصل الذى هذه حاله . وهذا كما تقول :
لم أر كالرجل يسيء فلا يذم . ويحسن فلا يشكر . أى كالرجل الذى هذه
حالته] ولم يرد كل الرجال .

وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول :
وَفُحْشِدُ أَنْ تَسْرِى إِلَيْنَا مِنَ الْهَوَى عَقَابِيلُ يَعْتَادُ الْجَوَى بَاغْتِيَادِهَا^(١)
فَكَمْ نَأْفُسُوا فِي حُرْقَةٍ إِثْرَ فُرْقَةٍ تَعَجَّبُ مِنْ أَنْفَاسِنَا وَأَمْتِدَادِهَا
فقد ترى كيف يزعم أنه يُحْسَدُ على الْجَوَى وعلى الْحُرْقِ ، فكيف على
الوصل ؟

١٠- وقال البحتري :

أَيُّ لَيْلٍ يَنْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقٍ؟^(٢)
عابه بعضهم هذا ، وقالوا : قد يكون بَرْقٌ لا غيث معه ، وهو بَرْقُ الْخَلْبِ .
والرجل لم يقل : لا برق إلا ومعه مطر ، وإنما قال : لا مطر إلا ومعه
برق .

١١- وسمعت من يعيب قوله :

كَالرَّوْضِ مُوتَلِقًا بِحُمْرَةِ نَوْرِهِ وَبَيَاضِ زَهْرَتِهِ وَخُضْرَةِ عُشْبِهِ^(٣)
ويقول : النور هو الأبيض [خاصة] ^(٤) ، والزهر هو الأصفر لا محالة ،

(١) ديوانه ١٠٩ « بعث الهوى » وفي م « يفتاد . . باغتيادها » وهو تحريف . والعقابيل : بقايا
المشق

(٢) ديوانه ٤٣٦ وفي أمالي المرتضى ١ / ٦٠١ « أو سماء تندى » وفي م « أرى ليل » وهو
تحريف وفي ط « يندى »

(٣) ديوانه ٧٠٠ والمشبه كتابة الحسن بن وهب وحكمه ١٦٥/١ معارف

(٤) الزيادة من ك

فإذا قلت : « في هذا الروض أنوار مختلفة » جاز ذلك ؛ لأنك تضم إلى البياض غيره فيجرب الاسم^(١) على الجميع ، على سبيل المجاز ، كما يقال^(٢) : « العُمران » لأبي بكر وعمر رضى الله عنهما ، و « القُمران » للشمس والقمر ، وما أشبه ذلك .

وكذلك إذا قلت : « فيها أزهار كثيرة » جاز ذلك وإن كان فيها أبيض وأحمر وما سواهما مع^(٣) الصفرة توسعاً ومجازاً ؛ فإذا فصلت مُعْتَمِداً^(٤) لأن نخص كل جنس باسم ، كما فعل البحترى - لم يجز^(٥) أن يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص ؛ فتقول حينئذ : يعجبني من هذا الموضع صفرة زهره ، وبياض نوره ، وحمرة شقائقه . ولا يجوز أن تقول : يعجبني حمرة نوره ، ولا بياض زهره ، كما قال البحترى ؛ لأن ذلك ؛ خطأ في اللغة على ما استعملته العرب .

ولعمري إن هذا هو الأشهر في كلامهم ، والأغلب في المأثور عنهم ، إلا أنهم قد جعلوا الزهر نوراً ، والنور زهراً ، وجاء ذلك في الشعر ، قال عديّ ابن زيد :

حتى تعاونَ مُشْتَكُّ لَهُ زَهْرٌ مِنَ التَّنَاوِيرِ شَكْلُ الْعَيْنِ فِي اللَّوْمِ^(٦)

(١) ط « الرسم »

(٢) ط « تقول »

(٣) ط « من »

(٤) ط « فصلت مقيدا [اضطرت] » وهو تحريف اضطره لهذه الزيادة

(٥) ط « ولم » وهو تحريف .

(٦) « في اللسان ٤/١٦ وفي ٢٢٨/١٤ » من التهاويل « والمستك : الملتف . وتنوير الشجرة : إزهارها . يقال : أنارت الشجرة وأنورت : أى حسنت خضرتها ، من الإنارة ، وقيل أطلعت نورها . وقد سمي إدراك الزرع تنويراً ، وجمعه عدى به زيد فقال « وفى تناوير . . . » وفي اللسان ٢٣٨/١٤ » التهاويل : ما على الهواذج من الصوف الأحمر والأخضر والأصفر . ويقال للرياح إذا تزينت بنورها وأزاهيرها من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر - : قد علاها تهويلها . وفى لك « مشترك »

اللَّوْمُ : جمع لَأَمَّة ، وَلُؤْمَةٌ ، وهى مَتَاعُ الرَّحْلِ مِنَ الْأَشْلَةِ ^(١) والولايا
وتكون مَوْشَاةً بِالْعِهْنِ والصوف المصبوغ بالحمرة وغير ذلك من الألوان ؛
فقال : « زهر » ثم قال : « من التناوير » وقال : « شكل العهن » .

وقال زهير بن مسعود [الضَّبِّي] :

وَمُنُورٌ غَدِيقُ النَّدى قُرْيَانُهُ مِثْلُ الْعُهْنِ مِنَ الْحَوَاضِرِ مُقْفَرٌ ^(٢)

وقال أبو النجْم :

فَالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فِي دَجَوَائِهِ مُخْتَلِفُ الْأَلْوَانِ فِي أَسْمَائِهِ ^(٣)
نَوْرٌ تَحَارُّ الشَّمْسُ فِي حَمْرَائِهِ مُكَلَّلًا بِالنَّوْرِ مِنْ صَفْرَائِهِ ^(٤)

فقال : « بالنور من صفرائه » .

وقال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

كَأَنَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ نَوْرَ حَنَوَةٍ إِذَا هُوَ مَدَّ الْجِدَّ مِنْهُ لِيَطْعَمَا ^(٥)

(١) الأشلة : جمع شليل ، وهو الخلس . والولايا : جمع ولية ، وهى البرذعة أو ما تحتها من كل ما ولى الظهر من كساء أو غيره

(٢) م « غديق الثرى قربانه وفى ك » غديق الثوى ط « من الحواطر مقمر » والغدق : الكثير .
والقربان : جمع قرى - يفتح فكسر - وهو مجرى الماء فى الروض . وفى حديث قس : وروضة ذات
قربان . الحواضر جمع حاضر ، ويعنى به القوم النزول على الماء . ومقفر : خال . يريد أنها روضة
أنف أى لم يرعها أحد

وقال ناشر ط « أراد بالحواطر : الخطر ، وهى جمع خطرة ، مثل سدرة وسدر ، والخطرة :
عشبة معروفة لها قضة يجهدها المال ويفرز عليها » وهذا القول منقول من اللسان ٣٣٧/٥ وبعده
« والعرب تقول : رعيننا خطرات الوسى ، وهى اللع من المراتع والبقع . ومقمر : كثير أو أبيض
أو مائل إلى الخضرة

(٣) ط « نور فى حوائه » ومعنى فى دجوائه : أى فى عظمه وسعته وطول نبتة وفى اللسان ٢٢٧/١٨
« الحواء مثل المكاء : نبت يشبه لون الذئب ، الواحدة حواءة »

(٤) م « نورا . . . من حمرائه »

(٥) ديوانه ٢٥ والشعر والشعراء ٣٥٠/١ وعيون الأخبار ١٨٨/٢ وفى اللسان ٢٢٤/١٨
« قال أبو زياد : من العشب الحنوة ، وهى شديدة الخضرة طيبة الريح ، وزهرتها صفراء وليست بضخمة ،
قال جميل :

بها قصب الريحان تندى وحنوة ومن كل أفواه البقول بها بقل »

يصف فرخ الحمامة وُصفرة أشداقه ، ويشبهها بصفرة [زهر الحنوة
لامحالة فقال] : نَوْرَ حَنَوَةٍ ؛ ولم يقل زهر حنوة .

وقال الأعشى :

وَشَمُولُ تَحْسِيْبِ الْعَيْنِ - إِذَا صُفِّقَتْ - وَرَدَّتْهَا نَوْرَ الذَّبْحِ^(١)
وَالذَّبْحُ قُبْتُ ، وَنَوْرُهُ أَحْمَرُ شَدِيدِ الْحَمْرَةِ ، ويقال [له] : «الذَّبْح»^(٢) .
وهذا كله دليل على أن هذه الأسماء تستعمل في هذه الألوان كما ترى على
اختلافها .

١٢ - وسمعت من يعيب قوله :

فَمُجْدَلٌ وَمُرْمَلٌ وَمُوسِدٌ وَمُضْرَجٌ وَمُضْمَخٌ وَمُخَضَّبٌ^(٣)
ويقول^(٤) : إن قوله : «مضرج ومضمخ ومخضب» بمعنى واحد . وذكر
أنه لو^(٥) أراد رجلا واحداً أنه مُضْرَجٌ ومضمخ ومخضب - جاز ؛ لأن [كل
لفظة تكون مؤكدة للأخرى ، قال : ولكنه [إنما]^(٦) أراد فمئهم^(٧) مضرج
[ومنهم مضمخ ومنهم مخضب ، كما قسم^(٨) في صدر البيت .

ولعمري إن البحتري كذلك أراد ، وليس بمكنر [عندي ؛] لأن - المضرج^(٩)

(١) ديوانه ١٦٢ واللسان ٧١/١٢ وفيه ٢٦٥/٣ «إذا صفقت في دنها» ويروى :
بردتها لون الذبح » بردتها : لونها . ومعنى صفقت : حولت من إناء إلى إناء . والوردة : الحمرة ،
يقال : عشية ورده : إذا احمر أفقها عند غروب الشمس

(٢) راجع اللسان ٢٦٥/٣

(٣) ديوانه ٦٨٤ وهو في وصف قتل المدوح

(٤) م «ويقال» ط «ويقولون»

(٥) ط «أنه إن»

(٦) ط «منهم»

(٧) الزيادة من ك

(٨) ط «كما فهم»

(٩) ط «لأن التضريج من التضريح»

من الصَّرح وهي الحمرة المشرقة التي ليست بقانية ، والمضمخ يريد [به] غلظ. الدم وأنه [قد صار] في متانة الطيب الذي يتضمنه به ، والمخضب أراد أن الدم قد خَضِبَه كما يخضَّب بالحناء ؛ ففي كل لفظة ما ليس في الأخرى ، وإن كانت الحمرة قد شملت الجميع ؛ لأن المخرج يجوز أن يكون أراد به طراوة الدم : أى منهم حديث عهد بالقتل ومضمخ^(١) مَنْ قد خُثِر عليه الدم كأنَّ قتله قد تقدم قَبْل [قتل] الآخر ، والمخضب يجوز أن يكون [من قد]^(٢) مضى لقتله يوم أو أكثر فقد اسودَّ عليه الدم .

وهذه معانٍ كلها^(٣) محتمل .

وقد يجوز أن يريد بقوله : « مخرج » سائر جسده ، وبالمضمخ أن السيف أخذ عوارضه وتحت لحيته ، وذلك موضع من مواضع التضميخ^(٤) بالطيب ، وأراد بالمخضب أن السيف أخذ في رأسه وفي يديه ورجليه ، وذلك موضع الخِضاب ، وقد يكون المخرج : المقطع [يقال]^(٥) : « ضَرَجَه » إذا قطعه .
وهذه معانٍ لطيفة^(٦) ويجوز أن يعتدَّ بها ، والوجه القويُّ هو الأول .

١٣ - وسمعت قوماً ينكرون قوله في وصف الخمر :

وَفَوَاقِعُ مِثْلُ الدَّمُوعِ تَرَدَّدَتْ فِي صَحْنٍ خَدَّ الكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ^(٧)

ويقولون : إن الدموع لا تتردد في الخد كما يتردد الحَبَاب في الكَأْس ،

ولمَّا الدمع يجري ويتتابع .

(١) ط « والمضخ »

(٢) الزيادة من ك

(٣) م و ك « كلها معانٍ كلها » و ط « محتملة »

(٤) ط « التضميخ »

(٥) زيادة من ط وفيها « ضرجته إذا قطعته »

(٦) ط و ك « وقد يجوز أن يعتدَّ بها »

(٧) ديوانه ٤٧٥ ؛ (١ / ٤ مصر)

والمعنى صحيح ، ولا عيب فيه ؛ لأن التردد قد يكون الجَوْلان ، وقد يكون التتابع والتواتر ، يقال : قد تَتَابَعْتُ كُتُبِي إِلَيْكَ ، وتردَّدت : بمعنى ، وتواترت رُسُلِي وتتابعت ، والكتاب الأول^(١) غير الثاني ، وكذلك قد يكون الرسول الأول غير الرسول الثاني : وإنما حُسِّنَ أن يقال : تتابعت وتردَّدت لأن كل واحد [من الكتب يقال له : كتاب ، ويقال لكل واحد] من الرسل : رسول ؛ فلما ضَمَّهم اسم واحد حُسِّنَ استعمالُ التتابع والتردد ، وإن كانت أشخاصاً متباينة ، وكل واحد غير الآخر .

وكذلك الدمع يحسن^(٢) أن يقال : قد تَتَابَعْتُ دَمُوعَهُ عَلَى خَدِّهِ ، وتردَّدت ، وإن كانت كلُّ دَمْعَةٍ غير الأخرى . وَالْحَبَابُ وإن جال في القَدَحِ دائراً^(٣) فيه فإنه ربما جَرَى فيه على جهةٍ واحدة ، كما يجرى الدمع على جهة واحدة .

وهذا من أحسن التشبيه وأليقه ؛ لأن الخمر قد يكون منها [ما هو] أحمر إلى التوريد الخفيف كحمرة الخد ، وخاصة إذا أَرِقَّتْ بالماء ، كما قال الشاعر :

كُمَيْتٌ إِذَا فُضَّتْ ، أَوْفَى الْكَأْسِ وَرْدَةً لَهَا فِي عِظَامِ السَّارِبِينَ دَبِيبُ
فَإِذَا شَبَّهَتْ الْخَمْرَةَ بِالْخَدِّ وَذَكَرَ الْحَبَابُ^(٤) فَمَنْ أَلِيقَ مَا شَبَّهَ بِهِ وَأَحْسَنَهُ
وَأَصَحَّهُ الدَّمْعُ ؛ لِأَنَّ الدَّمْعَ قَدْ يَقِفُ فِي الْخَدِّ كَوَقُوفِ الْحَبَابِ فِي صَحْنِ
الْكَأْسِ . وباب اختلاف حركة الْحَبَابِ و^(٥) حركة الدَّمْعِ ، فليس كل شيء

(١) ط « هو غير »

(٢) ط « حسن »

(٣) ط « حائراً »

(٤) م « بمن »

(٥) ط « أو »

يُشَبَّهُ بِشَيْءٍ يَقَعُ التَّشْبِيهُ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ حَتَّى لَا يَغَادِرَ مِنْهَا شَيْئاً^(١)
 قَدْ يَكُونُ ، إِنَّمَا شَبَّهَ بِهِ بِبَعْضِ مَا فِيهِ لَا بِكُلِّهِ .

١٤- وَرَأَيْتَ مَنْ عَابَ قَوْلَهُ :

فَصَبَّغْتُ أَخْلَاقِي بِرَوْنَقِ خُلُقِهِ حَتَّى عَدَلْتُ أَجَاجَهُنَّ بِعَذْبِهِ^(٢)
 وَقَالُوا : إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي لِمَا ذَكَرَ الْأَجَاجَ وَالْعَذْبَ أَنْ يَقُولَ : « فَمَزَجْتُ »
 لَا أَنْ يَقُولَ : « فَصَبَّغْتُ » ، أَوْ لِمَا قَالَ : « فَصَبَّغْتُ أَخْلَاقِي » أَنْ يَقُولَ :
 « حَتَّى عَدَلْتُ أَلْوَانَهَا^(٣) بِحَسَنِ لَوْنِهِ » .

وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْمَعَارِضَةُ بِشَيْءٍ . وَالْمَعْنَى صَحِيحٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ
 صَبْغٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَيُقَابَلُ بِذِكْرِ لَوْنٍ حَتَّى يَتَكَافَأَ الْمَعْنَيَانِ ، وَلَا مَشْرُوبٌ
 عَذْبٌ وَلَا أَجَاجٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَيَسْتَعْمَلُ ذِكْرَ^(٤) الْمَزَاجِ ، وَ[إِنَّمَا] هَذِهِ
 اسْتِعَارَاتٌ يَنْوِبُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ . وَيَقُومُ بَعْضُهَا مَقَامَ بَعْضٍ ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ
 بِحَقَائِقٍ فِيمَا اسْتَعِيرَتْ لَهُ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : فَلَانٌ قَدْ شَابَكَ^(٥) فَلَانًا ،
 وَخَالَطَهُ ، وَمَازَجَهُ [وَدَاخَلَهُ] . وَانْصَبِغْ بِهِ . بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَإِنْ كَانَ بَعْضُهَا
 أَوْ كَدٌّ مِنْ بَعْضٍ ، وَلَا يَكُونُ هُنَاكَ مُدَاخَلَةٌ وَلَا مِمَازَجَةٌ لَجَسْمٍ^(٦) فِي جَسْمٍ وَلَا
 مُخَالَطَةٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ ؟

١٥- وَمِمَّا عَيْبَ عَلَيْهِ مِنَ التَّعَسُّفِ وَالتَّعْقِيدِ فِي اللَّفْظِ قَوْلُهُ :

فَتَى لَمْ يَجِلْ بِالنَّفْسِ مِنْهُ عَنِ الْعُلَى إِلَى غَيْرِهَا شَيْءٌ سِوَاهُ مُجِيلُهَا^(٧)

(١) ط « شئ » وقد «

(٢) ديوانه ٧٠٠

(٣) ط « ألوانهن »

(٤) ط « بذكر »

(٥) ط « شارك »

(٦) ديوانه ٣ / ١٧٨٠ « يجيلها » م « مازجة في جسم في جسم »

وكان بعض الناس يرى أنه لاحق [فيه] ، ويقول : إنه إنما أراد
فتى لم يمل بنفسه عن العلى شيء مميل نفس سواه ، أى : ما يميل النفس
عن المعالى من اللهو واللعب والدعة وحب الراحة والضن بالمال ، ونحو هذا من
الأشياء الشاغلة عن السؤدد ، فقدم «سواه» وكفى عن النفس بقوله
«مميلها» بعد أن حذفها .

قال : وذلك غير جائز ؛ لأنك إذا قلت : «لن يضرب هامة عمرو» [أحد
ضارب هامة غيره] ، فقدمت هامة غيرد [فقلت : لن يضرب هامة عمرو
واحد^(١) غير ضاربها ، وجعلت الهاء فى «ضاربها» كناية عن الهامة لتقدمها -
لجاء^(٢) : إلا أن البصريين من النحويين يقولون : «هامة غيره^(٣) ضاربها
هو» كما أنه لو قال : «شيء نفس سواد مميلها هو» جاز .

فإن فككت^(٤) الإضافة وأسقطت «هامة» وقدمت غيره^(٥) فقلت :
«لن يضرب هامة عمرو أحد غيره^(٦) ضاربها» لم يجوز : لإسقاطك الهامة
التي كنايتها الهاء فى قولك : «ضاربها» ، ولا تجوز الكناية عن غير مذكور
[فى] مثل هذا ، فكذلك لا يجوز فى البيت «شيء سواه مميلها» وهو يريد
شيء نفس سواه مميلها ؛ لأن الهاء فى قوله «مميلها» كناية عن النفس ؛
فلا يجوز إسقاط النفس .

وهذا لعمري إن كان البحتري أرادده فهو غلط ، غير أنه - والله أعلم -

(١) ك : «هامة غيره ضاربها»

(٢) ط «جاز»

(٣) ط «غير»

(٤) ط «فإن فصلت»

(٥) ط «غير»

(٦) ط «واحد غير»

إنما أراد فتى لم يمل^(١) بالنفس منه عن العلى إلى غيرها شيء ، بخفض « شيء »
على أن المدوح هو الذى لم يمل بنفسه عن العلى إلى شيء غيرها ، ثم قال
« سواد مميلها » على الابتداء والخبر : أى لكن^(٢) سواد من الناس مميلها ،
فأضمر « لكن » وهذا سائغ ، وأنشد سيويوه :

عَلَى الْحَكَمِ الْمَأْتَى يَوْمًا إِذَا قَضَى قَضِيَّتَهُ أَنْ لَا يَجُورَ ، وَيَقْصِدُ^(٣)

قال : أراد ولكنه يقصد ، فأضمر « لكن » فلذلك رفع « يقصد » .
وعلى أنه مستعمل كثير فائش^(٤) فى كلام الناس أن يقولوا : زيد لا
يقعد عن المكارم وعمره يقعد عنها ، وأنا لا أجفوك^(٥) بكر [هو] الجاني
لك ؛ فيكون الكلام مستغنياً بنفسه ؛ فلا يحتاج إلى إضمار .
فإن سلم البيت من عيب اللحن لم يَسْلَمْ من عيب التعسف . ولست أعرف
بيتاً تعسف فى نظمه غير هذا [البيت] .

١٦ - ومن ردىء التجنيس وقبيحه قوله :

أَمِنَّا أَنْ تُصْرَعَ عَنْ سَمَاحٍ وَلِلَّامَالِ فِي يَدِكَ اضْطِرَاعٌ^(٦)

يقول : أَمِنَّا أَنْ يَغْلِبَكَ غَالِبٌ يَصْرَعُكَ عَنْ السَّمَاحِ وَيَمْنَعُكَ مِنْهُ ، وَلِلَّامَالِ
فِي يَدِكَ اضْطِرَاعٌ : أى تنافس وتغالب وازدحام ، وقوله : « فى يدك » لأن
العطاء إليها ينسب .

(١) ط « لا يمل »

(٢) ط « أى لأن »

(٣) البيت فى كتاب سيويوه وشرح الشواهد (٤٣١ / ١) لعبد الرحمن بن أم الحكم

(٤) ط « فى الكلام أن تقول »

(٥) ط « إنما بكر »

(٦) ديوانه ٢٢٨ ، ٢ / ١٢٤٦ فى مدح إبراهيم بن المدبر

وقد جاء هذه اللفظة في موضع آخر ، فقال يصف أخلاق المدوح :
يَتَصَرَّعَنَّ لِلرَّجَاءِ دُنُوًّا أَلْ حُزْنِ وَالْوَدْقُ خَارِجٌ مِنْ خِلَالِهِ^(١)
وهي ههنا أقل قبحاً منها في البيت الأول . ولو [كان]^(٢) قال : « يتدانين
للرجاء دُنُوًّا المزن » كان أحسنَ في اللفظ . وأوفقَ من أجل التجنيس ، ولكن
« يتصرعن » أوكد في المعنى ؛ لأنه بمعنى^(٣) يتساقطن ويتطرحن ، يريد
الإسراع إلى الرجاء من غير ترفق ولا توقُّ للانهطاط والوقوع ، ليدل على
الحرص والشهوة .

وقد جاء هذه اللفظة في موضع آخر ، وأوقعها موقع الذم ، فقال :
مَنْ يَتَصَرَّعُ فِي إِثْرِ مَكْرَمَةٍ فَدَابُّهُ فِي اتِّبَاعِهَا دَابُّهُ^(٤)
يريد مَنْ يتساقط^(٥) في إثر مكرمة إذا سعى لطلبها ولم يكن له نهوض
فيها فدأب المدوح دأبه المعروف المشهور منه ، أى : جدُّه وأحقاقه . وحرك
الدأب الثاني وسكن الأول ، ومعناها واحد .
ويجوز أن يكون أراد فدأبه في اتباعها : أى عاداته في اتباعها دأبه ،
أى : سعيه وحركته ، وهو أجود .

١٧ - ومن ردىء التجنيس أيضاً قوله :

حُبِّيتْ بَلْ سُقِّيتْ مِنْ مَعْهُودَةٍ عَهْدِي غَدَتْ مَهْجُورَةٌ مَا تُعْهَدُ^(٦)

(١) ديوانه ٥٧١ ، ١٨٤٣/٣٥ « دنو النيم » وقبله

موسر من خلائق تتراى من ضروب الربيع أو أشكاله

(٢) الزيادة من ك

(٣) سقطت من ك .

(٤) ديوانه ١٩٩ « في ابتغائها »

(٥) ط « تساقط »

(٦) ديوانه ٦٨٩ وبعده :

لو كنت سامة لبحت بلوغي ولقلت : ما فعل الحسان الخرد

ويروى : « سقيت من معمورة » يخاطب الذَّمَنَ ، أى : عهدى بها معمورة^(١) .

ومن رواد^(٢) : « معهودة عهدى » أى : عهدى بها معهودة^(٣) .

وقد يكون العهد^(٤) من التعهد . ويكون قوله : « ما تعهد » أى : قد نسيت ، وهذا يشبه^(٥) تجنيسات أبى تمام .

(١) ط « معمورة معهودة »

(٢) ط « روى »

(٣) ط و ك « معهودة ففدت معهودة ما تعهد »

(٤) ط « تعهد »

(٥) ط « وهذه شبه »

باب

في اضطراب الأوزان

وما رأيت شيئاً مما عيبَ به أبو تمام إلا وجدت في شعر البحتري مثله ،
إلا أنه في شعر أبي تمام كثير وفي شعر البحتري قليل .

فمن ذلك اضطراب الأوزان في شعر أبي تمام .

١ - وقد جاء في شعر البحتري بيتٌ هو عندى أقبح من كل ما عيب به
أبو تمام في هذا الباب ، وهو قوله :

وَلِمَاذَا تَتَّبِعُ النَّفْسُ شَيْئًا جَعَلَ اللَّهُ الْفِرْدَوْسَ مِنْهُ بَوَاءً^(١)

وكذلك وجدته في أكثر النسخ . وهذا خارج عن الوزن ، والبيت من
العروض هو البيت الأول من الخفيف [وهو] سُدَّاسِيٌّ [ووزنه] :

فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ * فَاعِلَاتُنْ^(٢) مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ

وتقطيعه :

وَلِحَاذَا * تَتَّبِعُنْ * نَفْسُ شَيْئًا جَعَلَ لِلْأَهْلِ * فِرْدَوْسِينَ * هَبَوَاءَ

(١) ديوانه ٤٤٤ « يجعل » وفي عبث الوليد لأبي العلاء المعري ٢٦ :

ولماذا تكره النفس شيئاً جعل الله الخلد منه بواء

كان في النسخة : « جعل الله الفردوس منه بواء » وهو كسر ، والتغيير الذي ذكره ابن العميد : « جعل
الله الخلد منه بواء » وقد جاء أبو عباد في شعره بمثل هذا وفي غير موضع ، من ذلك قوله :

وأحق الأيام بالحسن أن يؤثر عنه يوم المهرجان الكبير

تقويمه : ذو المهرجان الكبير ، أو نحو ذلك . وهذا كسر متجانس ؛ لأنه زيادة حرفين الأول متحرك
والثاني ساكن في الوزن الذي يسمى الخفيف «

(٢) م « فاعلان . . فاعلان »

فَعِلَاتُنْ * مَفَاعِلُنْ * فَاعِلَاتُنْ^(١) فَعِلَاتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ - فَعِلَاتُنْ

، فمحذوف ألف «فاعلاتن» الأولى والثانية والأخيرة فصارت فَعِلَاتُنْ ،

وسين «مستفعلن» الأولى فصارت مَفَاعِلُنْ ، وذلك كله زحاف جائز .

وزاد في البيت سَبَبًا ، وهو حرفان : الهاء من اسم الله عز وجل ، واللام من لفظ الفردوس ، وهو^(٢) : هل إكفاء . ولا أعرف مثل هذا البيت .

وقد رأيت في بعض النسخ : «جَعَلَ اللهُ الْخُلْدَ مِنْهُ بَوَاءً»^(٣) فإن يكن

هكذا قال فقد تخلّص من العيب ، ويكون تقطيع البيت^(٤) :

* جَعَلَلَا * هُلْخُلْدَ مِنْ * هُبَوَاءً *

فاعلاتن * مستفعلن * فَعِلَاتُنْ

٢- وقال البحتري :

حَلَاتُنَا عَنْ حَاجَةٍ مَمْنُوعٍ مُبْتَغَاهَا وَحَاجَةٌ مَمْطُولَةٌ^(٥)

وهذا من العروض هو البيت الأول من الخفيف ، وتقطيعه :

حَلَاتُنَا * عَنْحَاجَتِنْ * مَمْنُوعِنْ مُبْتَغَاهَا * وَحَاجَتِنْ * مَمْطُولَةٌ

فَاعِلَاتُنْ * مُسْتَفْعِلُنْ * مَفْعُولُنْ فَاعِلَاتُنْ * مَفَاعِلُنْ * مَفْعُولُنْ

وكان يجب أن تكون عروض البيت - وهى مفعولن الأولى - «فاعلاتن» ،

ولا يجوز فيها «مفعولن» ، بل لو كان البيت مُصَرَّعًا لجاز في عروضه

(١) م « فعلان »

(٢) ط « وهو إكفاء »

(٣) م « البيت من مستفعل هو افعلان وقال البحتري »

(٤) ديوانه ٤٧٥ « عن رفته في منام » وحلاتنا : أى منتعنا سعدى البخيلة مما يسأل المحب

(٥) م « منوع »

«مفعولن» كما جاز في ضَرْبِهِ - وهي القافية - وذلك قوله : «مطولة» .
وأما جَعَلَهُ «مفاعِلن» في موضع «مستفعلن» الثانية في البيت ، فذلك جائز
من الزَّحَاف .

وقد غير قومٌ هذه اللفظة في البيت - وهي ممنوع - فقالوا : «بممنوع
مبتغاهَا» أي : حَلَّاتُنَا عن حاجة [بمانع] ^(١) منع مبتغاهَا من عائقٍ أو وإلٍ
عليها ، ويكون «مبتغاهَا» في موضع نصب بممنوع ، وهو [وجه] محتمل ^(٢) .

* * *

قال أبو القاسم الحسنُ بن بشر بن يحيى الأَمَلِيُّ :

وأنا أذكر بإذن الله الآن في هذا الجزء [أنواع] المعاني التي يَتَّفَقُ فيها
الطَّائِفَانِ ، وَأَوَازِنُ بين معْنَى ومعْنَى ، وأقول : أيهما أشعر في ذلك المعنى
بعينه . فلا تطالبني ^(٣) أن أتعدَّى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندي
على الإطلاق ، فإنني غير فاعل ذلك ، لأنك إن قُلِدْتَنِي ^(٤) لم تحصل لك
الفائدة بالتقليد .

وإن طالبت بالعلل والأسباب التي أوجبت التفضيل ، فقد أخبرتك فيما
تقدم بما أحاط به علمي مِنْ نَعْتِ مذهبيهما ، وذكر مساويهما ^(٥) في سرقة
المعاني من الناس [وانتحالها] ^(٦) ، وغلطهما في المعاني والألفاظ . و[في]
إساءة مَنْ أساء منهما في الطَّبَاق والتجنيس والاستعارة ورداعة النظم واضطراب
الوزن ، وغير ذلك مما أوضحت في مواضعه وبينته ، وما سيعود ذكره في

(١) الزيادة من ك

(٢) في ك «آخر معايب البحري»

(٣) ط «فلا تطالبني»

(٤) م «قلدتني بشيء»

(٥) ط «وذكر مطلوبيهما في سرقة معاني»

(٦) زيادة من ط

الموازنة من هذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة ، وما ستره من محاسنها وبدائعها وعجيب اختراعاتها^(١) ؛ فإنني أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضها ومعانيها في الأشعار التي أرتبها في الأبواب ، وأنص^(٢) على الجيد وأفضله ، وعلى الرديء وأرذله ؛ وأذكر من علل الجميع ما ينتهي إليه التخليص ، وتُحيط به العبارة^(٣) . ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان ، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهو^(٤) علة ما لا يُعرف إلا بالتَّجَرُّبَةِ ودائم التجربة وطول الممارسة . وبهذا يُفضَّل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة^(٥) مَنْ سِوَاهُمْ ممن نقصت تجربته^(٦) ، وقلَّتْ دُرَيْتُهُ ، بعد أن يكون هناك طَبْعٌ فيه تقبُّل لتلك الصناعة^(٧) وامتزاج [بها] ، وإلا فلا^(٨) .

ثم أَكِلْكَ بعد هذا إلى اختيارك ، وما تقضى عليه فِطْنَتُكَ وتمييزك ؛ فينبغي أن تنعم^(٩) النظر فيما يرد عليك ، ولن ينتفع بالنظر إلا من يُحسن أن يتأمل ، ومن إذا تأمل علم ، ومن إذا علم أنصَف .

ثم إن العلم بالشعر [قد] خُصَّ بِأَن يدَّعيه كلُّ أحد ، وأن يتعاطاه مَنْ ليس من أهله ؛ فلم لا يدعى أحد هؤلاء المعرفة بالعين والوَرَق والخيل والسلاح والرقيق والبَزَّ والطيب وأنواعه ، ولعله قد لا بس من أمر الخيل وركوبها

(١) ط « اختراعاتها »

(٢) ط « وأنه . . . وأفضله على الرديء وأبين الرديء وأرذله »

(٣) ط « به العناية . . . ما لم »

(٤) ط « وهي »

(٥) م « فن »

(٦) ط « قريحته »

(٧) ط « لتلك الطباع » وهو تعريف

(٨) ط « وإلا لا يتم ذلك وأكلك بعد ذلك »

(٩) ط « أن تم »

والسلاح والعلم به^(١) ، أو الرقيق واقتنائه أو الثياب ولبسها أو الطيب واستعماله -
أَكْثَرَ مما عاناه من أمر الشعر وروايته ؛ فلا يَتَّهَم نفسه في المعرفة بالشعر^(٢)
تُهْمته إياها بالمعرفة ببعض هذه الأشياء مما عاناه وزاوله^(٣) . وما باله - وقد
ركب الخيل كثيرا - لما راقه من الفرس ملاحاةً سَيِّبِهِ^(٤) ، واستدارةً كَفَلِهِ ،
وبريقُ شعره ، وحسن إشراقه [وجوده حُضْره - توقف عن ابتياعه حتى يشاور
من يخبر^(٥) أمره في جنسه] وَعَتَقَهُ^(٦) ، ووضع نتاجه ، وصحة قوائمه ، وسلامة
أعضائه ، وبرأته من العيوب الظاهرة والباطنة .

وكذلك السيف لما بَهَّرَه جلاؤه ، وصِقَّاله وَصَفَاء حديدته^(٧) - لم
يُخْض فيه اختياره على غيره من السيوف ، حتى شاوَر مَنْ يَعْرِف حسنه^(٨) وطبعه
وجوهره وفِرْنَدَه ووضاءه .

وكذلك لما أعجبه من ثوب الوشي حسن طَرَزِهِ^(٩) ، وكثرة صوره ،
وبديع نقوشه ، واختلاف^(١٠) ألوانه - لم يبادر إلى إعطاء ثمنه حتى رجع إلى أهل
العلم بجوهره وكثرة مائه وجودة رُفَعَتِهِ وصحة نساجته وخلاص^(١١) إِبْرِيَسِمِهِ .

(١) ط « والعلم بذلك »

(٢) سقطت من ك

(٣) ط « وتناوله »

(٤) في اللسان ٤٤٢/١ « السبب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية » وفي ك

« شبيته »

(٥) ط « يخبز »

(٦) ط « إشرافه وعنته »

(٧) ط « حديدته » و م : « فلم يجعل في اختياره »

(٨) ك « جنسه »

(٩) م « و ك » ط « طروحه »

(١٠) ط « واختلاط »

(١١) ك « وخالص »

فكيف لم يفعل ذلك في الشعر لَمَّا رَاقَهُ حَسَنُ وَزَنَهُ وَقَوَافِيهِ ، ودقيق معانيه ، وما يشتمل عليه من مواظـ وأدب وحكم وأمثال^(١) ، فلم يتوقف عن الحكم له على ما سواه حتى يرجع إلى من هو أعلم منه بالألفاظه ، واستواء نظمه ، وصحة سبكه ، ووضع الكلم منه في مواضعه ، وكثرة مائه ورؤنقه ؛ إذ كان الشعر لا يُحكم له بالجودة إلا بآن تجتمع هذه الخلال فيه ؟ !

ألا ترى أنه قد يكون فَرَسَانِ سَلِيَمَانٍ من كل عيب ، موجودٌ فيهما سائرُ علامات العِتق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أَفْضَلُ من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهلُ الخبرة والدربة الطويلة .

وكذلك الجاريتان البارعتان في الجمال ، المتقاربتان في الوصف ، السليمتان من كل عيب : قد يَفْرُقُ بينهما العالمُ بِأَمْرِ الرقيق ، حتى يجعل بينهما في الثمن فضلاً كبيراً ، فإذا قيل له [وللنخاس]^(٢) : من أين فضلت أنت هذه الجارية على أختها ؟ ومن أين فضلت أنت هذا الفرس على صاحبه ؟ لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما ، وإنما يعرفه كل واحد منهما بطبعه ، وكثرة دربته ، وطول ملاسته .

وكذلك الشعر : قد يتقارب البيتان الجيدان النادران ، فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناه واحداً ، أو أيهما أجود في معناه إن كان معناه مختلفاً .

وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سَلَامُ الْجُمَحِيُّ^(٣) وأبو علي : دَعِبِل ابن علي الخَزَاعِي ، في كتابيهما .

(١) م و ك « لم »

(٢) زيادة من ط و ك

(٣) راجع طبقات فعول الشعراء بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ٦ - ٨ .

وحكى إسحاق الموصلى قال : قال لى المعتصم ^١ أخبرنى عن معرفة النعم وبَيِّنْهَا لى . فقلت : إن من الأشياء أشياء تُحِيطُ بِهَا المعرفة ، ولا تؤدِّيها الصفة .

قال : وسألتى محمد الأمين عن شعرين متقاربين ، وقال : اختر أحدهما ، فاخترت ، فقال : من أين فضلت هذا على هذا وهما مقاربان ؟ فقلت : لو تَفَاوُتَا لَأَمَكْنِي التَّبْيِينُ ، ولكنهما ثَقَابَا وَفَضِلْتُ ^(١) هذا بشيء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان .

وقد قيل لخلف الأحمر ^(٢) : إنك لا تزال تردُّ الشيء من الشعر ، وتقول : هو ردىء ، والناس يستحسنونه !

فقال : إذا قال لك الصَّبْرَقِ : إن هذا الدرهم زائفٌ فاجهد جَهْدَكَ أَنْ تنفقه فإنه لا ينفعك قولٌ غيره : إنه جيد .

فَمِنْ سَبِيل مَنْ عَرَفَ بِكَثْرَةِ النَّظَرِ فِي الشَّعْرِ وَالْإِتْيَاضِ بِهِ وَطُولِ الْمَلَابِسَةِ لَهُ - أَنْ يَقْضَى لَهُ بِالْعِلْمِ بِالشَّعْرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِأَغْرَاضِهِ ^(٣) ، وَأَنْ يَسْلَمَ لَهُ الْحُكْمُ فِيهِ ، وَيُقْبَلَ مِنْهُ مَا يَقُولُهُ ، وَيَعْمَلُ عَلَى مَا يُمَثِّلُهُ ^(٤) . وَلَا يُنَازَعُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ إِذْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يَسْلَمَ لِأَهْلِ كُلِّ صِنَاعَةٍ صِنَاعَتَهُمْ ، وَلَا يَخَاصِمَهُمْ فِيهَا ، وَلَا يَنَازِعَهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ نَظِيرًا ^(٥) فِي الْخِبْرَةِ وَطُولِ الدَّرَبَةِ وَالْمَلَابِسَةِ ^(٦) .

(١) ط « فضل »

(٢) راجع طبقات فحول الشعراء ٨

(٣) م و ك « بأغوانه » !

(٤) ط « على تمثاله »

(٥) ط « نظرا »

(٦) ط « فإنه »

ولأنه ليس في وُسع كل أحدٍ [منهم] ^(١) أن يجعلك أيها السائل المتعنت أو المسترشد المتعلم في العلم بصناعته كنفسه ، ولا يجد إلى قذف ذلك في نفسك ولا في نفس ولده أو مَنْ هو أخص الناس به سيلاً ، ولا أن يأتيك بعلّة قاطعة ، ولا حجة باهرة ، وإن كان ما اعترضت به اعتراضاً صحيحاً ، وما سألت عنه سؤالاً مستقيماً ؛ لأن ما لا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام ، لا يجوز أن يحيط [محيط] به في ساعة من نهار .

ثم إن العلم بالذي لا يُعلم ^(٢) في أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشاهدة ^(٣) لا يعرف حق المعرفة بالقول ^(٤) والصفة ، وقد قيل : ليس الخبر كالمعاينة . وعلّة ذلك بينة واضحة ، ومعلومة ^(٥) ظاهرة ، وهي : أنه لا يمكن أن يشاهد بك ^(٦) جميع المعلومات التي اختبرها ^(٧) وعلم علمه [منها] بما لبستها في السنين الطويلة . فمن المحال أن يقدر [على أن يصور لك عشرة آلاف فرس أو] أن يصف لك عشرة آلاف جارية أو عشرة آلاف سيف مختلفات الأجناس والجواهر [والأوصاف] فيجعلك مشاهداً لذلك كله في لحظة واحدة ووقت واحد ، ومُخبِراً ^(٨) لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة في كل نوع من ذلك وكل جنس في تلك الساعة ، وهو إنما علّم ذلك على مرور

(١) الزيادة من ك

(٢) ط « الذي لا يعلم به »

(٣) ط « والمشاهدة »

(٤) م « في الصفة »

(٥) ط « ومعلوم ظاهري أنه لا يمكن »

(٦) م « كل جميع »

(٧) ط « التي احتواها »

(٨) م و ك « ومجرباً لك كل »

الأيام وطول الزمان ، وهذا محال^(١) لا يمكن ولا يسوغ ولا يقدر عليه [أحد]^(٢) إلا خالق الخلق وبارئ البشر .

وبعد : فلم لا تصدق نفسك أيها المدعى ، وتعرفنا من أين طراً عليك [العلم]^(٣) بالشعر ؟ أمن أجل أن عندك خزانة كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء^(٤) ؟ وأنتك ربما قلبت ذلك وتصفحته أو حفظت القصيدة والخمسين منه ؟

فإن كان ذلك هو الذى قوى ظنك ، ومكّن ثقتك بمعرفتك ، فلم لا تدعى المعرفة بشباب بدنك ورجل^(٥) بيتك ونفقتك ؟ فإنك دائماً^(٦) تستعمل ذلك وتستمتع به ، ولا تخلو من ملابسته ، كما تخلو فى كثير من الأوقات من ملابس الشعر ودراسته^(٧) ، حتى إذا رمت تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدنانير أو ابتياع ثوب أو شيء من الآلة - لم تثق بفهمك ولا علمك حتى ترجع إلى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ، ولم لما خفت الغيبة فى مالك فأذعنت وسلّمت وأقررت بقلّة المعرفة - لم^(٨) تخش الغيبة والوكس فى عقلك فتسلّم العلم بالشعر إلى أهله ؟ فإن الضرر فى غبن العقل أعظم من الضرر فى غبن المال .

فإن قلت : وما العلم بالخيال والبزّ والرقيق والذهب والفضة التى لم

(١) ط « محال »

(٢) ط « الزيادة من ك »

(٣) م « عليك العلم والشعر . . . أن عندي »

(٤) ط « وأنت . . . أو صفحته »

(٥) م « ورجل » ويعنى برجل منزله : أناؤه

(٦) ط « ونفقاتك . . . دأباً »

(٧) ط « ودراسته وإنشاده »

(٨) ط « ولم »

يُطَبِّع الإنسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديتها كما طُبِّع على الكلام ؛ فكان كل أحد [يكون] متكلماً ، وليس كل أحد صيرفياً ولا بزازاً ولا نَحَاساً ؟

قيل : ولا كل أحد يكون شاعراً ، ولا خطيباً ، ولا في منطقهِ بارعاً ولا بليغاً^(١) ولو كان ذلك كذلك لما رأيت أحداً يتكلم [فيستحسن كلامه ولا يستعاد^(٢) ، وآخر يتكلم [فيُضحك منه ، فالإنسان المتكلم يعلم معاني ألفاظ. لغته ، ولا يعلم جيدها من رديتها [ومتخيرها من مرذولها^(٣) ، كما أنه يعلم أيضاً أنواع الثياب والجواهر والخيال والرقيق ، ويميز بين أجناسها ، ولا يعلم جيد كل جنس^(٤) من رديته ، وأرفعه من أدونه^(٥) . فكما أن المعرفة بكل جنس من هذه صناعة ، فكذلك المعرفة بأجناس الكلام^(٦) [من الشعر] والخطابة صناعة . فإذا رجعت في^(٧) المعرفة بتلك إلى أهلها فارجع أيضاً [في المعرفة] بهذه إلى أهلها .

وبعد : فلإني أدلك على ما^(٨) ينتهي بك إلى البصيرة والعلم بأمر نفسك في معرفتك بهذه^(٩) الصناعة أو الجهل بها ، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة في علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فإن عرفت علّة

(١) ط « ولا منطقياً بليغاً ولا بارعاً »

(٢) ك « ولا يستفاد »

(٣) زيادة من ط و ك

(٤) م « كل نفس »

(٥) ط « دونه »

(٦) م « بكل أجناس الكلام والحكاية » ! وط « بكل جنس من أجناس الكلام »

(٧) م « إلى »

(٨) ط « ما تنتهي إليه البصيرة »

(٩) ط « بأمر هذه »

ذلك فقد علمت ، وإن لم تعرفها فقد جهلت ، وذلك أن تتأمل شعر أوس
ابن حجر والنابعة الجعدى ؛ فتنظر من أين فَضَّلُوا أوسا ، وتنظر فى شعرى^(١)
بشر بن أبى خازم وتميم بن أبيت بن مُقْبِل ، فتنظر من أين فَضَّلُوا بشرا^(٢) .
وأخبرنى بعضُ الشيوخ عن أبى العباس ثعلب عن ابن الأعرابى عن المفضل :
أن سائلاً سألَه عن الراعى وذى الرِّمَّة أيهما أشعر ؟ فصاح عليه صَيْحَةً منكراً :
أى لا يقاس ذو الرمة بالراعى ، وكذلك غيرُ المفضل لا يقاس به ولا يقارب
بينهما .

فتأمل أيضاً شعرى هذين^(٣) فانظر من أين وقع [تفضيل الراعى أو
غير هؤلاء من شاعرين أجمع على تفضيل أحدهما على الآخر فينظر من
أين وقع] ^(٤) التفضيل .

فهذا الباب أقرب الأشياء لك إلى أن تعلم حالك فى العلم بالشعر وبقده .
فإن علمت من ذلك ما علموه ، ولاحت^(٥) لك الطريق التى بها قَدَّمُوا من
قَدَّمُوهُ وَأَخَّرُوا من أَخَّرُوهُ ؛ فَثِقْ حينئذ بنفسك ، واحكم يسمع^(٦) حكمك .
وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فاعلم أنك بمَعَزِلٍ عن الصناعة .
ثم إن كنت شاعراً فلا تظهرن^(٧) شعرك ، واكتمه كما تكتم سرَّك .
فإن قلت : إنه^(٨) قد انتهى بك التأمل إلى علم ما علموه - لم يقبل

(١) ط « فى شعر كثير بن [عبد الرحمن و] بشر »

(٢) ط « كثيرا »

(٣) م « هذين تفضيل الراعى ، أو غير هؤلاء من شاعرين أجمع على تفضيل أحدهما على الآخر
فتنظر من أين »

(٤) « الزيادة من ك »

(٥) ط « ولاح »

(٦) ط « يستمع »

(٧) ط « فلا تظهر »

(٨) ط « إنك »

ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب ، فإن لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك فحتى تعلم شواهد^(١) من فهمك ، ودلائله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردىء .

ثم إني أقول بعد ذلك : لعلك - أكرمك الله - اغتررت بأن شارفت شيئاً من تقسيمات المنطق ، أو جُملاً^(٢) من الكلام والجدل . أو علمت أبواباً من الحلال والحرام ، أو حفظت صدرًا من اللغة ، أو اطلعت على بعض مقاييس العربية ، وأنت لما أخذت بطرف نوع من هذه الأنواع بمُعانة ومزاولة ومُتَّصِلِ عناية فتوجهت^(٣) فيه ومهرت - ظننت أن كل ما لم تلبسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى . وأنت متى تعرضت له وأمررت^(٤) قريحتك عليه نفذت فيه ، وكشفت [لك] عن معانيه . هيهات ! لقد ظننت باطلاً ، ورُمت عسيراً ؛ لأن العلم - [من] أى نوع كان - لا يدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه ، والإكباب عليه ، والجد فيه ، والحرص على معرفة أسرارهِ وغوامضهِ .

ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ويتسهّل^(٥) ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر : لأن كل امرئ إنما ييسر^(٦) له ما في طينته قبوله ، وما في طباعه تعلمه .

فينبغي - أصلحك الله - أن تقفَ حيث وقِفَ بك ، وتقنع بما قُسمَ لك ، ولا تتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك .

(١) ط « شواهد ذلك . . . ودليله »

(٢) ط « وجُملاً . . . والجدال »

(٣) ط « فتوجهت . . . وبيرت »

(٤) م « وأبرزت »

(٥) ط « ويسهل » .

(٦) ط « يتيسر له ما في طبعه قبوله وما في طاقته تعلمه »

باب في فضل أبي تمام

وجدتُ أهل النِّصْفَةِ^(١) من أصحاب البحتری ، وَمَنْ يُقَدِّمَ مطبوعَ الشعر دون متكلفه - لا يَدْفَعُونَ أباً تمام عن لطيف المعاني ودقيقها ، والإبداع والإغراب فيها ، والاستنباط لها ، ويقولون : إنه وإن اختلفَ في بعض ما يورده [منها] فإن الذي يوجد فيها من النادر المستحسن أكثر [مما يوجد من السخيف المسترذل ، وإن اهتمامه بمعانيه أكثر]^(٢) من اهتمامه بتقويم ألفاظه ، على شدة^(٣) غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة ، وإنه إذا لاح له أخرجه بآى لفظ استوى من ضعيف أوقوى .

وهذا من أعدل^(٤) ما سمعته [من القول] فيه .
وإذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشيء الذى هو ضالة الشعراء وطليتهم ، وهو لطيف المعاني .

وبهذه الخلّة دون ما سواها فُضِّلَ امرؤ القيس ، لأن الذى في شعره - من دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة - فوق^(٥) ما في أشعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام ، حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن تشتمل من ذلك على نوع أو أنواع ، ولولا لطيف المعاني

(١) ط « أهل البصرة » !

(٢) زيادة من ط ، ك

(٣) ط « على كثرة »

(٤) ط « أعدل كلام سمعته »

(٥) ط « ما استعار سائر » !

واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها^(١) - لما تقدم على غيره ، ولكن كسائر الشعراء^(٢) [من] أهل زمانه : إذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ، ولا لألفاظه من الجزالة والقوة ما ليس لألفاظهم .

ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأن قالوا : هو أول من شبه الخيل بالعصى ، وبالوحش^(٣) والطير ، وأول من قال : « قَيْدُ الأَوَابِدِ » وأول من قال كذا ، وقال كذا ، فهل هذا التقديم له إلا^(٤) من أجل معانيه ؟ وقالوا : وإذا^(٥) كان قد اضطرب لفظُ أبي تمام واختلَّ في بعض المواضع ، فهل خلا من ذلك شاعر قديم أو محدث ؟

هذا الأعشى يختل^(٦) لفظه كثيراً ، ويُسْفِسِف دائماً ، ويرقّ ويضعف ، ولم يجهلوا حقّه وفُضِّلَه حتى جعلوه نظيراً للنابعة ، وألفاظ النابعة في الغاية من البراعة والحسن ، وعديلاً لزهير الذي صرّف اهتمامه كله إلى تهذيب ألفاظه وتقويمها ، وألحقوه بامرئ القيس الذي جمع الفضيلتين ؛ فجعلوهم طبقةً ، وصار فضلُ كل واحد من غير الوجه الذي فضل منه^(٧) صاحبه .

ولو أن أبا تمام حتى^(٨) يخلو من كل لفظ جيد البتة ، أو لو أنه قال بالفارسية أو الهندية :

(١) م « فيها » و ك « وإقباله قبلها »

(٢) ط « شعراء »

(٣) ط « وذكر الوحش »

(٤) ط « إلا لأجل »

(٥) م و ك « وماذا يكون إذا اضطرب »

(٦) ط « يحيل »

(٧) م و ك « به »

(٨) ط « حتى » فضل !

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَّيْتُ أَتَاخَ لَهَا لِسَانَ حُسُودٍ^(١)
لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيهَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ^(٢)
أَوْ قَالَ :

هِيَ الْبَدْرُ يُغْنِيهَا تَوَدُّدٌ وَجْهَهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ وَإِنْ لَمْ تَوَدِّدِ^(٣)
أَوْ مَا أَشْبَهَ هَذَا مِنْ بَدَائِعِهِ حَتَّى يَفْسِرَ^(٤) لَنَا [ذَلِكَ] مَفْسَرٌ بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ
مَنْشُورٍ ، أَمَا كَانَ يَكُونُ هَذَا شَاعِرًا مُحَسِّنًا يَثَابِرُ شِعْرَاءَ زَمَانِهِ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ
العَرَبِيَّةِ عَلَى طَلَبِ شِعْرِهِ وَتَفْسِيرِهِ وَاسْتِعَارَةِ مَعَانِيهِ ؟ فَكَيْفَ وَبَدَائِعُهُ مَشْهُورَةٌ^(٥) ،
وَمَحَاسِنُهُ مُتَدَاوِلَةٌ ، وَلَمْ يَأْتِ إِلَّا بِأَبْلَغِ لَفْظٍ وَأَحْسَنِ سَبْكِ ؟

(١) سبقا ص ١٣٨ ، ٣٢٤

(٢) ط « فضل عرف »

(٣) ديوانه ١٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢٣ « تودد وجهها : حسنة ، وأن كل أحد يحبه »

وفي م « يغنيها تبدد »

(٤) ط « يفسره لي محسنا باعشا »

(٥) ط م و ك « المشهورة . . المتداولة »

باب

في فضل البحترى

وجدت أكثر أصحاب أبي تمام لا يَدْفَعُونَ^(١) البحترى عن حُلُو اللفظ ،
وجودة الرّصف^(٢) ، وحسن الديباجة ، وكثرة الماء ؛ وأنه^(٣) أقرب مأخذًا ،
وأسلم طريقاً من أبي تمام ، ويحكمون^(٤) - مع هذا - بأن أبا تمام أشعرُ منه .

وقد شاهدتُ وخاطبتُ منهم على ذلك عددًا كثيرًا .

وهذا^(٥) مذهب مَنْ جُلُّ ما يراعيه من أمر الشعر دقيقُ المعاني ، ودقيقُ
المعاني موجود في^(٦) كل أمة ، و [في] كل لغة .

وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حُسْن التأتّي ، وقرب المأخذ ، واختيار
الكلام^(٧) ، ووضع الألفاظ. في مواضعها^(٨) ، وأن يورد المعنى باللفظ. المعتاد
فيه المستعمل في مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت
له وغير منافرة^(٩) لمعناه ؛ فإن الكلام لا يكتسى البهاء والروْنق إلا إذا كان
بهذا الوصف ، وتلك طريقة البحترى .

(١) م « لا يدفع »

(٢) ط « الوصف »

(٣) ط « فإنه »

(٤) ك « ثم يحكمون »

(٥) ط « وهذا رجل ما يراعيه ! »

(٦) ط « في كلامه »

(٧) م و ك « الكلم »

(٨) م « وإن لم يورد »

(٩) ك : « نافرة »

قالوا : وهذا أصل يحتاج إليه الشاعر والخطيب صاحب النثر ؛ لأن الشعر أجوده أبلغه ، والبلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بالفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف [كافية] ، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الغاية ، وذلك كما قال البحتري :
والشعر لَمْحٌ تَكْنَى إِشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَذَرِ طَوَّلَتْ خُطْبُهُ^(١)
وكما قال أيضاً :

وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلْتَهَا الْقَوَافِي هَجَنْتُ شِعْرَ جِرْوَلٍ وَلَيْدٍ^(٢)
حُزْنَ مُسْتَعْمَلَ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنَّبَنَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ
وَرَكِبَنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَذْرَكَ نَ بِهِ غَايَةَ الْمَرَادِ الْبَعِيدِ

فإن اتفق - مع هذا - معنى لطيف ، أو حكمة غريبة ، أو أدب حسن ؛ فذاك^(٣) زائد في بهاء الكلام ، وإن لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه ، واستغنى عما سواه .

قالوا : وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة ، وكانت عبارته مقصورة عنها ، ولسانه غير مدرك لها حتى^(٤) يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان أو حكمة^(٥) الهند أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب ، وإن اتفق في تضاعيف ذلك شيء من

(١) ديوانه ٢٠٥ ، ١ / ٢٠٩ معارف

(٢) ديوانه ٦٩٤ في مدح كتابة محمد بن عبد الملك الزيات . وجرول : اسم الخطيئة وفي ط « اللفظ الغريب . . . غاية المرام . والغريب . . . غاية المرام » والغريب تحريف يجعل الملح قدحاً

(٣) ط « فذلك »

(٤) ط « مدرك لما يعتمد »

(٥) ك : « حكم » . . . « أو آداب »

صحيح الوصف وسليم النظر^(١) - قلنا له : قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة ، فإن شئت دعوناك حكيمًا ، أو سميناك فيلسوفًا ، ولكن لا نسميك شاعرًا ، ولا ندعوك بليغًا ؛ لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ، ولا على مذاهبهم ، فإن سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء .

وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورداعة^(٢) اللفظ. يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميّه حتى يحوج^(٣) مستمعه إلى [طول] تأمل ، وهذا مذهب أبي تمام في عظم شعره .

وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنًا ورواقًا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة^(٤) لم تعهد ، وذلك مذهب البحرى ، ولهذا^(٥) قال الناس : لشعره ديباجة ، ولم يقولوا ذلك في شعر أبي تمام .

وإذا جاء لطيف المعاني في غير بلاغة^(٦) ولا سبك جيد ولا لفظ حسن ، كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب المخلق ، أو نقش^(٧) العبير على خدّ الجارية القبيحة الوجه .

وأنا أجمع لك معاني هذا الباب في كلمات سمعتها من شيوخ أهل العلم

(١) ط « الوصف وسليم » وفي ك : « وسليم النظم »

(٢) ط « وردى »

(٣) ط « يحتاج »

(٤) م « وقارة »

(٥) ط « ولذلك »

(٦) ط « غرابة » !

(٧) ط « أو نفث » ولست أدري كيف ينفخ العبير أو ينقل على خدها ؟

بالشعر : زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء [وهي] : جودة الآلة ، وإصابة الغرض المقصود ، وصحة التأليف ، والانتهاء إلى تمام^(١) الصنعة من غير نقص فيها ولا زيادة عليها .

وهذه الخلال الأربع ليست في الصناعات وحدها ، بل هي موجودة في جميع الحيوان والنبات .

ذكرت الأوائل أن كل مُحدث مصنوع يحتاج^(٢) إلى أربعة أشياء : علة هيولانية وهي الأصل ، وعلة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تامة .

فأما الهيولانية^(٣) فإنهم يعنون : الطينة التي يبتدعها الباري جل جلاله ويخترعها ليصور ما شاء تصويره [منها] من رجل أو فرس أو جمل أو غيرها من الحيوان ، أو بُرَّة^(٤) أو كَرَمَة أو نخلة أو سِدْرَة أو غيرها من سائر أنواع النبات .

[والعلة الصورية : هي المعنى الذي يقصد الباري - جل جلاله - تصويره من رجل]^(٥) .

والعلة التامة هي^(٦) : أن يُتمَّها تبارك اسمه ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها .

(١) ط « إلى نهاية . . . نقص منها

(٢) ط « محتاج »

(٣) ط « الهيولى »

(٤) في اللسان ٥ / ١٢٠ « قال ابن دريد : البر أنصح من قولهم : القمح والخنطة ، وأحدثه برة »

(٥) الزيادة من ك

(٦) ط « هو »

وكذلك الصانع المخلوق في مصنوعاته التي علمه الله عز وجل إياها : لا تستقيم له وتَجُود إلا بهذه الأشياء الأربعة ؛ وهي :

آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار ، وفضة الصائغ ، وآجر البناء ، وألفاظ الشاعر والخطيب ، وهذه هي العلة الهيولانية التي قدموا ذكرها وجعلوها الأصل .

ثم إصابة الغرض فيما يقصد^(١) الصانع صنّعتَه ، وهي العلة الصورية التي ذكروها^(٢) .

ثم صحة التأليف حتى لا يقع فيه خلل ولا اضطراب ، وهي العلة الفاعلة . ثم أن ينتهي الصانع إلى تمام صنّعتَه من غير نقص منها ولا زيادة عليها ، وهي العلة التامة .

فهذا قول جامع لكل الصناعات [و] المخلوقات .

فإن اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الأربع أن يُحدِث في صنّعتَه معنى لطيفاً مستغرباً كما قلنا في الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض - فذلك زائد في حُسْن صنّعتَه وجودها ، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها .

وقد ذكر بزرجمهر فضائل الكلام ورذائله ، وبعض ذلك داخل^(٣) في الشعر ، فقال : إن فضائل الكلام خمس إن نقصت^(٤) منها فضيلة واحدة

(١) ط « فيها يقصد » !

(٢) ط « ذكرتها » !

(٣) ط « دليل » !

(٤) ط « لو نقص »

سَقَطَ فضلُ سائرِها ، وهى : أن يكون الكلام صدقاً ، وأن يوقع موقع الانتفاع به ، وأن يتكلم به فى حينه ، وأن يحسن تأليفه ، وأن يستعمل منه مقدار الحاجة .

قال : وذرائله بالضد [من ذلك] ؛ فإنه إن كان صدقاً ولم يوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه .

وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به [ولم يتكلم به فى حينه - لم يغنه الصدق ولم ينتفع به .

وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به [وتكلم به] فى حينه ولم يحسن تأليفه - لم يستقر فى قلب مستمعه ، وبطل فضل الخلال الثلاث منه .

وإن كان صدقاً وأوقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه وأحسن تأليفه ، ثم استعمل منه فوق الحاجة - خرج إلى الهدر ، أو نقص عن التمام - صار مبتوراً وسقط منه فضل الخلال كلها .

وهذا إنما أراد به بُزْرُجْمهر الكلام المنثور الذى يخاطبُ به الملوك ، ويقدمه المتكلم أمام حاجته ، والشاعر لا يطالبُ بأن يكون قوله صدقاً ، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به ؛ لأنه قد يقصد إلى أن ^(١) يوقعه موقع الضرر ، ولا أن يجعل له وقتاً دون وقت ، وبقيت الخلتان الأخرى [وهما] واجبتان فى شعر كل شاعر . [وذلك] : أن يحسن تأليفه ، ولا يزيد فيه شيئاً على قدر حاجته .

فصحة التأليف فى الشعر وفى كل صناعة هى أقوى دعائمه بعد صحة

(١) ط « إلى أنه »

المعنى ، فكل من^(١) كان أصحَّ تأليفاً كان أقوم بتلك الصناعة ممن^(٢) اضطرب تأليفه^(٣) .

* * *

وقد انتهيت الآن إلى المُوازنة [بينهما]^(٤) ، وكان الأحسن أن أوازن بين البيتين أو القطعتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإغراب القافية ، ولكن هذا لا يكاد يتفق مع اتفاق المعاني التي إليها المقصد ، وهى المرمى والغرض ، وبالله أستعين على مجاهدة النفس ، ومخالفة الهوى ، وترك التحامل ؛ فإنه جلَّ اسمه حسبي ونعم الوكيل^(٥) .

* * *

وأذا أبتدئ بإذن الله من ذلك بما افتتحا به القول : من ذكر الوقوف على الديار والآثار ، ووصف الدَّمَن والأطلال ، والسلام عليها ، وتغذية الدهور والأزمان والرياح والأمطار إياها ، والدعاء بالسُّقيا لها والبكاء فيها ، وذكر استعجامها عن جواب سائلها ، وما يخلف قَطينها الذين كانوا حُلُولاً بها من الوحش ، وفي تعنيف الأصحاب^(٦) ولومهم على الوقوف عليها ، ونحو هذا مما يتصل به من أوصافها ونعوتها ، وأقدم من ذلك [ذكر] ابتداءات قصائدهما^(٧) فى هذه المعانى ، إن شاء الله .

(١) ط « وكلما كان »

(٢) ط « مما »

(٣) فى ط بعد ذلك : « والحمد لله وحده ، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً »

(٤) الزيادة من لك

(٥) هذا آخر ما نسخه لك

(٦) ط « الصحابة . . . بها »

(٧) ط « قصائدهم »

الابتداءاتُ بذكر الوقوف على الديار

١- قال أبو تمام :

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ نَقَضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَدْرَاسِ^(١)
وهذا ابتداء جيد بالغ^(٢) .

وقوله : « الْأَدْرَاسِ » جمع دارس ، وقلماً^(٣) يُجمع فاعل على أفعال ،
ومنه^(٤) : شاهد وأشهاد ، وماجد وأمجاد ، وصاحب وأصحاب .

٢- وقال أيضاً :

قِفُوا جَدُّدُوا مِنْ عَهْدِكُمْ بِالْمَعَاهِدِ وَإِنْ هِيَ لَمْ تَسْمَعْ لِنَشْدَانٍ نَاشِدٍ^(٥)
أراد^(٦) لنشدان الناشد الذي يقول : أين أهلك يا دار ؟ كما ينشد
الناشد الضالة إذا طلبها .

٣- وقال أيضاً :

قِفْ بِالطَّلُولِ الدَّارَسَاتِ عُلَاثًا أَضَحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَائًا^(٧)
علاثة : اسم صاحبه ، أراد قف يا علاثة .
وهذان ابتداءان صالحان .

(١) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزي ٢/٢٤٢

(٢) ط « صالح »

(٣) ط « وقليل ما »

(٤) ط « ومثله » وفي شرح التبريزي : « والأدراش إن جعل جمع دارس فهو مثل شاهد وأشهاد
صاحب وأصحاب ، وإن جعل جمع دريس فهو مثل يتيم وأيتام وشريف وأشراف »

(٥) ديوانه ١١٦ وشرح التبريزي ٢/٦٨ وفي م « لنشوان » وهو تحريف

(٦) م « أراد أن ينشد »

(٧) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزي ١/٣١٤ والقطلين : أهل الدار . والرثايت جمع رث وهو البالي

٤- وقال أيضاً :

قِفْ نُوبُنْ كِنَاسَ ذَاكَ الْغَزَالِ إِنَّ فِيهَا لَمَسْرَحًا لِّلْمَقَالِ^(١) .
التأبين : مدح الهالك ، والكِناس هنا : الرُّبع ، وإنما يريد الخيمة أو
البيت من بيوتهم ، ساء كناساً لأنه جعل المرأة غزَالا : أى قِف بنا نندبه
فإن المقال يتسع فيه .
وهذا أيضاً بيتٌ جيد ومعنى حسن مستقيم .

٥- وقال :

لَيْسَ الْوُقُوفُ يَكْفُ شَوْكَ فَانْزِلْ وَابْلُلْ غَلِيلَكَ بِالْمَدَامِيعِ يُبْلِلُ^(٢)
وهذا معنى ظريف ، وقد جاء مثله فى الشعر ، قال الأصم الباهلى - واسمه
عبد الله بن الحجاج^(٣) - ولا أعرف غيره ، وأظن أبا تمام عثر به واحتذى
عليه ؛ لأنه كان مولعاً بغرائب الألفاظ والمعاني :
أَتَنْزِلُ الْيَوْمَ بِالْأَطْلَالِ أَمْ تَقِفُ لَا بَلْ قِفِ الْعَيْسَ حَتَّى يَمْضِيَ السَّلَفُ
السلف : المتقدمون ، وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف
المطى ، ولا يكادون يذكرون نزولاً .

وأنشد منشد قول كثيرٍ وهو^(٤) يسمع :

وَقَضَيْنَ مَا قَضَيْنَ ثُمَّ تَرَكْنِي بِفَيْفَا خُرَيْمٍ قَاعِدَا أَتَلَدَدُ^(٥)

(١) ط « هذا الغزال »

(٢) ديوانه ٢٣٣ « غليلا بالدموع فيبلل » وفى شرح التبريزي ٣٢ / ٢ « بكف شوك . . .
تبلى فتبلى » يقول : شوك يعظم أن يكون وقوفك كقفاً له ، فانزل بمطيتك فى هذا الربع ؛ لأنه يستحق أن
ينزل فيه » وفى م « فازل ذلك عليلا » وهو تحريف

(٣) فى المؤتلف والمختلف ٤٤ « . . . شاعر خبيث إسلامى ، له قصائد يهجو فيها الفرزدق »

(٤) ط « وكثير »

(٥) ديوانه ١١٤ / ١ ومجمع ما استمع ١٠٣٨ / ٣ « وأزمن بيناً عاجلاً وتركنتى . . . قائماً

أتبلد » وفيفا خريم : اسم مكان . وفى م « هيفاً »

فقال كثير : [أنا]^(١) ما قلت كذا ، أتراني قاعداً أصنع ماذا ؟ قيل :
فجالساً ؟ قال : ولا هذا ! أجالساً كنت أبول ، قيل : فما قلت ؟ قال :
واقفاً . يريد واقفاً على مطيته ، فهذا هو المعروف من عاداتهم .

وقد قال كثير :

خَلِيلِي هَذَا رَسْمَ عَزَّةٍ فَأَعْقِلَا قُلُوبَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَمْتِ^(٢)
وَالْقُلُوبُ لَا يَعْقِلُهَا رَاكِبُهَا إِلَّا إِذَا نَزَلَ عَنْهَا ، وَالْعَقْلُ فَوْقَ الرِّكْبَةِ .

١- وقال البحتري :

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وَقُوفِ الرَّكَّابِ فِي مَغَانِي الصَّبَا وَرَسْمِ التَّصَابِي^(٣)
التصابي : التفاعل من صَبَا يَصْبُو إذا اشتاق ، وإذا فَعَلَ فَعَلَ الصبي .

٢- وقال أيضاً :

ذَلِكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَأَخْبِسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ مَلَامَتِي أَوْ مُطِيلًا^(٤)
[وهذان ابتداعان في غاية الجودة] ^(٥) .

٣- وقال :

قِفِ الْعَيْسَ قَدْ أَذْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا وَسَلِّ دَارَ سَعْدِي إِنْ شَفَاكَ سُوءُهَا^(٦)
وهذا لفظ حسن ، ومعنى ليس بالجيد ؛ لأنه قال : « [قد] أذنى خطاها

(١) زيادة في ط

(٢) في ديوانه ٣٦/١ وط : « هذا ربع »

(٣) ديوانه ٥٦٢ د ٨٣/١ معارف القول الفائق ٨ ظ

(٤) ديوانه ٦٨٦ « من صباية » وفي ط « عن »

(٥) زيادة من ط

(٦) سبق في أخطاء البحتري ص ٣٧٩ .

كلالها « أى : قاربَ من خطوها الكلالُ ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار
التي تعرّض لأن يشفيه ، وإنما وقف لإعياء المطى .
والجيد قولُ عنترَةَ :

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وَكَانَهَا فَدَنُ لِقَاضِي حَاجَةِ الْمُتَدَوِّمِ^(١)

فإنه لما أراد ذكر الوقوف احتاط بأن شبه ناقته بالفدن ، وهو القصر ،
ليُعلم أنه لم يقفها ليريحها .

وقد كشف ذو الرمة هذا المعنى وأحسن فيه وأجاد ، فقال :

أَنخْتُ بِهَا الْوَجْنَاءَ لَا مِنْ سَامَةٍ لِثِنْتَيْنِ بَيْنَ جَاءٍ وَذَاهِبٍ^(٢)

يقول : أنختها لأصل^(٣) ، لا من سامة ، كذا فسروه . وقوله « لثنتين »
يعنى [ركعتي العصر] اللتين يقصرهما المسافر « بين اثنتين جاء » يريد
الليل « وذهب » يعنى^(٤) النهار .

فإن قيل : إنما قال : « [قد] أدنى خطاها كلالها » ليُعلم أنه قصد الدار
من شقة بعيدة [فيكون أبلغ في المعنى] .

... لا تقصد الديار للوقوف عليها ، وإنما تجتاز بها ، فإن
كانت [واقعة] على سَنَنٍ طريقهم^(٥) قال الذى له أَرَبٌ فى الوقوف لصاحبه
أو أصحابه ؛ قِفْ ، وقفا ، وقفوا . وإن لم تكن على سَنَن الطريق قال :
عُوجًا وَعُرْجًا ، وعُوجًا وعُرْجًا . كما قال امرؤ القيس :

(١) سبق فى أخطاء البحرى ص ٣٧٩

(٢) سبق فى أخطاء البحرى ص ٣٧٩

(٣) ط « لأن أصل . . . هكذا »

(٤) ط « يريد »

(٥) ط « الطريق »

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْمُحِيلِ لَعَلَّنَا
نَبْكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذَامٍ^(١)

وإذا عَرَّجُوا كان التعرَّيج أشقَّ على الركب والركاب [من الوقوف] ؛
لأن لها في الوقوف حيث انتهت راحة ، والتعرَّيج فيه زيادة في تعبها وكلالها ،
وإن قَلَّت المسافة ، كما قال أبو تمام :

وَمَا بِكَ لِرُكَابِي مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَبًا أَلَا إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرَّاكِبِ^(٢)

لأن هذا القول منه دلَّ على التعرَّيج والتردد في الرسوم ، أو أن^(٣) صاحبه
أراد أن يستمرَّ في السير ولا يتعوَّق^(٤) بالوقوف فيعود ذلك عليها بضرر وإن
أكسبها راحة ما في الوقوف ، فقال [له] ^(٥) أبو تمام : « إنما حاولت رشد
الركائب » لا رشدى .

فأما الأصمعي فإنه يرى التعرَّيج أيضاً وقوفاً لا عدولا ، قال أبو حاتم :
قلت له : ما معنى عَرَّج ؟ قال : وقف ، فقلت : يقال : عَرَّج إذا عَدَلَ ،
فقال : لا ، وأنشد بيت ذى الرمة :

يَا حَادِيَّ بِنْتِ فُضَايِصَ أَمَا لَكُمَا - حَتَّى نَكَلِّمَهَا - هَمْ بِتَعْرِيجِ^(٦)

(١) ديوانه ١٧٦ والمحيل : المتغير وقال ناشر ط « الطلل المحيل ومثله المحول : الذى أتى عليه
الحول » !

(٢) ديوانه ٤١ وشرح التبريزي ٢٠٨/١ « قال المرزوقي : يخاطب لائمه في الوقوف على الدار ،
يقول : ليس بك - فيما تتكلفه من لوى - هدايتى وصرفى عن غيى إلى رشادى وإنما شق عليك وقوف الإبل
بأحمالها ، فحملك الإشتاق عليها والحد فى المنع من حبسها على الإسراف فى العتب وتغليظ القول ، فأما
أن يكون بك صلاحى فلا »

(٣) ط « وأن أصحابه أرادوا »

(٤) ط « ولا يترقق فى الوقوف » !

(٥) زيادة من ط

(٦) ديوانه ٧١ « يا جارقى بنت فصاص » وفى م « يكلمها »

أى : هم بوقوف ، وهذا لا يمنع أن يكون هم بعدول ، ونفس الاشتقاق يدل على العدول ، والله أعلم .
وقال كثير يصف السَّيْلَ :

فَطَوَّرًا يَسِيلُ عَلَى قَصْدِهِ وَطَوَّرًا يُعْرَجُ أَلَّا يَسِيلَا^(١)

فلو كان هناك قصد إلى الدار من جماعتهم أو منه وحده^(٢) لما لاموه ، ولا عنفوه على احتباسه وإطالته ، ولا استعجلوه وهو دائباً يسألهم التلوم عليه والتوقف معه .

وهذه طريقة القوم في الوقوف على الديار ، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من أن أحتاج إلى ذكره ، وتلك سبيل سائر المحدثين ، وطريقة الطائيين : ما عدلاً عنها ، ولا خرجاً إلى غيرها . ألا ترى إلى قول أبي تمام :
مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ نَقَضَى ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَذْرَاسِ^(٣)
كيف سأل صاحبه أن يقف [عليه] ساعة ، ثم قال بعد بيت آخر :
لَا يُسْعِدُ الْمُشْتَقَّ وَسَنَانُ الْهَوَى يَبْسُ الْمَدَامِعِ بَارِدُ الْأَنْفَاسِ^(٤)
وقوله [أيضاً] :

لَا تَمْنَعْنِي وَقْفَةً أَشْفَى بِهَا دَاءَ الْفِرَاقِ فَإِنَّا مَاعُونُ^(٥)

وقال البحتري :

يَا وَهْبُ هَبْ لِأَخِيكَ وَقْفَةً مُسْعِدَ يُعْطَى الْأَمْسَى مِنْ دَمْعِهِ الْمَبْدُولِ^(٦)

(١) في ملحق ديوانه ٢٣٧

(٢) ط « ومنهم وحده » !

(٣) سبق ص ٤٣٠

(٤) في شرح التبريزي ٢٤٣/٢ « الوسنان : الناعس ، واستعاره ها هنا الهوى ولم يستعمل ذلك من قبل الطائي . يقول : لا يسعد المشتاق إلا مشتاق مثله ، فأما من هواه ضعيف ويدامعه فاقدة للبكاء ، فهو سال لا يعين باكياً » .

(٥) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣٢٣/٣

(٦) ديوانه ٦١٠ ، ١٦٦٢/٣

[وقوله أيضاً :

قِفْ بِهَا وَقْفَةً تَرُدُّ عَلَيْهَا أَذْمُعًا رَدَّهَا الْهَوَى أَنْضَاءً^(١)
وقوله أيضاً :

ماذا عليك مِنْ انتظارٍ مُتِّيمٍ بَلْ مَا تَضُرُّكَ وَقْفَةٌ فِي مَنْزِلٍ^(٢)
قوله أيضاً :

خَلِّيَاهُ وَوَقْفَةً فِي الرُّسُومِ يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَشَّةِ الْمَكْتُومِ^(٣)
ثم إِنَّا ما علمنا أحداً قَصَدَ داراً عَفَتَ مِنْ شَقَّةٍ بَعِيدَةٍ ، واحداً كان أَوْفَى
جماعة ، للتسليم^(٤) عليها ، والمسألة لها ، ثم انصرفوا راجعين من حيث جاءوا ،
فإن^(٥) هذا ما سَمِعَ به ، ولا هو من أغراضهم ، إذ ليس فيه جدوى ، ولا يؤدي
إلى فائدة ، لأنَّ المحبوب إن كان حياً موجوداً فَقَصَدُ رِباعه ومَواطنه التي هو
قاطنها والإلمام^(٦) به فيها أولى وأَجْدَى^(٧) ، وإن كان ميتاً فالإلمام بناحية الأرض
التي فيها حُفْرته أولى وأخرى ، وعلى أَنهم لا يكادون يزُورون القبور ، وإنما
وقَفوا على الديار ، وعَرَّجوا عليها عند الاجتياز بها والاقتراب منها ؛ لأنهم
تذكروا عند مُشارفتها أوطارهم فيها ، فَنَازَعَتْهُمْ نفوسهم إلى الوقوف عليها ؛
والتلُّوم بها ، وراؤا أَن ذلك من كَرَمِ العهد وحُسْنِ الوفاء ، ألا ترى إلى قول
أبي تمام :

أَمَواقِفَ الْفَتَيَانِ تَطْوِي لَمْ تَزُرْ شَوْقاً وَلَمْ تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيداً^(٨)

(١) ديوانه ٧١٢ وفي م « ردها الكوى » وهو تحريف

(٢) ديوانه ٧٣١ « ما يضرُّك » وانظر نقد الباقلاني للبيت في إعجاز القرآن ٣٤٢ - ٣٤٣

(٣) ديوانه ٥٩٤

(٤) م « للسلام . . والمسألة نجالها »

(٥) ط « وإن . . . من أغراضها وليس »

(٦) ط « وأخرى »

(٧) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ١ / ٤١٢ ويروى : الفتيات ، ولم نزر ، ولم نندب

ويروى شرفا . وتطوي : أى تمر فيها وشرفا : أى مرتفعاً ، وفي م « لم يرد اشعفا » وفي ط « أمواطن »

ويروى : « لم نزر شَعْفًا » أى : كيف نطوى هذه الرسوم والدمن التى هى مواقف أهل الفتوة^(١) ، يريد الكرام ، ولم نزر^(٢) حَزَنًا لها ولا سَهْلًا ؛ لأنه أراد بالشعف ما ارتفع^(٣) من الأرض وعلا ، وأراد بالصعيد ما اطمأن من الأرض وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذى فيه التراب ، وأكثر ما يكون فيما اطمأن من الأرض ، لا فيما علا ، فكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروءة ، وأن طيها عند الاجتياز بها من النذالة وقبيح الرعاية وسوء العهد . وما أحسن ما قال أبو نؤاس :

وَإِذَا مَرَرْتُ عَلَى الدِّيارِ مُسَلِّمًا فَلِغَيْرِ دَارٍ أُمِيمَةٍ الْهَجْرَانُ^(٤)
على^(٥) طريقة القوم [المعتادة] .

وقال البحتري يخاطب نفسه أو صاحباً معه :

قِفِ الْعَيْسَ قَدْ أَدْنَى خُطَاهَا كَلَالُهَا
وَسَلِّ دَارَ سُعْدَى إِنَّ شَفَاكَ سُؤَالُهَا^(٦)

فمن زعم أن البحتري بهذا القول كان قاصداً للدار وغير مجتاز ، احتاج إلى دليل من لفظ البيت يدل عليه ، ولا سبيل له إلى ذلك .
فإن قيل : [و] لم لا يكون للمطية حق على من بلغته منازل أحبابه^(٧) يوجب أن يكرمها ويريحها ، كما قال أبو نؤاس :

(١) م « أهل العيوم »

(٢) م « ولم نزر وعلا والصعيد ما اطمأن وسفل ، والصعيد إنما هو وجه الأرض الذى فيه التراب حزناً لها » وهو خطأ

(٣) م « ما ارتفع من التراب ، وأكثر ما يكون فيما »

(٤) ديوانه ٥١ طبع الحلبي

(٥) م « فعل »

(٦) سبق ص ٣٧٨ ، ٤٣٢

(٧) الأحباب »

وإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَّغَنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ^(١)
قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ
قيل : هذا أصل آخر طريقه غير طريق الوقوف على الديار ، ولا يقاس
أصل على أصل ، وإنما يقاس على الأصل فروعه التي تتفرع منه ، وهذا الشرط
في كل علم^(٢) .

وقال أبو نُوَاس في موضع آخر يخاطب ناقته أيضاً :
فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْغَزِيَانِ نُحْلًا وَلَمْ أَقُلْ : أَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ^(٣)
يريد قول الشَّامِخ ، وَالشَّامِخُ إِنَّمَا قَالَ :

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةً فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ^(٤)
لأنه رأى ناقته قد شَفَّها السيرُ وهَزَلها وأنضاهَا حتى دَبَّرَتْ ، وذلك قوله :
إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشْكِي كُلَّوَمَا بَعْدَ مَحْفِدِهَا السَّمِينِ^(٥)
فيقول : إِذَا بَلَّغْتَنِي^(٦) عَرَابَةً فلا أبالي أن تهلكي ، وهذا ليس بدُّعَاءٍ
عليها ، وإنما أراد أنك إِذَا بَلَّغْتَنِي فَقَدْ بَلَّغْتَ الْغَنَى وَأَدْرَكْتَ الْعَوْضَ مِنْكَ ؛
فهذا معنى ، وقولُ أَبِي نَوَاس [له] معنى آخر ، وليس بضد لقول الشَّامِخ ،

(١) ديوانه ٥٥ والخزاة ١/٥٥٤ ويريد بمحمد : الخليفة الأمين

(٢) م « كل عل » !

(٣) ديوانه ٥٦ ومحاضرات الراغب ١/٣٣٢ والصناعتين ٢١١ « إشرق » والنحل : الطاء والهة

(٤) ديوانه ٩٢ والخزاة ١/٤٥٣ ، ٢/٢٢٢ والكامل ١/١١٣ ، ١١٤ ، ٢/٦٤٥ والصناعتين ٢١٠ ومحاضرات الراغب ١/٣٣٢

(٥) يعني بالكولم : الجراح التي يحدثها طول السير في ظهرها وقد قال الشيخ محمد محيي الدين
« المحفد بزنة المجلس أو بزنة المنبر - شيء كالمكتل تلف فيه الإبل » ! والصواب : أن المحفد :
السنام ، كما في اللسان ٤/١٣٢ ورواية الديوان : « مقحدها » وشرحها الشيخ أحمد الشنقيطي
بقوله : « المقحده » السنام . والمعنى : أهزلتها بسيرى عليها بعد سمنها « ورواية الخزاة كرواية الديوان ،
وشرحها الرضی بالسنام ٢/٢٢٦

(٦) م « إِذَا بَلَّغْتَنِي فلا »

وإنما يضاده قول المرأة التي قالت : يا رسول الله ، نَذَرْتُ إِنْ بَلَغَتْنِي نَاقَتِي هذه إِلَيْكَ أَنْ أَنْحَرَهَا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَبِئْسَ مَا جَزَيْتَهَا »^(١) لأن هذه قصدت أَنْ جعلت جزاء التبليغ النحر ؛ فهذان المعنيان يتضادان ، وقول الشماخ خارج عنهما ، لأنه^(٢) أصل ثالث .

والوجه الذي جاء به البحرى في الوقوف على الديار وتحرز منه^(٣) عنتره وذو الرمة - وجه غير هذه الوجوه ، وطريقة غير هذه الطرق ، ولم أقل إنه خطأ ، وإنما قلت : إن المعنى غير جيد ، فإن التمسنا^(٤) العذر للبحرى قلنا : إنه وصف حقيقة أمر العيس عند الوصول إلى الدار ، وهذا مذهب من مذاهب العرب عام في أن يَصِفُوا الشئ على ما هو ، وكما^(٥) شوهد ، من غير اعتماد لإغراب ولا إبداع [فربما ورد هذا الوجه على ألسنتهم أحسن من كل معنى بديع مستغرب] ، وربما^(٦) وقع فيه مثل هذا الخلل لقلة التحرز^(٧) .

وسترى للبحرى وغيره - في هذا الكتاب - مِنْ هذا النوع في مواضعه .

ما هو أجود من كل جيد ، إن شاء الله .

٤ - وقال البحرى :

عَرَّجَ بِذِي سَلَمٍ فَثَمَّ الْمَنْزِلُ فَيَقُولُ صَبٌّ مَا أَرَادَ وَيَفْعَلُ^(٨)

وهذا ابتداء جيد ، وقد رواه قوم : « ليقول صب ما أراد ويفعل »

(١) ورد في الخزانة

(٢) ط « فإنه »

(٣) م « من مثله ذو الرمة »

(٤) ط « التمس »

(٥) ط « وعلى ما شوهد »

(٦) ط « وإنما »

(٧) ط « التجوز » !

(٨) سبق ص ٢٩ « ليقول »

والنصب أجود [في الروايتين] ، والرفع له وجه ، والمتأخرون لا [يكادون]
يَسْلُمُونَ من اللحن ، وهو في أشعارهم كثير جداً .

٥- وقال (أيضاً) :

كَمْ مِنْ وَقُوفٍ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالْدَّمَنِ لَمْ يَشْفِ مِنْ بُرَحَاءِ الشُّوقِ ذَا شَجَنِ^(١)
وهذا أيضاً ابتداء جيد .

٦- وقال أيضاً :

اسْتَوْقِفِ الرُّكْبَ فِي أَطْلَالِهِمْ وَقِفَا وَإِنْ أَجَدَّ بَلَى مَأْثُورِهَا وَعَفَا
يقال : أجد في أمره من الانكماش ، وجد . وهذا ابتداء صالح .

٧- وقال :

قِفَا فِي مَغَانِي الدَّارِ نَسْأَلُ طُلُولَهَا عَنِ النَّفْرِ اللَّائِينَ كَانُوا حُلُولَهَا^(٢)
وليس هذا الابتداء بالجيد ؛ من أجل قوله « اللائين » لأنها لفظة ليست
بالحلوة ، وليست^(٣) مشهورة .

فهذا ما ابتدأ به من ذكر الوقوف ، وأجعلهما فيه متكافئين ؛ من أجل
براعة بيتي البحترى الأولين ، وأنهما أجود من سائر أبيات أبي تمام ، ولأن
للبحترى^(٤) في الباب التقصير الذي ذكرته وليس لأبي تمام مثله .

(١) ديوانه ٥٨١

(٢) ديوانه ٥١١ وفي ١٧٩٦/٣ « عن الأنس المفقود كانوا »

(٣) م « ولا مشهورة »

(٤) ط « البحترى . . . التقصير . . . ذكرته له »

التسليم على الديار

١- قال أبو تمام :

دِمْنُ أَلَمَ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ كَمْ حَلَّ عُقْدَةَ صَبْرِهِ الْإِلْمَامُ^(١)
هذا المصراع الأول في غاية الجودة والبراعة والحسن [والصحة] والحلاوة ،
وعجز البيت أيضاً جيد بالغ .

٢- وقال :

سَلَّمٌ عَلَى الرَّبْعِ مَنْ سَلَّمَى بِذِي سَلَمٍ عَلَيْهِ وَسَمٌ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْقِدَمِ^(٢)
وهذا ابتداء ليس بالجيد ؛ لأنه جاء بالتجنيس في ثلاثة ألفاظ ، وإنما
يحسن إذا كان بلفظتين ، وقد جاء مثله في أشعار الناس ، والردىء لا يُؤتم
به ، قال الأبيورد بن المعدر الرياحي^(٣) :
جَزِعْتَ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الْبَيْنِ مَجْزَعًا وَكُنْتَ بِذِكْرِ الْجَعْفَرِيَّةِ مُوَلَعًا
وقد جعل بعض الرواة هذا البيت أول قصيدة لامرئ القيس على هذا
الوزن ، وذلك باطل^(٤) .
وما ينبغي للمتأخر أن يحتذى الأخذ إلا للجيد المختار ؛ لِسعة محاله ،
وكثرة أمثله .

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزي ١٥٠/٣

(٢) ديوانه ٢٦٧ وشرح التبريزي ١٨٤/٣ « ذو سلم : موضع . ووسم غير معجمة ،
أى علامة من الأيام والقدم ، وذلك إذا أنه نظر إليه علم أنه قد أتت عليه السنون والأحقاب » .

(٣) ط ، م « المذل » والتصويب من المؤلف والمختلف للآمدى ٢٤ وفي الأغاني ١٠/١٢
« ابن المعدر بن عبد بن قيس بن عتاب بن هرم بن رياح . . . شاعر فصيح بدوى . من شعراء الإسلام
وأول دولة بنى أمية وليس بمكثر ولا يمن وفد إلى الخلفاء فدحهم »

(٤) في ديوان امرئ القيس ، مما نسب إليه ، وروايته هناك ١١٤ « ولم أجزع . . . وعزيت
قلبا بالكواكب مولعا » ، وفي م « ركبت بذكر »

وقال البحتري :

١- هَذِي الْمَعَاهِدُ مِنْ سَعَادَ فَسَلِّمْ وَأَسْأَلُ وَإِنْ وَجَمْتُ فَلَمْ تَتَكَلَّمْ^(١)

٢- وقال أيضاً :

أَمَحَلَّتْنِي سَلْمَى بِكَاطِمَةَ أَسْلَمَا وَتَعَلَّمَا أَنَّ الْهَوَى مَا هِجُنَمَا^(٢)
وهذان ابتداءان جيدان .

٣- وقال أيضاً :

حَيْثُمَا مِنْ مَرْبَعٍ وَمَصِيفٍ كَانَا مَحَلِّي زَيْنَبٍ وَصَلُوفٍ^(٣)
هذا ابتداء صالح .

٤- وقال أيضاً :

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلٍ نُحْيِيهَا نَعَمْ وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا^(٤)

وهذا بيت^(٥) رديء ؛ لقوله « نعم » وليس بالمعنى إليها حاجة ، فجاء بها^(٦) حَشَوْا . ومن الحشو ما لا يقبح ، و « نعم » ههنا قبيحة ، وقد أولع بها كثير بن عبد الرحمن في ابتداءاته ، فقال :

أَمِنْ أُمِّ عَمْرٍو بِالْخَرِيقِ دِيَارُ نَعَمْ دَرِاسَاتُ قَدْ عَقَوْنَ قِفَارُ^(٧)

(١) ديوانه ١٢٤ ، ٢٠٨٠/٤ المعارف و ط « حلم »

(٢) ديوانه ٢٢٨ ، ١٩٥٨/٣ « أن الجوى »

(٣) ديوانه ٦٣٥ « من مربع » ، ١٤٠٣/٣

(٤) ديوانه ٢٦

(٥) ط « البيت »

(٦) ط « جاء »

(٧) ط « أمن آل » وهما روايتان ، وفيها وفي م : « بالخریق » والتصويب من معجم ما استعجم

وقال :

أَمِنْ آلِ سَلَمَى الرَّحْبُ أَمْ أَنْتَ سَائِلُ
نَعَمْ وَالْمَغَانِي قَدْ دَرَسْنَ مَوَائِلُ

وقال :

أَهَاجَكَ لَيْلَى إِذْ أَجَدَّ رَجِيلُهَا نَعَمْ وَثَنَتْ لَمَّا اخْزَأَلَتْ حَمُولُهَا^(١)
اخْزَأَلَتْ : انتصبت وارتفعت^(٢).

وقال :

أَبَائِنَةُ سُغْدَى ؟ نَعَمْ سَتَبِينُ كَمَا انْتَبَتْ مِنْ حَبْلِ الْقَرِينِ قَرِينُ
وهي في كل هذه الأبيات رديئة ، وموضعها من هذا البيت الأخير أصلح ؛
لأن إسقاطها من الجميع يحسن ، ولا يحتاج الاستفهام فيها إلى جواب ، إلا
هذا البيت فإن الاستفهام فيه يقتضى أن يكون « نعم » جواباً له ، ومع هذا
فليس لها حلاوة ولا حسن . ولكثير استفهامات لا جواب لها على عادات
الشعراء المحسنين .

منها قوله :

أَمِنْ آلِ قَبِيلَةٍ بِالدَّخُولِ رُسُومُ وَبِخَوَلٍ طَلَلُ يَلُوحُ قَدِيمُ^(٣)
وكل أبيات كثير أجود من بيت البحتري ؛ لأن « نعم » فيها جواب ،
وهي في بيت البحتري حشو ، وقال البحتري في بيته : « نحييها » والأجود

(١) ط « أهاجتك »

(٢) كتب هذا التفسير في م على الهامش . وفي م « اجزألت »

(٣) أمال المرتضى ٣٣/٢ وفي معجم ما استعجم ٥٤٨/٢ « آل قتله »

وفي م « ظلل تلوح » وفي ط « من آل »

« نَحِيَّهَا » لِأَنَّهُ جَوَابُ الْأَمْرِ ، وَقَدْ يَكُونُ « نَحِيَّهَا » رَفْعاً عَلَى الْحَالِ ، وَالْجَوَابُ هَهُنَا أَجُودُ مِنَ الْحَالِ .

* * *

فهذا ما وجدته من تسليمها على الديار ، وأبو تمام عندي - في قوله :
 « دِمْنُ أَلَمٍ بِهَا فَقَالَ سَلَامٌ » - أشعر من البحتري في سائر أبياته .
 وما سمعت من التسليم على الديار أحسن من قول أبي نُوَّاسٍ :
 وَإِذَا مَرَرْتُ عَلَى الدِّيَارِ مُسَلِّماً فَلْيَغَيِّرْ دَارَ أُمَيْمَةَ الْهَجْرَانُ^(١)

* * *

ما ابتدآ به من ذكر تعفية^(١) الدهور والأزمان للديار

قال أبو تمام :

لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ دَارِ مَاوِيَّةَ الْحُقْبُ أَنْحُلُ الْمَغَانِي لِلْبَلَى هِيَ أَمْ نَهَبُ^(٢)
 أراد أَنْحُلُ الْمَغَانِي [هى] لِلْبَلَى فحذف التنوين^(٣) ، وَالْحُقْبُ : الدهر ،
 وجمعه أحقاب ، وَالْحِقَبُ : السُّنُونُ ، واحداً حِقْبَةٌ ، وقال : «لقد
 أخذت» فَأَنْتَ وَالْحُقْبُ مذكر ، وأظنه أراد أيام الدهر ولياليه ، ويقال :
 الحقب ثمانون سنة ، فعلى هذا قال «أَخَذْتُ» [فَأَنْتَ] .

وقال أيضاً :

قَدْ نَابَتْ الْجَزَعُ مِنْ أُرْوِيَّةَ النَّوْبُ وَاسْتَحَقَبْتُ جِدَّةً مِنْ رَبْعِهَا الْحِقَبُ^(٤)
 «واستحقت» أى جعلتِ الْحِقَبُ - وهى السنون - جِدَّةً الرَّبْعِ فى
 حقيبتها .

والحقيبة : ما يحتقبه الراكب ، وهو وعاء يجعله خلفه إذا ركب ويُخْرِزُ
 فيه متاعه وزاده ، وهذه استعارة حسنة ، وإنما يريد أن الحقب سلبت الربع
 جدته وذهبت بها^(٥) .

(١) م «ابتداء ما ابتدآ . . تعبة»

(٢) ديوانه ٣٠، وشرح التبريزى ١٨٤/١ « والنحل : العطية . تقديره : أنحل المغاني للبللى أم نهب ؟ فحذف التنوين للضرورة . يقول : أصيرت المغاني للبللى نحلأ أم نهبا ؟ » وفى م « مارية »

(٣) م « النون » !

(٤) شرح التبريزى ٢٤٤/١ وفى الديوان ٤٦ « من دارها » وفى ط « من ماوية » والحزج :
 المحلة قال التبريزى : « قوله : من أروية ، فيه حذف ، كأنه قال : من منازل أروية أو من أجزاعها

أو نحو ذلك ، ليصح دخول « من » إذ كانت للتبويض
 (٥) قارن شرح الحقيبة هنا بشرحها فى التبريزى

وقال البحتري :

أَرْسُومُ دَارِ أُمِّ سَطُورِ كِتَابٍ دَرَسْتُ بِشَاشَتِهَا عَلَى الْأَحْقَابِ ^(١)
 أَيْ : على مر السنين ، وهذا البيت أبرع من بيتي ^(٢) أبي تمام لفظاً ،
 وأجود سبكاً ، وأكثر ماء وروناً ، وهو من الابتداءات النادرة العجيبة ،
 المشبهة لكلام الأوائل ؛ فهو فيه أشعر من أبي تمام .

(١) ديوانه ٣٤٠ ، ٢٩٤/١ معارف

(٢) م « بيت »

وفى إقواء الديار وتعفيها

١- قال أبو تمام :

طَلَّلَ الْجَمِيعَ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا
وَكَفَى عَلَى رُزْئِي بِذَاكَ شَهِيدًا^(١)

أراد « وكفى بأنّه مضى حميداً شاهداً على أنى رزئت ». وكان وجه الكلام أن يقول : وكفى برزئى^(٢) شاهداً على أنه مضى حميداً ، وقد استقصيت الكلام فى هذا فيما تقدم من أغاليط^(٣) أبى تمام :

٢- وقال أيضاً :

أَجَلَ أَيُّهَا الرَّبْعُ الَّذِى بَانَ أَهْلُهُ
لَقَدْ أَذْرَكْتَ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ^(٤)

وهذا أيضاً ابتداء جيد .

٣- وقال أيضاً :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتُ مَعَانِيَكُمْ بَعْدِي وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَاتِعُ مِنْ بُرْدٍ^(٥)
وهذا بيت ردىء معيب ؛ لأنّ الوشيعه والوشائع هو الغزل الملفوف من

(١) سبق ص ٢١٦ . وفى م « رزه نذاك » وهو تحريف

(٢) ط « رزئى »

(٣) ط « فى غلط »

(٤) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ٣ / ٢١ « خف أهله » قال المعرى : « هذا لا يمكن أن يكون إلا على كلام متقدم ، لأنّ أجلاً فى نعم نعم ، ولا معنى لقولك هذه الكلمة إلا وقد سبقها كلام من غيرك . فكأنه ادعى أن الربع كلمه وشكا إليه ، فقال له : أجلاً أيها الربع . وخف أهله : ارتحل من كان فيه من السكان » .

(٥) سبق ص ١٩٢

اللحمة التي يُدَاخِلُهَا^(١) الناسجُ بين السدى ، والبرد الذي تمت نساخته ليس فيه شيء يسمى وشيعة ولا وشائع ، وقد ذكرت هذا في أغاليطه .

١- وقال البحتري :

تِلْكَ الدِّيارُ وَدَارِساتُ طُلُولِها طَوْعُ الخُطوبِ دَقِيقَها وَجَلِيلِها^(٢)

٢- وقال أيضاً :

يا مَعانِي الأَحْبابِ صِرْتَ رُسوماً وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكِ عِنْدِي مَلُوماً^(٣)

٣- وقال أيضاً :

لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ الرُّسومِ بِمَنْعِجٍ إِمَّا سَأَلْتَ مُعْرَجٍ لِمُعْرَجٍ^(٤)

٤- وقال أيضاً :

هَلَّا سَأَلْتَ بِجَوْ ثَمَهْدٍ طَلَلًا لِمَيْةٍ قَدْ تَابَدَ^(٥)

هذه كلها ابتداءات جيدة^(٦) بارعة اللفظ صحيحة المعنى .

وأبيات أبي تمام أيضاً رائعة . ولكن فيها ما ذكرته .

(١) ط « يدخلها »

(٢) ديوانه ٣٤٥

(٣) ديوانه ٢٧٣

(٤) ديوانه ٤٢٨ / ١ / ٣٩٩ معارف

(٥) ديوانه ٥٨٢ وفي اللسان ٣٥ / ٤ « تأيد المنزل : أى أقفر وألفته الوحوش »

(٦) ط « جياذ »

تعفية الرياح للديار

قال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبَعُ الْحَلَّاتِ لِلْأَرْبَعِ الْمُلْدِ لِكُلِّ هَضِيمٍ الْكَشْحِ مُغْرِبَةِ الْقَدِّ (١)
 الحلات : جمع حِلَّة ، وهو الموضع الذى يَحْلُونَهُ ، يقال : حَلَّةٌ وَمَحَلَّةٌ ،
 والأربع الملد : يريد أَرْبَعَ نِسْوَةٍ (٢) مُلْدٌ ، من قولهم : غَضَنُ أُمْلُودٍ ، وهو
 [الغصن] الناعم ، و «أملود» لا يجمع على «مُلْد» و [ملد] هو جمع
 أُمْلَد .

و «هضم الكشح» يريد ضامرة البطن .

وقوله : «مغربة القد» يريد أَغْرَبَ قَدُّهَا : أى (٣) لها قَدٌّ غَرِيبٌ فى
 الحسن ، وإنما أراد عَفَتْ أَرْبَعُ حِلَّاتٍ : أى مواطن ، لأَرْبَعِ نِسْوَةٍ (٤) ، وهذه
 تَكْلِفَةٌ شَدِيدَةٌ ، جاءت بلفظٍ غير حسن ولا جميل .

وكذلك «مغربة القد» من قول الشعراء المتأخرين : غَرِيبُ الْحَسَنِ ،
 وغريب القد . والكلمة إذا لم يوثَّ بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت .

وقوم يروونه : «أَرْبَعُ الْحَلَّاتِ» جمع رَّبْعٍ ، وذلك غلط . وإنما أراد
 الرجلُ الْعَدَدَ : أى عَفَتْ أَرْبَعُ لَأَرْبَعِ .

(١) ديوانه ١٣٠ وشرح التبريزى ١١٨/٢ «مجدولة القد» قال المرزوقى : «أى عفت ديار
 هؤلاء الجماعات لمفارقة هؤلاء النسوة الأربع . والملد : جمع ملداء ، وهى الناعمة . والحلات : جمع حلة ،
 وهى جماعة من الناس وجماعة من بيوتهم»

(٢) ط «نساء ملد»

(٣) م «أى أنها قد غربت»

(٤) ط «وهذا تكلف شديد وقد» وفى اللسان ٢١٨/١١ يقال : حملت الشئ تكلفه : إذا

لم تطفه إلا تكلفا ، وهو تفعله

ولا أعرف^(١) لأبى تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت . وهو ردىء اللفظ . قبيح النسيج .

١- وقال البحتري :

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فاللوى والأجرع دِمْنٌ حُسْنٌ على الرِّيحِ الأَرْبَعِ^(٢)

وهذا من ابتداء آتية العجبية^(٣) النادرة وإحسانه فيه الإحسان المشهور .

وقوله : « بين الشقيقة فاللوى » كقول امرئ القيس : « بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ » والأصمعي يرويه بالواو ، وأهل العربية يقولون : الدخول مواضع متفرقة^(٤) .

[وأكثر الشعراء يستعملون الفاء في هذا الموضع] .

٢- وقال البحتري :

أَصَبَا الْأَصَائِلِ إِنَّ بُرْقَةَ مُنْشِدٍ تَشْكُو اخْتِلَافَكَ بِالْهُبُوبِ السَّرْمَدِ^(٥)

ما زلت أسمع الشيوخ من أهل العلم بالشعر يقولون : إنهم ما سمعوا لمتقدم ولا متأخر في هذا المعنى أَحْسَنَ من هذا البيت ، ولا أبرع لفظاً ، ولا أكثر ماء ولا رونقاً ، ولا ألطف معنى .

٣- وقال البحتري :

لَا أَرَى بِالْبِرَاقِ وَسْماً يُجِيبُ أَسْكَمَتْ آيَةُ الصَّبَا وَالْجُنُوبِ^(٦)
وهذا ابتداء صالح .

(١) ط « ولا أعلم »

(٢) ديوانه ٧٢٧ ، ٢ / ١٢٨٦ « فالأجرع »

(٣) ط « الحسنة »

(٤) راجع معجم ما استعجم ٥٤٨/٢

(٥) ديوانه ٤٥٨ وفي ط « برقة شهيد »

(٦) ديوانه ٨١ / ١ طبع مصر ١١٢ / ١٤ معارف القول ١٤ ط

وفى البكاء على الديار

١- قال أبو تمام :

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَايِبٍ أَذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ^(١)
قد أنكر بعضهم قوله : « مصونات الدموع السواكب » ، وقال : كيف
يكون من السواكب ما هو مَصُون ؟

وإنما أراد أبو تمام [أذيلت] مصونات الدموع التي هي الآن سواكب ،
ولفظه يحتمل ما آراه ، والبيت جيد لفظاً ومعنى ونظماً .

٢- وقال أيضاً :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا فَلَا تَكُفَّنْ مِنْ شَأْنِيكَ أَوْ يَكْفَا^(٢)
هذا ابتداء حسن .

٣- وقال أيضاً :

أَزَعَمْتَ أَنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتِمُّ وَالذَّمْعُ فِي دِمْنٍ عَفَتْ لَا يُسْجَمُ^(٣)
٤- وقال أيضاً :

قَرَى دَارِهِمْ مِنْ الدُّمُوعِ السَّوَائِكُ وَإِنْ عَادَ صُبْحِي بَعْدَهُمْ وَهَوَّحَالِكُ^(٤)
وهذان ابتداءان جيدان .

(١) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزي ١ / ٢٠٥ « أذيلت أى أهينت »

(٢) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزي ٢ / ٣٥٩ « شأنيك تشنية شأن ، وهى مجازى الذم » ويروى

« عن شانيك »

(٣) ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزي ٣ / ٢١٢

(٤) ديوانه ٢٢٣ وشرح التبريزي ٢ / ٤٥٦ وفى اللسان ١٢ / ٣٢٣ « سفك الذم يسفكه

سفكا فهو مسفوك وسفيك - : صبه »

٥- وقال أيضاً :

تَجَرَّعُ أَسَى قَدْ أَقْفَرَ الْجَرَّعُ الْفَرْدُ وَدَعَّ حِشْيَ عَيْنٍ يَخْتَلِبُ مَاءَهُ الْوَجْدُ^(١)
الجرع والأجرع والجرعاء : أرض ذات رملٍ وحجارة مختلطة [وهي
أرض] خشنة ، وقد قيل : رملة سهلة .

والحِشْيُ : ماء المطر يغيض في الرمل [شيئاً]^(٢) قليلاً ثم يصل^(٣) إلى
الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب^(٤) ، وجمعه أحساء .

١- وقال البحتري .

مَتَى لَاحَ بَرَقُ أَوْ بَدَا طَلَلُ قَفَرُ جَرَى مُسْتَهْلٌ لَا بَكِيءٌ وَلَا نَزَرُ^(٥)
وهذا بيت حسبك به جودة [وحسناً] وبراعة وفصاحة .

٢- ونحوه قوله :

لَهَا مَنَزِلٌ بَيْنَ الدُّخُولِ فَتَوْضِحْ مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتِمِّ تَسْفَحُ^(٦)
هذا مثل قول امرئ القيس : « بين الدخول فحومل » .
وهذا أيضاً بيت جيد ، وليس كالأول .

٣- وقال أيضاً :

أَفِي كُلِّ دَارٍ مِنْكَ عَيْنٌ تَرَقَّرَقُ وَقَلْبٌ عَلَى طُولِ التَّذَكُّرِ يَخْفِقُ^(٧)

(١) ديوانه ١٢٠ وشرح التبريزي ٨٠/٢

(٢) م « سنا »

(٣) ط « يصير »

(٤) في اللسان ١٩٣/١٨ « الحسى : الرمل المتراكم أسفله جبل صلد ، فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر ، فإذا انتهى إلى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ، ومنع الرمل حر الشمس أن ينشف الماء ، فإذا اشتد الحر نبت وجه الرمل عن ذلك الماء ، فنبع بارداً عذباً »

(٥) ديوانه ٨٦ ، ٨٤٣/٢ المعارف

(٦) ديوانه ٦٣١

(٧) ديوانه ٥١٧ ، ١٤٩٢/٣

وهذا أيضاً غاية في جودته وبراعته وكثرة مائه .

٤- وقال أيضاً :

أَلَمَّا يَكْفِ فِي طَلَلِي زُرُودٍ بُكَاءُكَ دَارِسَ الدَّمَنِ الْهُمُودِ^(١)

٥- وقال أيضاً :

أَعْنِ سَفَهِي يَوْمَ الْأَبْيَرِ قِ أَمْ حِلْمِ وَقُوفُ بَرْنَعٍ أَوْ بُكَاءُ عَلَى رَسْمِ^(٢)

هذه الأبيات الثلاثة كأنه منكر [فيها] على نفسه البكاء وقد أحسن فيها اعتمد من ذلك وأجاد ، وهو ضد ما ذهب إليه أبو تمام في أبياته .

٦- وقال البحتري وهو حسن جداً :

وَقُوفُكَ فِي أَطْلَالِهِمْ وَسُؤَالُهَا يُرِيكَ غُرُوبَ الدَّمْعِ كَيْفَ انْهَمَالُهَا^(٣)

٧- وقال [أيضاً] :

عِنْدَ الْعَقِيقِ فَمَا ثَلَاثَ دِيَارِهِ شَجَنُ بَزِيدِ الصَّبِّ فِي اسْتِعْبَارِهِ^(٤)

٨- وقال :

يَأْبَى الْخَلَى بُكَاءَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي وَالنَّوْحَ فِي دِمَنِ أَقْوَتِ وَأَطْلَالِ^(٥)

٩- وقال :

أَبُكَاءَ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسُلُوءًا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ^(٦)

(١) الهامد : البالي

(٢) ديوانه ١٩٠

(٣) ديوانه ٢٢٢

(٤) ديوانه ٢٤٠ ، ٢ / ٨٦٦ المعارف

(٥) زيادة من ط .

(٦) ديوانه ٤٤٤ ، ٢ / ٩٨٨ وفي ط « عن زينب بنوار »

وهذا من البحتري تصرف^(١) في البكاء على الديار حسن ، ومعان فيه
مختلفة عجيبة ، كلها جيد نادر ، وأبو تمام لزم طريقة [واحدة]^(٢) لم
يتجاوزها .

والبحتري في هذا الباب أشعر .

(١) ط « وصف »

(٢) زيادة من ط

سؤال الديار واستعجامها عن الجواب

١- قال أبو تمام :

الدَّارُ نَاطِقَةٌ وَلَيْسَتْ تَنْطِقُ لِذُورِهَا ؛ إِنَّ الْجَدِيدَ سَيَخْلُقُ

٢- وقال في مثل معناه :

وَأَبَى الْمَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونٌ وَعَلَى الْعُجُومَةِ إِنَّهَا لَتُبِينٌ^(١)

وهذا قسم^(٢) شائع على الألسن العرب أن يقولوا^(٣) لمن يعقل : [وأبيك لقد أحسنت] وأبيك لقد أجملت ، وكثرت على الألسن حتى تعدوا^(٤) بها إلى ما لا يعقل ، قَسَمًا وغير قسم ، وكذلك قالوا : لَأَمَكِ الْهَبَلُ ، ولَأَبِيكَ^(٥) الْوَيْلُ ، ثم قالوا [مثل] ذلك لما لا أم له وقام مُخَرِّزُ^(٦) بن المُكَبَّرِ [الضبي] يرثي بِسْطَامَ بن قيس :

لَأُمِّ الْأَرْضِ وَيْلٌ مَا أَجَنَّتْ بَحِيثٌ أَضَرَ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ^(٧)

فجعل للأرض أماً .

(١) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣ / ٣٢٣

(٢) ط « معني »

(٣) ط « تقول » و م « لما »

(٤) ط « حتى حملوا »

(٥) م « ولأملك »

(٦) ترجم له المرزباني في معجم الشعراء ٤٠٥

(٧) الحسن اسم مكان قتل به بسطام بن قيس بن خالد الشيباني ، كما في معجم ما استعجم ٤٤٨ / ٢ ، ١٣١٩ / ٤ وفيه : « وقال ابن عنمة الضبي يرثي بسطاما ، وكان مجاوراً في بني بكر فأراد أن يتخلص منهم بتأيين بسطام : لَأُمِّ الْأَرْضِ . . . ما أَلَمْتُ . . . » وهي أبيات . وفي اللسان ٢٧٣ / ١٦ . . . قال عبد الله بن عنمة الضبي في الحسن ، يرثي بسطام . . .

وقد قال البحتري :

لَعَمْرُ أَبِي الْأَيَّامِ مَا جَارَ حُكْمُهَا عَلَى ، وَلَا أَعْطَيْتُهَا نِثْنِي مِقْوَدِي^(١)
فجعل للأيام أبا .

وقوله « شجون » جمع شَجَن ، وما أقلُّ ما يجمع فَعَلَ على فُعُول . قالوا :
أسد وأسود ، وليس هو بابيه ، والشجن : الحاجة ، والشجن : الهم والحزن .

٣- وقال أبو تمام :

مَنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَنْ لَا تُجِييَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقَلَّتِي أَنْ تَصُوبَا^(٢)
صدر هذا^(٣) البيت جيد ، وقوله « فصواب » [لفظة] ليست بجيدة
في هذا الموضع ، وإنما أراها التجنيس .

١- وقال البحتري :

لَا دِمْنَةٌ يَلُوى خَبْتٍ وَلَا طَلَلٌ تَرُدُّ قَوْلًا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ يَسْلُ^(٤)
وهذا ابتداء جيد لفظه ومعناه .

٢- وقال [البحتري] :

صَبٌّ يُخَاطِبُ مُفَحَّمَاتِ طُلُولٍ مِنْ سَائِلِ بَالٍ وَمِنْ مَسْئُولٍ^(٥)
أراد أنه بال^(٦) والطلول بالية . وهذا ابتداء صالح .

(١) ديوانه ٢٣١ ، ٧٧٢/٢ المعارف

(٢) سبق ص ١٠ .

(٣) ط « هذا ... صدره ... بالحدة »

(٤) ديوانه ٧١٥ ، ١٧٥٨/٣

(٥) ديوانه ٦١٠ ، ١١٦١/٣ وط « سائل باك »

(٦) ط « باك ... باكية »

٣- وقال [البحتري] :

عَزَمْتُ عَلَى الْمَنَازِلِ أَنْ تُبَيِّنَا وَإِنْ دِمَنْ بَلِيْنٌ كَمَا بَلَيْنَا^(١)
 أى : عزمت عليها أن توضح لنا ، ويكون « تبين »^(٢) بمعنى تُفصح
 هي في نفسها ، يقال : بان الشيء وأبان .

وقوله : « وَإِنْ دِمَنْ بَلِيْنٌ كَمَا بَلَيْنَا » أى : عزمت عليها أن تبين لنا
 القول وإن كانت قد بليت كما سينا نحن ، وهذا البيت ردىء العجز^(٣) .

٤- وقال [البحتري] :

أَقِمَّ عَلَيْهَا أَنْ تَرْجِعَ الْقَوْلَ أَوْ عَلَى أَخْلَفُ فِيهَا بَعْضَ مَا بَى مِنَ الْخَبْلِ^(٤)
 وهذا أيضاً بيت ردىء الصدر لفظه ومعناه ؛ لأنه أراد أن يقول : قف لعلها أن
 تَرْجِعَ القولَ أو لعلى ، فقال « أقم » مكان قِفْ ، وليست هذه اللفظة نائبةً
 عن تلك ؛ لأن الإقامة ليست من الوقوف فى شيء ، والدليل على أنه أراد أن
 يقول قف قوله بعد هذا :

فَإِنْ لَمْ تَقِفْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِكَ سَاعَةً فَقِفْهَا عَلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مِنْ أَجْلِ
 وقال : « عليها أو على » وهما^(٥) وإن كانتا لفظتين عربيتين فلعل أحسن
 من عل وأبرع ، وزاد فى تهجينها أنه كررها فى مصراع .

وقوله : « أَخْلَفُ فِيهَا بَعْضَ مَا بَى مِنَ الْخَبْلِ » عَجَزَ حسن ، [أى]^(٦)

(١) ديوانه ٥٥٣ ، ٤ / ٢٢٠٧ المعارف وفى م « نبينا »

(٢) م « نبين . . يتضح »

(٣) م « التفخر » !!

(٤) ديوانه ٣٦١ ، ٣ / ١٨٠٥

(٥) م « فهما »

(٦) زيادة من ط

أَطْرَحَهُ عَنِي ، أَيْ : لَعَلِّي أَبْكِي فَأُخَفِّفُ بَعْضَ مَا بَنِي مِنَ الْبُكَاءِ ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ^(١) ذَهَبَ ، وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ ^(٢) الْبُكَاءَ فِي الْبَيْتِ فَقَدْ ذَكَرَهُ مِنْ بَعْدِ .

٥- وقال :

بِاللَّهِ يَا رَبُّعُ لَمَّا زِدْتَ تَبْيَانًا فَقُلْتَ لِي الْحَيُّ لَمَّا بَانَ لِمَ بَانَ ^(٣)

٦- وقال أيضاً :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجَعَ مَا أَنْتَ قَائِلُهُ

وَأُبْدَى الْجَوَابَ الرَّبُّعُ عَمَّا تُسَائِلُهُ ^(٤)

وهذا بيت غير جيد ؛ لِأَنَّ عَجْزَ الْبَيْتِ مِثْلَ صَدْرِهِ سَوَاءٌ فِي الْمَعْنَى ، وَكَأَنَّهُ بَنَى الْأَمْرَ عَلَى أَنَّ الدَّارَ غَيْرَ الرَّبُّعِ ، وَأَنَّ السُّؤَالَ إِنْ وَقَعَ وَقَعَ فِي مُحَلِّينَ ^(٥) اثْنَيْنِ .

وَالْبَيْتُ أَيْضاً لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ ^(٦) جَعَلَهُ مَعْلَقاً بِالْبَيْتِ الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُهُ :

إِنِّي ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوَى أَلْهَبِ الْحَشَا

تَوَقُّدُهُ وَأَسْتَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائِلُهُ ^(٧)

٧- وقال [أيضاً] :

هَلِ الرَّبُّعُ قَدْ أَمْسَتْ خَلَاءَ مَنَازِلُهُ مُجِيبٌ صَدَاهُ أَوْ يَخْبِرُ سَائِلُهُ ^(٨)

(١) م « إل . . . المعنى »

(٢) ط « لم يكن »

(٣) ديوانه ٢١٤٩ / ٤ المعارف م « ازدادت » وفي ديوانه ٢١٤٩ / ٤ « لما ازدادت تبيناً ... وقلت . . . »

(٤) ديوانه ٥١ ، ٣ / ١٦١٠ وفي ط « ما أنت سائله »

(٥) م « بمجلين »

(٦) م « بنفسه وجمله »

(٧) م « العين خابله » !

(٨) ديوانه ٣ / ١٨٧٨ و م « يجيب »

وهذا ابتداء صالح .

٨- وقال أيضاً :

عَسَتْ دِمْنٌ بِالْأَبْرَقَيْنِ خَوَالِي تَرُدُّ سَلَامِي أَوْ تُجِيبُ سُؤَالِي^(١)

وهذا ابتداء حسن .

* * *

فهذا ما وجدته لهما من الابتداءات في الباب ، وليس [لهما]^(٢) فيه

بيت بارع .

والجيد [فيه] للبحترى قوله :

* لَا دِمْنَةٌ يَلْوِي خَبْتٍ وَلَا طَلَلٌ^(٣) *

وقوله :

* عَسَتْ دِمْنٌ بِالْأَبْرَقَيْنِ خَوَالِي *

والجيد لأبي تمام بيتاه الأولان ، ومعناهما غير معنى هذين البيتين [واللطف] .

وبيتا البحترى أجود لفظاً ، وأصح سبكاً ، فاجعلهما^(٤) في هذا الباب

متكافئين .

(١) ديوانه ٧٨٣ ، ٣ / ١٧٠١

(٢) زيادة من ط

(٣) سبق البيت في ص ٤٥٦

(٤) ط « سبكا وهما في هذا متكافئان »

فيما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وما يقارب معناه

١- قال أبو تمام :

أَطْلَالُهُمْ سُلِيتَ دُمَاها الْهَيْفَا وَاسْتَبْدَلْتُ وَخْشاً بِهِنَّ عُكُوفاً^(١)

وهذا [أيضاً] بيت جيد لفظه ومعناه .

٢- وقال أيضاً :

أَطْلَالِ هِنْدٍ سَاءَ مَا اعْتَضَتْ مِنْ هِنْدٍ

أَقَايَضَتْ حُورَ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالرُّبْدِ^(٢)

الْعَيْنُ : بقرة الوحش والظباء ، والرُّبْدُ : النعام ، وقايضت : أبدلت .

وهذا بيت ليس بالجيد ، ولا [هو] بالردىء .

٣- وقال أيضاً :

أَرَامَةٌ كُنْتُ مَالَفَ كُلِّ رِيمٍ لَوْ اسْتَمْتَعْتُ بِالْأُنْسِ الْقَدِيمِ^(٣)

وهذا ابتداء^(٤) جيد .

وقال البحتري :

١- رُبْعٌ خَلَا مِنْ بَدْرِهِ مَغْنَاهُ وَرَعَتْ بِهِ عَيْنُ الْمَهَا الْأَشْبَاهُ^(٥)

وهذا بيت حسن حلو .

(١) ديوانه ٢٠٥ وشرح التبريزي ٣٧٦ / ٢

(٢) ديوانه ١١٤ وشرح التبريزي ٥٩ / ٢

(٣) شرح التبريزي ١٦٠ / ٣ وفي الديوان ٢٨٧ وم « المقيم » وهما روايتان . وقد سبق في

الأمثال

(٤) ط « وهذا بيت »

(٥) « وزعت به »

٢- وقال البحتري أيضاً :

عَهْدِي بِرَبِّكَ مَأْنُوساً مَلَاعِبُهُ أَشْبَاهُ آرَامِهِ حُسْنًا كَوَاعِبُهُ^(١)
وهذا بيت في غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه .

٣- وقال أيضاً :

عَهْدِي بِرَبِّكَ مُثَلًّا آرَامُهُ يُجَلِّي بِضَوْءِ خُدُودِهِنَّ ظِلَامَهُ
وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى ، ولفظ الأول أعلى^(٢) وأبرع .
وقوله : « يجلي بضوء خدودهن ظلامه » حسن جداً .

٤- وقال أيضاً :

أَرَى بَيْنَ مُلْتَفِّ الْأَرَاكِ مَنَازِلًا مَوَائِلَ لَوْ كَانَتْ مَهَاهَا مَوَائِلًا^(٣)
وهذا أيضاً بيت من أبرع ابتداءاته .

* * *

فهذا ما وجدته لهما في هذا النحو ، والبحتري في أبياته أشعر من
أبي تمام في أبياته .

(١) ديوانه ٧٨٦ وفي م « تربك ما توساه . . أشباه أزال به » وهو تحريف

(٢) ط « أحلى »

(٣) ديوانه ٣ / ١٦٠٣

وفيا تهيجه الديار وتبعته من جوى الواقفين بها

١- قال أبو تمام :

أَقْشِيبَ رَنْبِهِمْ أَرَاكَ دَرِيسًا وَقَرَى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَسِيسًا^(١)

وهذا بيت من جيد الابتداءات وبارعها .

١- وقال البحتري :

مَغَانِي سُلَيْمِي بِالْعَقِيقِ وَدُورُهَا أَجَدُ الشَّحَى إِخْلَاقُهَا وَدُثُورُهَا^(٢)

وهذا بيت في جودة بيت أبي تمام وبراعته .

٢- وقال [أيضاً] :

لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءَ أَرْتَدِ لَقَدْ هَبَجَتْ وَجَدًا عَلَى ذِي تَوَجُّدٍ^(٣)

٣- وقال أيضاً :

مَا جَوْ خَبْتٍ وَإِنْ نَأَتْ طُعْنُهُ تَارِكْنَا أَوْ تَشُوقْنَا دِمْنُهُ^(٤)

وقال أيضاً :

كُلَّمَا شَاءَتِ الرُّسُومُ الْمُحِيلَةَ هَبَجَتْ مِنْ مَشُوقِ صَدْرِ غَلِيلَةٍ^(٥)

وهذه كلها ابتداءات جياد ، وهي مع بيت أبي تمام متكافئة .

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزي ٢ / ٢٦٢ « القشيب : الحديد هنا . واللوعة : حرقة القلب : والرئيس : ما يجده الإنسان في قلبه من حزن أو هوى » وفي م « نقرى » وصوابها « نقرى » وهي رواية أخرى .

(٢) ديوانه ٣٨٣

(٣) ديوانه ٢٣٠ « لعمري » وفي ط « صحراء أريد » وفي م « ذي توحده »

(٤) ديوانه ٣٣٤ وفي اللسان ١٨ / ١٧٣ « قال الأزهري : الجو : ما اتسع من الأرض واطمأن وبرز وفي بلاد العرب أجوية كثيرة كل جو منها يعرف بما نسب إليه . فنها جو غطريف إلخ » وخبث : اسم موضع

(٥) ديوانه ٤٧٥ « مشوق قلب » ، ١٦٣٩ / ٣

الدعاء للدار بالسقيا

١- قال أبو تمام :

أَسْقَى طُلُوعَهُمْ أَجْشَ هَزِيمٍ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ^(١)

٢- وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبْلُ الْعِهَادِ وَرَوْضَ حَاضِرٍ مِنْهُ وَبَادِي^(٢)

وهذان ابتداءان جيدان .

٣- وقال أيضاً :

يَا بَرْقُ طَالِعٍ مَنْزِلًا بِالْأَبْرِقِ وَأَخَذُ السَّحَابَ لَهُ حُدَاءَ الْإَيْنِقِ^(٣)قوله : « طالع » لفظة رديئة في هذا الموضع قبيحة ، وقوله : « واخذ السحاب »^(٤) له حذاء الأينق » لفظه ومعناه جيدان فصيحان ، وإنما خص

(١) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزي ٢٨٩/٣ « أسق وسقى بمعنى واحد . والمراد بالأجش : الرعد . والهزيم : يحتمل أن يكون من الصوت ، من ذلك قولهم : تهزم الأديم إذا تكسر وتشقق »

(٢) ديوانه ٧٨ وشرح التبريزي ٣٧٢ / ١

والسبل بالتحريك : المطر . والعهاد : جمع عهد ؛ وهو مطر بعد مطر يدرك آخره بلل أوله وفي الشرح . « وروض حاضر ، يعنى المكان الذى فيه الحاضر ؛ وكذلك المكان الذى فيه البادى ، سعى المكان باسم الناس ، لأن القوم إذا حضروا الماء قيل لهم : حاضر ، ولا يمتنع أن يعنى في هذا البيت : الإنس إذ كان يمكن أن يقال : قد روضوا : إذا نبت لهم الروض » وفي ط « صوب العهاد وروى حاضر منهم »

(٣) ديوانه ٢١١ وشرح التبريزي ٤٠٦/٢ « يقول للبرق : سق سحابك برعده وصوبه إليه ، كما تساق النوق بالحداء » .

(٤) م « واحد المجاز . . . لفظ ومعنى » وهو تحريف

البرق لأنه دليل الغيث .

٤ - وقال أيضاً :

أَيُّهَا الْبَرْقُ بِنْتُ بَاغَلَى الْبِرَاقِ وَأَعْدُ فِيهَا بِوَابِلٍ غَيْدَاقٍ^(١)
الْبِرَاقُ : جمعُ بَرْقَةٍ ، مثل بُرْمَةٍ وِبِرَامٍ ، وهى الأرض ذات الطين والعَصَى تكون
ذات ألوانٍ مختلفة .

وهذا بيت جيد ، ووَصَلَه ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نأتى به إن
شاء الله تعالى فى بابهِ .

٥ - وقال :

يَا دَارُ دَارَ عَلَيْنِكَ إِرْهَامُ النَّدى وَاهْتَزَّ رَوْضُكَ فِي الشَّرَى فَتَرَماً دَا^(٢)
يقال : أرهمت السماء ، إذا أتت بالرهمة ، وهو المطر اللين ، يقال :
رَهْمَةٌ وَأَرْهَامٌ مثل^(٣) أَكَمَّةٍ وَآكَامٍ ، فإن قلت : «أرهام الندى» كان ذلك
سائغاً .

وتراًد : تثنى لكثرة مابه وغضاضته ومنه «امرأة رُوْدُ الشباب» أى :
غَضَّتْهُ .

وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسيج .

١ - وقال البحتري :

نَشَدْتُكَ اللَّهُ مِنْ بَرْقٍ عَلَى إِصْمٍ لَمَّا سَقَيْتَ جُذُوبَ الْحَزَنِ فَالْعَلَمِ^(٤)

(١) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزى ٤٤٧ / ٢ والنيدان : الكثير الماء والجري

(٢) ديوانه ١٢٥ وشرح التبريزى ١٠١ / ٢

(٣) ط « كأكمة »

(٤) ديوانه ٦٥٣ ، ٣ / ١٩٧٣ وفى م « حبوب »

وهذا بيت بارع اللفظ ، جيد المعنى ، وزاد في جَوْدته قوله : « نشدتك الله » .

٢- وقال أيضاً :

سُقِيَتِ الْغَوَادِي مِنْ طُلُولٍ وَأَرْبُعٍ وَحُيِّتْ مِنْ دَارٍ لِأَسْمَاءَ بَلْقَعٍ^(١)

وهذا أيضاً بيت جيد اللفظ والمعنى ، ويدخل في باب التسليم على الديار لقوله : « وحيت من دار » .

٣- وقال أيضاً :

أَنَاشِدُ الْغَيْثَ كَيْ تَهْمِي غَوَادِيهِ عَلَى الْعَقِيقِ وَإِنْ أَقَوْتُ مَغَانِيهِ^(٢)

وهذا [أيضاً] بيت جيد .

٤- وقال أيضاً :

أَقَامَ كُلُّ مِلْثٍ الْوَدْقِ رَجَاسٍ عَلَى دِيَارٍ يَغْلُو الشَّامُ أَذْرَاسٍ^(٣)

ملت : دائم كثير ، ورجاس : مُصَوَّتٌ^(٤) ، يريد الرعد .

ههنا - كتب الماء والروثني .

٥- وقال أيضاً :

لَا يَرِمُ رَبْعَكَ السَّحَابُ يَجُودُهُ تَبْتَدِي سَوْقَهُ الصَّبَا أَوْ تَقُودُهُ^(٥)

(١) ديوانه ٨٨ ، ٢ / ١٢٣٧

(٢) ديوانه ١٧٤ وفي ط « هل تهى »

(٣) ديوانه ٧٩٣ . والودق : المطر ، وأذراس : باليات

(٤) م « مصوب » وهو تحريف

(٥) ديوانه ١٨٨ لا يرم : لا يبرح . يجوده : يسقيه . وفي ط « تجوده »

٦- وقال أيضاً :

سَقَى دَارَ لَيْلَى حَيْثُ حَلَّتْ رُسُومَهَا
عَهَادُ مِنَ الْوَسْمِيِّ وَطَفُ غُيُومَهَا^(١)

وهذان ابتداءان جيدان ، وليسا مثل ما تقدم .

٧- وقال أيضاً :

سَقَى رَبْعَهَا سَحَّ السَّحَابِ وَهَاطِلُهُ وَإِنْ لَمْ يُخَبِّرْ آتِئاً مَنْ يُسْأَلُهُ^(٢)
وهذا بيت^(٣) ردى العجز ؛ من أجل قوله « آتِئاً » لأنها حشو لا حاجة
بالمعنى إليها .

* * *

فهذا ابتداء [به] من الدعاء للديار بالسقيا ، وهما عندي متكافئان .

(١) ديوانه ١٠٧ والمهاد : جمع عهد ، وهو المطر المتتابع . والوسمي : مطر الربيع ووطف : جمع وطفاء ، وهى السحابة المسترخية الجوانب لكثرة ماؤها . والغيوم : جمع غيم ، وهو السحاب

(٢) ديوانه ٢٢٥ ، ١٦٩٦/٣

(٣) ط « البيت . . . لأنه . . . لا حاجة للمعنى به »

في لوم الأصحاب في الوقوف على الديار

١- قال أبو تمام :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إِذْمَانِي عَلَى الدَّمَنِ وَحَمَلِي الشُّوقَ مِنْ بَادٍ وَمَكْتَمٍ^(١)
[وهذا ابتداء صالح] .

٢- وقال أيضاً :

مَا عَهِدْنَا كَذَا نَحِيبَ الْمَشُوقِ كَيْفَ وَالِدَمْعُ آيَةُ الْمَعْشُوقِ^(٢)
وهذا بيت ردىء جداً ، وقد ذكرتُ ما فيه في باب ما^(٣) ذكر له في وسط
الكلام في تعنيف الأصحاب على الوقوف على الديار ، وهذا البيت ابتداء ،
ولمّا ذكرته هناك لَأَنَّ معناه يتضح بالأبيات التي بعده ؛ فجعلته في ذلك
الباب .

وليس لأبي تمام ابتداء صالح في لوم الأصحاب ، غير هذين البيتين .
فأما البحرى فإنه تصرف فيه في ابتداءاتٍ جياذٍ حسانٍ بارعة حلوة .

١- فمن ذلك قوله :

فِيمَ ابْتِدَارُكُمْ الْعَلَامَ وَلُوعًا أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعًا^(٤)
وهذا بيت حسن ، وفيه سؤال ، وهو أن يقال : إنما لاموه على بكانه على
الدِّمْنَةِ والربوع ، فما وجه اعتذاره بأنه لم يبك إلا دمنة وربوعاً ؟

(١) ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزي ٣ / ٣٣٧ والمكتن : المضمحل الخافى

(٢) شرح التبريزي ٢ / ٤٣٠ وفي ديوانه ٢١٤ « بكاء المشوق » وهما روايتان

(٣) م « ما ذكرناه في وسط »

(٤) ديوانه ٢٤٧ ، ٢ / ١٢٥٣ وفي ط « ابتداركما » « أنكيت إلا » وهو تحريف وقد سبق ص ٨

والجواب : أنه ^(١) أراد أبكىت إلا ما مثله يُبكي ، وقد تقدّمنا الناس فيه ولم ينكر ذلك على أحد ؟

٢- وقوله :

خُذَا مِنْ بُكَائِي فِي الْمَنَازِلِ أَوْدَعَا وَرُوحَا عَلَى لَوْحِي بِهِنَّ أَوْ أَرْبَعَا ^(٢)
وهذا بيت جيد [حسن] .

٣- وقوله أيضاً :

ذَاكَ وَادِي الْأَرَائِكِ فَاحْشِ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ مَلَامَتِي أَوْ مُطِيلًا ^(٣)
وهذا بيت جيد حسن ، بارع اللفظ والمعنى ، وقد ذكرته أيضاً في باب الوقوف على الديار .

٤- وقوله :

أُخْرَى الْخُطُوبِ بَانَ يَكُونُ عَظِيمًا قَوْلُ الْجَهْلُولِ : أَلَا تَكُونُ حَلِيمًا ^(٤)
٥- وقوله :

مَا أَنْتَ لِلْكَلِفِ الْمَشُوقِ بِصَاحِبٍ فَاذْهَبْ عَلَى مَهَلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبٍ ^(٥)
٦- وقوله :

فِي غَيْرِ شَأْنِكَ بُكَّرْتَنِي وَأَصِيبِي وَسَوَى سَبِيلِكَ فِي السُّلُوسِ سَبِيلِي ^(٦)

(١) « ما أراد ما بكيت »

(٢) ديوانه ٧٠٢ ، ٢ / ١٢٦٣ « من بكاء » ومعنى أربعا : ارفقا واقتصرنا

(٣) ديوانه ٦٨٦ « من صبابة »

(٤) ديوانه ٢٨٦ ، ٣ / ١٩٦٤

(٥) ديوانه ٦٩٦

(٦) ديوانه ١٧٧

٧- وقوله :

بَعْضَ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّغْنِيدِ لَيْسَ ذِمُّ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ^(١)

* * *

ولهما [أيضاً] في تأنيب العُدَّال في غير الوقوف على الديار ، ابتدئات
ليس بضائر ذكرها هنا .

١- فمن ذلك قول أبي تمام :

تَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوَّعَ مُؤَنِّي وَلَيْسَ جَنِّي إِنْ عَذَلْتُ بِمُصْحِي^(٢)

٢- وقوله أيضاً :

دَابُّ عَيْنِي الْبُكَاءُ وَالْحُزْنُ دَابِّي فَاتْرُكْنِي- وَقِيتَ مَا بِي- لِمَا بِي^(٣)

٣- وقوله أيضاً :

كُفِّي وَغَاكِ فَإِنِّي لَكَ قَالِي لَيْسَتْ هَوَادِي عَزَمَتِي بِتَوَالِي^(٤)

٤- وقوله أيضاً .

لَا مَتَهُ لَامَ عَشِيرُهَا وَحَمِيمُهَا مِنْهَا خَلَاتِقَ قَدْ أَبَرَّ ذَمِيمُهَا^(٥)

(١) ديوانه ٦٩١

(٢) ديوانه ٢٣ وفي شرح التبريزي ١/ ١٥٣ « تقى : أمر من تقاه يتقيه مخففا . و « جمحات » : من جمع الفرس إذا عز قارسه . وقوله : « لست طوع مؤنني » : أي لست مطيعه . و « الجنبي » : المحنوب ، وهو دواء وقلبه ، وإنما يجنبها غيره ، ولكن أضافها إلى نفسه لتعلقهما به . يخاطب عاذلته ، يقول : عذلك لا يجنني نفعا . ويقال : أصحب الرجل : إذا تابع وانقاد . والمعنى : اتقني فيما أتصحب فيه ، فإني لا أطاوع المؤنب إذا أنب ، وليس قلبي بمنقاد لي إذ ألت « وفي ط والديوان « وليس جبي » وهو تحريف .

(٣) ديوانه ٣٥٥

(٤) وشرح التبريزي ٣/ ٧٦ وفي ديوانه ٢٤٦ « يكفى وغاك »

(٥) ديوانه ٣١٠ وشرح التبريزي ٣/ ٢٧٢ وعشيرها : معاشرها . وحميمها : قريبها . ويروى « قد أبى ذميمها » وأبى بالشئ : إذا لزمه

٥ - وقوله أيضاً :

مَتَى كَانَ سَمْعِي خِلْسَةً لِللَّوَائِمِ وَكَيْفَ صَغَتْ لِلْعَازِلَاتِ عَزَائِمِي ^(١)
وقوله أيضاً :

قَدْكَ اتَّثِبَ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ سُجْرَانِي ^(٢)
وهذه كلها ابتداءات صالحة ، إلا هذا البيت الأخير ؛ فإن الناس عابوه .
ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح في كتابه : أن مما عيب من
ابتداءات الطائي قوله :

[* قَدْكَ اتَّثِبَ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ *]

وقوله [:

* كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ *]

وقوله :

* خَشْنَتْ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خُشَيْنِ *

فأما قوله : « خشنت عليه » فهو لعمري من تجنيساته القبيحة ، وعهدت
مُجَانُ البغداديين يقولون : قليل نورة يذهب بالخشونة .

وأما قوله : « كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر » فليس بمعيب عندي ،
وقد ذكرته في ابتداءات المرائي ، وأخبرت بمعناه .

وأما قوله : « قدك اتثب أربيت في الغلواء » فإنها ألفاظ. صحيحة فصيحة
من ألفاظ العرب ، مستعملة في نظمهم ونثرهم ، وليست من متعسف ألفاظهم ،
ولا وحشي كلامهم : ولكن العلماء بالشعر أنكروا عليه أن جمعها في مصراع

(١) ديوانه ٢٩٠ وشرح التبريزي ٢ / ٢١٩ وفي ط « للماذلين »

(٢) سبق ص ٢٦ و ٣٠١ .

واحد ، وجعلها ابتداء قصيدة ، ولم يفرق بينها بفواصل^(١) فقال : « قدك
اثنب أرييت في الغلواء » فصار قوله « قدك اثنب » كأنهما كلمة واحدة على
وزن مُستفعل ، وضم إليه « أرييت في الغلواء » فاستهجنّت .

ولو جاء هذا في شعر أعرابي لما أنكره ؛ لأن الأعرابي إنما ينظم كلامه
المنثور الذي يستعمله في مخاطباته^(٢) ومحاوراته ، ولو خاطب أبو تمام بهذا
المعنى في كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه إلا : حَسْبُكَ اسْتَحَى زِدْتَ وَعَلَوْتَ .
وهذا كلام حسن بارع .

قال : فمن شأن الشاعر الحضري أن يأتي في شعره بالألفاظ [العربية]
المستعملة في كلام الحاضرة ، فإن اختار أن يأتي بما لا يستعمله أهل الحضري ،
فمن سبيله أن يجعله من المستعمل في كلام أهل البدو دون الوحشي الذي
يقل استعمالهم إياه ، وأن يجعله متفرقا في تضاعيف ألفاظه ، ويضعه
في مواضعه : فيكون قد اتسع مجاله^(٣) بالاستعانة به ، ودل على فصاحته
وعلمه ، وتخلص من الهجنة . كما أن الشاعر الأعرابي إذا أتى في شعره
بالوحشي الذي يقل استعماله إياه في منثور كلامه وما يجري^(٤) دائما في
عاداته - هَجَنَ وَقَبَحَ ، إلا أن يضطر إلى اللفظة واللفظتين ، ويقلل ،
ولا يستكثر ؛ فإن الكلام أجناس إذا أتى منه شيء مع غير جنسه باينته ونافره
وأظهر قبحه .

وقد تَصَرَّفَ البحري في هذا الباب أَحْسَنَ تصريف وأبلغه وأعجبه .

(١) ط : « إلا بفواصل [يسيرة] » والكلمة الأخيرة زادها الناشر ليستقيم له الكلام ،
ولكن أين هذه الفواصل اليسيرة ؟

(٢) م « في خطابه »

(٣) ط « مجاله بالاستعانة ودل »

(٤) ط « وما جرى »

١- فمن ذلك قوله :

أَتَارِكِي أَنْتَ أَمْ مُغَرِّي بَتَغْلِيْبِي
وَلَا تَمْنِي فِي الْهَوَى إِنْ كَانَ يُزِرِّي بِي^(١)

٢- وقوله أيضاً .

يُفَنِّدُونَ وَهُمْ أَذْنَى لِـ الْفَنْدِ وَيُرْشِدُونَ وَمَا الْعَذَالُ مِنْ رَشْدِي^(٢)

٣- وقوله أيضاً :

إِنَّمَا الْغَىُّ أَنْ يَكُونَ شَيْدَا فَاَنْقَصَا مِنْ مَلَامِهِ أَوْ فَرِيدَا^(٣)

٤- وقوله أيضاً :

أَلَمْ يَكُ فِي وَجْدِي وَبَرَحٍ تَلْدُدِي نِهَابُهُ نَهْيٌ لِلْعَلُوِّ الْمُفْنِدِ^(٤)

٥ - وقوله أيضاً :

مَرَنْتَ مَسَامِعُهُ عَلَى التَّفْنِيدِ فَقَضَى الْمَلَامَ لِأَعْيُنٍ وَخُلُودِ^(٥)

٦- وقوله أيضاً :

شُعْلَانٍ مِنْ عَذَلٍ وَمِنْ تَفْنِيدٍ وَرَسِيْسُ حُبٍّ طَارِفٍ وَتَلْيِيدِ^(٦)

٧- وقوله أيضاً :

أَقْصَرَا لَيْسَ شَأْنِي الْإِقْصَارُ وَأَقْلَا لَنْ يُغْنِيَ الْإِكْثَارُ^(٧)

(١) ديوانه ٣٢٦ وفي ط « في هوى »

(٢) ديوانه ١١٣ « وما التمثال » وفي ط « في رشدي »

(٣) ديوانه ٤٥٠

(٤) في ديوانه ٨١٥/٢ « المارف : فهي للعلو »

(٥) ديوانه ٨١٨ / ٢ « فمضى »

(٦) ليس في ديوانه المطبوع .

(٧) ديوانه ١٠٤ وفي م « أن يغني » وهو تحريف

٨- وقوله أيضاً :

قُلْتُ لِلْأَتَمِّ فِي الْحُبِّ : أَفَقِ لَا تُهَوِّنْ طَعْمَ شَيْءٍ لَمْ تَلُقْ^(١)

٩- وقوله أيضاً :

أَمَا كَانَ فِي تِلْكَ الرَّبُوعِ السَّوَائِلِ بَيَانٌ لِنَاءِ أَوْ جَوَابٍ لِسَائِلِ^(٢)

١٠- وقوله أيضاً :

أَكْثَرَتْ مِنْ لَوْحِ الْمُحِبِّ فَأَقْلِلِ وَأَمَرْتَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَأَجْمِلِ^(٣)

١١- وقوله أيضاً :

رُوَيْدَكَ إِنَّ شَأْنَكَ غَيْرُ شَانِي وَقَصْرَكَ لَسْتُ طَاعَةً مِنْ نَهَانِي^(٤)

١٢- وقوله أيضاً :

يَكَاذُ عَاذِلُنَا فِي الْحُبِّ يُغْرِبُنَا فَمَا لَجَاجُكَ فِي لَوْحِ الْمُحِبِّينَا^(٥)

١٣- وقوله أيضاً :

عَلَيَّ فِيكَ مِنْ لَاحِ إِذَا مَا شَكَوْتُ الْحُبَّ حَرَقْنِي مَلَامًا^(٦)

١٤- وقوله أيضاً :

طَفِيفَتْ تَلُومٌ وَلَاتَ حِينَ مَلَامِهِ لَا عِنْدَ كَرَّتِهِ وَلَا إِحْجَامِهِ^(٧)

ولا خفاء بفضل البهتري على أبي تمام في هذا الباب .

وقد مضت الموازنة بين الابتداءات بذكر الديار والآثار ، وأما الآن

فأذكر ما جاء عنهما من ذلك في وسط الكلام .

(١) ديوانه ٣٢١ ، ٣ / ١٤٧١ (٢) ليس في ديوانه المطبوع

(٣) ديوانه ١٨٧ ، ٣ / ١٧٩٩ « في لوم » وكذلك في ط

(٤) ديوانه ١٤٤

(٥) ليس في ديوانه المطبوع . في ديوانه ٢٢٠٠ / ٤ المعارف

(٦) ديوانه ٢٩ وفي ط « قطعتي ملما » (٧) ديوانه ٤٣١

ما قالوا في أوصاف الديار والبكاء عليها

قال أبو تمام :

طَلَّلَ الْجَمِيعَ لَقَدْ عَفَوْتَ حَمِيدًا وَكَفَى عَلَى رُزْنِي بِذَاكَ شَهِيدًا^(١)
 دِمْنٌ كَأَنَّ الْبَيْنَ أَصْبَحَ طَالِبًا دِمْنًا لَدَى آرَامِهَا وَحُقُودًا^(٢)
 قَرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى وَتَرَكْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فِيكَ بَعِيدًا
 خَصِلًا إِذَا الْعِبْرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا وَطَنًا سَرَى قَلِقَ الْمَحَلُّ طَرِيدًا

وقوله : « وكفى على رزنى بذاك^(٣) شهيدا » ليس بالجيد ، وقد ذكرت معناه [فيما تقدم من ذكر معانيه] في باب الابتداءات عند ذكر البيت^(٤) .

وقوله : « قَرَّبْتَ نَازِحَةَ الْقُلُوبِ مِنَ الْجَوَى » يريد القلوب التي بَعْدَ عَهْدِهَا بمرض الحب فأدْنَيْتَهَا مِنْ ذَاكَ^(٥) عند الوقوف عليك ، يخاطب [الطلل أو] الدمن .

وقوله : « وَتَرَكْتَ شَأْوَ الدَّمْعِ فِيكَ بَعِيدًا » أى دائماً طويلاً . وقوله :
 خَصِلًا إِذَا الْعِبْرَاتُ لَمْ تَبْرَحْ لَهَا وَطَنًا سَرَى قَلِقَ الْمَحَلُّ طَرِيدًا
 أى : مَنْ كَانَ إِذَا يَبْكِي فِي وَطْنِهِ عَلَى الْحَوَادِثِ الَّتِي تَحْدُثُ عَلَيْهِ^(٦) فِيهِ ،
 سَرَى هَذَا الدَّمْعُ قَلِقَ الْمَحَلُّ طَرِيدًا ، أى اعتسف^(٧) المسير لطوله حتى حلَّ
 بِهِذِهِ الدَّمْنُ . وهذا نحو من قوله :

(١) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ١/ ٤١٠

(٢) ط « دينا لدى » وهو تحريف قال التبريزي : « والدمن الأولى : جمع دمنة ، وهى آثار القوم فى الديار . والدمن الثانية : جمع دمنة أيضاً ، وهى الحقد ويقينه فى القلب . وعنى بالآرام : النساء ، شبهها بالظباء البيض »

(٣) م « رزنى نداله » وهو تحريف

(٤) راجع ص ٢١٧ و ٤٤٦

(٥) ط « فأرَيْتَهَا مِنْ ذَلِكَ » وهو تحريف لأن الشاعر قال « قرئت » ولم يقل : أرئت !

(٦) م « تحدث فيه »

(٧) ط « إذا عسف . . . حتى يحل » وهو تحريف

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَخْشَاءِ أَبْرَدَ مِنْ دَمْعٍ عَلَى وَطْنِي لِي فِي سِوَى وَطْنِي^(١)

فقلوه : « على وطن لي » يعنى الرسوم والطلول التى يقف عليها .

وهذا من جيد ألفاظه وصحيح معانيه ، وغرضه فيما وصف من الدمع غرض

حسن^(٢) ، وأحسن منه [وألطف] وأغرب قوله :

أَمَّا الرُّسُومُ فَقَدْ أَذْكَرَنَ مَا سَلَفَا فَلَا تَكْفُنْ عَنْ شَأْنِكَ أَوْ يَكْفَا^(٣)

لَا عُدْرَ لِلصَّبِّ أَنْ يَقْنِي السُّلُوَ وَلَا لِلدَّمْعِ بَعْدَ مُضِيِّ الْحَيِّ أَنْ يَقِفَا^(٤)

حَتَّى يَظْلُ بِمَاءِ سَافِحٍ وَدَمٍ فِي الرَّبْعِ يُحْسَبُ مِنْ عَيْنَيْهِ قَدْرَ عَفَا^(٥)

وهذا المعنى ليس له ، وإنما أخذه من قول أبي وجزة [السَّعْدِيُّ] :

عُيُونُ تَرَامِي بِالرُّعَافِ كَانَهَا مِنْ الشُّوقِ صِرْدَانُ تَدِفُ وَتَلْمَعُ^(٦)

قيل فى تفسيره : شبه الدمع وقد عَصَفَرَه الدم بالرُّعَافِ ، وشبهه العيون -

وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى - بالصُّرْدَانِ تَنْتَفِضُ تارة وتظهر

قريباً^(٧) من الأرض تارة .

وبيت أبي تمام أجود لفظاً ونظماً .

ولا أعلم^(٨) البحرى ذهب إلى مثل هذا المعنى ، ولا للمعنى الذى قبله

(١) فى ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزى ٣ / ٣٣٨ « أو قد من دمع »

(٢) ط « غرض صحيح »

(٣) ديوانه ٢٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٥٩ وقد سبق فى البكاء على الديار

(٤) « يقنى السلو : يدخره ويمسكه . ويروى « يقنى الحياء »

(٥) قال التبريزى « تقديره : حتى يظل هذا الصب يحسب قد رصف من عينيه بماء سافح ودم ،

لاختلاط الدمع بالدم »

(٦) ط « صردان تدب » وهو تحريف والصردان : جمع صرد ، وهو طائر ، والدفيق : أن

يدف الطائر على وجه الأرض يحرك جناحيه ورجلاه بالأرض وهو يطير ، ثم يستقل . ويقال لمع الطائر

بجناحيه يلمع وألمع بهما : حركهما فى طيرانه وخفق بهما »

(٧) ط « وتظهر عرضاً » وهو تحريف

(٨) ط « ولا أعلم »

[في وصف الدمع] . ولكنه يعتذر مرةً بقلّة دمعهِ ، مرةً يذكر كثرته ويفتخر
بغزيره ، وفي كل ذلك يُحسنُ ويجيد .

فمن اعتذاره قوله في قصيدته التي أولها :

فِيمَ ابْتِدَارُكُمْ الْمَلَامَ وَلَوْعَا أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعًا^(١)
يَا دَارَ غَيْرِهَا الزَّمَانُ وَفَرَقْتُ عَنْهَا الْحَوَادِثُ شَمَلَهَا الْمُجْمُوعَا^(٢)
لَوْ كَانَ لِي دَمْعٌ يُحَسِّنُ لَوْعَتِي خَلْبَتُهُ فِي عَرَضَتِكَ خَلِيعَا^(٣)
لَا تَخْطُبِي دَمْعِي إِلَى فَلَمْ يَدْعُ فِي مُقْلَتِي جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعَا
فقوله في ابتداء القصيدة : « أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعًا » قد أخبر أنه
بكى ثم قال : « لو كان لي دمع يحسن لوعتي » أي : لو كان لي دمع غزير
يليق بِلَوْعَتِي ويبين^(٤) عنها .

وكذلك قوله : « فلم يدع في مقلتي جوى الفراق دموعًا » أي : دموعًا
كافيةً أرضاها ، أو دموعًا تسعفني^(٥) : لأنه استقلّ دمعهُ واشتتَزره ،
أو أن يكون انقطع دمعهُ .
ولله در كثيرٍ إذ يقول :

وَقَضَّيْنِ مَا قَضَّيْنِ ثُمَّ تَرَكْنِي بِفَيْفَا خَرَيْمٍ وَأَقِفَا أَتَلَدُ^(٦)
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْعَيْنِ ضَنْتَ بِمَاثَا عَلَى وَلَا مِثْلَ عَلَى الدَّمْعِ يُحَسِّدُ^(٧)

(١) ديوانه ٢٥٧ ، ٢ / ١٢٥٣ وقد سبق هذا البيت في صفحة ٨ و ٦٧

(٢) ط « أَيْلَى الْحَوَادِثِ »

(٣) في الديوان « خلفته » وفيه ٢ / ١٢٥٣ « لتركته »

(٤) ط « ويني »

(٥) ط « تسعني » و م « تسعني »

(٦) ديوانه ١ / ١١٤ « وأمن بينا عاجلا وتركني » وقد سبق البيت في الوقوف على الديار

(٧) ديوانه ١ / ١١٨

وقال أبو تمام :

أَقْشِيبَ رَبِّعِهِمْ أَرَاكَ دَرِيسَا تَقْرَى ضُيُوفَكَ لَوْعَةً وَرَمِيسَا^(١)
وَلَكِنْ حُبِسْتُ عَلَى الْبَلْبَى لَقَدْ أَغْتَدَى دَمْعِي عَلَيْكَ إِلَى الْمَمَاتِ حَبِيسَا^(٢)
وَأَرَى رُسُومَكَ مُوحِشَاتٍ بَعْدَ مَا قَدْ كُنْتُ مَأْلُوفَ الْمَحَلِّ أَنْيسَا^(٣)
وَبَلَاقِعًا حَتَّى كَانَ قَطِينَهَا حَلَفُوا يَمِينًا أَخْلَفَنكَ غَمُوسَا^(٤)
وهذا كلام رَصِينٌ ، وقوله : « حلفوا يميناً أخلفنك » أى : كأنهم حلفوا
يميناً أن يعود إليك فأخلفك ذلك .

ومن حلو معانيه وجيد ألفاظه فى البكاء على الديار . قوله :

يَمَنْ لَوْتُ عَزَمَ الْفُؤَادِ وَمَزَّقَتْ فِيهَا دُمُوعُ الْعَيْنِ كُلَّ مُمَزَّقٍ^(٥)
وقال أيضاً :

سَقَى عَهْدَ الْحِمَى سَبْلُ الْعَهَادِ وَرَوْضَ حَاضِرٍ مِنْهُ وَبَادَى^(٦)
نَزَحْتُ بِهِ رَكْبِي الْعَيْنِ لَأَنَّى رَأَيْتُ الدَّمْعَ مِنْ خَيْرِ الْعَنَادِ^(٧)
وهذا البيت فى غاية الجودة لفظه ومعناه إلا أنه وصله بكل تخليط^(٨) ،

(١) ديوانه ١٧٥ وشرح التبريزى ٢/ ٢٦٢ وقد سبق البيت الأول فيما تهيجه الديار . . . وفى م « وقرى » وهما روايتان .

(٢) ويروى « لبا اغتدى » قال التبريزى : « أى صرت »

(٣) ويروى : « وأرى ربوعك »

(٤) ط « أخلفتك » وفى شرح التبريزى عن المعرى : « هذا مبنى على الحديث المروى ، وهو قولهم : « الأعيان الكاذبة تترك الديار بلاقع » . يقول : كأن أهل هذا الربع حلفوا يميناً كاذبة فتركت ديارهم بلاقع . والنصوس : التى تغمس فى الإثم »

(٥) ديوانه ٢١١ وفى شرح التبريزى ٢/ ٤٠٦ « لوت : أى ثنت ، أى كان فى الفؤاد تعدىها والاستمرار على السير ، فلما انتهينا إليها ثنت هذا العزم وردته حتى تركنا السير ووقفنا عليها . ويروى : أى ممزق »

(٦) ديوانه ٧٨ وشرح التبريزى ١/ ٣٧٢ وقد سبق البيت الأول فى الادعاء للدار بالسقيا

(٧) ويروى « لما رأيت » وفى م « ركبى العهد » وهو تحريف

(٨) ط « وصله بكلام غليظ »

فقال :

فَيَا حُسْنَ الرُّسُومِ وَمَا تَمْشَى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُورِ الْبَعَادِ ^(١)

وهذا بيت في غاية الرداءة والسخافة [لفظه] ومعناه [يريد] : فيا حسن الرسوم ولم يمش إليها الدهر : أى لم يصبها الدهر ببعد أهلها عنها ، فأخرجه ^(٢) هذا المخرج القبيح المستهجن .

ومن إحسان البحري المشهور في هذا ، قوله :

أَمْحَلَّتْنِي سَلْمَى بِكَاطِمَةَ اسْلَمَا وَتَعَلَّمَا أَنَّ الْجَوَى مَا هِجْتُمَا ^(٣)
هَلْ تُرَوِّيانِ مِنَ الْأَجِيَّةِ هَامَا أَوْ تُسْعِدَانِ عَلَى الصَّبَابَةِ مُغْرَمَا
أَبْكِيكُمَا دَمْعًا وَلَوْ أَنِّي عَلَى قَدْرِ الْجَوَى أَبْكِي بِكَيْتُكُمَا دَمًا

ومن جيد أشعار ^(٤) أبي تمام في هذا الباب أيضاً ، قوله :

أَرَامَةُ كُنْتُ مَأْلَفَ كُلِّ رِيمٍ لَوْ اسْتَمْتَعْتُ بِالْأَنْسِ الْقَدِيمِ ^(٥)
أَدَارَ الْبُؤْسِ حَسَنَكَ التَّصَابِي إِلَى فَصْرَتِ جَنَاتِ النَّعِيمِ
لَشَنْ أَصْبَحْتَ مَيْدَانَ السَّوَا فِي لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَيْدَانَ الْهُمُومِ ^(٦)
وَمِمَّا ضَرَمَ الْبُرْحَاءُ أَنِّي شَكُوتُ فَمَا شَكُوتُ إِلَى رَجِيمٍ
أَظُنُّ الدَّمْعَ فِي خَدَيَّ سَيَّبِقِي رُسُومًا مِنْ بُكَائِي فِي الرُّسُومِ

(١) م « الدهر وصور » وهو تحريف

(٢) م « فأخرجه بهذا اللفظ »

(٣) ديوانه ٢٢٨ ، ١٩٥٨/٣ وفي ط « ان الهوى » وقد سبق هذا البيت في التسليم على

الديار . ص ٤٤٢

(٤) ط « شعر »

(٥) ديوانه ٢٨٧ وشرح التبريزي ١٦٠/٣ وفي م « الأنس المقيم » وقد سبق البيت

صفحة ٤٦٠ .

(٦) في شرح التبريزي « السواي : جمع سافية ، وهى الريح التى تنفث التراب »

وهذا من أسهل كلامه^(١) وأسلس نظمه ، ومن أبعد قول من التكلف والتعسف ، وأشبهه بكلام المطبوعين وأهل البلاغة .

وقوله : « فصرّت جنات النعيم » معنّى حسن . ولكن فيه إسراف أن يجعل داراً خلّت من أهلها - دار بؤس وهو بالك فيها - جنات النعيم . وقد أتى البحترى بهذا المعنى متبعاً فيه أبا تمام ، ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال ، وتجنب الإفراط^(٢) ، فقال :

يَا مَغَانِي الْأَحْبَابِ صِرْتِ رُسُومًا وَغَدَا الدَّهْرُ فَيْكِ عِنْدِي مَلُومًا^(٣)
أَلِفَ الْبُؤْسِ عَرَصَتِيكَ وَقَدْ كُنْتُ تِ بَعِينِي جَنَّةً وَنَعِيمًا

فقال : « ألف البؤس عرصتيك » ثم قال : « وقد كنت بعيني جنة ونعima » فجعلها جنة ونعima فيما مضى . ومع هذا فإني أقول : إن بيت أبي تمام أحسن ، وهو في سائر أبياته أشعر .

وقال البحترى :

لَعَمْرُ الرُّسُومِ الدَّارِسَاتِ لَقَدْ غَدَتْ بَرِيًّا سَعَادٍ وَهِيَ طَيِّبَةُ الْعَرَفِ^(٤)
بَكَيْنَسَا فَمِنْ دَمْعٍ يُمَارِجُهُ دَمٌ هُنَاكَ وَمِنْ دَمْعٍ نَجُودُ بِهِ صِرْفٍ

وهذا حسن جداً ، وإنما أخذ قوله : « برياً سعاد وهي طيبة العرف » من قول الآخر^(٥) ، أنشده الأخفش عن المبرد :

وَأَسْتَوْدِعَتْ نَشْرَهَا الدِّيَارُ فَمَا تَزْدَادُ إِلَّا طَيِّبًا عَلَى الْقِدَمِ

(١) ط « أسهل الكلام »

(٢) ظ « واجتنب إفراطه »

(٣) ديوانه ٢٧٣

(٤) ديوانه ٤٤١ ، ٣ / ١٣٩٨ وفي ط « لعمر إن الدارسات » .

(٥) م « قول آخر وأنشده الأخفش » وهو تحريف .

وهذا أجود من بيت البحرى ، لما فيه من الزيادة الحسنة ، وهو قوله :
« فما تزداد إلا طيباً على القدم » .

وقال البحرى :

تَرَى اللَّيْلَ يَقْضِي عُقْبَةَ مِنْ هَزْبِهِ أَوْ الصُّبْحُ يَجْلُو غُرَّةً مِنْ صَدْيَعِهِ^(١)
أَوْ الْمَنْزِلُ الْعَافِي يَرُدُّ أُنَيْسَهُ بَكَاءَ عَلَى أَطْلَالِهِ وَرُبُوعِهِ
إِذَا ارْتَفَقَ الْمُشْتَقُّ كَانَ سُهَادُهُ أَحَقَّ بِجَفْنِي عَيْنِهِ مِنْ هُجُوعِهِ^(٢)

وهذا لفظ^(٣) فحل ، ومعان فى غاية الصحة والاستقامة .
وللبحرى فى وصف الديار والبكاء عليها مذهب آخر ، وهو [حسن جداً .
ومن ذلك] قوله :

أَبْكَاءُ فِي الدَّارِ بَعْدَ الدَّارِ وَسَلُّوْا بِزَيْنَبٍ عَنْ نَوَارِ^(٤)
لَا هُنَاكَ الشُّغْلُ الْجَدِيدُ يَحْزَوِي عَنْ رُسُومِ بَرَامَتَيْنِ قِفَارِ
مَا ظَنَنْتُ الْأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمْحَى مِنْ صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحَوِ الدِّيَارِ^(٥)
دِمْنَةُ رَدَّتِ الْهَوَى الشَّرْقَ غَرْباً وَأَمَالَتْ نَهْجَ الدُّمُوعِ الْجَوَارِي^(٦)
وهذا غرض حلو ، ومعنى لطيف .

(١) ديوانه ٣٧٢ « أم الصبح » ، ٢ / ١٢٧٥ وقد قال الشيخ محبى الدين « العقبة : بضم العين وسكون القاف - الشدة ويقولون : لقيت من فلان عقبة الصبح ، يريدون : لقيت منه شدة . . . ويقال للصبح صديق من الصديق الذى هو الشق ؛ لأن الظلام ينشق عنه »

ولست أرى رأيه فى تفسيره العقبة بالشدة ، لأن هذا يحيل معنى البيت . والمراد من العقبة هنا : آخر الهزيع لأن عقبة كل شئ آخره . والصديق : انصداع الصبح وهو انشقاقه ، لأن الليل ينشق عنه

(٢) م « إذا اتفق . . . كان شهيد » وهو تحريف

(٣) ط « وهذا معنى »

(٤) ديوانه ٤٤٤ ، ٢ / ٩٨٦ وانظر ص ٤٥٣

(٥) سقط هذا البيت من ديوانه وهو ثابت فى طبعة مصر ٢ / ٢٤

(٦) فى ديوانه و ط « نظرة ردت »

ومثله قوله ولكن ليس فيه ذكر البكاء :

أَبَيْتُ بِأَعْلَى الْحَزَنِ وَالرَّمْلُ دُونَهُ مَغَانٍ لَهَا مَجْفُوءَةٌ وَطُلُولُ^(١)
وَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى الرِّيحَ غَرْبًا مَهْبُهَا فَقَدْ صِرْتُ أَهْوَى الرِّيحَ وَهِيَ قَبُولُ^(٢)
قال^(٣) ذلك : لَأَنَّ الْقَبُولَ هِيَ الصَّبَا ، وَمَهْبُهَا مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ .

ونحوه قوله :

كَلَفْتَنِي أَرْحِيَّاتُ الصُّبَا طَلَقًا فِي الشَّوْقِ مُنْتَدِ السَّنَنِ^(٤)
نَقَلْتَنِي فِي هَوَى بَعْدَ هَوَى وَابْتَغَتْ لِي سَكَنًا بَعْدَ سَكَنٍ
وقوله :

مَا ظَنَنْتُ الْأَهْوَاءَ قَبْلَكَ تُمَحِّي مِنْ صُدُورِ الْعُشَّاقِ مَحَوَ الدِّيَارِ^(٥)
معنى حسنٌ ، وإنما أخذه من قول أبي تمام :
زَعَمْتَ هَوَاكَ عَفَا الْغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طُلُولُ بِاللَّوَى وَرُسُومُ^(٦)
وبيت البحتري أحلى وأبدع .

وقال البحتري في وجه آخر ، وهو أيضاً حسن لطيف :

فِي كُلِّ يَوْمٍ دِمْنَةٌ مِنْ حُبِّهِمْ تُقَوِّي وَرَبْعٌ بَعْدَهُمْ يَتَابَدُ^(٧)
أَوْ مَا كَفَانَا أَنْ بَكَيْنَا غُرْبًا حَتَّى شَجَانَا بِالْمَنَازِلِ نُهَمَدُ^(٨)

(١) ديوانه ٣٤٣ « والرمل عنده »

(٢) ط « أرجو الرِّيح » وفي الديوان « غرباً مأبها »

(٣) ط « وذلك »

(٤) ديوانه ٦١٣ « في الحب تمتد الرسن » ، ٢١٥٣/٤ المعارف

(٥) مضى آنفاً صفحة ٤٨٠ .

(٦) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزي ٢٨٩/٣

(٧) ديوانه ٦٨٩

(٨) ط « غردا حتى شجتنا »

ومثله :

هُوَ الدَّمْعُ مَوْقُوفًا عَلَى كُلِّ دِمْنَةٍ تَعْرِجُ فِيهَا أَوْ خَلِيطٌ تَزَايِلُهُ^(١)تَرَادَفَهُمْ خَفَضُ الزَّمَانِ وَلَيْسَتْهُ وَجَادَهُمْ طَلُّ الرَّبِيعِ وَوَابِلُهُ^(٢)

وإنما حدّا البحترى هذا المعنى على حَلْوِ قول كثير :

وَكُنْتُ امْرَأً بِالْغُورِ مَنَى ضَمَانَةً وَأُخْرَى بِنَجْدٍ : مَا تُعِيدُ وَمَا تُبْدَى^(٣)

فَطَوْرًا أَكْرُ الطَّرْفَ نَحْوَ تِهَامَةٍ وَطَوْرًا أَكْرُ الطَّرْفَ كَرًّا إِلَى نَجْدٍ

وَأَبْكِي إِذَا فَارَقْتُ هِنْدًا صَبَابَةً وَأَبْكِي إِذَا فَارَقْتُ دَعْدًا عَلَى دَعْدٍ^(٤)وهذا مالا مزيد فيه على حسنه وحلاوته^(٥) . ومثله قول جرير :أَخَالِدُ قَدْ عَلِقْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيْبِنِي الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ^(٦)هَوَى بِتِهَامَةٍ وَهَوَى بِنَجْدٍ فَبَلَّتْنِي التَّهَائِمُ وَالنُّجُودُ^(٧)

[وقال جرير فى نحو المعنى :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنَّ بِالْغُورِ حَاجَةً وَأُخْرَى إِذَا أَبْصَرْتُ نَجْدًا بَدَّ الْيَارِ^(٨)

ومثله قوله أيضاً] :

أَحَبُّ شَرَى نَجْدٍ وَيَالْغُورِ حَاجَةً فَغَارَ الْهَوَى يَا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدًا^(٩)

(١) ديوانه ٥١ « موقوف » ٣٠ / ١٦١١

(٢) فى الديوان « حفص النعم »

(٣) ط « منى صريمة . . . ما يعنك ما تبلى » وهو تحريف

(٤) م « إلى دعد »

(٥) ط « وطلاوته »

(٦) اللسان ٤٥٠/٤ وسيبويه ٩٨/٢ وفى ديوانه ١٦٠ « فبلتنى » وبين هذا البيت والذى

يليه ثلاثة أبيات .

(٧) ط « فقتلتى »

(٨) ديوانه ٦٠٢

(٩) ديوانه ١٨٥

وهذا باب في وصف أطلال الديار وآثارها

قال أبو تمام :

قِفُوا نَعْطِ الْمَنَازِلَ مِنْ عُبُونٍ لَهَا فِي الشُّوقِ أَحْسَاءُ غِزَارُ^(١)

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رَبِّعٍ يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الْخِيَارُ^(٢)

أَثَافٍ كَالْخُدُودِ لُطْمَنَ حُزْنًا وَتُوًى مِثْلُ مَا انْفَصَمَ السَّوَارُ

قوله : « أَحْسَاء » جمع حِسَى ، وهو الماء يغيض في الرمل ، فإذا وصل إلى الصلابة وقف فيُخَفَّر عنه ويشرب .

[وقد قال في موضع آخر :

* وَدَعَّ حِسَى عَيْنٍ يَجْتَلِبُ مَاءَهُ الْوَجْدُ^(٣) *

وقوله : « أَثَافٍ كَالْخُدُودِ لُطْمَنَ حُزْنًا » من قول المَرَّارُ الْفَقْعَسَى :

أَثَرُ الْوُقُودِ عَلَى جَوَانِبِهَا بِخُدُودِهَا كَأَنَّهُ لَطْمٌ^(٤)

وقال البحتري :

عَوَضَ مِنْهُمْ خَسِيسٌ - وَقَدْ حَلَّ وَاللَّوَى - مَنَزِلٌ بِوَجْرَةِ عَا فِي^(٥)

لَمْ تَدْعُ مِنْهُ مُبْلِيَاتُ اللَّيَالِي غَيْرَ نُؤْيٍ تَسْنِي عَلَيْهِ السَّوَا فِي^(٦)

(١) شرح التبريزي ١٥٢/٢ وفي الديوان ١٤٠ « أنواء غزار »

(٢) في شرح التبريزي ١٥٣/٢ « لأن الزمان لا يجيء على اختياره ، بل يبليه ويخلقه »

(٣) صدره : « تجرع أسمى قد أقفر الجزع الفرد » وهو مطلع قصيدة في الديوان ١٢٠ وشرح

التبريزي ٨٠/٢

(٤) سبق ص ٦٨

(٥) ديوانه ٣٦٧ « عرض منهم » ، ١٣٨٥/٣

(٦) في ديوانه « فيه »

وَأَثَافٍ أَتَتْ لَهَا حِجَجٌ دُوْنَ لَظَى النَّارِ مُثْلُ كَالْأَثَافِ

قوله : « مُثْل » [أى] قائمة ثابتة « كالأثافي » . يريد الكواكب التى عند الفرقدين وهى ثلاثة ، قيل لها أثاف لشبهها بالأثافي ، فشبهه البحرى الأثافي بها لثباتها^(١) وأنها مُثْلٌ على مرِّ الدهر .

قال أبو حنيفة الدينورى فى كتابه كتاب^(٢) الأنواء : إن تثليثها طويلاً ، ولو شبهها البحرى بالنسر الواقع - لأنه أشهر وأظهر وأقرب شبهاً - لكان ذلك أحسن [وأليق] وأكشف للمعنى من أن يشبهها بشئٍ إنما استعير له اسمها ، وليس يعرفه كل أحد ، ولكنه جاء [به] من أجل القافية .

وقال البحرى :

لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الدَّخُولِ فَتُوضَحِ مَتَى تَرَهُ عَيْنُ الْمُتِمِّ تَسْفَحِ^(٣)
عَفَا غَيْرَ نَوْيِ دَارِسٍ فِي فِنَائِهِ ثَلَاثُ أَثَافٍ كَالْحَمَائِمِ جُنَحِ
وهذا جيدٌ حسن وعلى منهج الشعراء ، وأظنه أخذه من قول عدي بن زيد :

وثلث كالحَمَامَاتِ بِهَا بَيْنَ مَجْشَاهُنَّ تَوْشِيمُ الْحُمَمِ^(٤)
وابن الأعرابي قال : لا يكون « مجشاهن » ، إنما هو « مجراهن » .

(١) ط « ثبوتها »

(٢) ط « فى كتابه فى الأنواء »

(٣) ديوانه ٦٣١

(٤) أورده أبو الفرج الأصفهاني فى الأغاني ٤٠/٢ وعقب عليه بقوله : « ويروى » « توشيم العجم » والتوشيم أراد به آثار الوقود ، قد صار فيها كالوشم ، والثلث : يعنى الأثافي التى تنصب عليها القدر « وفى م » بهاتين « وهو تحريف

أو من قول أبي نواس :

كما اقتربت عند المبيت حمامٌ بعيدات تُسمى مالهَنٌ وكُونُ^(١)

وهذا أجود من بيت عدى ومن بيت البحتري .

وقد شبه الأثافي بالحمام غير واحدٍ من الشعراء ، والبديع^(٢) النادر في وصف الأثافي قول كثير :

أَمِنْ آلِ قَيْلَةٍ بِالْخَوْلِ رُسُومٌ وَيَحْوَمَلِي طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمٌ^(٣)

لَعَبَ الرِّيحِ بِرَسْمِهِ فَأَجَدَهُ جُونٌ عَوَاكِفُ فِي الرَّمَادِ جُثُومٌ^(٤)

سُفَعُ الْخُدُودِ كَأَنَّهُنَّ ، وَقَدْ مَضَتْ حَجَجٌ ، عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمٌ

قوله : « فَأَجَدَهُ جُونٌ عَوَاكِفُ » يعنى الأثافي ؛ لأنَّ الرِّيح لما كشفت عنها فظهرت سوداء [كانت كأنها هي أجَدَت الرسم]^(٥) ، شبهها بالعوائد .

والجُونُ : الأسود . والجَوْنُ : الأبيض . وهو من الأسماء المتضادة . قال

الأصمعي : ويقال : غَابَتِ الجونة ، وطلعت الغزالة ، يعنى مَغِيبَ

الشمس وطلوعها . وهما اسمان من أسماء الشمس ، وإنما سميت الشمس جونة

عند المغيب لما يعرض فيها من تغير اللون إلى السواد .

(١) ديوانه ٣٣٧ « كما اقترنت . . حمام غريبات » وفي طبعة الحلبي ٣٢١ « كما اقترنت . . . غريبات » وفي م « مسمى » وفي ط « عند المر حمام غريبات تسمى بينهن وكون » !! ! وهو تحريف يفسد المعنى ، ولست أدري كيف يكون الحمام « غريبات » ، ولا أدرك معنى هذا الوصف !

(٢) ط « والبائع النادر »

(٣) ديوانه ٢٥٣/١ وأمالى المرتضى ٣٣/٢

(٤) ط « لعب الزمان »

(٥) نقل الشريف المرتضى هذا التفسير في أماليه ٣٣/٢ من غير عزو ثم قال : « ويحتمل وجه آخر ، وهو أن يكون معنى « أجدت » أنها حمت الرماد الذي أحاطت به ، عن لعب الرياح ، فبقى بحاله يستدل به المترسم ، فكأن الرياح درست الريح ومحتة ، إلا ما أجده هذه الأثافي من الرماد ، ومنعت الريح منه »

وقال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

عَلَى أَنْ سُحِقًا مِنْ رَمَادٍ كَأَنَّهُ حَصَى إِيْمِدَ بَيْنَ الصَّلَاةِ سَحِيقٌ^(١)

وقال أبو سعيد المَخْزُومِي :

يَبْكِي ثَلَاثًا كَالْحَمَامِ رُكْدًا تَسْفِي بِهَا الرِّيحُ رَمَادًا أَرْمَدًا^(٢)

كَأَنَّمَا يَطْحَنُ فِيهَا إِيْمِدًا

وقال بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

وَمَسْجِدُ شَيْخٍ كُنْتُ فِي زَمَنِ الصَّبَا تُحْيِيهِ أحيانًا وَفِيهِ نُكُوبٌ^(٣)

غَدَاً بَثْلَاثٍ مَا يَنَامُ رَقِيبُهَا وَأَبْقَى ثَلَاثًا مَا لَهْنُ رَقِيبُ

غَدَاً : يريد الشيخ غداً بثلث ، أى بثلث نسوة ما ينام رقيبها ،
يعنى الشيخ أنه ما ينام عن رقيبها . وأبقى ثلاثاً ، يعنى الأثافي .

وأخذ أبو تمام قوله : « وَنُؤَى مِثْلُ مَا أَنْفَصَمَ السَّوَارُ » من قول آخر :

وَنُؤَى كَمَا نَقَصَ الْهَلَالَ مُحَاقُهُ أَوْ مِثْلُ مَا فَصَمَ السَّوَارَ الْمِعْصَمُ^(٤)

وهذا العجز ما لحسنه نهاية .

وقال كَثِيرٌ :

عَرَفْتُ لِسُعْدَى بَعْدَ عَشْرِينَ حِجَّةً بِهَا دَرَسُ نُؤَى فِي الْمَحَلَّةِ مُنَحَنٍ^(٥)

قَدِيمٌ كَوَقْفِ الْعَاجِ ثُبَّتْ حَوْلُهُ مَغَارِزُ أَوْتَادٍ بِرَخْمٍ مُوَضَّنِ

(١) الذى فى ديوانه ٣٤ « ففادرن مسوء الرماد كأنه » . والإيْمِد : حجر الكحل . والصلاه ،
والصلابة : كل حجر عريض يذق عليه العطر ونحوه

(٢) ق : « رمددا »

(٣) م « أحبيه » وهما فى ديوانه ١ / ١٨١ - ١٨٢

(٤) نقله المرتضى فى أماليه ٢ / ٣٤ . وقد تقدم ص ٩٢

(٥) ديوانه ٢ / ٥٨ وأمالى المرتضى ٢ / ٣٤

قوله : « منحني » : مستدير . والوقوفُ : السَّوار من الذَّبل^(١) ومن العاج .
والرَّخْمُ : صخور عظام . والرَّخْمُ أيضاً : هضاب صغار . والمَوْضُنُ :
هو الذي بعضه فوق بعض . يقول : ضربت الأوتاد بحجارة الرَّخمة .
وما أحسن قول بشار :

وَنُؤْيُ كَخَلْخَالِ الْفَتَاةِ وَصَائِمُ أَشَجُّ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ رَقُوبُ^(٢)

قوله : الصَّائِمُ الْأَشَجُّ : يعنى الوند . والصائم : القائم الثابت ، قال
النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَ[خَيْلٌ] غَيْرُ صَائِمَةٍ يَوْمَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَغْلُكُ اللَّجْمَا^(٣)
فجعله رَقُوبًا لانفراده على الاستعارة .

والمرأة الرَّقُوبُ ، والشيخ الرَّقُوبُ : الذي لا يعيش له ولد ، والذي لا ولد
له فهو ينتظره . والمستعمل في الرِّقبة أن يقال : رقيب ورَاقِب . وأظنه ذهب
إلى تأكيد الفعل . مثل قولهم : ضارب ، فإذا وكدوا قالوا : ضروب ، كذلك ،
شارب وشروب ، وآكل وأكول : أى كثير الأكل والشرب .

وقال أبو تمام :

وَالنُّؤْيُ أَهْمِدَ شَطْرُهُ فَكَانَهُ تَعَثَّ الْحَوَادِثِ حَاجِبٌ مَقْرُونُ^(٤)
وهذا أيضاً في وصف النؤي حسن .

(١) في اللسان ٢٧٢/١٣ « الذبل : شيء كالعاج ، وهو : ظهر السلحفاة البرية يتخذ
منه السوار »

(٢) ديوانه ١٨١/١ وأمال المرتضى ٣٥/٢

(٣) ديوانه ٩٥ وفى اللسان ٢٤٤/١٥ « تحت العجاج » . وقد تقدم ص ٢٤٣ .

(٤) ديوانه ٣٢٨ وأمال المرتضى ٣٥/٢ وفى شرح التبريزي ٣٢٤/٣ « الحوادث : السحاب
والأمطار »

ولست أعرف للبحترى فى مثل هذا شيئاً ، إلا ما يشتبه^(١) فيه ، وهو قوله :

آثار نُؤْيٍ بالفِئَاءِ مُثَلَّمٍ وزِمَامُ أَشَعَثَ بالعِراءِ مُشَجَّجٍ^(٢)

وهذا على مذاهب الناس . وقال النابغة :

رِمَادُ كُكْحَلِ الْعَيْنِ مَا إِنْ تَبَيَّنَهُ وَنُؤْيُ كَجِذْمِ الْحَوْضِ أَثْلَمُ خَاشِعٍ^(٣)

ووصل البحتري بيته بأن قال :

دِمْنٌ كَمَثَلِ طَرَائِقِ الْوَشْيِ أَنْجَلَتْ لِمَعَاتُهِنَّ عَنِ الرَّدَاءِ الْمُنْهَجِ^(٤)
يَضْعُفْنَ عَنْ إِذْ كَارِنَا عَهْدَ الصَّبَا أَوْ أَنْ يُهَجْنَ صَبَابَةً لَمْ تَهْتَجْ
وَلَرُبَّ عَيْشٍ قَدْ تَبَسَّمَ ضَاحِكًا عَنْ طُرَّتِي زَمَنِ بَيْنَ مُدْبِجٍ^(٥)

وهذا كله على مذاهب الناس .

ونحو قوله : « كمثل طرائق الوشى » قول النابغة :

على العُصْرِ الْخَالِي كَأَنَّ رُسُومَهَا بَتَهْنِيَةِ الرُّكْنَيْنِ وَشْيٌ مَرَجٌّ^(٦)

مرجع بعضه على بعض فى النساجة .

وقال كثير :

مَغَانِي دِيَارٍ لَا تَزَالُ كَانَهَا بِأَصْعَدَةِ الشُّطَارِ رَيْطٌ مُضْلَعٌ

وقال كثير أيضاً :

غَشِيَ الرِّكْبُ رَبْعَهَا فَعَجِبْنَا مِنْ بِلَاهُ وَمَا الْمَدَى بِقَدِيمِ

(١) ق « ما لا تشبيه »

(٢) ديوانه ٢ / ٢٨٨

(٣) فى ديوانه (٧١ : ط الهلال) : « . . لا يا أبينه . . »

(٤) ديوانه « من الرداء » . ١ / ٤٠٠ معارف

(٥) م « عن طريق زمن »

(٦) ديوانه ١ / ٢٧

كحواشي الرداء قد مَحَّ مِنْهُ بَعْدَ حُسْنِ عَصَائِبِ التَّسْهِيمِ
وهذا حسن جداً .

وقول البحتري : « يضعفن عن إِذْكَارِنَا عهد الصِّبا » يعنى لطول عهدهنَّ
وَدُرُوسِهِنَّ .

وقد تصرّف شعراء الجاهلية والإسلام في وصف آثار الديار أحسن تصرّف ،
وأتوا فيه بكل تشبيه مستحسن ، ومعنى مستغرب فمناه قول طرفة :

* تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ^(١) *

الوشم : أثر الحِنَّاء ، وخصّ ظاهر اليد : لَأَنَّ دُرُوسَهُ أَسْرَعَ .

وقال لبيد :

وَجَلَا السُّيُورُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا^(٢)

وهذا ما زلت أسمع العلماء تعجب من حسنه ولطافة معناه . وكان الفرزدق
إذا أنشده يسجد ويقول : إنا نعرف مكان السجود في الشعر كما تعرفونه
في القرآن^(٣) .

وقال آخر ، وأنشده إسحاق بن إبراهيم :

نَمْتَعُ بِكَرِّ الطَّرَفِ فِي رَسْمِ مَنْزِلٍ تَحْمَلُ عَنْهُ قَاطِنُوهُ فَافْقَرَا^(٤)
تَرَى فِيهِ آثَارًا وَإِنْ كَانَ دَائِرًا بِذِكْرِكَ الشُّوقِ الْقَدِيمِ فَتَذَكَّرَا

(١) صدره : « نحوه أطلال ببرقة شهد » وهو مطلع مملقته ، كما في ديوانه ٢١ وشرح القصائد
العشر ٩٦ تقريباً

(٢) شرح القصائد العشر ١٥٨ تقريباً والوساطة ١٨٧ واللسان ٥ / ٤٠٣

(٣) الخبر في الأغاني ١٤ / ٩٨

(٤) م « فافتقرا »

قوله : فتذكرا ، ليس بالجيد ، ووجهه الرفع ، ولكنه جاء به على إرادة النون^(١) ، وقد جاء مثله في أشعارهم قال جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ :

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتُ^(٢)

وقال الجَعْدِيُّ :

وأقبل على مجدى ومجدك نَبْتَحِثُ مَسَاعِينَا حَتَّى تَرَى كَيْفَ تَفْعَلَا^(٣)

ومثله قليل .

وأحسن من هذا ومن كل حسن قول محمد بن عبيد الأزدي^(٤) :

فَلَمْ تَدْعِ الْأَرْوَاحُ وَالْمَاءَ وَالْبِلَى مِنْ الدَّارِ إِلَّا مَا يَشُوقُ وَيَشْعَفُ

وأنشد إسحاق ، ووجدته في التَّغْلِيقاتِ لِيَعْلَى الطَّائِي :

لَيْسَنَ الْبِلَى حَتَّى كَانَ رُسُومَهَا طَعِمْنَ الْهَوَى أَوْ ذُقْنَ هَجَرَ الْحَبَائِبِ^(٥)

وقال ابن وهب في مثله يذكر منزلين :

لَيْسَا الْبِلَى فَكَاثِمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْبَةِ مِثْلَ مَا أَجَدُ^(٦)

وقال البحتري مثل هذا :

صَبٌّ يَخَاطِبُ مُفَحِّمَاتِ طُلُولٍ مِنْ سَائِلِ بَاكِ وَمِنْ مَسْثُولِ^(٧)

(١) م « النوى » والتصويب من ق

(٢) اللسان : ٣٨٩/١٣ وفي م « في عمل ترفعن » وهو خطأ . وهو لجذيمة الأبرش ، كما في

نواذر أبي زيد ٢١٠

(٣) م « يفعلا »

(٤) ذكره الصول في معجم الشعراء ٤١٧

(٥) م « أودفين »

(٦) الأغاني ١٤٧/١٨ والعمدة ٤١/٢ والصناعتين ٤٥٥ وعيار الشعر ١١٤ وفي م « لبسنا »

وهو تحريف

(٧) ديوانه ٦١٠ ، ١٦٦/١٣ وسبق ص ٤٥٦ « بال »

حَمَلْتُ مَعَالمُهُنَّ أعباءَ البلى حتى كَانََ نحولَهُنَّ نُحُولِي^(١)

وَأَنشَدَنِي غيرَ واحدٍ منَ الشيوخ :

ما غَيْرَ الدَّارَ [بَعْدَ] بَيْنِهِم رِيحٌ عَفَتْ آيُهَا وَلامَطْرُ^(٢)

كَانَها جَرْعَةُ يَمَانِيَّةٍ قَدْ نُشِرَتْ فِي عِرَاصِها الحَبِيرُ

وقال آخر وَأَنشده حمَّاد :

قد وَقَفْنَا لِكُلِّمَ بَطْلُولٍ وَأَرْسَمَ^(٣)

لَاثِحَاتِ كَانَها بَرْدٌ وَشِي مُنَمَّمِ

وَسَأَلْنَا فَأَفْجَمَتْ عَنْ جَوَابِ الْمَكْلَمِ

وهذا كله أحلى وألطف معاني ، وألوط بالنفس من كل ما قال الطائيان .

(١) م « أعباء البلى »

(٢) مكان الزيادة مطبوس في م

(٣) م « وقفنا لا لثم »

محو الرياح للديار

قال أبو تمام :

قِفْ بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ عُلَاثًا أَضْحَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَاثًا^(١)
قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا أَثْلَاثًا

وهذا غلط منه ؛ لأن الصبا هي القبول . ولو قال : بين الصبا وشمالها وجنوبها أثلاثاً ، كان قولاً مستقيماً ؛ لأن هذه الرياح الثلاث أكثر هبوباً من الدُّبُور . ولو اقتصر على ريحين كان ذلك أيضاً صواباً ، كما قال امرؤ القيس :

• لِمَا نَسَجْتُهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ^(٢) •

وكما قال الأعشى :

دِمْنَةُ قَفْرَةٍ تَعَاوَرَهَا الصَّيْفُ فُ بَرِيحِينَ مِنْ صَبَا ، وَشَمَالٍ^(٣)
ولكنه جعلها ثلاثاً من أجل القافية لا غير .

وقد حكى عن النَّضَرِ بْنِ شُمَيْلٍ أَنَّهُ قَالَ : الْقَبُولُ : رِيحٌ بَيْنَ الصَّبَا وَالْجَنُوبِ .

وهذا إن كان النَّضَرُ قَالَهُ فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا مَعُولٍ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ جَمِيعاً عَلَى خِلَافِهِ فِي أَنَّ الْقَبُولَ هِيَ : الصَّبَا .

وقال ابن الأعرابي : القبول : كل ريح لينة طيبة المس ، تقبلها النفس .

وهذا لا حجة فيه لبيت أبي تمام . وقد استقصيت القول في هذا فيما مضى عند ذكر أغاليطه من هذا الكتاب^(٤) .

(١) ديوانه ٦٣ وشرح التبريزي ١٧/٣١٤ وانظر ص ١٥٨ .

(٢) ديوانه ١٢٤ ومصدره : « فتوضح فالمقارنة لم يعف رسمها » وهو من مملته

(٣) ديوانه ٣ واللسان ٦/٢٩٨

(٤) راجع ص ١٥٨ - ١٩٤

وقال البحرى ، فذكر^(١) الرياح الأربع :

مَتْرُوكَةٌ لِلرَّيْحِ بَيْنَ شِمَالِهَا وَجَنُوبِهَا وَدُبُورِهَا وَقَبُولِهَا^(٢)

وأحسن من هذا ومن كل ما قيل في هذا المعنى قوله أيضاً :

بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فَالَلَوَى فَالْأَجْرَعِ دِمْنٌ حُبْسَنَ عَلَى الرِّيحِ الْأَرْبَعِ

وقد تقدم ذكره^(٣) .

قال أبو تمام :

أَوْ مَا رَأَيْتَ مَنَازِلَ ابْنَةٍ وَائِلٍ رَسَمَتْ لَهُ كَيْفَ الزَّفِيرِ رُسُومُهَا^(٤)

آثَارُهَا وَطُلُولُهَا وَنَجَادُهَا وَوَهَادُهَا وَحَدِيثُهَا وَقَدِيمُهَا

تغرد الرياح سواقياً وعوافياً فتضميم مغناها وليس تضميمها^(٥)

قوله : « رسمت له كيف الزفير » لفظة غير لائقة بالمعنى ، وإنما جاء بها

ليجانس بينها وبين قوله : « رسومها » .

وقوله في البيت الثانى : « وحديثها وقديمها » ، حشو لم يفد به فائدة .

وقوله : « تضميم مغناها » ؛ يعنى الرياح لأنها تضميم المعنى وليس يضميمها ،

وهذا أيضاً معنى ليست له حلاوة ، ولا يقود إلى فائدة ؛ لأن المعلوم أن الأرض

لا تضميم الرياح .

وقال أيضاً فى وصف ربع :

مَلَكَتُهُ الصَّبَا الْوَلُوعُ فَأَأْ فَتَهُ قَعُودَ الْبَلَى وَسُورَ الْخُطُوبِ^(٦)

(١) ق « يذكر » .

(٢) ديوانه ٣٤٥ وقد تقدم ص ١٦٠

(٣) راجع تعفية الرياح للديار

(٤) ديوانه ٣١٠ وشرح التبريزى ٣٧٣/٣ « ابنة مالك » وق « وائل » وم « أبيت »

(٥) م « وليس نعيمها » وهو تحريف

(٦) ديوانه ٣٦ وشرح التبريزى ١٢٣/١

قوله : « الصَّبَا الوَلُوع » . وإنما أراد المُولعة بالهُبُوب ؛ لأنها أكثر الرياح هبوباً . ولا أعلمه يقال : ولع بالشئ يولع فهو ولوع ، ولكن قد سمعت : وَلِعَ يَلِيعُ ، مثل وَزَعَ يَزِيعُ ، وَلِيعَ يَلِيعُ ، مثل وَسِعَ يَسْعُ . حكاهما أبو زيد^(١) .

والوَلُوعُ : هو المصدر ، وما أراه يقال : هو وَلُوعٌ بكذا ، والقياس هو ولع بكذا ، مثل وزعم به^(٢) ، ووالع مثل واسع . واللغة المعروفة : أولِعتُ بالشئ فاننا مَوْلَعٌ به . والمصدر الوَلُوع .

وقوله : « أَلْفَتُهُ » ، ليس هذا موضع أَلَفْتُهُ ؛ لأن معنى أَلَفْتُهُ : صادفته ، وإذا كانت الريح هي التي فعلت بالربع ، فَوَجَّهَ الكلام : « جعلته » ، لو استوى له ، لا « أَلَفْتُهُ » ، وإذا لم يستقم له « جعلته » ، ولا ما هو في معناها - نقض البيت بأسره ، وبنائه بالألفاظ آخر . وكأنه أراد أن يقول : قعود البلى وهدفاً للخطوب ، أو غَرَضاً للخطوب ، أى تقع به أبداً وتصيبه ؛ فلم ينتظم له الوزن . وكأنه أراد أن يقول : وهدفاً للخطوب أو غرضاً للخطوب ، أى تقع به أبداً [وتصيبه] ^(٣) فقال : سور ؛ لأن السور جعل يَقَعُ^(٤) به كل قَارِعَةٍ دون ما ورائه ، فهو هدف وغَرَضٌ لكل رام . فهذا الذى أرادته ، والله أعلم .

وليس قول من يقول : سُورُ الخطوب ، أى أن هذا الربع محيط بالخطوب فهو كالحارس لها ، فهي لا تبرحه ولا تريمه - بشئ ؛ لأن الأشبّه والأولى في

(١) نوادر أبي زيد ٢٣٩ وفيه بعد ذلك : « قال أبو الحسن : وكذلك يقال : ولع يلع ، مثل وضع يضع ، وولع يلع على الأصل ، وإنما انفتحت الأولى من أجل العين لأنها من حروف الخلق . ولست أنكر ولع ، ولكن الذى أحفظ ما ذكرت لك »

(٢) كذا بالأصل ولعله : مثل هو زعم به . وإن كان لم يرد إلا « زعيم »

(٣) الزيادة من ق (٤) ق « لتقع » .

هذا أن تجعل الخطوبُ هي التي أحاطت به من كل وجه حتى عفته وأبْلته وأخلته من أهله ، لا [أ] نه أحاط بها .

وقد قيل : سُورُ الخطوب [بالهمز : بقية ما أبقت الخطوب] ^(١) كُسُور السبع إذا وَلَغَ في الشيء ، ثم أَسَارَ منه . وليس هذا ببعيد من المعنى ، بل هو وجه جيد ^(٢) .

وقال البحتري :

مَعَانِي سُلَيْمِي بِالْعَقِيقِ وَدُورُهَا أَجَدَّ الشَّجَا إِخْلَاقُهَا وَدُورُهَا ^(٣)
وَمَا خَلَّتْهَا مَأْخُودَةٌ بِصَبَابَتِي صَحَائِفُ تُمَحِّي بِالرِّيَّاحِ سُطُورُهَا
وهذا من أحسن معنى وأبرعه .

وقوله : « وما خلتها مأخوذة بصبابتي » ، مما يسأل عنه فيقال : كيف تُؤْخَذُ الصحائف - وهي عرصات الدار - بصبابته ؟ فمعنى مأخوذة بصبابتي : أى ملزمة صبابتي ، كما يقال : قد أَخَذَ فلانٌ بآن يفعل كذا وكذا : أى ألزَمَهُ ، كما يقال للرجل : أفعَلْ كذا وكذا ، فيقول : من أَخَذَنِي بهذا ، أى من أَلْزَمَنِيهِ ؟ ومن نَاطَهُ ^(٤) بي وعَلَّقَهُ عَلَيَّ . وكما يقال كذا وكذا وما أَخَذَ ما أَخَذَهُ ، أى وما اتَّصَلَ به ، وتعلَّقَ عليه ، ولزم طريقته .

ولا أعرف لأبي تمام معنى جيداً في ذكر الرياح إلا قوله :
يَا مَنْزِلًا أَعْطَى الْحَوَادِثَ حُكْمَهَا لَا مَظْلَ فِي عِدَةٍ وَلَا تَسْوِيفًا ^(٥)

(١) الزيادة من ق

(٢) وفي شرح التبريزي ١٢٣/١ عن أبي العلاء المعري : « وسُورُ الخطوب : بقيتها ، ومن عرف مذهب الطائي لم يعدل عن هذه الرواية »

(٣) ديوانه ٦٠٤ ، ٢/٩٩٨

(٤) م « ومن ناظرني وعلقه »

(٥) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزي ٢/٢٧٦

أَرَسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسْتُ نَفْسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفًا
وإنما قال ضَعِيفًا : لَأَنَّ الرِّيحَ إِذَا اشْتَدَّ هُبُوبُهَا عَفَتَ آثَارَ الدِّيارِ وَطَمَسَتْ
مَعَالِمَهَا . ولذلك قال البحترى :

وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ نَسِيمًا فَعَلَى رُبْعٍ دَارِهَا وَالْجَنَابُ^(١)
وما زلت أسمع أهل العلم بالشعر يستحسنون بيت أبي تمام هذا ، وهو
لعمرى حسن ، ولكنه أخذ المعنى من قول آخر - وأنشدته إسحاق بن إبراهيم
الموصلى ولم يأت به فى ذكر الدار :

يَا حَبْدًا رِيحُ الْجَنُوبِ إِذَا سَرَتْ بِاللَّيْلِ وَهِيَ ضَعِيفَةُ الْأَنْفَاسِ
قَدْ ضُمْنَتْ بَرْدُ النَّدَى وَتَحَمَّلَتْ عَبَقًا مِنَ الْجَنَجَاتِ وَالْبَسْبَاسِ^(٢)
وأجود من هذا وذلك فى وصف طيب الريح ، قول أبي الصنمى^(٣) الأسدى :
إِذَا أَضْعَدَ الرُّكْبَانُ وَأَسْتَقْبَلْتَهُمْ جَنُوبٌ كَمَسَّ الرَّازِقُ هُبُوبُهَا
الرَّازِقُ : الرقيق من الكتان الأبيض^(٤) ، والريح وإن كانت قد تسنى
الترب على رسم الدار فتغطيه وتعفوه ، فإنها أيضاً قد تنسفه^(٥) عنه فتكشفه
وتُجِدُّه ، ألا ترى إلى قول جرير :

تُخَيِّى الرِّوَامُسُ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ بَعْدَ الْبَلَى وَتُجَيِّتُهُ الْأَمْطَارُ^(٦)
فهى تفعل فعلين مختلفين ، وربما نسفت تراب أرض فطرحته على أرض
أخرى ، وبينهما سَيْرُ أَيَّامٍ ، فتكشف عن معالم تلك الأرض ، وتُغَطِّي على

(١) ديوانه ٥٦٣ « فعل رسم »

(٢) سبقا ص ١٠٧

(٣) ق « إلى الصفر »

(٤) اللسان ٤٠٦/١١

(٥) م « تنشفه »

(٦) ديوانه ٢٠١

معالم هذه . وربما غشيت وجه الأرض كله بتراب الأرض الأخرى ، وفي ذلك يقول ذو الرمة :

ضَهُولٌ كَسَاها تُرْبُ أَرْضٍ غَرِيبَةٍ سَوَى أَرْضِها مِنْها الْهَبَاءُ الْمُغْرَبِلُ^(١)

ضَهُولٌ : وصف للريح ، وذكرها في بيت قبل هذا . والهاء في كساها راجعة إلى رسوم الدار التي وصفها . وضهُولٌ ماؤها : يَجىءُ قليلا قليلا . وضَهُولٌ كلُّ شيء : رجوعه . وبشر ضَهُولٌ : يَجىءُ ماؤها قليلا قليلا . ويروى : « جَفُولٌ » . أى سريعة ذاهبة . فهذا في ريح واحدة .

فأما الريحان المختلفان ، فإن إحداهما تنسف عن الأرض التراب ، والأخرى تردّه إليها على ما قال امرؤ القيس :

لَمَّا نَسَجَتْها مِنْ جَنْوبٍ وَشَمَالٍ^(٢) لم يعف رسمها

فلعل الطائين فيما شرطاه إنما أشفقًا من أحدِ فعلى الريح ، وهو طُمُوسُها

للرسم .

وقال البحتري :

أُسْنِدٌ ضُدُورَ الْيَعْمَلَاتِ بِوَقْفَةٍ فِي الْمَائِلَاتِ كَأَنَّهُنَّ الْمُسْنَدُ^(٣)

دِمْنٌ تَقَاصُاهُنَّ إِعْلَانُ الْبَلَى هُوجُ الرِّيحِ الْبَادِيَاتِ الْعُودِ^(٤)

حَتَّى فَنِينَ وَمَا الْبَقَاءُ لِوَأَقِفِ وَالْدَّهْرُ فِي أَطْرَافِهِ يَتَرَدَّدُ

وهذا معنى عجيب ، وغرض حسن ، والمُسْنَدُ : الدهر ، أراد أن ظلول

الدار والمائلات ثابتة فيه كثنبات الدهر ودَوَامِهِ . وإنما قال : أُسْنِدٌ ، من أجل

قوله : المُسْنَدُ .

(١) ديوانه ٤٥٨ « جفول »

(٢) سبق ص ٤٩٢

(٣) ديوانه ٦٨٩

(٤) في ديوانه « إعلام البلى »

وأجود منه وأحلى قوله :

عَسَتْ دَمْنٌ بِالْأَبْرَقَيْنِ خَوَالٍ تَرُدُّ سَلَامِي أَوْ تُجِيبُ سُؤَالِي (١)

إِذَا مَا تَأَيَّا الرَّمْبُ فِيهَا تَبَيَّنُوا ضَمَانَةً مَتَبُولٍ وَصِحَّةَ بَالٍ (٢)

خَلِيلِي مَا لِلرَّامِسَاتِ وَمَا لَهَا وَمَا لِشُجُونِي الْمُبْرَحَاتِ وَمَالِي (٣)

ومما لا مزيد عليه ، ولا غاية لحسنه وبراعته ، ولطف معناه - قوله :

أَصَبَا الْأَصَانِلِ إِنَّ بُرْقَةَ مُنْشِدٍ تَشْكُو اخْتِلَافَكَ بِالْهُبُوبِ السَّرْمَدِ (٤)

لَا تُتَعَبِي عَرَصَاتِهَا إِنَّ الْهَوَى مُلْقَى عَلَى تِلْكَ الرُّسُومِ الْهُمْدِ

دَمْنٌ مَوَائِلُ كَالنُّجُومِ فَإِنْ عَفَتْ فَيَأَى نَجْمٌ فِي الصَّبَابَةِ تَهْتَدِي (٥)

وقد قرأت شعراً كثيراً ، في وصف الرياح وتعفيتها للدار ، لشعراء

الجاهلية والإسلام . فما سمعت بأحسن من هذا ، ولا أعرف ولا أبدع .

(١) ديوانه ٧٨٣ ، ٣ / ١٧٠

(٢) في الديوان « تأي » وهو تحريف . والتأي : التلبث والتنظر والتؤدة

(٣) في الديوان « ما للراسيات . . وما للشجون »

(٤) ديوانه ٤٥٨

(٥) في الديوان « تهتدي »

ماقالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً

قال أبو تمام :

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَةٍ أَنْ تَصُوبَا^(١)

فَاسْأَلْنَهَا وَاجْعَلْ بُكَاءَكَ جَوَاباً تَجِدِ الشُّوقَ سَائِلاً وَمُعْجِيباً^(٢)

وقد ذكرت هذا الابتداء في الابتداءات^(٣) .

وقوله : « فاسألنها واجعل بكاءك جواباً » ، لأنه قال^(٤) : من سجاياها ألا تجيب ، فليكن بكائك الجواب ؛ لأنها لو أجابت : أجابت بما يبكيك ، أو لأنها لما لم تجب علمت أن من كان يعجب قد رحل عنها ، فأوجب ذلك بكاءك .

وقوله : « تجد الشوق سائلاً ومعجيباً » ، أى أنك إنما وقفت على الدار وسألتها لشدة شوقك إلى من كان بها ، ثم بكيت شوقاً أيضاً إليهم ، فكان الشوق سبباً للسؤال ، وسبباً للبكاء .

وهذه دلسمه حسنة ، ومذهب من مذاهب أبي تمام ، ليس على مذاهب الشعراء ولا طريقتهم . ومثله قوله :

تَجَرَّعُ أَسَى قَدْ أَقْفَرَ الْجَرَّعُ الْفَرْدُ وَدَعَّ حِسَى عَيْنٍ يَجْتَلِبُ مَاءَهُ الْوَجْدُ^(٥)

(١) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزي ١٦٤/١

(٢) م « بكاءك عليها »

(٣) راجع ص ١٠ و ٤٥٦

(٤) م « لأنه من قال »

(٥) ديوانه ١٢٠ وشرح التبريزي ٨٠/٢ وفي م « الجوع » وهو تحريف

إِذَا أَنْصَرَفَ الْمَحْزُونُ قَدْ فَلَّ صَبْرَهُ سَوَالُ الْمَعَانِي فَاَلْبِكَاءُ لَهُ رَدٌّ^(١)

فَالْجَرَعُ : الموضع من الأرض له ارتفاع . يقال : هو حَزَنٌ ، ويقال : هو سَهْلٌ يُشْبِهُ الرَّمْلَ ، والجمع : أَجْرَاعٌ .

وقوله : « فَاَلْبِكَاءُ لَهُ رَدٌّ » : أى للسؤال ، على معنى قوله :

* تَجِدُ الشُّوقَ سَائِلًا وَمُجِيبًا *

ولم يسلك الباحثى هذه الطريق ، بل جرى فى هذا الباب على مذاهب الناس فقال :

وَقَفْنَا عَلَى ذَاتِ النَّخِيلَةِ فَانْبَرَتْ سَوَاكِبُ قَدْ كَانَتْ بِهَا الْعَيْنُ تَبْعَلُ^(٢)
عَلَى دَارِسِ الْآيَاتِ عَافٍ تَعَاقَبَتْ عَلَيْهِ صَبًا مَا تَسْتَفِيقُ وَشَمَالُ
فَلَمْ يَذَرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُجِيبُنَا وَلَا نَحْنُ مِنْ فَرَطِ الْبُكَاءِ كَيْفَ نَسْأَلُ^(٣)
وقول أبى تمام وإن كان فيه دقة وصنعة ، فهذا عندى أول بالجودة ، وأحلى فى النفس ، وألوط بالقلب ، وأشبه بمذاهب الشعراء .

ومثله فى الحسن والجودة والحلاوة قوله :

خُلِفْتُ بَعْدَهُمْ أَلَا حِظُّ نِيَّةٍ قُذِفَا وَأَنْشَدُ دَارِسًا مُتْرَسِمًا^(٤)
طَلَلَا أَكْفَكِيفُ فِيهِ دَمْعًا مَغْرِبًا بِجَوَى وَأَقْرَأُ فِيهِ خَطًّا أَعْجَمًا^(٥)
تَأْبَى رَبَاهُ أَنْ تُجِيبَ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَخْبِرٌ لِيُجِيبَ حَتَّى يَفْهَمَا

(١) م « قد قل » . ويروى « رد » بكسر الراء ، أى معين ، من قولك : هو رد عليك ، أى إذا لم تجبه المعانى . فذهب صبره ، فليس له معين إلا البكاء

(٢) ديوانه ٥٨٥ ، ١٧٩٢/٣ « على دار البخيلة »

(٣) فى الديوان « الجوى كيف »

(٤) ديوانه ٢٢٩ وفى م « الاحظب نية »

(٥) م « وأقرأ منه »

وقال أبو تمام :

قد مَرَرْنَا بالدار وهى خلاء فَبَكَيْنَا طُلُولَهَا والرُّسُومَا (١)
وَسَأَلْنَا رُبُوعَهَا فَانصَرَفْنَا بِشِفَاءٍ وما سَأَلْنَا حَكِيمَا
وهذه معنى حسن حلو ، ومذهب صحيح قد تقدم الناس فيه .

وقال البحتري فى مثله أو قريب منه :

يا دَارُ لا زَالَتْ رُبَاكِ مَجُودَةٌ مِنْ كُلِّ غَادِيَةٍ تَعْلُ وَتَنْهَلُ (٢)
فَهَمَّتْنَا دَوْلَ الزَّمَانِ وَصَرَفَهُ وَأَرَيْتَنَا كَيْفَ الْخُطُوبُ النُّزْلُ (٣)
أراد تعَلَّ الربى وتنهل من كل غادية .

وقوله : « فهمتنا دول الزمان وصرفه » مع تمام البيت ، قريب من قول
أبى تمام : « فانصرفنا بشفاء » . وإن كان أبو تمام إنما انصرف بشفاء من
العلم بأهل الدار أنها منهم مقفرة .

والبحتري قد دل على هذا إلا أنه جاء فى بيت بأشده . ومعنى أبى تمام
جاء به فى حكمة واحدة ، وأتى بزيادة فى غاية الحلاوة والصحة ، وهو قوله :
« وَمَا سَأَلْنَا حَكِيمَا » .

* * *

فأبو تمام فى هذا عندى أشعر من البحتري .

* * *

ومما يشبهه قول أبى تمام : « فانصرفنا بشفاء » ، أو يقاربه - قوله :

(١) ديوانه ٢٩١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٢٢

(٢) ديوان البحتري ٢٥ وفى ٣ / ١٧٥٤ « سارية تعل » وفى م « غادية تغل »

(٣) فى ديوانه « أذكرتنا دول » م « دون الزمان . . . والنزل »

وَأَبَى الْمَنَازِلِ إِنَّهَا لَشُجُونٌ وَعَلَى الْعُجُومَةِ إِنَّهَا لَتَبِينٌ^(١)
وهذا بيت حسن . وقد ذكرته في الابتداءات^(٢) .

وقد قال مُسْلِمٌ بن الوليد :

وَقَفْتُ عَلَى أَطْلَالٍ لَهُمْ فَكَأَنَّهُمْ
تَفَهُمُ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُحَاوِرِ
وقال أبو تمام :

هَلْ أَثَرٌ مِنْ دِيَارِهِمْ دَعَسُ حَيْثُ تَلَاقَى الْأَجْرَاعُ وَالْوَعَسُ^(٣)
مُخَبِّرُ السَّائِلِ الرَّذِيَّةَ فِي الْأَاطَالِ أَيْنَ الْجَاذِرُ اللَّعْسُ؟^(٤)
لَا تَسْأَلْنَهَا فَلَيْسَ يَسْمَعُ جَرَسُ إِلَّا شَخْصٌ لَهُ جَرَسُ^(٥)
وهذه أبيات مُتَعَسِّفَةٌ ، ولفظ غير جيد ، ومعنى غير حسن .

وقوله : الْأَجْرَاعُ وَالْوَعَسُ ، فالأَجْرَاعُ : جمع جرع ، مثل جَبَلٍ
وَأَجْبَالٍ ، وهو : المكان من الأرض الذى فيه حُزُونَةٌ . ويقال : بل هى سهلة
غير أنها مرتفعة قليلا ، تُشَبِّهُ الرَّمْلَ فى سهولتها . ويقال أيضاً : أَجْرُع
وَأَجَارِعُ وَجَرَعَاءُ وَجَرَعَاوَاتُ وَجَرَعُ وَأَجْرَاعُ .

(١) ديوان أبي تمام ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣٢٨/٣

(٢) راجع سؤال الديار

(٣) ديوانه ١٦٦ وفى شرح التبريزي ٢٢٣/٢ « يقال : أثر دعس ، أى واضح متين ،
وكانه الذى وطئ وطئاً كثيراً »

(٤) ويرى : مخبر السائر « وتقديره : هل أثر يخبر الذى يسير إبلا قد أعيت وكلت : أين
الجادر ؟ فيعنى بالسائر الرذية : نفسه ، وبالجادر : النساء التى فارقت . وقال أبو العلاء المعرى : الرذية
أصلها فى المطية التى قد هزلها السير ولم يبق فيها حركة . واستعاره ههنا للسائل ، لأنه شبه هذه فى
تخلفه وعجزه عن السير . واللّمس : جمع ألمس ولعساء ، واللّمس : سمة فى الشفة شديدة . وقيل :
يحتمل أن يكون أراد بالرذية ههنا : الدار ، وجعلها رذية لما أتى عليها سن الدهر . راجع شرح التبريزي

٢٢٤ / ٢

(٥) فى شرح التبريزي « المعرى : الجرس والجرس : الصوت ، وعنى بقوله : « إلا شخص
له جرس ، إنساناً يتكلم . يقول : الديار لا تسمع جرس قوك ، وإنما ينبغى أن تخاطب إنساناً مثلك
على أن الجرس قد يسمعه الحيوان غير الناطق كما يسمعه الناطقون »

والوعس : جمع وعساء ، مثل حمراء وحمز ، وهى : الرملة التى تفوص فيها الرجل ، وإذا ذكروا قالوا : أوعس .

وقد تصرف البحرى فى هذا الباب تصرفاً كثيراً حسناً فقال فى قصيدته التى أولها : « هَجَرْتُ وَطِيفُ خَيَالِهَا لَمْ يَهْجُرِ » - :

مُسْتَهْتَرٌ بِالظَّاعِنِينَ وَفِيهِمْ صَدٌّ يُضَرِّمُ لَوْعَةَ الْمُسْتَهْتَرِ^(١)
يَسْلُ الْمَنَازِلَ عَنْهُمْ وَعَلَى اللَّوَى دِمْنٌ دَوَارِسُ إِنْ تُسَلِّ لَا تُخْبِرِ^(٢)
وَمِنَ السَّفَاهَةِ أَنْ تَظَلَّ مُكْفِكِفًا دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ تَابَدَ مُقْفِرِ

وهذا كلام فحل ، ومعان جيدة صحيحة مستقيمة .

ومثل هذا فى الجودة والبراعة قوله :

هُوَ يَنَّاكَ مِنْ لَوْمٍ عَلَى حُبٍّ تَكْتَمَا وَقَضْرَكَ نَسْتَخِيرُ رُبُوعًا وَأَرْسَمَا^(٣)
تَحْمَلُ مِنْهَا مُنْجِدٌ مِنْ خَلِيطِهِمْ أَطَاعَ الْهَوَى حَتَّى تَحُولَ مُتْهِمَا^(٤)
وَمَا فِي سُؤَالِ الدَّارِ إِذْ رَأَى حَاجَةً إِذَا اسْتَعْجَمَتْ آيَاتُهَا أَنْ تَكَلَّمَا

قوله : هُوَيْنَاكَ ، تصغير هَوْنِكَ . والهون : المهمل . يقال : سِرُّ عَلَى مَهْلٍ ، وتكلم على مهل . ويقال للمتكلم : هونا ، أى مهلا . وهونَكَ : أى مهلك ، أى أَلِزْ مَهْلَكَ وَلَا تَعْجَلْ .

وأراد البحرى ارفق واكفف من لَوْمِكَ ، ألا تراه وكَدَّ ذلك بقوله : « وَقَضْرَكَ نَسْتَخِيرُ » ، أى أقصر .

وجدت بعضهم يستهجن هذه اللفظة ، كأنه كره أن يكون مُبْتَدَأً

(١) ديوانه ١٢٠ ، ٨٦٠/٢ المعارف

(٢) فى الديوان : « نسل »

(٣) ديوانه ٣٥٥ « بحب » وانظر ص ٢٢٢

(٤) فى الديوان « عنها منجد »

بها ، وليست عندي بمكروهة ولا مستهجنة . وهو ابتداء إن لم يكن من جيد ابتداءاته ونادرها ، فليس هذا من رديثها .

ووصل هذا بأن قال :

نَصَرْتُ لَهَا الشُّوقَ اللَّجُوجَ بِأَذْمَعٍ تَلَاخَقْنَ فِي أَعْقَابٍ وَضَلَّ تَصَرُّمًا
وَتَيْمَنِي أَنَّ الْجَوَى غَيْرُ مُقْصِرٍ وَأَنَّ الْحِمَى وَصَفٌ لِمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى

فقوله : « نصرت لها الشوق اللجوج بأذمع » ، يعنى الدار ، بعد قوله : « وما فى سؤال الدار إدراك حاجة » لأنه لما لم يجد فى سؤالها إدراك حاجة .

وهذا قريب من قول أبى تمام :

فَأَسْأَلُنَهَا وَاجْعَلْ بُكَاءَكَ جَوَابًا تَجِدِ الشُّوقَ سَائِلًا وَمُجِيبًا^(١)

وقوله : « وَأَنَّ الْحِمَى وَصَفٌ لِمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى » ، غير جيد ، وهو من تَوَلِيدَاتِ المتأخرين ، وأضل من أصول أبى تمام التى يعمل عليها .

وقوله : « نَصَرْتُ لَهَا الشُّوقَ اللَّجُوجَ بِأَذْمَعٍ » ، خطأ اتبع فيه أبى تمام

فى قوله :

دَعَا شَوْقُهُ بِأَنَاصِرِ الشُّوقِ دَعْوَةً فَلَبَّاهُ طَلُّ الدَّمْعِ يَجْرَى وَوَابِلُهُ^(٢)

وقد شرحت المعنى فيما تقدم^(٣) .

* * *

وقال البحتري :

وَيَذِي الْأَرَاكَةَ مِنْ مَصِيفٍ لَا يَسِ نَسَجَ الرِّيحِ وَمَرِيعٍ مَهْضُوبٍ^(٤)

(١) سبق ص ٤٩٨

(٢) ديوانه ٢٣٠ وشرح التبريزى ٢٢/٣

(٣) راجع ص ٢٢١

(٤) ديوانه ١٧٦ ، ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ مزارف

دَمْنٌ لَزِينَبَ قَبْلَ تَشْرِيدِ النَّوَى مِنْ ذِي الْأَرَاكِ بِزِينَبٍ وَلَعُوبِ
تَأْتِي الْمَنَازِلُ أَنْ تُجِيبَ وَمِنْ جَوَى يَوْمَ الدِّيَارِ دَعَوْتُ غَيْرَ مُجِيبِ
وهذا من جيد شعره ، وبارع ألفاظه ، ومتقن معانيه .

وقال أيضاً :

إِذَا شِئْتُ أَجَرْتُ أَدْمَعِي مِنْ شُؤْنِهَا رُبُوعٌ لَهَا بِالْأَبْرَقَيْنِ وَأَرْسَمُ^(١)
وَقَفْتُ بِهَا وَالرَّكْبُ شَتَّى سَبِيلُهُمْ يَفِيضُونَ مِنْهُمْ عَاذِرُونَ وَلَوْمْ
هِيَ الدَّارُ إِلَّا أَنَّهَا لَا تُكَلِّمُ عَفَا مَعْلَمَ مِنْهَا وَأَقْفَرَ مَعْلَمُ
تُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَيَسْرِي إِلَى الشُّوقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ^(٢)
وهذه أبيات جياذ .

وقوله : « عفا معلم منها » ، أى انمحي وذهب . « وأقفر معلم » ، أى
خلا من أهله . وفي هذا سؤال ، وهو أن يقال : المَعْلَمُ الذى عفا هو أيضاً
مُقْفِرٌ ؛ لأن المقفر : الخالى ، فما وجه هذا التقسيم ؟

والجواب : أن العافى : هو الذى قد ذهب وفنى وعدم ، فلا ينسب إلى
أنه مُقْفِرٌ ؛ لأن المُقْفِرَ : الخالى ، والخالى لا يكون معدوماً . فأراد البحتري :
أن مَعْلَمًا منها عفا ، أى عدم . ومَعْلَمًا بقی مُقْفِرًا ، أى خالياً من أهله ،
كما يقول القائل فى الرجلين : مات أحدهما وأعدم الآخر ، فالميت لا يقال
له معلم .

وقال البحتري :

أَرْسُومُ دَارِ أُمِّ سَطُورُ كِتَابِ دَرَسَتْ بِشَاشَتِهَا عَلَى الْأَحْقَابِ^(٣)

(١) ديوانه ٩٦ ، ٣ / ١٩٢٧

(٢) م « يفيض لى »

(٣) ديوانه ٣٤٠ « مع الأحقاب » ، ١ / ٢٩٤ معارف

يَجْتَازُ زَائِرُهَا بِغَيْرِ لُبَانَةٍ وَيُرْدُ سَائِلُهَا بِغَيْرِ جَوَابٍ

قوله : « أَرْسُوم دَارٍ » من ابتداءاته العجبية لفظاً ومعنى ، وقد ذكرته في بابيه من الابتداءات^(١) .

وقوله : « يَجْتَازُ زَائِرُهَا بِغَيْرِ لُبَانَةٍ » أى إِذَا عَرَّجَ عَلَيْهَا زَائِرُهَا فِي اجْتِيَازِهِ بِهَا فَإِنَّهُ يَجْتَازُ ، أى يَجُوزُهَا وَيَمْضِي بِغَيْرِ حَاجَةٍ قَضِيَتْ لَهُ . وَأَرَادَ : يَنْصَرِفُ عَنْهَا زَائِرُهَا بِغَيْرِ لُبَانَةٍ ، فَجَعَلَ فِي مَوْضِعِ « يَنْصَرِفُ » ، « يَجْتَازُ » .

وقال البحرى أيضاً :

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجَعْ مَا أَتَتْ قَائِلُهُ وَأَبْدَى الْجَوَابَ الرَّبْعُ عَمَّا تُسَائِلُهُ^(٢)
أَفَى ذَاكَ بُرْءٌ مِنْ جَوَى أَلْهَبِ الْحَشَا تَوَقُّدُهُ وَأَسْتَغْزَرَ الدَّمْعَ جَائِلُهُ^(٣)

وهذا معنى حلو ، ومذهب حسن إلا أنه كرر معنى صدر البيت في عجزه ، وهذا قبيح من مثله . وجعل البيت الثانى معلقاً بالأول ، والعُدْرُ له أن يقال : إنه جعل الدار غير الربع .

وقال أبو تمام في قصيدته التى أولها :

* أَيْ مَرَعَى عَيْنٍ وَوَادَى نَسِيبِ *

فَعَلَيْهِ السَّلَامُ لَا أُشْرِكُ الْأَطَّ لَالٌ فِي لَوْعَتِي ، وَلَا فِي نَجِيبِي^(٤)
فَسَوَاءٌ إِيَّائِي غَيْرَ دَاعٍ أَمْ دُعَايَ بِالْقَفْرِ غَيْرَ مُجِيبِ^(٥)

(١) سبق في تمغية الدهور للديار .

(٢) ديوانه ٥١ ، ٣ / ١٦١٠ وفى م « ردت ربيع » . وقد سبق ص ٤٥٨

(٣) م « ذاك يوم ألهب . . . واستمد العين حافله »

(٤) ديوانه ٣٦ وشرح التبريزي ١٢٥ / ١

(٥) فيهما : « ودعائى »

أخذه البحتري فقال :

أَصْبَابَةٌ بِرُسُومٍ رَامَةً بَعْدَمَا عَرَفْتُ مَعَالِمَهَا الصَّبَا وَالشَّمَالُ^(١)
وَسَأَلْتُ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ فَكُنْتُ فِي اللَّهِ تَخْبَارِهِ كَمُجِيبٍ مَنْ لَا يَسْأَلُ^(٢)
وبيت أبي تمام أجود .

قال أبو تمام :

لَهُمْ مَنْزِلٌ قَدْ كَانَ بِالْبَيْضِ كَالْدُمَى فَصِيحَ الْمَغَانِي ثُمَّ أَصْبَحَ أَعْجَمًا^(٣)
وَرَدَّ عَيْوَنَ النَّاطِرِينَ مُهَانَةً وَقَدْ كَانَ مِمَّا يَرْجِعُ الطَّرْفُ مُكْرَمًا^(٤)
وهذا في غاية الحسن والحلاوة .

وقال البحتري :

مَنَازِلُ مَا تُجِيبُ الصَّبَّ مِنْ خَرَسٍ وَلَا تُرِيغُ إِلَى شَكْوَاهُ مِنْ صَمٍّ^(٥)
أَقَامَ يَنْشُدُ شَمْلًا غَيْرَ مُتَّفِقٍ مِنْ آلِ لَيْلَى وَشَعْبًا غَيْرَ مُلْتَنِمٍ
قوله : « مَا تُجِيبُ الصَّبَّ مِنْ قَرَسٍ » ، أى ما تجيب الصبَّ لِخَرَسِهَا ،
وَلَا تُرِيغُ إِلَى شَكْوَاهُ مِنْ صَمٍّ ، أى لِصَمِّهَا .
وهذه - أيضاً - أبيات حلوة ، حسنة الغرض .

* * *

(١) ديوانه ٢٥ ، ٣ / ١٧٥٤

(٢) فى م « وكنت » وسبق البيت ص ٣٢٤

(٣) ديوانه ٢٩٤ وفى شرح التبريزي ٣ / ٢٣٢ « أى كان مزينا بمن فيه » ثم خلت فأصبحت على الناظر فلا يرى فيها أحداً »

(٤) قال التبريزي فى شرحه : « أى تغير فصار الطرف يرد عنهم لسوء المنظر » ، وقد كان فى الدهر الأول يرد الطرف مكروما ، كأنه يكرمه بما يرى فيه من الحسن والبهجة والمهابة ، ويجب أن تكون مفعلة ، من الهوان ، لأن الإهانة ضد الإكرام »

(٥) ديوانه ٦٥٣ « لا تجيب ... ولا ترزغ » وفى م « ولا ترزغ » ومعنى لا ترزغ : لا تميل .

فهذا ما وجدته لهما في هذا الباب ، وهما عندي فيه متكافئان . وأجود من

كل ما قالاه من ذلك قول جميل :

أصبح الرُّبْعُ من بشينةٍ فَيًّا زَادَهُ طُولُ ما تَابَدَ عِيًّا
وإن ما يُبَيِّنُ رَجَعَ سُؤالٍ ولقد يَسْمَعُ السُّؤالَ الخَفِيًّا

وقال المَخْبَلُ :

وكأنما أَثَرُ النَّعاجِ بِجَوِّها بِمَدَافِعِ الرُّكْنَيْنِ وَذُعُجَوَّارِ
وسألتها عن أهلها فوجدتها عمياء جافية عن الإخبار

وهذا كلام حلو جداً ؟

وقال عَوْفُ بن عَطِيَّة بن الخَرَج :

وقفت بها ما تبين الكلا م لسائلها القولَ إِلَّا سِرَّاراً^(١)
أى إنا قد فهمنا عنها وإن لم تُجِب ؛ فجعل ذلك سِرَّاراً .

وقال ذو الرُّمَّة :

وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ تَحِيَّتَنَا علينا ولم تَرْجِعْ جَوَابَ الْمُخَاطَبِ^(٢)
الأصمعى : يقول : من سرورنا بها رأينا أنها قد ردت علينا التحية
وأجابتنا .

وقال غيره : ردت تحية ، أى لم تقبلها منا .

(١) روايته في المفضليات ٤١٣ « بها أصلاً ما تبين لسائلها »

(٢) ديوانه ٤ « تحية »

باب آخر من وصف الديار وساكنيها

وليس تكاد في القطعة التي تشتمل على عدة أبيات ، أن تكون سائر أبياتها موافقة في معانيها لسائر أبيات القطعة الأخرى . وإنما يوازن بين بيت وبيت إذا اتَّفَقَا ، أو بين غرض وغرض إذا تَقَارَبَا . وأغراض هذا الباب هي من جنس واحد وإن اختلفت المعاني .

* * *

قال أبو تمام :

قد عهدنا الرُّسُومَ وهى عُكَاظٌ للصِّبَا تَزْدَهِيكَ حُسْنًا وَطِيْبًا^(١)
أَكْثَرُ الْأَرْضِ زَائِرًا وَمَزُورًا وصَعُودًا من الهوى وَصَبُوبًا^(٢)
وَكَعَابًا كَأَنَّمَا أَلْبَسْتَهَا غَفَلَاتُ الشَّبَابِ بُرْدًا قَشِيْبًا
بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدْهَا ، قَلَمًا تَعُ رِفْ فَقْدًا لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبًا
قوله : « قد عهدنا الرُّسُومَ وهى عُكَاظٌ » معنى ليس بالجيد ؛ لأنه إنما أراد : قد عهدنا الرسوم وهى معدن للصبا أو مألَف أو موطن ، فقال : عكاظ . أى سوق للصبا يجلب إليها . ولو قال : « سوق » لكان أجود من قوله « عكاظ » . وإنما ذهب إلى أن عكاظ من أعظم الأسواق التي تجتمع إليها العرب . وقد كان يكفيه أن يقول : سوق ، فيأتى باللفظة المستعملة المعتادة . وإن السوق قد تكون عظيمة أهلة ، وعكاظ . أيضاً سوق . فما وجه

التخصيص في موضع العموم ، والعموم أجود وأليق ؟

وقد يجوز أن يكون احتذاه على مثال ، والرديء لا يُعْتَبَرُ به ، وعلى أن الوزن لم يُمْكِنْهُ من سوق .

(١) ديوانه ٢٥ وشرح التبريزي ١/ ١٦٥

(٢) أراد بالصمود الكژود من الهوى ، وبالصبوب : اللبن المطاع

وقال البحتري :

رَحَلَ الظَّاعِنُونَ عَنْكَ وَأَبَقُوا فِي حَوَاشِي الْأَحْشَاءِ حُزْنًا مُقِيمًا^(١)
أَيْنَ تِلْكَ الظُّبَاءِ أَشْبَهَنَ فِي الْحُسْنِ نِ بُدُورًا فِي الْبِعَادِ نُجُومًا
قَدْ وَجَدَنَ السُّلُوءَ بَرْدًا سَلَامًا إِذْ وَجَدْنَا الْهَوَىٰ عَذَابًا أَلِيمًا^(٢)

وهذا كلام حلو ، وغرض حسن .

وقوله : « أَشْبَهَنَ فِي الْحُسْنِ بُدُورًا فِي الْبِعَادِ نُجُومًا » أجود وألطف من قول أبي تمام : « قَلَمًا تَعْرِفُ فَقَدْ أَلْشَّمَسَ حَتَّى تَغِيْبَا » لأنه جمع البدر والنجوم في بيت ، وجعل التشبيه بمعنيين مختلفين . وأيضا فإن أبا تمام لم يصف المرأة في بيته بالحسن ، والبيت من أوصاف النساء ، ولا يقول مثله عاشق ، وإنما يوصف بمثله صديق أو حميم ، فيقال : قد بَانَ عَلَى فَقْدِهِ لَمَّا غَاب ؛ أو يكون وصفاً للملك أو سيد فيقال : غَاب فغاب عنا فَضْلُهُ وَنَائِلُهُ ، وبعد فبعد عنا خَيْرُهُ وَمَعْرُوفُهُ ، كما يبعد ضوء الشمس والانتفاع بها إذا غابت . ألا تراه لو كان مدحاً لرجل حتى يقول :

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدْ هَلَكْتُ رِفْتُ فَقَدْ أَلْشَّمَسَ حَتَّى تَغِيْبَا
ولو كان من أقبح الناس صورة ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا جَوَادًا ، أو شجاعاً مُحَامِيًا - أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَكُونُ حَسَنًا جَمِيلًا ، ومدحاً صحيحاً مستقيماً !؟

وقد قال يربط إسحاق بن أبي ربيع :

رَاسَتْ وَفُودُ الْأَرْضِ عَنْ قَبْرِهِ فَارِغَةُ الْأَيْدِي وَمَلَأَى الْقُلُوبَ^(٣)
قَدْ عَلِمْتُ مَا رَزَيْتَ إِنَّمَا يُعْرِفُ فَقَدْ الشَّمْسُ بَعْدَ الْغُرُوبِ^(٤)

(١) ديوانه ٢٧٣ « وألفو في حواشي »

(٢) في الديوان « سلاماً ووجداناً »

(٣) ديوانه ٣٥٤

(٤) في الديوان « عند المغيب »

فهنا موضع هذا المعنى لا هناك .

ويقال في قول البحرى : « أَشْبَهَنَ فِي الْحُسْنِ بُدُورًا وَفِي الْبَعَادِ نُجُومًا » :
إن البدر^(١) أيضاً لا يوصل إليه ، فهو بعيد المنال كبُعد النجم . فَلِمَ خَصَّ
النجومَ بالبعاد ؟

فالجواب : أن العادة لم تجر بأن يقال : أبعد من البدر ، وإنما يقال :
أبعد من النجم . فجعلهن في الحسن كالبدور ، وفي بعد منالهن كالنجوم .
وهذا معنى لا مزيدَ على حُسْنِهِ وصَحْتِهِ .

وإن حملت المعنى على أن البدر ليس ببعيد منا كبُعد سائر النجوم ،
لأن بينه وبينها في البعد مسافة بعيدة - كان ذلك مذهباً صحيحاً وقد استهجن
ابن المعتز قوله : « فِي حَوَاشِي الْأَحْشَاءِ » وهو تَجَنُّيسٌ إن لم يكن حُلُوءاً لا ثِقاً
فليس بالهجين ولا الرديء القبيح .

* * *

وقال أبو تمام :

لا أَنْتَ أَنْتَ وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ [خَفَّ الْهَوَى وَتَوَلَّتِ الْأَوْتَارُ]^(١)
كَانَتْ مُجَاوِرَةً الطُّلُولِ وَأَهْلِهَا زَمَنًا عَذَابَ الْوَرْدِ فَهِيَ بِحَارُ^(٢)
أَيَّامٍ تُدْنِي عَيْنَهُ تِلْكَ الدُّمَى فِيهَا وَتَقْمَرُ لُبَّهُ الْأَقْمَارُ^(٣)
إِذَا لَا صُدُوفَ وَلَا كُنُودَ أَسْمَاهُمَا كَالْمَغْنَمَيْنِ وَلَا نَوَارَ نَوَارُ^(٤)

(١) م « البدر »

(٢) الزيادة من ديوانه ١٤٤ وشرح التبريزي ١٦٦/٢

(٣) قال الصول : « أي كانت عذاباً لنا بحضورهم فلما رحلوا عنها صارت مجاورة الطلول بضم
بحار الورد ، أي ملاحه »

(٤) /تقمر لبه : تذهب به

(٥) قال التبريزي في شرحه ١٦٧ « يقول : صدوف وكنود ونوار : كن من أهل ودى ووصالى
وكانت أفعالهن مخالفة لأسماهن ، لأن «صدوف» من صدف أي أعرض ؛ و «كنود» من كند إذا عتق ،
وقيل كفر ؛ و «نوار» من نار ينور : إذا نفر « وفي م «أخلا صدوف» وهو تحريف .

بَيْضُ فَهْنٌ إِذَا رُمِقْنَ سَوَافِرًا صُورٌ وَهْنٌ إِذَا رَمَقْنَ صَوَارًا^(١)
فِي حَيْثُ يُمْتَنُّ الْحَدِيثُ لِذِي الصَّبَا وَتُحَصَّنَ الْأَسْرَارُ وَالْأَسْرَارُ^(٢)

قوله : « لَا أَنْتَ أَنْتَ » لفظ من ألفاظ أهل الحضر ، مُسْتَهْجَنٌ وليس
بجيد . لكن قوله : « وَلَا الدَّيَّارُ دِيَارُ » كلام معروف من كلام العرب ،
مستعمل حسن أى ليست الديار دياراً كما عهدت ، مثل ما يقال فى الإيجاب :
* إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ^(٣) *

أى كما عهدت . قال جرير :
وَكُنَّا عَهْدَنَا الدَّارَ وَالذَّارُ مَرَّةً هِيَ الدَّارُ إِذْ حَلَّتْ بِهَا أُمُّ يَعْمُرَ^(٤)
وكما قال ابن حِطَّانِ فى النِّفَى :
أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَأْمُرْدَأُسُ بِالنَّاسِ^(٥)
فبنى أبو تمام على هذا قوله : « لَا أَنْتَ أَنْتَ » أى لست أنت الذى
كنت تُعْهَدُ مُجِبًّا وَامِقًّا ، ذامقة . أى^(٦) قد تَغَيَّرَتْ وَتَغَيَّرَتِ الدِّيَارُ .
وقوله : « فَهَى بَحَارُ » ؛ والبحر : الماء والمِلْحُ ، ويقال : قد
أَبْخَرَ الماءُ ، إِذَا صَارَ مِلْحًا .
وقوله : « وَتُحَصَّنَ الْأَسْرَارُ وَالْأَسْرَارُ » الأول جمع سِرٍّ^(٧) ، يعنى النكاح ،
والثانى يريد الحديث ، أى هو محفوظ .

(١) يقول : إِذَا رَأَى النَّازِرُ فَكَأَنَّهُنَّ صُورٌ مِنْ حُسْنٍ . وقوله : « وَهْنٌ إِذَا رَمَقْنَ صَوَارَ » أى
عيونهن تشبه عيون بقر الوحش إِذَا نَظَرْتَ
(٢) قال المعرى : « جعل الحديث يمتن ، لأن الامتنان ضد التحصين » وفى م « ويحصن
الأسوار » وهو تحريف

(٣) صدره : « بلاد بها كنا وكنا نجها » . والبيت لأخى عاد ، كما فى رسائل الهمذاني

(٤) ديوانه ٢٤٠

(٥) الكامل ٨٩٦/٣ ، ٩٩٩

(٦) م « وامقا ذا مين إني قد »

(٧) م « وتحصن الأسوار . . . جمع أسر يعنى »

وقوله : « إِذْ لَا صَدُوفَ وَلَا كُنُودَ أَسْمَاهُمَا كَالْمَعْنَيْنِ » أى لا تضدفت
 هذه ، ولا تكُنُودُ تِلْكَ ، أى لا تَقْطَعُ .
 « وَلَا نَوَارُ نَوَارُ » أى ولا نوار نافر ، أى هى آنسة غير نفور من الحديث
 والأنس . وإنما قال فى موضع آخر :

* نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كَمَا نَفَرَ السَّرْبُ^(١) *

لأنه أراد نفورهن من السوء ، وهو : الريبة .

* * *

وقال البحتري :

هذا العَقِيقُ وفيه مَرَأَى مُوْنِقُ للعَيْنِ لَوْ كَانَ الْعَقِيقُ عَقِيقًا^(٢)
 أَشَقِيقَةَ الْعَلَمِينَ هَلْ مِنْ نَظَرَةٍ فَتَبَلُّ قَلْبًا لِلْغَلِيلِ شَقِيقًا^(٣)
 وَسَمْتِكِ أَوْدِيَةَ السَّمَاءِ بَدِيعَةٍ تُحْيِي رَجَاءً أَوْ تَرُدُّ عَشِيقًا^(٤)
 وَلَشَنْ تَنَازَلَ مِنْ بَشَاشَتِكَ الرَّدَى طَرَفًا وَأَوْحَشَ أَنْسَكَ الْمَوْمُوقَا^(٥)
 فَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ غَنِينَا نَجْتَلِي مَغْنَاكَ بِالرَّشِيهِ الْأَنِيقِ أَنْيَقًا
 عَلَّ الْبَخِيلَةَ أَنْ تَجُودَ بِهَا النَّوَى وَالِدَارَ تَجْمَعُ شَائِقًا وَمَشُوقًا^(٦)
 قوله : « لَوْ كَانَ الْعَقِيقُ عَقِيقًا » كما عَهِدْتُ . وهذا مِثْلُ قول أبي تمام .
 « وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ » .

وببيت البحتري أجود ، لأن صدره أحسن معنى من قول أبي تمام : « لَا
 أَنْتَ أَنْتَ » .

(١) صدره كما فى ديوانه ٣٠ « سواكن فى بر كما سكن الدى »

(٢) ديوانه ٧٢٢ ، ١٤٥٠/٣ وفى م « موفق للعين »

(٣) م « قتيل قلبا » وهو تحريف

(٤) فى الديوان « أودية السماء »

(٥) فى الديوان : « بشاشتك البلى » م « طوقا »

(٦) م « على البخيلة »

وأودية السماء : يريد المئود التي تجرى ، والسماء : السحاب . والدَّيْمَةُ :
المطر يدوم أياماً لا يُقْلَع .

وقوله : « تحي رجاء » أى تُخَصِّب الموضع ، فيعود إليه الظاعنون عنه .
ولمّا ذهب إلى قول جرير :

ألا أيها الوادى الذى ضمَّ سبله إلينا نوى ظمياء حبيبت وادياً^(١)
وهذا من حر الشعر ، ورصين المعاني .

* * *

وقال أبو تمام :

وعهدى بها إذ ناقض العهد بذرها مراح الهوى فيها ومشرحه الخصب^(٢)
مؤزرة من صنعة الوبل والندى بوشى ولا وشى وعصب ولا عصب^(٣)
تحير في آرامها الحسنى فاغتدت قرارة من يصبى ونجعة من يصبو^(٤)
سواكن في برٍّ كما سكن الدى نوافر من سوء كما نفر السرب^(٥)
كواعب أتراب لغيداء أضبحت وليس لها في الحسن شكل ولا ترب^(٦)
لها منظر قيد النواظر لم يزل يروح ويغدو في خفارته الحب^(٧)

(١) ديوانه ٦٠١ والوساطة ٢٩

(٢) ديوانه ٣٠ وفي شرح التبريزي ١٨٤/١ قال المرزوق : « يقول : عهدى هذه الدار حين
كان حبيبي الناقص لمهدى فيها يضيئها وينورها فكانه بدر لها ، وهى مظنة الهوى لأنها مأوى الحسان »
وفي م « مزاج الهوى » وهو خطأ

(٣) قال المعري : « أى لها إزار من الروض وضروب من النبات . ويرى ابن المستوفى أن
مؤزرة مأخوذة من قولهم : تأزر الثبت إذا التف واشتد »

(٤) يرى المعري أن معنى « تحير » فى هذا الموضع : أقام . والمراد بالآرام هنا النساء . أى
فأصبحت مجمع المصبيات من النساء ، ونجمة الصابين من الفتيان وطلاب الفزل

(٥) م « قيد النوازل » !

يَظَلُّ سَرَاةَ الْقَوْمِ مَشْنَى وَمَوْحَدًا نَشَاوَى بِعَيْنَيْهَا كَأَنَّهُمْ شَرِبُ^(١)
 قوله : « مَرَّاحُ الْهَوَى فِيهَا وَمَسْرَحُهُ الْخِضْبُ » أى الهوى مُخْصِبٌ فِيهَا
 لكثرة الحسن بها فى مَرَّاحِهِ وَمَسْرَحِهِ .
 وقد يكون أراد خِضْبَ النبات لأنه قال بعده : « مُؤَزَّرَةٌ مِنْ صَنْعَةِ الْوَبَلِ
 وَالنَّدَى » .

والمعنى الأول أجود وألطف ، ولا يكون هذا البيت متعلقاً بما قبله .
 وقوله :

تَحِيرٌ فِي آرَامِهَا الْحَسَنُ فَاغْتَدَتْ قَرَارَةً مِنْ يُضْبِي وَنُجْعَةً مِنْ يَضْبُو
 فإنه من حُلُوِّ الْكَلَامِ .

وقوله : « سَوَاكِنُ فِي بَرٍّ كَمَا سَكَنَ الدُّمَى » فالدُّمَى : الصُّورُ ، جمع
 دُمَيْة . أى هن سواكن فى بَرٍّ ، أى فى صلاح . كما سكن الصُّورُ ؛ لأنَّ
 الصُّورَ سَوَاكِنَ بِلا حركة ، كأنه ينسبهن إلى الوقار وقلة الأثر . وهذه صفة
 العَفَائِفِ مِنَ النِّسَاءِ .

وقوله : « نَوَافِرُ مِنْ سُوءٍ كَمَا نَفَرَ السَّرْبُ » فالسَّرْبُ : الجماعة من الظباء
 والقطا ، ومن بقر الوحش أيضاً إلا أن المستعمل فى بقر الوحش ، والمستعمل
 فيه الرَّبْرَبُ^(٢) .

وقوله : « أَتْرَابُ الْغِيدَاءِ » أى أَتْرَابُ لَهَا فى سَنِهَا ، وليس لها فى الحسن
 تَرَبُّبٌ .

وقوله : « يَرُوحُ وَيَعْدُو فى خَفَارَتِهِ الْحُبُّ » أى لا يلحق الحبَّ معه آفة
 من ثَلَمٍ ولا نقص ولا تَغْيِيرٍ ولا ضعف . وهذه كلها معانٍ حسنة متقنة ، وألفاظ .

(١) سراة القوم : خيارهم وأماثلهم . والشرب : جمع شارب ، كركب وراكب

(٢) م « الربوب »

بارعة فصيحة ، إلا البيتين الأولين ، فإن فيهما اضطراباً . والبذر أيضاً ليس هذا موضعه ، وإنما يحسن ذكر البدر في مثل هذا إذا كان في الكلام ذكر لِسَمَاءٍ أو نجوم أو ليل .

ولو قال : « إذ ناقض العهد ريمها » كان أشبه وأليق .

وقد قال البحتري في مثل هذا ، ولكنه فيه أعذر من أبي تمام ، وذلك قوله :

رَبْعٌ خَلَا مِنْ بَدْرِهِ مَغْنَاهُ رَبِيعَتْ بِهِ عَيْنُ الْمَهْيِ الْأَشْبَاهُ
أراد أن ربع المرأة خلا منها ، وخلفتها العين التي هي أشباه يشبه بعضها بعضاً . وباعد المرأة من شبهها فجعلها بديراً ، أى أدخل الرّبع من هو كالبدّر ، وخلفته العين ، كأنه يخسّس أمرها ، كما يقال : انظروا من بقى ومن مضى . فاحتاج البحتري إلى ذكر البدر [أكثر] ^(١) من حاجة أبي تمام إليه في قوله : « وَعَهْدِي بِهَا إِذْ نَاقَضَ الْعَهْدَ بَدْرُهَا » .

وأحسن من هذا وأجود لفظاً ومعنى قول البحتري [أيضاً] ^(١) :

وَعَهْدِي بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحْكُمَ النَّوَى عَلَى عَيْنِهَا إِلَّا تَذَمَّ عَهْدُهَا ^(٢)
بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْمُحِبِّينَ وَالْجَوَى وَمَجْمُوعَةٌ غَيْدُ اللَّيَالِي وَغَيْدُهَا ^(٣)

قوله : وَمَجْمُوعَةٌ غَيْدُ اللَّيَالِي وَغَيْدُهَا « لفظ ومعنى ما لحسنهما نهاية .

وإنما أخذ المعنى من قول أبي تمام :

كَوَاعِبُ زَارَتْ فِي لَيَالٍ قَصِيرَةٍ يُخَيِّلُنِي مِنْ حُسْنِهِنَّ كَوَاعِبًا ^(٤)

(١) الزيادة من ق

(٢) ديوانه ٤٦٥ « ألا تدم »

(٣) ديوانه « عند الليالي »

(٤) ديوانه ١٦ وشرح التبريزي ١/١٤٦

وبيت البحتري أجود لفظاً ، وأحلى سبكاً .

* * *

وقال أبو تمام :

أَزَعَمْتَ أَنَّ الرَّبْعَ لَيْسَ يُتَيَّمُ والدَّمْعُ فِي دِمَنِ عَفَتٍ لَا يَسْجُمُ^(١)
يا مُوسِمَ اللَّذَاتِ غَالَتِكَ النَّوَى بَعْدِي فَرَبْعُكَ لِلصَّبَابَةِ مَوَاسِمُ
وَلَقَدْ أَرَاكَ مِنَ الْكَوَاعِبِ كَاسِبًا فالْيَوْمَ أَنْتَ مِنَ الْكَوَاعِبِ مُخْرِمُ
لَحَظْتُ بِشَاشَتِكَ الْحَوَاثِ لَحْظَةً مَا زِلْتُ أَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَسْلَمُ
وهذا كله جيد . ويأتي بعد هذه الأبيات ما هو جيد نادر ، وردىء ساقط .

وقد ذكرتُ ذلك في باب العزاء في أوصاف النساء .

وقوله : « أَزَعَمْتَ أَنَّ الدَّمْعَ لَيْسَ يُتَيَّمُ » معنى حسن . وقد أورده البحتري

أحسن من هذا الإيراد^(٢) ، وألطف ، فقال - وهو من إحسانه المشهور - :

لَقِينَا الْمَغَانِي بِاللَّوَى فَكُنَّا لَقِينَا الْغَوَايِ الْآنَسَاتِ عَوَاطِلًا^(٣)
وَقَتْلُ الْمُحِبِّينَ الْعِيُونَ وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ الرِّسُومَ الدَّارِسَاتِ قَوَاتِلًا
هَوَاجِرُ شَوْقِي لَوْ تَشَاءَ يَدُ النَّوَى لَجَادَتْ بِمَنْ تَهْوَى فَعَادَتْ أَصَابِلًا^(٤)
وَمَذْهَبُ حُبٍّ لَمْ أَجِدْ عَنْهُ مَذْهَبًا وَشَاغِلُ بَثٍّ لَمْ أَجِدْ عَنْهُ شَاغِلًا
وهذا الذي طلبته الشعراء ، فأعجزها إدراكه .

* * *

وقال أبو تمام :

طَلَلٌ وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ كَادَ يُصْبِحُ رَبْعُهُ لِي مَسْجِدًا^(٥)

(١) ديوانه ٢٨٣ وشرح التبريزي ٢١٢/٣

(٢) م « وأحسن من هذه الأبواب »

(٣) ديوانه ٧٠٩ « الغواي اللابسات »

(٤) في م « تهوى »

(٥) ديوانه ١٢٥ وشرح التبريزي ١٠١/٢ « طلل عكفت »

وَزَلَّلْتُ أَنْشِدُهُ وَأَنْشُدُ أَهْلَهُ وَالْحَزْنَ خِذْنِي نَاشِدًا أَوْ مُنْشِدًا^(١)
 سَقِيًّا لِمَعْهَدِكَ الَّذِي لَوْ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ قَلْبِي لِلصَّبَابَةِ مَعْهَدًا
 قوله : « إلى أن كادَ يُصْبِحُ رَبُّعُهُ لِي مَسْجِدًا » كأنه أراد أن يؤكد طولَ
 وقوفه في الربع ، كما يقف المصلِّي في المسجد ، وربما أطلال الوقوف .
 وقوله : « وَزَلَّلْتُ أَنْشِدُهُ » أى أعرفه أصحابي ، وأقول : هذا هو الربع
 أو الطلل ، يقال : أَنْشَدْتُ الضَّالَّةَ بِالْأَلْفِ : إذا عرَّفْتُها ، ونشدتها : إذا
 طلبتها . فقولُه : « أَنْشُدْ أَهْلَهُ » أى أطلبهم كما يطلب الناشِدُ ضالَّته .
 والحزن خِذْنِي ، أى صاحبي في الحالين .
 وهذه أبيات لا حلاوة لها ، ولا طلاوة عليها . ولكن الحلو العذب - على
 هذا الوزن - قول البحتري :

عَهْدِي بِرَبِّعِكَ لِلْغَوَا فِي مَعْهَدًا نَضَبْتُ بِشَاشَةِ أَنْسِهِ فَتَابِدًا^(٢)
 بَخِلْتُ جُفُونُ لَمْ تُعْرِكَ دُمُوعَهَا وَقَسَا فُوَادُ لَمْ يَبْتَ بِكَ مُقْصَدًا
 مَا هَاجَ لِي نَوْحُ الْحَمَامِ وَمَا دَعَا مِنْ صَبَوْتِي وَصَبَابَتِي إِذْ غَرَّدَا

* * *

وقال أبو تمام :

وَلَقَدْ سَلَوْتُ لَوْ أَنَّ دَارًا لَمْ تَلُحْ وَحُلُمْتُ لَوْ أَنَّ الْهَوَى لَمْ يَجْهَلَ^(٣)
 وَلَطَالَمَا أَمْسَى فُوَادُكَ مَنْزِلًا وَمَحِلَّةً لِطِبَاءِ ذَاكَ الْمَنْزِلِ^(٤)
 إِذْ فِيهِ مِثْلُ الْمُطْفِلِ الظَّمْأَى الْحَشَا رَعَتْ الْخَرِيفَ وَمَا الْقَتُولُ بِمُطْفِلٍ^(٥)

(١) م « والحزن حزني » وهو تحريف (٢) لم ترد في ديوانه ووردت في القول الفائق ٣٣ ظ

(٣) ديوانه ٢٣٣ وشرح التبريزي ٣٢/٣

(٤) وقيل إن رواية الآمدي في غير هذا الكتاب « آسى فوادك » راجع هامش التبريزي ٣٢/٣

(٥) في شرح التبريزي ٣٣/٣ « المطفل : الوحشية التي معها ولدها . وأراد بالظمأى الحشا : الخميصة البطن . فالمنى أن هذه الموصوفة كأنها وحشية مطلق وليست هي بذات طفل ، لأن المرأة إذا لم تلد كان أفضل لها في النمت »

وقال أبو تمام يصف المنزل أيضاً :

وَلَيْتَنِي نَوَى بِكَ مُلْقِيًا أَجْرَامَهُ ضَيْفُ الْخُطُوبِ لَقَدْ أَصَابَ مُضِيفًا^(١)
وَهِيَ الْفَجَائِعُ لَمْ تَزَلْ نَكَبَاتُهَا يَأْلَفُنْ رُبْعَ الْمَنْزِلِ الْمَالُوفَا
خَلَفَتْ بِعَقْوَتِكَ السُّنُونَ وَطَالَمَا كَانَتْ بَنَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ خُلُوفَا
أَيَّامٌ لَا تَسْطُو بِأَهْلِكَ نَكْبَةً إِلَّا تَرَاجَعَ صَرْفُهَا مَضْرُوفَا^(٢)
وَلِذَا رَمَتَكَ الْحَادِثَاتُ بِلَحْظِهَا رَدَّتْ ظَبَاؤُكَ طَرْفَهَا مَطْرُوفَا

وقال أبو تمام أيضاً :

سَلَّمَ عَلَى الرَّبْعِ مِنْ سَلَمِي بِذِي سَلَمٍ عَلَيْهِ وَشَمٌ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْقِدَمِ^(٣)
مَا دَامَ عَيْشٌ لِسِنَانِهِ لِسَاكِنِهِ لَدُنَّا وَلَوْ أَنَّ عَيْشًا دَامَ لَمْ يَدَمْ^(٤)
يَا مَنْزِلًا أَعْنَقْتَ فِيهِ الْجَنُوبُ عَلَى رَسْمٍ مُجِيلٍ وَشُعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِمْ
هَرَمْتَ بَعْدَى الرَّبْعِ الَّذِي أَفَلْتَ مِنْهُ بُدُورُكَ مَعْلُورٌ عَلَى الْهَرَمِ
عَهْدِي بِمَعْنَاكَ حُسَانَ الْمَعَالِمِ مِنْ حُسَانَةِ الْوَرْدِ وَالْبَرْدَى وَالْعَنَمِ^(٥)
بَيْضَاءُ كَانَ لَهَا مِنْ غَيْرِنَا حَرَمٌ فَلَمْ نَكُنْ نَسْتَحِلُّ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ
كَانَتْ لَنَا صَنْمًا نَحْنُو عَلَيْهِ وَلَمْ نَسْجُدْ كَمَا سَجَدَ الْأَفْشِينُ لِلصَّنَمِ

قوله : « لَوْ أَنَّ عَيْشًا دَامَ لَمْ يَدَمْ » أي لو دام مدّة من المدد أو دهرًا من الدهور - لم يدم ، أي لا نقطع ونفد ، ولم يكن بد من أن يتصرّم . وقوله :

- (١) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزي ٣٧٨/٢ « يقال : أتى أجرامه بالمكان ، إذا أقام . والأجرام : جمع جرم »
(٢) في الديوان وشرحه « بلحظة »
(٣) ديوانه ٢٦٧ وشرح التبريزي ١٨٤/٣
(٤) في الديوان وشرحه « بساكنه »
(٥) ويروى : « حسانة الجيد » قال التبريزي ١٨٥/٣ : « حسان : مثل حسن إلا أنه أشد مبالغة منه ، والأفنى حسانة »

« هَرِمْتُ بِغَدِي » كَلَامٌ رَذُلٌ سَخِيفٌ ، قَدْ عَابَهُ النَّاسُ فِيمَا عَابُوهُ مِنْ أَلْفَاظِهِ .
 وقوله : « حُسَّانَةُ الْوَرْدِ » . يريد : الخَدَّ .

وَالْبَرْدَى : يريد السَّاقَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي أَصُولَ الْبَرْدَى ، وَهُوَ أَبْيَضٌ غَضٌّ
 أَمْلَسٌ . يُشَبَّهُ بِهِ السَّاقُ . وَالْعَنَمُ : نَبْتُ لَهُ أَغْصَانٌ دِقَاقٌ ، تُشَبَّهُ بِهَا
 الْأَصَابِعُ .

وقوله : « بَيْضَاءُ كَانَ لَهَا مِنْ غَيْرِنَا حَرَمٌ » فَالْحَرَمُ : هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي قَدْ
 حُرِّمَ أَنْ يُصَادَ فِيهِ صَيْدٌ ، فَهُوَ حِرْزٌ لَهُ وَمَلْجَأٌ . يَرِيدُ بِهِ زَوْجَ الْمَرْأَةِ ، أَيْ كَانَ
 لَهَا حَرَمٌ مِنْ غَيْرِنَا ، وَلَمْ نَكُنْ نَحْنُ حَرَمَهَا .

ويروى : « كَانَ لَنَا مِنْ غَيْرِهَا حَرَمٌ » يريد : كَانَتْ لَنَا زَوْجَةٌ هِيَ حَرَمُنَا ،
 فَلَمْ نَكُنْ نَسْتَحِلُّ مَعَهَا غَيْرَهَا أَوْ لَمْ نَكُنْ نَسْتَجِيزُ خِيَانَتَهَا ، كَمَا قَالَتْ لَيْلَى
 الْأَخْيَلِيَّةُ :

لَنَا صَاحِبٌ مَا نَبْتَغِي أَنْ نَخُونَهُ وَأَنْتَ لِأُخْرَى صَاحِبٌ وَخَلِيلٌ^(١)

وقوله : « كَانَتْ لَنَا صَنَمًا » أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : نَعْكُفُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَسْتَقِمَّ
 لَهُ ، فَقَالَ : نَخُونَا عَلَيْهِ ، وَهِيَ لَفْظَةٌ غَيْرُ مُسْتَعْمَلَةٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَإِنْ كَانَ
 لَهَا اقْتِرَابٌ مِنْ « نَعْكُفُ » وَمُشَارَكَةٌ .

وقوله : « وَلَمْ نَسْجُدْ » مَعْنَى رَدَى لَا يَلِيقُ بِالْمَكَانِ . وَإِنَّمَا كَانَ يَجِبُ أَنْ
 يَقُولَ : وَلَوْ جَازَ السُّجُودُ لَسَجَدْنَا ، حَتَّى يَكُونَ قَدْ وَفَّى الْحَبَّ حَقَّهُ ، وَاسْتَعْمَلَ
 الْمَعْنَى الْمَعْتَادَ فِي مِثْلِ هَذَا . وَإِلَّا فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ فِي شِعْرِهِ : قَدْ
 أَحْبَبْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجْعَلْ مُحِبِّي رِبًّا أَعْبُدُهُ ، وَهَوَيْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجْنُ جُنُونَ
 قَيْسِ بْنِ مُعَاذٍ الْعَامِرِيِّ ؟ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَاشِقِ أَنْ يَشْكُو مَا يَمُرُّ بِهِ وَيُقَاسِيهِ ،

(١) فِي الْأَمَالِ ٨٨/١ « لَا يَنْبَغِي . . . وَخَلِيلٌ » وَالْبَيْتُ فِي الْأَغَانِي ٦٨/١٠

ويكذب في أكثر أحواله تقريباً إلى محبوبه . فأما أن يركب مثل هذا المعنى فلا . وقد يجوز أن يقوله قائل : إذا أراد عدل محب آخر ليقصر .

ولأنما قصد أبو تمام ذكر الأفشين ، فخرج في المعنى عن العادة وجاء بما لا فائدة فيه .

* * *

وقال أبو تمام :

عَفَتْ أَرْبُعُ الْحِلَاتِ لِلأَرْبَعِ المُلْدِ لِكُلِّ هَضِيمِ الكَشْحِ مُغْرِبَةِ القَدِّ (١)
لِسَلْمَى سَلَامَانَ وَعَمْرَةَ عَامِرٍ وَهِنْدِ بَنِي هِنْدٍ وَسُعْدَى بَنِي سَعْدِ (٢)
دِيَارُ أَرَاقَتْ كُلَّ عَيْنٍ شَحِيحَةٍ وَأَوْطَأَتِ الْأَحْزَانَ كُلَّ حَشَا صَلْدِ (٣)
فَلَا تَسْأَلَانِي عَنْ هَوَى قَدْ طَعِمْتُمَا جَوَاهُ فَلَيْسَ الْوَجْدُ إِلَّا مِنَ الْوَجْدِ (٤)

قوله : « أَرْبُعُ الْحِلَاتِ » يريد جمع حِلَّة ، وهي المنزل الذي يَحْلُونَهُ (٥) .

وقوله : « لِلأَرْبَعِ المُلْدِ » أى لِلأَرْبَعِ من النساء المُلْد ، وهُنَّ الْعَضَاتِ النَّوَاعِمِ . ومنه قولهم : غُضِنُ أُمْلُود : إذ كان كذلك . وهذا لفظ لاحتلاوة له . وقد مضى التفسير عند ذكر هذا البيت في الابتداءات (٦) .

(١) ديوانه ١٣٠ وشرح التبريزي ١١٨/٢ وفي م « الخلات » وفي الديوان وشرحه « لجدولة القد »

(٢) في شرح التبريزي قال أبو العلاء المعري : « لم يسم قبيلة في هذا البيت إلا وفي العرب قبائل

تعرف باسمها ، فبنو سلمى ، وكذلك في قصاعة ، وفي الأزدي سلامان بن مفرج ، وعامر بن صمصمة وعامر بن لوى ، وعامر الأجدار في كلب وغيرهم . وبنو هند في كندة وفي سواها . وكذلك بنو سعد ، قال طرفة :

رَأَيْتُ سَعُودًا مِنْ سَعُودٍ كَثِيرَةٍ فَلَمْ أَرِ سَعْدًا مِثْلَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ

(٣) في الديوان وشرحه : « هراقت » ويروى « حشا جلد »

(٤) م « ظعننا جواه » وهو تحريف . قال التبريزي : « أى لاتسألاني عن شيء أنما به خبيران

فالوجد كله فن واحد »

(٥) م « الخلات . . . خلة . . . يَحْلُونَهُ » وهو تحريف

(٦) راجع تعفية الرياح للديار

وقوله : فَلَيْسَ الْوَجْدُ إِلَّا مِنَ الْوَجْدِ « أى من الوجد الذى تعرفانه .

ومن جيد هذا الباب ونادره ، قول البحتري :

نَعَمْ قَدْ تَشَاكَيْنَا عَلَى الشُّعْبِ سَاعَةً وَمِنْ دُونِهِ شُعْبٌ لِلَّيْلِ مُفَرَّقٌ^(١)
عَلَى دِمْنَةٍ فِيهَا لِأُدْمَانَةِ النَّقَا مُحَاسِنُ أَيَّامٍ تُحِبُّ وَتُعَشِّقُ^(٢)
وَقَفْتُ وَأَوْقَفْتُ الْجَوَى مَوْقِفَ الْهَوَى لِيَالِي عَوْدِ الدَّهْرِ فَيَنَانُ مُورِقُ^(٣)
فَحَرَّكَ بَثِّي رِبْعُهَا وَهُوَ سَاكِنٌ وَجَدَّدَ وَجْدِي رَسْمُهَا وَهُوَ مُخْلَقُ^(٤)

قوله : « فحرَّكَ بَثِّي رِبْعُهَا وَهُوَ سَاكِنٌ وَجَدَّدَ . . . » معنى مقول ، أَخَذَهُ
من قول الموبد في كِسْرَى عند وفاته : حَرَّكْنَا بِسَكُونِهِ . ويقال : قِيلَتْ
لِلْإِسْكَدَرِ . وَأَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ، فَقَالَ :

قَدْ لَعَمْرِي حَكَيْتَ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَّكَنْتَنِي لَهَا وَسَكَنْتَنَا^(٥)

وقال أبو تمام :

لَوْ أَنَّ دَهْرًا رَدَّ رَجَعَ جَوَابِ أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوِيهِ طَوْلُ عِتَابِ^(٦)
لَعَدَلْتُهُ فِي دِمْنَتَيْنِ بِأَمْرِهِ مَمْحُوتَتَيْنِ لِرِزْنَبِ وَرَبَابِ^(٧)

(١) ديوانه ٥١٧ « قد تشاكينا . . . ومن خلفه »

(٢) الأدم من الظباء : ظباء بيض يعلوها جدد فيها غبرة ، يقال : ظبية آدماء وأدمانة ، وأنكر الأصمعي أدمانة ؛ لأن أدمانا جمع مثل حمران وسودان ولا تدخله الهاء . . راجع اللسان ٢٧٧ / ١٤

(٣) في ق والديوان « موضع الهوى » و انظر عبث الوليد ص ١٥٣

(٤) سبق ص ٣٤١

(٥) ديوانه ٣٣٩

(٦) ديوانه ١٨ وشرح التبريزي ٨٠ / ١

(٧) يروى : « بأمرة » قال أبو العلاء المعري : كأنه اسم موضع ، ويروى : « برامة » ورامة أكثر تردداً في الشعر ، ومن روى « بأمره » فله معنى صحيح ، وتكون الهاء عائدة على الدهر ، كأنه يحمل له أمراً مقبولا . وهو حسن من الوجه الأول . وهذا كله مستعار

ثُنْتَيْنِ كَالْقَمَرَيْنِ حُفَّ سَنَاهُمَا بِكَوَاغِبٍ مِثْلِ الدُّمَى أَثْرَابٍ^(١)
 مِنْ كُلِّ رِيَمٍ لَمْ تَرُمْ سُوءًا وَلَمْ تَخْلِطْ صَبَا أَيَّامَهَا بِتَصَابِ

قوله : « لَعَذَلْتُهُ فِي دِمْنَتَيْنِ » معنى سخيّف ، وإبداع غير حسن ولا جميل .

وقد اعتذر أبو نواس إلى الربيع^(٢) : بأنّه لم يقدر على دفع ضرر البلى والدروس عنه ، وأنّه لا يدرى ما يقول فى ذلك لسعد ؛ فجاءنا بآيدة أخرى ظريفة عجيبة . وقد رأيت غير واحد من الشيوخ يستحسنه لغرابة معناه .
 وذلك قوله :

أَرْبَعُ الْبَلَى إِنَّ الْخُشُوعَ لَبَادَى عَلَيْكَ وَإِنِّى لَمْ أَخْنُكَ وَدَادَى^(٣)
 فَمَعْدِرَةٌ مِنى إِلَيْكَ بَأَن تَرَى رَهِينَةَ أَرْمَاسٍ وَصَوْنَ عَوَادِ^(٤)
 وَلَمْ أَدْرِ الضَّرَاءَ عَنْكَ بِحِيلَةٍ فَمَا أَنَا مِنْهَا قَائِلٌ لِسَعَادِ

وهذا ليس على طريقة العرب ولا مذاهبيهم . وإذا اعتمد الشاعر الإبداع فَمِنْ سَبِيلِهِ أَلَّا يَخْرُجَ عَنْ سَنَنِ الْقَوْمِ . فإنه لم يخطر [فيه] ^(٥) عليه مُسْتَغْرَبُ المعانى ومُستظرفها .

وما أحسن المعنى الصحيح إذا أتى به الطبع النقي ، وكان قائله مُخْبِرًا بالأمر على ما هو ، وذلك نحو قول البحتري :
 وما أَعْرِفُ الْأَطْلَالَ مِنْ بَطْنٍ تُوضَحُ لِطُولِ تَعَفُّيْهَا وَلَكِنْ إِخَالَهَا^(٦)

(١) فى الديوان : « ثنتان » وكلاهما صحيح

(٢) م ، ق « إلى الربيع » وهو خطأ

(٣) ديوان أبي نواس ٦١ وهو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن يحيى البرمكى

(٤) م « عواد » وفى الديوان : « رهينة ألواح »

(٥) الزيادة من ق

(٦) ديوانه طبع مصر ١٧٩/٢ وفى طبعة بيروت ٢٢٢ « فى جنب توضح » وكذلك ١٦٩٠/٣

إِذَا قُلْتُ : أَنْتَ دَارَ لَيْلَى عَلَى الْبَيْلَى تَصَوَّرَ فِي أَقْصَى ضَمِيرِي مِثَالَهَا^(١)
وَكُنْتُ أَرْجَى وَصْلَهَا عِنْدَ هَجْرِهَا فَقَدْ بَانَ مِنِّي هَجْرُهَا وَوَصَالُهَا
فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ يُعَاوِدَ ذِكْرُهَا وَلَا وَصْلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خِيَالُهَا^(٢)
وهذا هو الشعر الذي لم تشن وجهه الاستعارة البعيدة ، ولا المعنى المتمحل .
وقال الحارث بن خالد المخزومي في ضد قول البحتري : « وما أعرف
الأطلال » ، وأحسن كل الإحسان ، وأبدع وأغرب . وذلك قوله :

عَفَتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا أَهْلُ أَجْرَاعُهَا وَدِمَائُهَا السَّهْلُ^(٣)
إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجَمَارِ تَوَوَّدُهَا الْعَقْلُ
لَوْ بَدَّلْتُ أَعْلَى مَنَازِلِهَا سُفْلًا وَأَضْبَحَ سُفْلُهَا يَغْلُو
لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا أَخْمَلْتُ مِنِّي الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
وَيَكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحْلُ^(٤)

وأقول الآن في الموازنة بينهما : إن أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله أبو تمام
على أكثر ما قاله البحتري في هذا الباب ، ويقولون : إن أبا تمام استقصى
الوصف في نعوت النساء ، وأحسن وأجاد .
وقد كان ذلك [لعمرى]^(٥) مع ما فيه من الإساءات والألفاظ الرديئة
التي ذكرتها .

(١) لا يوجد هذا البيت في طبعة بيروت . وفي م « كان ليلي » وهو تحريف -

(٢) في ديوانه طبعة بيروت ٢٢٣ « فلا قرب إلا »

(٣) الأغاني ٣/٣١٣ طبعة دار الكتب . والبيت الثاني والثالث والرابع في حسانة أبي تمام

١٢٨٢/٣

(٤) م « فيرده الأنواء »

(٥) الزيادة من ق

والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفضلُ عندهم من جهة استقصاء المعاني والإغراق في الوصف ؛ وإنما يكون الفضلُ عندهم في الإلمام بالمعاني ، وأخذِ العفو منها ، كما كانت الأوائِلُ تفعلُ ، مع جَوْدَةِ السَّبْكِ ، وقرب المَأْتَى .
والقول في هذا قولهم ، وإليه أذهب . إلا أنني أجعلهما في هذا الباب متكافئتين ، لكثرة إحسان أبي تمام فيه .

الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات

قال أبو تمام :

سَقَى رَبِّعَهُمْ لَا بَلَ سَقَى مُنْتَوَاهُمْ من الأرض أَخْلَافُ السَّحَابِ الحَوَاشِكُ^(١)
وَأَلْبَسَهُمْ عَضْبَ الرَّبِيعِ وَوَشِيَهُ وَيُمْنَتَهُ نَبْتُ الثَّرَى الْمُتَلَاكِ^(٢)
إِذَا غَاظَلَ الرُّوْضُ الْغَزَالََةَ نَشَّرَتْ زَرَابِيُّ فِي أَكْنَاحِهِمْ وَدِرَانِكُ^(٣)
إِذَا الْغَيْثُ غَادَى نَسْجَهُ خَلَّتْ أَنَّهُ مَضَتْ حَقْبَةُ حَرْسٍ لَهُ وَهُوَ حَائِكُ^(٤)

قوله : « حَوَاشِك » جمع حَاشِكَةٍ ، وهى : الناقة التى قد اجتمع لبنها فى خلفها شبه السحاب بها . والحَشِكُ : اسم الدَّرة^(٥) المجتمعة .

والمُتَلَاكِ : الذى قد تكاثف وتداخل بعضه فى بعض . من المَلَاكِكة فى البناء ونحوه .

وقوله : « حَقْبَةُ حَرْسٍ » فى غاية الرداء ؛ لأنَّ الحَقْبَةَ ، السَّنة : وجمعها حَقَب .

والحرس : الدَّهر : وذكرُ السَّنة مع الدهر جهلٌ بموضوعات الكلام ، وخروج عن العادات . ومتى سمع أحداً يقول : ما رأيته مذ سنة دهرًا ، وقد مضى له سنة دهر ما يكلمنا ؟

فأما جعله الغيث كأنه كان حائكًا ، فمن مَصَاحِيكِ معانيه وألفاظه .

(١) ديوانه ٢٢٤ وشرح التبريزى ٥٧/٢ وفى م « أخلاق » وهو تحريف . والمتنوى : الموضع الذى ينتون إليه ، أى ينوونه ويرحلون إليه

(٢) م « غيب الربيع وشيه وتلنته بنت النوى » وفى شرح التبريزى « بنت الندى »

(٣) الزرابى : الطنافس ، والدِرَانِك : نحو من الطنفسة والبساط

(٤) قال التبريزى : « أى إذا أصاب الغيث ندى هذه الأرض وجاده وزينه بالأنوار والزهر - حسب أن كان يحوكها ويصنعها زماناً من الدهر »

(٥) م « اسم الأرض » والتصويب من ق

وقال البحتري :

أَسْقَى دِيَارَكَ - وَالسَّقْيَا يَقِلُّ لَهَا - إِغْزَارُ كُلِّ مُلِثٍ الْوَدْقِ ثَجَاجٍ^(١)
يُلْقِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ حَلِيٍّ وَمِنْ حُلَلٍ مَا يَمْتَعُ الْعَيْنَ مِنْ حُسْنٍ وَإِنْهَاجٍ
فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ تَبِيرٍ وَمِنْ وَرَقٍ وَحَاكَ مَا حَاكَ مِنْ وَشْيٍ وَدِيبَاجٍ
فصوغ الغيث [النبت] ^(٢) وَحَوْكُهُ للنبات ليس باستعارة . بل هو حقيقة ،
ولكن لا يقال : هو صائغ ، ولا كأنه صائغ . وكذلك لا يقال : حائك .
وعلى أن لفظة حائك خاصة في غاية الركائكة إذا خرجت على ما جاء به
أبو تمام .

وقال البحتري :

فَسَقَاهُمْ وَإِنْ أَطَالَتْ نَوَاهُمْ خَلْفَةَ الدَّهْرِ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ^(٣)
كُلُّ جَوْنٍ إِذَا ارْتَقَى الْبَرْقُ فِيهِ أُوقِدَتْ لِلْعُيُونِ بِالْمَاءِ نَارُهُ
إِنْ أَقَامَ ارْتَوَى الظَّمَاءُ وَإِنْ سَا رَ أَقَامَتْ أَنْيَقَةُ آثَارُهُ
بِاتِّفَاقٍ مِنْ خُضْرَةِ الرُّوْضِ نَضِيرٍ وَأَخْتِلَافٍ يُجِدُّهُ نُورُهُ
كَسْفُورِ الْفَتَاةِ عَنْ حُسْنِ خَدِّ يَتَكَافَأُ ابْيَاضُهُ وَاحْمِرَارُهُ^(٤)

وهذا كله جيد ، حسن لفظه ومعناه .

وقوله : « يتكافأ ابيضاضه واحمراره » ما لحسنه نهاية .

وقال أيضاً يصف آثار الغيث . وليس بدعاء للدار بالسقيا^(٥) :

- (١) ديوانه ٣٨٧ ويقال : آلت المطر إلثاثاً : أى دام أياماً لا يقلع ، وألث السحابة : دامت أياماً فلم تقلع . والودق : المطر . والثجاج : المصبوب بشدة
(٢) الزيادة من ق
(٣) ديوانه ٥٣٤ ، ٩١٧/٢ .
(٤) م « يتكافأ انتضاضه » وفي الديوان « واحوراره » وفيه ٩١٨/٢ « عن مروه »
(٥) م « والسقيا » .

دِمْنٌ تَنَاهَبَ رَسْمُهَا حَتَّى عَفَا مِنْهَا تَعَاقَبُ رَائِحٌ بِقِطَارِهِ^(١)
 بَاتَتْ وَبَاتَ الْبَرْقُ يَمْرَى عُوذَهُ فِيهَا وَيُنْتِجُ مُثْقَلَاتِ عِشَارِهِ
 فَالْأَرْضُ مِنْ نَسْجِ النَّبَاتِ مُجَدَّةٌ أَثْوَابَهَا وَالرَّوْضُ مِنْ نُوَارِهِ^(٢)
 وهذا أيضاً حلو ، حسن لفظه ومعناه .

وقوله : « وَبَاتَ الْبَرْقُ يَمْرَى » : أى يَسْتَخْرِجُ ماءها . والعُوذُ : الحديثات
 النَّتَاج ، شبه السحاب بها .
 والعِشَار : التى قد أتى لحملها عشرة أشهر ، وإذا وَضَعَتْ فهي أيضاً
 عِشَار ، لا يزول عنها هذا الاسم .

* * *

وقال أبو تمام يصف آثار الغيث :
 دَوَارِسُ لَمْ يَجِفْ الرَّبِيعُ رُبُوعَهَا وَلَا مَرٌّ فِي أَغْفَالِهَا وَهُوَ غَافِلٌ^(٣)
 فَقَدْ سَحَبَتْ فِيهَا السَّحَابُ ذُبُولَهَا وَقَدْ أَخْمَلَتْ بِالنُّورِ مِنْهَا الْخَمَائِلُ^(٤)

* * *

وقال البحتري :
 يَادِمْنَةُ جَادَبَتْهَا الرِّيحُ بِهَجَّتِهَا تَسِيَتْ تَنْشُرُهَا عَنْهَا وَتَطْوِيهَا^(٥)
 لَا زِلْتَ فِي حُلَلٍ لِلْغَيْثِ ضَافِيَةٍ يُنِيرُهَا الْبَرْقُ أَحْيَاناً وَيُسْدِيهَا^(٦)
 تَرُوحُ بِالْوَابِلِ الدَّائِي رَوَائِحُهَا عَلَى رُبُوعِكَ أَوْ تَغْدُو غَوَادِيهَا
 رَوَائِحُهَا : يعنى السَّحَاب . وهذا أيضاً جيد بالغ .

(١) ديوانه ٢٤٠ ، ٨٦٦/٢ المعارف وفى م « نناهت »

(٢) فى الديوان « فالأرض فى عَمِ النبات . . . والروض فى » وفى م « والأرض من نوارة »

(٣) ديوانه ٢٥٥ وشرح التبريزى ١١٣/٣

(٤) ويروى : « السحاب ذيلها »

(٥) ديوانه ٢٧ « تنشرها طوراً »

(٦) فى الديوان « حلل للخير »

وقال أبو تمام :

لَا مَرَّ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلَّا وَفَى أَحْشَائِهِ لِمَحَلَّتِكَ غَمَامٌ^(١)
حَتَّى تَعَمَّمَ صَلْعُ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ نُورِهِ وَتَازَرَ الْأَهْضَامُ^(٢)
فَالْأَهْضَامُ : ما انخفض من الأرض . جمع هضم .

وقوله : « حَتَّى تَعَمَّمَ صَلْعُ هَامَاتِ الرُّبَا » أخذه من قول الراجز - وأنشده يعقوب بن السكيت وغيره - :

قَدْ أَصْبَحَتْ الْعُقْدَةُ صَلْعَاءَ اللَّمَمِ وَأَصْبَحَ الْأَسْوَدُ مَخْضُوبًا بِدَمٍ^(٣)
فالعقدة : موضع ذو شجر لَا يَنْتَفِي فِيْهِ ذَهَبٌ .

وَاللَّمَمُ ، وهى الْجِمَامُ^(٤) جمع لَمَّةٌ ، فجعله مثلاً للرُّعُوسِ النَّبْتِ إِذَا أَكَلَتْهُ الْإِبِلُ فَصَارَتْ لِمَمُهُ صَلْعًا .
وَالْأَسْوَدُ : الْحَيَّةُ تَطَوُّهُ الْإِبِلُ فَتَقْتُلُهُ .

وقال البحتري :

إِذَا الْغَمَامُ حَدَاهُ الْبَارِقُ السَّارِي وَأَنْهَلَ فِي دَيْمَةٍ وَطَفَاءٌ مِذْرَارٍ^(٥)
وَحَيْلَ إِشْرَاقِهِ طَوْرًا وَظَلَمَتُهُ مَا حَاكَ مِنْ نَمَطَى رَوْضٍ وَنَوَارٍ^(٦)
فَجَادَ أَرْضَكَ فِي غَرْبِ السَّمَاءِ مِنْ أَرْضٍ وَدَارَكَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ دَارٍ^(٧)

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزي ١٥١/٣

(٢) قال التبريزي : « أى لا زالت الغمام تسقيك حتى يصير النبات كالغمام على الربى الصلح

التي لا نبات بها ، وتآزر : أى يكون لها كالآزار »

(٣) سبق ص ١١١

(٤) م ، ق « الحمام »

(٥) ديوانه ١١٨

(٦) فى الديوان : « وأنوار »

(٧) فى الديوان : « من غرب »

وهذا معنى في غاية اللطافة والحسن ، وكثرة الماء .

وقال البحتري :

قَسَمَ الصَّبَابَةَ فَرَقَتَيْنِ فَشَوْفُهُ لِلظَّاعِنِينَ وَدَمْعُهُ لِلنَّزْلِ (١)
مُتَقَسِّمُ الْأَخْشَاءِ يَنْدُبُ أَرْبَعًا مُتَقَسِّمَاتٍ لِلصَّبَا وَالشَّمَالِ (٢)
حَطَّتْ عَلَى تِلْكَ الْأَجَارِعِ وَالرُّبَى مِنْهُنَّ أَعْبَاءُ السَّحَابِ الْمُثْقَلِ (٣)
وَعَدَا الرَّبِيعُ لَهَا يُنَخِّمُ رَوْضَهُ ضَرْبَيْنِ بَيْنَ مُعَمِّدٍ وَمُهَلِّلِ (٤)
مُعَمِّدٍ : مثل العماد ، ومُهَلِّلٍ : مثل الأهلة .

* * *

وقال أبو تمام :

أَسْتَقَى دِيَارَهُمْ أَجَشُّ هَزِيمٍ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيمٌ (٥)
جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عَهَادُ سَحَابَةٍ مَا عَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ ذَمِيمٌ
ولأبي تمام في الدعاء للديار بالسقيا ، أبيات كثيرة في قصيدته التي أولها :
* إِنَّ بُكَاءَ فِي الدِّيَارِ مِنْ أَرَبَةٍ (٦) *
تفاسح فيها وتبادى ، وهى كزرة قليلة الحلاوة ، لم أكتب منها شيئاً .

* * *

وقال البحتري :

وَإِذَا تَحَمَّلَ مِنْ تِهَامَةٍ بَارِقُ لَجِبُ يَسِيرُ مَعَ الْجَنُوبِ زُخُوفُهُ (٧)

(١) في الديوان ٧٨١ ، ٣ / ١٧٩٩ : « للمنزل »

(٢) في الديوان : « ينشد أربعا . . في الصبا » . وفي طبعة المعارف : « بالصبا »

(٣) في الديوان : « أعباء الغمام »

(٤) في الديوان : « وسرى الربيع »

(٥) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزي ٢٨٩ / ٣ « أسقى طلوعهم » وهما روايتان . وتقدم في الدعاء

للدار بالسقيا

(٦) ديوانه ٥١ وشرح التبريزي ٢٦٩ / ١ وعجزه : « فتشايها مغرماً على طربه »

(٧) في ديوانه ٦٥ « فإذا تحمل . . . تسير » ، وفي م « وإذا الحمل »

صَحِبُ الرِّوَّاحِ إِذَا تَصَوَّبَ مُزْنُهُ ذَعَرَ الْأَجَادِلَ فِي السَّمَاءِ حَفِيفُهُ
فَسَقَى اللُّوَى ، لَا بَلْ سَقَى عَهْدَ اللُّوَى أَيَّامَ نَرْتَبِعُ اللُّوَى وَنَصِيفُهُ^(١)
الأَجَادِلُ : الصُّقُور .

وهذا جيد ، بالغ لفظه وسبكه ومعناه .

وقال البحتري أيضاً :

إِلْمَامَةٌ بِالذَّارِ [إِنْ] مُتَيَّمًا يَكْفِيهِ أَكْثَرُ شَوْقِهِ إِلْمَامُهُ^(٢)
أَمْسَى يُضْرَمُ فِي جَوَانِحِهِ الْجَوَى بَرَقَ يَشِبُّ مَعَ الْعَثَى ضِرَامُهُ
سَقَى اللُّوَى حَوْذَانُهُ وَعَرَارُهُ وَسَيَّالُهُ وَأَرَاكُهُ وَبَشَامُهُ^(٣)
فَلَرُبَّ عَيْشٍ بِاللُّوَى لَمْ تَسْتَزِدْ حُسْنًا لَيْلِيَّةٍ وَلَا أَيَّامُهُ
وهذا لا مزيد على براعة لفظه ، وجودة سبكه ، وكثرة مائه .

وقال أيضاً :

أَدَارَهُمُ الْأَوَّلَى بِدَارِقِ جُلْجُلٍ سَقَاكَ الْحَيَا رَوْحَانُهُ وَبَوَاكِرُهُ
وَجَاءَكَ يَحْكِي يَوْسُفَ بْنَ مُحَمَّدٍ فَرَوَتْكَ رِيَاءُهُ وَجَادَكَ مَاطِرُهُ^(٤)
وهذا أحسن ما يكون من المدح . وَيُسَمَّى^(٥) الْأَسْتِطْرَاد ، وقد ذكر
أبا سعيد محمد بن يوسف في غير موضع ، على هذا المعنى ونحوه . يتسبب
[إلى مدحه]^(٦) في مدائح غيره .

(١) م « تربيع اللوى وتصيفه »

(٢) الزيادة من ق . والأبيات لم ترد في ديوانه طبع بيروت

(٣) م « جودانه وغزاره » والحوذان والعرار نبتان كما في اللسان ٢١/٥ ، ٢٣٥/٦

(٤) البيتان في ديوانه ص ٢٠٥

(٥) في م « ويبقى » والتصويب من ق

(٦) الزيادة من ق

وقال أيضاً :

أَوْدُ لَهَا سُقْيَا السَّحَابِ وَمَحَوَهَا
مَحَلَّتْنَا وَالْعَيْشُ غَضُّ نَبَاتِهِ
بِسُقْيَا السَّحَابِ حِينَ يَصْدُقُ خَالُهَا^(١)
وَأَفْنِيَّةُ الْأَيَّامِ خُضْرُ ظِلَالِهَا
وهذا معنى حسن صحيح .

وقال أيضاً :

يَا عَارِضاً مُتَلَفِعاً بِسُبُرِهِ
لَوْ شِئْتَ عُدْتَ بِلَادَ نَجْدٍ عَوْدَةً
يَخْتَالُ بَيْنَ بُرُوقِهِ وَرُغْوَدِهِ^(٢)
فَنَزَلْتَ بَيْنَ عَقِيقِهِ وَزُرُودِهِ
لِتَجُودَ فِي رُبْعٍ بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى
قَفَرٍ تَبَدَّلَ وَحْشُهُ مِنْ غِيْدِهِ

وقال أيضاً :

سَأَلْتُ الْغَوَادِي مُلْحِضاً فِي سُؤَالِهَا
مَنَازِلُ مَا أَبْقَى الْبَلَى مِنْ عِرَاصِهَا
وَنَاشِدُهَا فِي سَقَى بُرْقَةٍ تَهْمِدُ
مَعَاهِدُ مِنْ خَوْدٍ تَنَاصَرَ حُسْنُهَا
سِوَى أَرْسَمٍ مَغْفُورَةِ الْآيِ هُمْدِ^(٣)
تَنَاصَرَ ضَوْءُ الْكُوكَبِ الْمُتَوَقِّدِ^(٤)
تَشْنَى عَلَى لَحْظِ الْعُيُونِ إِذَا مَشَتْ
تَشْنَى غُضْنِ الْبَانَةِ الْمُتَاوِّدِ^(٥)
وهذا كله جيد لفظاً ومعنى .

وقال أيضاً :

أَنَايِدُ الْغَيْثِ كَيْ تَهْمِي غَوَادِيهِ
عَلَى مَحَلٍّ أَرَى الْأَيَّامَ تَضْحَكُ عَنْ
عَلَى الْعَقِيقِ وَإِنْ أَثَوْتُ مَغَانِيهِ^(٦)
أَيَّامِهِ وَاللَّيَالِي عَنْ لَيَالِيهِ

(١) ديوانه ٢٢٢ / ٣ ، ١٦٩٠

(٢) ديوانه ٦٥٨ وفي م « بار عارضا »

(٣) م « من عراضها »

(٤) م « الكواكب »

(٥) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه طبع بيروت

(٦) ديوانه ١٧٤ وفي م « غواريه » وفي الديوان : « وإن أقوت »

عهد من اللّهُو لم تُذَمَّمْ عَوَائِدُهُ يَوْمًا فَيُنْسَى ولم تَقْدُم بَوَادِيهِ^(١)
وقال أيضاً :

خَلَفْتُكُمْ الْأَنْوَاءَ فِي أَوْطَانِكُمْ فَسَقَتْ صَوَادِي أَرْبُعَ وَطُلُولٍ^(٢)
وَإِذَا السَّحَابُ تَرَجَّجَتْ هَضْبَاتُهُ فَعَلَى مَحَلٍّ بِالْعَقِيقِ مَجِيلٍ
حَتَّى تَبْلُ مَنْزِلًا لَوْ أَنَّهَا كَثَبُ لَرُخْتُ عَلَى جَوَى مَبْلُولٍ^(٣)

* * *

وقال أبو تمام :

أَيُّهَا الْبَرَقُ بَيْتَ بَأَعْلَى الْبَرَاقِ وَأَغْدُ فِيهَا بِوَابِلٍ غَيْدَاقٍ^(٤)
دِمْنٌ طَالَمَا التَّقَّتْ أَذْمُعُ الْعَيِّ ثَ عَلَيْهَا وَأَدْمُعُ الْعِشَاقِ^(٥)
وقال أبو تمام أيضاً - وهذا من أحسن معاني هذا الباب ، وهو [من]
إحسانه المشهور :

يَا مَنْزِلًا أَعْطَى الْحَوَادِثَ حُكْمَهَا لَا مَطْلَ فِي عِدَّةٍ وَلَا تَسْوِيفًا^(٦)
أَرَسَى بِنَادِيكَ النَّدَى وَتَنَفَّسَتْ نَفْسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفًا^(٧)
شَغِفَ الْغَمَامُ بِسَاحَتَيْكَ فَرُبَّمَا رَوَتْ رُبَاكَ الْهَائِمَ الْمَشْغُوفَا
وقوله : « وَتَنَفَّسَتْ نَفْسًا بِعَقْوَتِكَ الرِّيحُ ضَعِيفًا » مما استحسنه
الناس ، وقد ذكرته في باب مَخَوِ الرِّيحِ للديار ، ومن أين أخذ المعنى^(٨) .
وقوله : « شَغِفَ الْغَمَامُ بِسَاحَتَيْكَ » يدعو له بالسُّقْيَا على سبيل الجزاء ،
بما رَوَّته رِياد من أَحْبَابِهِ فِيهِ .

(١) في م : « اللوى » ! ! وفي الديوان « ولم تفقد بواديه »

(٢) ديوانه ١٧٨ ، ٣ / ١٨٣٩

(٣) في الديوان « منازل » وم « مناوولا »

(٤) ديوانه ٢٢٠ وشرح التبريزي ٤٤٧/٢ والغيداق : الكثير الماء والجري

(٥) في الديوان « أدمع المزن »

(٦) ديوانه ٢٠٦ وشرح التبريزي ٣٧٦/٢

(٧) ويرى « نفسا بعصتك »

(٨) راجع ص ١٠٧ ، و ١٦٢ و ٣٣٩ وانظر ص ١٨

ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها

قال أبو تمام يخاطب الربيع :

قد كُنْتَ مَعَهُودًا بِأَحْسَنِ سَاكِنٍ ثَاوٍ فَأَحْسَنِ دِمْنَةٍ وَرُسُومٍ^(١)
 أَيَّامَ اللَّيَّامِ فِيكَ غَضَارَةٌ والدهرُ فِيَّ وَفِيكَ غَيْرُ مَلِيمٍ
 وَظَبَاءُ أَنْسِكَ لَمْ تَبْدَلْ مِنْهُمْ بظباءٍ وَخَشِكَ ظَاعِنًا بِمُقِيمٍ
 مِنْ كُلِّ رِيمٍ لَوْ تَبَدَّلَ قَطَعْتَ الْحَاظُ مُقْلَتِهِ فُؤَادَ الرِّيمِ

قوله : « ثَاوٍ بِأَحْسَنِ دِمْنَةٍ وَرُسُومٍ » غلط . ؛ لأن رُسُومَ الدار لا تسمى رُسُومًا إِذَا كَانَ أَهْلُهَا ثَاوِينَ فِيهَا ، بَلْ إِنَّمَا تُسَمَّى رُسُومًا : إِذَا فَارَقَهَا سَاكِنُوهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا ؛ لِأَنَّ الرِّيمَ هُوَ الْأَثَرُ الْبَاقِي بَعْدَهُمْ .

والصحيح المستقيم قول البحتري :

يَا مَغَانِي الْأَحْبَابِ صِرْتُ رُسُومًا وَغَدَا الدَّهْرُ فِيكَ عِنْدِي مَلُومًا^(٢)

وليس أبو تمام ممن يذهب هذا عليه ، ولكنه يسامح نفسه في ألفاظه ، فيقع الغلط عليه عِنْدَ كَلَالِ خَاطِرِهِ . أَلَا تَرَاهُ قَالَ :

قَالُوا : أَتَبْكِي عَلَى رَسْمٍ ؟ فَقُلْتُ لَهُمْ : مِنْ فَاتِهِ الْعَيْنُ هَدَى شَوْقَهُ الْأَثَرُ^(٣)

فجاء بالرسم في موضعه . وقد ذكرت هذا فيما تقدم^(٤) .

وقوله : « مِنْ كُلِّ رِيمٍ لَوْ تَبَدَّلَ » لفظٌ غير لائق بالمعنى ، ولا ملثم معه ؛ لِأَنَّهُ يُرِيدُ بِالرِّيمِ : الْمَرَادَ ؛ وَتَبَدَّلُهَا لَا يَقْطَعُ فُؤَادَ الرِّيمِ . فَإِنْ كَانَ

(١) ديوانه ٣٠٥ وشرح التبريزي ٢٦١/٣ وفي الديوان « ساكن منا وأحسن »

(٢) ديوانه ٢٧٣

(٣) ديوانه ١٤٩ وشرح التبريزي ١٨٦/٢

(٤) وسيأتي ص ٥٤٩

أراد بالتبذلّ ظهورها للرّيم ، فإنّ ظهورها للرّيم ليس بتبذلّ ، ولا هي محجوبة ولا مضمونة عن الرّيم . وإنما كان المعنى يصح ويُنْتَظَم لو قال : « من كل ريم لوعرف الرّيم كنهه جماله ، ثم رآه أو واجهه » . فأمّا التبذلّ فقد يقع منها وربما لا يراها^(١) .

ويروى : « من كلّ ريم لو تبدّى » أي لو ظهر ، وليس بشيء ؛ لأنها ليست محجوبة عن الرّيم .

وقال :

أَاطْلَلْ هِنْدٍ سَاءَ مَا عَتَضْتَ مِنْ هِنْدٍ أَقَابَضْتَ حُورَ الْعَيْنِ بِالْعُونِ وَالرُّبْدِ^(٢)
إِذَا شِئْنَ بِالْأَلْوَانِ كُنَّ عِصَابَةً مِنَ الْهِنْدِ وَالْآذَانِ كُنَّ مِنَ الصُّغْدِ^(٣)
أَعْجَنَّا عَلَيْكَ الْغَيْسَ بَعْدَ مَعَاجِهَا عَلَى الْبَيْضِ أَتْرَاباً عَلَى النَّوَى وَالْوَدِّ^(٤)
فَلَا دَمْعَ أَوْ يَغْفُو عَلَى إِثْرِهِ دَمٌ وَلَا وَجَدَ مَالَمَ تَعَى عَنْ صِفَةِ الْوَجْدِ^(٥)
قوله : « حُورُ الْعَيْنِ » يريد النساء .

وقوله : « بِالْعَيْنِ » يريد بقر الوحش ، وقيل لها عَيْن : لِعِظَمِ أَعْيُنِهَا .
وَالرُّبْدُ : النَّعَام ، جعلها رُبْدًا فِي أَلْوَانِهَا .

وقوله : « كُنَّ عِصَابَةً مِنَ الْهِنْدِ » لَأَنَّ الْهِنْدَ سُمِّرُ إِلَى الصُّفْرَةِ الْكَدِرَةِ
وَتِلْكَ هِيَ الرُّبْدَةُ .

(١) م « منها ربما ولا يراها »

(٢) ديوانه ١١٤ وشرح التبريزي ٥٩ / ٢ وفي هامش م « في نسخة عبد السلام البصري : بالعين والرّيد . والمعروف بالعين . وهو جمع عانة » وفي شرح التبريزي : « العين : جمع عيناء وهي الحسة العينين الواسعتهما . والعون يحتمل أن تكون جمع عانة ، وهي جماعة من حمير الوحش . كما يقال : ساحة وسوح » . وانظر سؤال الديار

(٣) م « من السعد »

(٤) ويروى « لعجنا » والود : لغة من الودد

(٥) ويروى « ما لم يحرق في إثره دم »

والصغد : إذ أنهم صغار جداً ، وربما وُجد فيهم من لا يكون له أذن ظاهرة ، لصغرهما ولُصُوقِها برأسه . قال ذلك : لأن النعام لا آذان لها ، فقال : إذا شئن ، من أجل ألوانهن ، كن من الهند ، أو من أجل أنهن لا آذان لهن ، من الصغد .

وقوله : «أو يَغْفُو على إثره دم» أى يكثر ، يقال : عفا شعره : إذا كثر . وهو من الأضداد^(١) ، وهذه طريقة لا حلاوة لها .
والبيت الأول والأخير جيّدان .

وقوله «أَعْجَنَّا عَلَيْكَ الْعَيْسَ» بيت مضطرب النظم^(٢) ، ردىء اللفظ ؛ لأنه يخاطب الأطلال ، فكأنه أراد أن يقول : أَعْجَنَّا الْعَيْسَ مِنْكَ عَلَى النَّوَى وَالْوَدِّ ، بعد معاجِها على البَيْضِ أَتْرَاباً . فجعل «عليك» فى موضع «منك» .

وقال أيضاً :

تَبَدَّلَ غَاشِيهِ بِرِيمٍ مُسْلَمٍ تَرَدَّى رِدَاءُ الْحُسْنِ طَيْفًا مُسْلَمًا^(٣)
وَمِنْ وَشَى خَدًّا لَمْ يُنْمَنْمَ فِرْنَدُهُ مَعَالِمُ يُذَكِّرُنَ الْكِتَابَ الْمُنْمَنَمًا^(٤)
وَبِالْحُلَى إِنْ قَامَتْ تَرَنَّمْ فَوْقَهَا حَمَامًا إِذَا لَاقَى حَمَامًا تَرَنَّمًا
وَبِالْخَذَلَةِ السَّاقِ الْمُخَدَّمَةِ الشَّوَى قَلَائِصُ يَتَلَوْنَ الْعَبْنَى الْمُخَدَّمَا^(٥)
قوله : «تَبَدَّلَ غَاشِيهِ بِرِيمٍ مُسْلَمٍ» يعنى المرأة .

«طَيْفًا مُسْلَمًا» يعنى خيالها ، ولم يرد أن من يغشى هذا المنزل ينام فيه حتى يرى الطيف فى منامه ، وإنما أراد : أن يتصور له خيال من كان يهواه فيه فسماه طيفاً . وهذا غير مُنْكَر .

(١) راجع الأضداد لابن الأنبارى ٧١

(٢) م « النظر »

(٣) ديوانه ٢٩٤ وشرح التبريزى ٢٣٢/٣

(٤) م « من رضى »

(٥) فى الديوان : « يتغن » وهما روايتان

وقوله : « وَمِنْ وَشَى خَدَّ لَمْ يُنَمِّنْ فِرْنَدُهُ » ففِرْنَدُهُ : ماؤه وروْنقه .
 لم يُنَمِّنْ : لم يُنْقَشْ كما تُنْقَشُ الخُدُودُ إذا زُيِّنَتْ ، لاستغنائها عن
 ذلك بحسنه . وجعله وَشِيًّا ، والوَشَى : ما كان ألواناً مختلفة كألوان الزهر في
 الرياض . فجعل بياض الخد وتلوّنه بالأحمر وَشِيًّا . أى يدل غاشى الربع
 من ذلك معالم يذكرن الكتاب المُنَمِّن ، أو المكتُوب ، وبالحلى إن قامت
 ترنم فوقها حماماً يترنم .

وقوله : « وبِالْخَدْلَةِ السَّاقِ » أى الممتلئة ، يعنى المرأة .
 والمُخَدَّمَةُ الشَّوَى : التى فى رجلها خَدَمَةٌ ، وهى الخَلْخَال .
 والشَّوَى : الأطراف .

والقَلَائِصُ من الإبل : جمع قَلُوص ، وهى الفَتِيَّةُ السِّن .
 من يقف على الربع يتلون العَبْنَى ، وهو الفَحْلُ الغليظ .

والمُخَدَّم : الذى فى رجله خَدَمَةٌ ، وهى سير غليظ مُحْكَم ، يُشَدُّ مِثْلُ
 الحلقة فى رُسْغِ البعير ، ثم يشد إليه شرائح نَعْلِهِ ، وَسَمَّوْا الخَلْخَالَ خَطَمَةً .

ثم قال بعد هذا :

سَوَارٍ إِذَا قَابَلْنَ مُتَمَنِّعَ الْفَلَا جَعَلْنَ الشَّعَارَيْنِ : الْجَدِيلَ وَشَدَقَمًا^(١)

وهما فحلان . يقول : إِذَا قَابَلْتَ هَذِهِ الْإِبِلَ سِيرَ الْفَلَاةِ رَجَعْتَ إِلَى أَنَهَا مِنْ
 نَتَاجِ هَذَيْنِ الْفَحْلَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ ، فَتَقْوَى عَلَى قَطْعِ الْفَلَا . فجعل ذلك شعاراً لهما .

(١) فى شرح التبريزى : « إِذَا قَاتَلْنَ » وقال فى شرحه : « قد جرت العادة من يقاتل أن يكون
 له شعار يميز به من العدو ، وهو شيء يدعو به فى الحرب ، مثل أن يقول : يال كلاب ، أو يال غير ، أو
 غير ذلك من الكلام الذى يصطلح عليه . . . فكان هذه الرِوَاهِلُ قد جعلت شعارها فى قطع الفلاة ، أنها
 تنسب إلى "جديل وشدقم" كما يذكر المحارب جده الأكبر وقبيلته »

وقال : سوار - رفع - وهو وصف القلائص^(١) والعَبْنَى ، وهى منصوبة .
وهذا تحمّل إذا اعتمد بالكلام الاستثناءات .

والمعنى أيضاً ليس بالجيد ؛ لأنه جعل الإبل التى ذكر أنها مجتازة بهذا
المنزل وغير مقيمة لقوله : سوار - أسوة معاله التى قد درّست ، وحمايمه التى
تألفه وتقطنه . ولو كان هذا المنزل عامراً بأهله ، لَمَا خَلَوْا من إبلٍ مَقْطُورَةٍ
تَجْتَازُ بهم ، لِقَوْمٍ مُسَالِمِينَ من العشائر أو مخالفيين أو متاجرين ، أو إبلٍ
لهم أنفسهم يَقْطُرُونَهَا لبعض مسيرهم ومآربهم .

ولعل منزلهم كان يألف من هذا الجنس من الإبل وهو عامر ، أكثر مما
يجتاز به وهو خراب .

* * *

وقال البحتري :

ويزيده شجواً تقارُضٌ وحشها وضلّين وصلّ أحبةً وحائب^(٢)
ترعى السهولة والحزون يقينها حدين حدّ أظافرٍ ومخالب^(٣)
لم يمش واثن بينهنّ ولا دعا بينا لهنّ صدّى الغراب الناعب
ما كان أحسن هذه من وقفة لو كان ذاك السربُ سرب كواعب

وقوله : « وضلّين » يريد وصل الذكور للإناث ، ووصل الإناث للذكور .
والأحبة : الذكور .

والحائب : الإناث ؛ جمع حبيبة .

وقوله : « ترعى السهولة والحزون يقينها » يريد بالحزون : المواضع التى

(١) م « القلائص »

(٢) ديوانه ٦٩٦ « وحشا . . . وصلين بين أحبة »

(٣) فى الديوان « حدين حد » ١٥٩/١ المعارف

يُعْتَصِمُ بِهَا ، وَيُسْتَتِرُ فِيهَا مِنْ جَوَارِحِ الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ .

وقوله : « صَدَى الْغُرَابِ » يعنى صوته . والصَّدَى : هو ما يسمع بعد الصوت من جبال أو نحوه ، وهو حكاية الصوت سواء . فجعل صوت الغراب صدًى ، ولعل له أصلاً .

وقال البحتري :

أَأَنْتِ دِيَارُ الْحَيِّ أَيْتُهَا الرَّبِّى الـ الْأَنْيَقَةُ أَمْ دَارُ الْمَهَى وَالنَّعَائِمِ (١)
وَسِرْبُ ظِبَاءِ الْوَحْشِ هَذَا الَّذِى أَرَى أَمَّا مَلِكُ؟ أَمْ سِرْبُ الظُّبَاءِ النَّوَاعِمِ
وَأَدْمَعِى اللَّاتِى عَفَاكَ أَنْسِجَامُهَا وَأُبْلَاكِ؟ أَمْ صَوْبُ الْغَيْوِثِ السَّوَاجِمِ (٢)
وَأَيَّامُنَا فِيكَ اللَّوَاتِى تَصَرَّمَتْ مَعَ الْوَصْلِ؟ أَمْ أَضْغَاثُ أَحْلَامِ حَالِمِ (٣)
وهذا كأنه فى مذهب أبى تمام فى استقصاء المعانى ؛ وليس هو بوصف جيد .
وقوله أيضاً : إن الدموع السَّجَامُ هى التى عَفَتْ الدِّيَارَ وأبْلَتْهَا أم الغيوث ؛
إسراف وبالغة غير حسنة ولا جميلة .

* * *

وأجود من هذا ومن جميع ما قاله الطائيان فى هذا الباب ، وأبرع لفظاً
وألطف معنى - ما أنشده إبراهيم الموصلى :
وَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ تَوَهُمٌ ضَيْفٍ مِنْ سَعَادَ وَمَرْبَعِ (٤)

(١) ديوانه ٤٤٧ ، ٣ / ١٩٦٩ - ١٩٧٠ وفى م « أليت ديار »

(٢) فى الديوان « وأدمنى اللاتى » وفى م « عفا لى »

(٣) فى م « أمن أضغاث » وفى الديوان « أحلام نائم »

(٤) الأبيات لابن الدمينه ، كما فى ديوانه ٢٥ وحماة أبى تمام بشرح التبريزى ٢٠٢/٣
وغير منسوبة فى شرح المرزوق ١٢٢٣/٣ والبيت الأخير ليس فيها . والبيت الأول والثانى فى
زهر الآداب ٢٤٠/٢ ليحيى بن منصور الدهلى ، وكذلك نسبها فى جمع الجواهر ١٧٩ ، ورواية
« يستفيع أما » وفى م « وما نسعين » .

أَخَادِعُ عَنْ عِرْفَانِهَا الْعَيْنَ إِنَّهُ متى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعُ^(١)
عَهْدْتُ بِهَا وَحْشًا عَلَيْهَا بَرَّاقِعٌ وَهَذِي وَحُوشٌ أَضْبَحَتْ لَمْ تَبَرِّقْ
تَشَابُهُ فِي أَجْيَادِهَا وَعُيُونِهَا ولم يتفق أَشْبَاهُ سُوقٍ وَأَذْرُعِ

وأخذ بشار - فيما أظن - قولَ هذا الشاعر :

* متى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعُ *

فقال :

متى تَعْرِفِ الدَّارَ الَّتِي بَانَ أَهْلُهَا بِسُعْدَى فَإِنَّ الدَّمْعَ مِنْكَ قَرِيبُ^(٢)
فأساءَ إِسَاءَةً بَيْنَةً ، لِأَنَّهُ جَعَلَ الدَّمْعَ قَرِيبًا وَلَمْ يَجْعَلْهُ جَارِيًا . وقد كان
يمكنه أَنْ يَقُولَ : فدمع المقلتين سكوب ، أو جرى المقلتين غروب ، أو نحو
هذا . ولكنه وصله ببيت في غاية الحسن ، فقال :

تَذَكَّرُ مَنْ أَحْبَبْتَ إِذْ أَنْتَ يَافِعٌ غَلَامٌ ، فَمَعْنَاهُ إِلَيْكَ حَبِيبُ^(٣)
ومن ههنا أخذ ابنُ الرُّومِي قولَه :

وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَا رَبُّ قَضَّاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَ^(٤)

(١) في الحساسة « عن أطلالها »

(٢) ديوان بشارو ١٨٤/١ وفي زهر الآداب ٦٨٤/٢ « فإن العهد »

(٣) في زهر الآداب : « تذكرك الأهواء إذ أنت يافع لديها »

(٤) راجع زهر الآداب. ٦٨٤/٢

ماقالاه في الوقوف على الديار وفي تعنيف الأصحاب إياهما على ذلك

قال أبو تمام :

فَاعْقِلْ بِنِضْوِ الدَّارِ نِضْوَكَ يَفْتَسِمُ فَرَطَ الصَّبَابَةِ مُسْعِدٌ وَحَزِينٌ^(١)
لَا تَمْنَعُنِي وَقْفَةٌ أَشْفَى بِهَا دَاءُ الْفِرَاقِ فَإِنَّهَا مَا عُونُ
وَاسِقِ الْأَثَا فِي مَنْ دُمُوعِكَ رِيَّهَا إِنَّ الضَّنِينَ بِدَمْعِهِ لَضَنِينُ
استعار للدار اسم « النِّضْو » لدُروسها ، من أجل قوله : « نِضْوُكَ » ،
يريد بعيره ، وذلك رسمه ومذهبُه في الاستعارة .

وقوله : « يَفْتَسِمُ » فَرَطَ الصَّبَابَةِ مُسْعِدٌ وَحَزِينٌ « فإن المُسْعِدَ ليس عنده
من الصبابة ما عند الحزين ؛ لأن الصبابة رقة الشوق . فما في المسعد من
الاشتياق ؟ وكيف فرط الاشتياق ؟

والقريب من الصواب قولُ البحترى :

هَلْ مُغْرَمٌ يُعْطَى الْهَوَى حَقَّ النَّجْوَى مِنْكُمْ فَيَنْفَدَ دَمْعُهُ ، أَوْ مُسْعِدٌ^(٢)
أَي هَلْ مَغْرَمٌ مِنْكُمْ يَبْكِي لَغْرَامِهِ كَمَا أَبْكِي- أَوْ مُسْعِدٌ ؟ لَأَنَّ الْمُسْعِدَ قَدْ
يَبْكِي لِبُكَاءِ صَاحِبِهِ وَإِنْ لَمْ تَكْ هُنَاكَ صَبَابَةٌ ، أَوْ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْمُسْعِدِ مَنْ
يَقِفُ مَعَهُ يَتَأَلَّمُ لَهُ وَلَا يَعْنِفُهُ .

وقول أبي تمام يتجاوز في مثله : لَأَنَّ الْهَانِمَ الصَّبَّ إِذَا وَجَدَ مِنْ يَرْقُ لَهُ
وَيَرْحَمُهُ وَيُظْهِرُ الْاِغْتِمَامَ بِأَمْرِهِ ، يَخِيلُ إِلَيْهِ أَنْ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَحْزَنَ كَحَزْنِهِ ،
وَيَبْكِي كَبُكَائِهِ وَقَدْ قَالَ الْبَحْتَرِيُّ فِي مِثْلِ هَذَا :

(١) ديوانه ٣٢٨ وشرح التبريزي ٣/٣٢٣

(٢) ديوانه ٦٨٩ وفي م ، ق « الجوى حق الجوى »

هَلَّا بَكَيْتِ وَقَدْ رَأَيْتِ بُكَاءَهُ وَدَنِفْتَ حِينَ سَمِعْتَ شَكْوَى الْمُذْنَفِ
فَلَا جَرِينَ الدَّمْعِ إِذْ لَمْ تُجْرِهِ وَلَا عَرَفْنَ الْوَجْدَ إِذْ لَمْ تَعْرِفِ
وَأَنَا الْمُعْنَفُ فِي الصَّبَابَةِ وَالصَّبَى وَعَلَيْهِمَا إِنْ كُنْتَ غَيْرَ مُعْنَفٍ^(١)

فأراد من صاحبه أن يدنف كدنفه ، كما أراد أبو تمام من صاحبه أن
يقاسمه قرط الصبابة .

وقد قال كثير :

خَلِيلِي هَذَا رَسْمُ عَزَّةَ فَاغْقِلَا قُلُوبَيْنَا ثُمَّ أَبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ^(٢)
فأراد هذا أيضاً من خليله أن يبكي على رسم عزة .

وقال أبو تمام - فجرى على المنهج المستقيم في مخاطبة الأصحاب - :

مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَاسٍ نَقَضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأَذْرَاسِ^(٣)
فَلَعَلَّ عَيْنَكَ أَنْ تَجُودَ بِمَائِهَا وَالِدَّمْعُ مِنْهُ خَاذِلٌ وَمَوَاسِي^(٤)
لَا يُسَعِدُ الْمَشْتَاقَ وَسَنَانُ الْهَوَى يَبْسُ الْمَدَامِعَ بَارِدُ الْأَنْفَاسِ^(٥)

فقال : « سنان الهوى »^(٦) أى نائم الهوى ، أى من لا هوى له ،
فهو يبس المدامع بارد^(٧) الأنفاس ، فلا يكون منه إسعاد .

ومن كان في قلبه هوى فأنفاسه حارة لحرارة قلبه . فتأتاك ههنا بعين
الصواب ، وحقيقة أمر الصاحب . فأحسن وأجاد .

(١) ديوانه ٦٧٦ : « إذ كنت » والصناعتين ٤١٢

(٢) ديوانه ٣٦/١

(٣) ديوانه ١٧٢ وشرح التبريزي ٢٤٢/٢ . وانظر من ٢١٠ و ٤٣٠ و ٤٣٥

(٤) م « فعمل عندي » وفي الديوان « أن تعين »

(٥) م « رشقان الهوى »

(٦) م « أى »

(٧) م « بارك »

ومثله قول البحتري :

يَأْبَى الْخَلَى بُكَاءَ الْمَنْزِلِ الْخَالِي وَالنُّوحَ فِي دِمَنِ أَقَوْتِ وَأَطْلَلِ^(١)
وَذُو الصَّبَابَةِ مَا يَنْفَكُ يَنْصِبُهُ وَجَدَ تَأَبَّدُ آيِ الدُّمْنَةِ الْخَالِي^(٢)
قوله : « تَأَبَّدُ » أى صار فيها أوابدُ الوحش . ويقال : تَأَبَّدَ المنزلُ :
إذا طال عليه الأبد .

ونحو هذا قول أبي تمام أيضاً :

أَقُولُ لِقُرْحَانَ مِنَ الْبَيْنِ لَمْ يُضِفْ رَسِيسَ الْهَوَى بَيْنَ الْحَشَاوَالْتَرَائِبِ^(٣)
أَعْنَى أَفْرَقَ شَمْلَ دَمْعِي فَإِنِّي أَرَى الشَّمْلَ مِنْهُمْ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ
وَمَا صَارَ يَوْمَ الدَّارِ عَذْلُكَ كُلُّهُ عَدُوًى حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي^(٤)
وَمَا بِكَ إِرْكَابِي مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَبًا أَلَا إِنَّمَا حَاوَلْتَ رُشْدَ الرُّكَائِبِ
فَكِلْنِي إِلَى شَوْقِي وَسِرِّ يَسْرِ الْهَوَى إِلَى حُرْقَاتِي بِالْذُمُوعِ السَّوَارِبِ
قوله : « أَقُولُ لِقُرْحَانَ مِنَ الْبَيْنِ » أى التمسست المعونة والمساعدة فى
الوقوف على الدار معى مِمَّنْ لَمْ يَذُقْ مُفَارَقَةَ الْأَحْبَابِ وَلَمْ يَعْرِفِ الْهَوَى ؛
كَأَنَّهُ يَنْكَرُ ذَاكَ عَلَى نَفْسِهِ .

وَالْقُرْحَانُ : هُوَ الَّذِى لَمْ يَخْرُجْ بِهِ الْجُدْرَى . وَلَيْسَ بِهِ آثَارُهُ وَلَا آثَارُ
غَيْرِهِ مِنَ الْقَدَمِ . وَقِيلَ لَهُ قُرْحَانٌ ، عَلَى الْعَكْسِ ، كَمَا قِيلَ لِلْأَسْوَدِ :
أَبُو الْبَيْضَاءِ ، وَالْمَهْلَكَةُ : مَفَازَةٌ ، وَنَحْوُ هَذَا . فَجَعَلَ أَبُو تَمَامٍ مَنْ لَمْ يَعِشْ وَلَمْ
يَفَارِقِ الْأَحْبَابَ قُرْحَانًا ، عَلَى التَّشْبِيهِ . كَمَا قَالَ جَرِيرٌ :

(١) لم يرد البيتان فى ديوانه طبع بيروت . وهما فى طبعة المعارف ١٧٢٠/٢ وفيها « فى
أرسم أقوت »

(٢) فى م « وجد »

(٣) ديوانه ٤٠ وشرح التبريزى ٢٠٦/١

(٤) م « جهلك ما حبى »

* لَوْ كُنْتُ مِنْ زَفَرَاتِ الْحَبِّ قُرْحَانًا^(١) *

ثم قال :

وَمَا صَارَ يَوْمَ الدَّارِ عَذْلُكَ كُلُّهُ عَدُوِّي حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِي

فأراد أنه قد عَذَلَهُ على الوقوف والبكاء وأنه كره عَذْلَهُ وشق عليه ، فصار عَذْلُهُ عَدُوًّا لَهُ . وإنما أراد عداوته في نفسه . ثم قال : « حتى صار جهْلُكَ صَاحِي » ، أى إنما استفرغت عَذْلُكَ وأَنْهَيْتَ فيه حتى انطلقتُ معك فصار جهْلُكَ صَاحِي ، وإنما أراد حتى أَصْطَحَبْتُكَ على جهْلِكَ بحالى وأَنْكَ غير مُجَانِسِي ولا على سَجِيَّتِي وطباعِي في الهوى وتجربته .

ثم قال : « وَمَا بِكَ لِرُكَابِي مِنَ الرُّشْدِ مَرْكَبًا » أى لم تقصد بعذلك إِيَاى قَصْدًا من يريد رُشْدِي وَصَرَفِي عن الهوى وتسليتي ؛ وإنما حاولت رُشْدَ الركائب ، يعنى الإبل ، وهى جمع رُكُوبَةٍ ، لثلاث يطول وقوفها فى الدار وتردُّدها واحتباسها ، فيتضاعف كلالُها ويشقُّ ذلك عليها .

ثم قال : « فَكَلَّنِي إِلَى شَوْقِي وَسِرِّي يَسِرُ الْهَوَى إِلَى حُرْقَاتِي » .

فإِذَا أَنْ يَكُونَ قَالَ لَهُ هَذَا قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ مَعَهُ أَيْ سِرُّ أَنْتَ وَدَعْنِي ؛ أَوْ يَكُونَ قَالَ هَذَا وَهُوَ سَائِرٌ مَعَهُ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقِفُ عَلَيْهِ ، وَأَنَّهُ مَاضٍ وَتَارِكُهُ ، كَمَا يَقُولُ الْمُكْرَهُ : وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ التَّوَجُّهَ ، وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ .

وهذا من معانى أبى تمام التى يسأل الناس عنها ، وليس له إِنْ شَاءَ اللَّهُ وجه غير ما ذكرته .

وهذه العَوِيصَاتُ فى الشعر هى شَرُّ مَذَاهِبِهِ ، وَأَرْدَاها وَأَقْلَهَا حِلَاوَةٍ .

ومن ردىء ما جاء به فى هذا الباب ، قوله :

(١) ديوانه ٥٩٤ وصدرة : « وكاد يوم لوا حواء يقتلنى »

ما عهدنا كذا نَحِيبَ المَشُوقِ كَيْفَ والدَّمْعُ آيَةُ المَعشُوقِ^(١)
 كأنه يقول لنفسه : ما عهدنا كذا نَحِيبَ المَشُوقِ ؛ أو أن يكون حكى
 قول أصحابه . وأراد أن يقول : بكيتُ فانتحبتُ ، فقالوا : ما عهدنا كذا
 نَحِيبَ المَشُوقِ . وأراد أن يقول : فقلت لهم : كيف والدمع ، فاقصر
 على حكاية كلامهم وجوابه ، وأسقط قالوا ، وفقلت . وكان الأجود أن يقول :
 آية العاشق ، لأن من علامات الحب البكاء . وقال : آية المعشوق ، أى أن
 دمعى علامة لمن أحبه فى أنى عاشقه . وهذا لا يكون جواباً صحيحاً عما أنكروه
 عليه من شدة نحيبه . لأنه لم يبك ليعلمها أنه عاشق . وإنما بكى من شدة
 وجده . وإنما كان يصح أن يكون جواباً عنه أن لو كان صدر البيت :
 * حَسِبْتَنِي فى الحبِّ غيرَ صدُوقِ *

فيقول :

* كَيْفَ والدَّمْعُ آيَةُ المَعشُوقِ *

أى كيف لا أكون صدوقاً فى حبي ودمعى آية لك يشهد بأنى محب .
 فهذا كان وجه هذا .
 وعلى أن آية العاشق ههنا أيضاً أجود .
 والدليل على أن قوله :

* مَا عَهِدْنَا كَذَا نَحِيبَ المَشُوقِ^(٢) *

إنما هو جكاية كلام من عنفه على النحيب - أنه وصله بأن قال :
 فَأَقِلَّا التَّعْنِيفَ إِنَّ غَرَاماً أَنْ يَكُونَ الرِّفِيقُ غَيْرَ رَفِيقٍ

(١) ديوانه ٢١٥ وشرح التبريزى ٤٣٠/٢ ويروى : « كذا بكاء المشوق » وقد نقل التبريزى
 عن أبى العلاء المعرى أنه قال فى شرحه : « أنكر على نفسه النحيب ، ثم قال : كيف ، وكأنه يريد
 للقاء أى فكيف لا أنتحب والمعشوق قد بكى ؟ ! » وهذا خطأ منه عجيب
 (٢) م « المعشوق »

وَأَسْتَمِيعًا الْجُفُونَ دِرَّةَ دَمْعٍ فِي دَمْعِ الْفِرَاقِ غَيْرَ لَصِيقِ
 إِنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُو نْ وَمَنْ عَقَّ مَنْزِلًا بِالْعَقِيقِ
 وَقَفَا الْعَيْسَ مُلْقِيَاتِ الْمَثَانِي فِي مَحَلِّ الْأَنْبِقِ مَعْنَى الْأَنْبِقِ^(١)
 قوله : « أَنْ يَكُونَ الرَّفِيقُ غَيْرَ رَفِيقٍ » أى أن يكون جافياً عسوفاً غير رفيق
 بمن يصاحبه .

وقوله : « فِي دَمْعِ الْفِرَاقِ غَيْرَ لَصِيقٍ » أى ابكيا بدمع لا يشبه دمع مَنْ
 فارق أحبابه ، أى ابكيا وإن لم يكن وراء البكاء حرقة ، ولا لاعيح هوى ، أى
 على وجه الإسعاد . فأورده بهذا اللفظ . الردى .

وقوله : « إِنَّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُونٌ » البيت - من أحق المعاني وأسخطها
 وأقبحها . وقد زاد في الحمق بهذا المعنى على معنى البيت الذى قبله ، وطمَّ عليه
 وعلى كل جهالاته في معانيه ؛ لأنه لم يقنع بأن يبعث صاحبيه على الوقوف
 معه والوقوف على المنزل ، والبكاء حتى جعل كل من يقف ويعرج كائناً من
 كان من الناس : من خاص وعام ، وباد وحاضر ، ومجتاز وغير مجتاز ،
 ومفارق لأحبابه وغير مفارق - ملعوناً إذا لم يقف على المنزل بالعقيق ؛ لأن
 ظاهر المعنى العموم ، وما المستحق والله للعن^(٢) غيره ، إذ رضى لنفسه بمثل
 هذا السخف .

وقوله : « فِي مَحَلِّ الْأَنْبِقِ مَعْنَى الْأَنْبِقِ » قول مَالِبرِدِ^(٣) معناه ولفظه نهاية .

* * *

(١) في شرح التبريزي « أى منحللات الأنساع ، والمثاني الحال ، أى قفاها في محل حبيب ،
 ومعنى الأنبيق : منزل المحبوب »

(٢) م « اللعين »

(٣) م « ما أبرد معناه »

وقال أيضاً :

نُجِرَتْ رِكَابُ الْقَوْمِ حَتَّى يَغْبُرُوا رَجُلِي . لَقَدْ عَنُفُوا عَلَى وَلَا مُوَا^(١)
وَقَفُّوا عَلَى اللَّوْمِ حَتَّى خَيَلُوا أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَى الدِّيَارِ حَرَامٌ
وهذا معنى جيد حسن صحيح .

وقال أيضاً :

أَرَاكَ أَكْبَرْتَ إِذْمَانِي عَلَى الدَّمَنِ وَحَمَلِي الشَّقَاقَ مِنْ بَادٍ وَمُكْتَمِينَ^(٢)
لَا تُكْثِرَنَّ مَلَامِي إِنْ عَكَفْتُ عَلَى رُبْعِ الْحَبِيبِ فَلَمْ أَعْكُفْ عَلَى وَثْنٍ
سَلَوْتُ إِنْ كُنْتُ أَذْرِي مَا تَقُولُ إِذَا جَعَلْتَ أَنْمَلَةَ الْأَحْزَانِ فِي أُذُنِي^(٣)
وهذا أيضاً معنى حسن ولفظ جيد .

وقوله : « أَنْمَلَةُ الْأَحْزَانِ » أى يشغلنى حزنى عن أن أفهم ما تقول .

وقال أيضاً :

أَجَلْ أَيُّهَا الرُّبْعُ الَّذِي حَفَّ أَهْلُهُ لَقَدْ أَذْرَكْتُ فِيكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ^(٤)
وَقَفْتُ وَأَحْشَائِي مَنَازِلُ لِلْأَسَى بِهِ وَهُوَ قَفَرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهُ
أَسْأَلُكُمْ مَا بَالُهُ حَكَمَ الْبَلَى عَلَيْهِ ، وَإِلَّا فَاتْرُكُونِي أَسْأَلُهُ
وهذا المعنى فيه اضطراب ؛ لأنه قال : أسألكم^(٥) ما باله حكم البلى
عليه وإلا فاتركوني أسأله . فما هذه المسألة منه أو للربيع فى أن حكم البلى
عليه وهو قد قدم السبب الذى من أجله بكى ، وشرحه فى البيت الأول بقوله :

(١) ديوانه ٢٧٩ وشرح التبريزى ١٥٠/٣ « يغبروا : يبقوا ، رجل : جمع راجل .
وإنما دعا عليهم بنحرركابهم ليتلبثوا فى الديار فيقضى وطره من التسليم ، ويكون نحرها جزاء لهم على
لومهم إياه »

(٢) ديوانه ٣٣٣ وشرح التبريزى ٣٣٧/٣ وفى م « وجهل الشوق »

(٣) ويروى : « إذن مجت مقالاتها فى وجهها أذن » .

(٤) ديوانه ٢٢٩ وشرح التبريزى ٢١/٣

(٥) م « أسأله »

خَفَّ أَهْلُهُ ، ويقول : « لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله » . وهذا هو الذى أبلاه ؛ لأنه إذا فارق أهله ، وتَعَفَّتْ منازلُه - فقد خرب وبلى .

وقال أيضاً :

حُبِّتَ مِنْ طَلَلٍ لَمْ يُبْقِ لِي طَلَلًا إِلَّا وَفِيهِ أَسَى تَرْشِيحُهُ الذِّكْرُ^(١)
قالوا : أَتَبْكِي عَلَى رَسْمٍ ؟ فقلت لهم : من فاتَهُ الْعَيْنُ هَدَى شَوْقَهُ الْأَثَرُ^(٢)
قوله : « لَمْ يُبْقِ لِي طَلَلًا » ، والطللُ : ما شخص من آثار الديار ، والطلل : شخص الإنسان وقامته . يقال : ما أحسن طَلَلَهُ . وإنما يريد طلل الدار . أى لم يبق لي طلالاً في ديارى ومواطنى التى فارقتها ، وأخليتها ، وعكفت عليه - إلا وفيه أَسَى أى حزن من أهلى الذين فارقتهم على . تَرْشِيحُهُ الذِّكْرُ : أى تنميطه ، وتربيته الذكر . أى ذكرهم لي^(٣) يرشح الحزن على أن يمسه ، ويحفظه ، ويقوم عليه حتى يبقى ولا يذهب .

* * *

ولا يجوز أن يريد بالطلل جملة شخصه وقامته ؛ لأن ذلك يكون مثل قولك : ما لزيد جسد إلا وفيه أثر ، وما له رأس إلا وفيه شجرة . وهذا خطأ ؛ إذ ليس له إلا رأس واحد ، وجسد واحد . والبيت الثانى جيد بالغ .

* * *

وقال البحتري :

لَعَمْرُ الْمَغَانِي يَوْمَ صَحْرَاءِ أَرْثِدِ لَقَدْ هَبَّجَتْ وَجَدًا عَلَى ذِي تَوَجُّدِ^(٤)

(١) ديوانه ١٤٩ وشرح التبريزى ١٨٥/٢

(٢) سبق ص ٥٣٤ وغيرها

(٣) م « لى لم يرشح »

(٤) ديوانه ٢٣٠ ، ٧٧١/٢ « أريد » سبق البيت ص ٤٦٢

مَنَازِلُ أَضَحَّتْ لِلرِّيحِ مَنَازِلًا تَرَدَّدُ مِنْهَا بَيْنَ نُؤْيٍ وَرِفْدٍ^(١)
 شَجَّتْ صَاحِبِي أَطْلَالُهَا فَتَهَلَّلَتْ مَدَامُوعُهُ فِيهَا وَمَا قُلْتُ : أَسْعِدِ

وهذا لعمرى صاحب حَسَنُ الصَّحْبَةِ ، ولعله كان له شَجَنٌ وهوى ،
 فلما وقف على الديار تذكَّرَ أَحِبَّاهُ فبكى .

وقال أيضاً :

خُذَا مِنْ بُكَاءٍ فِي الْمَنَازِلِ أَوْدَعَا وَرُوحَا عَلَى لَوْنِي بِهِنَّ ، أَوْ أَرْبَعَا^(٢)
 فَمَا أَنَا بِالْمُشْتَاكِ إِنْ قُلْتُ : أَسْعِدَا لِنَنْدُبَ مَعْنَى مِنْ سَعَادَ وَمَرْبَعَا
 وَلِي لَوْنَةٍ تَسْتَغْرِقُ الْهَجَرَ وَالنَّوَى جَمِيعَا وَدَمْعُ يَنْفُذُ الْحَبَّ أَجْمَعَا^(٣)
 وهذا معنى آخر ذهب إليه في الإسعاد حسن جداً .

ونحو هذا قوله :

فَالدَّارُ تَعْلَمُ أَنَّ دَمْعِي لَمْ يَغْنُضْ فَارُوحَ حَامِلٍ مِثْنَةٍ مِنْ مُسْعِدِ^(٤)
 مَا كَانَ لِي جَلْدٌ فَيُودِي إِنَّمَا أَوْدَى غَدَاةَ الظَّاعِنِينَ تَجَلْدِي
 وقال أيضاً على السبيل التي سلكها أبو تمام :

يَا أَخَا الْأَزْدِ مَا حَفِظْتَ الْإِخَاءَ لِمُحِبٍّ ، وَلَا رَعَيْتَ الْوَفَاءَ^(٥)
 عَدَلًا يَتْرُكُ الْحَنِينَ أَنِينًا فِي هَوَى يَتْرُكُ الدَّمُوعَ دِمَاءَ
 لَا تَلْمَنِي عَلَى الْبُكَاءِ فَلَانِي نِضْوُ شَجْوٍ مَا لَمْتُ فِيهِ الْبُكَاءَ
 كَيْفَ أَغْدُو مِنَ الصَّبَابَةِ خِلْوًا بَعْدَ مَا رَاحَتِ الدِّيَارُ خَلَاءَ

(١) ٧٧١ / ٢ المعارف كذا في م ، ق وفي الديوان « رمد » يقال : رمد رمد : أى كثير دقيق جداً .

(٢) ديوانه ٧٠٢ ، ١٢٦٣ / ٢ وسبق ص ٤٦٨

(٣) كذا في م ، ق وفي الديوان « وحب ينفذ الدمع »

(٤) ديوانه ٤٥٩ .

(٥) ديوانه ٧١٢ « ولا ذكرت الوفاء » وفي م « ياذا الأزل »

قف بها وقفة تُرَدَّدُ عليها أَدْمَعاً رَدَّهَا الْجَوَى أَنْضَاءً^(١)

قوله : « نَضُّو شَجْو ما لُمْتُ فيه البُكاء » - من المقلوب ، وكان يجب أن يقول : ما لُمته في البكاء ؛ فقال : ما لمت البكاء فيه .

ومثل هذا في الشعر كثير . وإنما كان يصدر عن العرب على سبيل السُّهْو ، ولا يسوِّغُه متأخر . ومنه ما هو حسن ، وقد جاء مثله في القرآن .

فإن قيل : إن لفظ البيت مستقيم ، وهو^(٢) مستغن بمعناه ولفظه عن أن يُتَأَوَّل فيه القلب . وذلك أن البكاء ليس هو شيئاً غير سكب الدموع ، وجريها على الخدود . فكما تلوم العين على بكائها ، وتلوم الدمع على انحداره مجازاً - فكذلك تلوم البكاء مجازاً .

قيل : هذا عدول عن القياس وصحيح التمثيل ، وإنما كان ينبغي أن يقول : فكما تلوم انحدار الدمع الذي هو البكاء . فكذلك تلوم البكاء . هذا وجه المعارضة . فإن كنت تلوم انحدار الدمع فقد صح اعتراضك ، وإن كنت لا تلومه ، وهو البكاء ، فلم تلوم البكاء .

ومع هذا فقد جرت العادة بلوم العين على البكاء ، ولوم الدمع على الانحدار ، وَلَوْمِهَا أيضاً على الامتناع ، وقالت الشعراء في ذلك ما هو معروف مشهور . ومنه قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ يبكي أخاه مَالِكاً :

عذرتك يا عيني الصحيحة في البكا فما أنتِ يا عَوْرَاءَ وَالْهَمَلَانِ^(٣)

(١) كذا في ق وفي م « تودد » وفي الديوان : « ترد »

(٢) م « وما هو »

(٣) البيت غير منسوب في أمالي اليزيدي ١٤٩ وقبلة :

بكيك بعين لم تخنها ضمانة وأخرى بها ريب من الحدثان

فعذر [عَيْنًا] ^(١) ولام أخرى .

وقال بعض المتأخرين ^(٢) :

لا جَزَى اللهُ دَمْعَ عَيْنِي خَيْرًا وَجَزَى اللهُ كُلَّ خَيْرٍ لِسَانِي
كنتُ مثلَ الكتابِ أَخْفَاهُ طَيٌّ فاستدلُّوا عليه بالعُنْوَانِ

فلام هذا دمعته ؛ لأنه فضحه ، كما لام ذلك عينه . وما علمنا أحدًا لام البكاء . ومعنى ذلك مفهوم ؛ لأن البكاء قد جعل فعلًا للعين على المجاز ، والسيلان فعل الدمع ، فيقال : بكت عيني ، وسال دمعى . فإذا لُمْنَا العين على بكائها ، وَلُمْنَا الدمع على انحداره — كان ذلك حسنًا جميلًا ؛ لأننا إنما لُمْنَا فاعلًا على فعله ، كما نَلُومُ الفاعل الذى فعله حقيقة على فعله ، ولكن لا نَلُومُ فِعْلَهُ ؛ لأننا إذا لُمْنَا الباكي على أَنْ فَعَلَ البكاءَ ، فنلوم البكاء على أَنْ فَعَلَ ماذا ؟

فإن قيل : على أَنْ كثر واتصل منه .

قيل : فهل سمعت أحدًا قط قال : يا بكاء — لم كثرت ، ولم اتصلت ؟ كما يقال يا عين لم بكيت ؟ فإنى ما أظن أن أحدًا يقدر أن يقول : إنه سمع بهذا . وذلك أن الإكثار والاتصال إنما هما حركات الفاعل بالفعل ، فالباكي هو الذى أكثر البكاء وواصله ، لا أن البكاء فَعَلَ ذلك بنفسه . فالمجاز لا يتسع لأن نلوم البكاء كما نلوم العين ، ولا لأن نلوم انحدار الدمع كما نلوم الدمع ، ولا تنتهى الاستعارة إلى هذا الموضع .

ولو حملنا البكاء الذى هو فِعْلُ الفاعل على المجاز فلمنناه كما نلوم الباكي ، لَحُسِّنَ أيضاً أن نلوم الجزع كما نلوم الجازع ، ونلوم الغضب

(١) الزيادة من ق

(٢) هو العباس ، بن الأحنف ، كافى ديوانه ٢٨٢

كما نلوم الغضببان ، ونلوم الضحك الذى هو ضد البكاء كما نلوم البكاء .
وما أكثر ما تُحْمَلُ الأشياء على أضدادها ، وما علمت مثل هذا جرى فى
توسع ولا مجاز : لأن « لمت » ليس هذا موضعها ، وإنما هو موضع أحمدت ،
وذممت [وكرهت] ^(١) وأنكرت ، وأشباهها . وهذه حقائق ^(٢) . وليس كل
شئ يحْمَلُ على المجازات .

فإن استجزنا أن نلوم البكاء فينبغى أن نلوم أيضاً الضرب ، والقتل ،
والقيام ، والقعود ، والركوب ، والنزول ، والأكل ، والشرب ، وسائر أفعال
الفاعلين ، ونعذلها أيضاً ، ونوبخها ؛ لأن العذل والتوبيخ فى معنى اللوم .
ونلوم أيضاً النجيب ، والشهيق ، والزفير ، والتشجيع كما نلوم البكاء .
وإذا لمنا أيضاً اليد على أن لم يشتد قبضها على الشئ مجازاً - لمنا
القبض أيضاً مجازاً ، وكذلك الرجل إن لمناها على أن عجزت عن المشى ،
لمنا المشى أيضاً ، وعنفناه ، وركبنا مجازاً على مجاز ، وتوسعا على توسع .
وهذا ما لم يُسمَع بمثله فى لغة من اللغات .

فعلى كل الأحوال حَمَلُ بيت البحتري على القلب الذى قد استعملته
العرب فى مجازاتها ، ونطق به القرآن بوجه منه حسن ، وسطره أهل العلم
بكلام العرب فى كتبهم - أولى من حملة على وجه غير مستعمل ، ولا معروف ،
ولا سائغ .

وقد قال المبرد : إن العرب كانت تستعمل القلب لاختصار الكلام ،
وإقامة الأوزان ، وإصلاح القوافى ^(٣) . وأنشد لِمُفَرِّزْدَقٍ يصف ذنباً :

(١) الزيادة من ق

(٢) م « وهذه حقائق »

(٣) م « القول »

وَأُطْلِسَ عَسَالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا رَفَعْتُ لِنَارِي مَوْهِنًا فَاتَانِي^(١)

وقال^(٢) : أراد رفعت له نارى . فَقَلَّبَ^(٣) . فهذا الآن يقول : إن الوجه من القلب الذى ذكر بعض أهل اللغة أنه جاء فى كلامهم على سبيل السهو والغلط - أنهم كانوا يفعلونه اعتماداً . وإذا اعتمدت العربُ الشيءَ ضرورة لم يكن ذلك متأخراً .

وهنا مع هذا وجهان قويان جيدان يحتملهما بيت البحتري ، ويجرى على تأليف لفظه ، لا على القلب :

أحدهما : أن يكون أراد : لا تلمنى على البكاء فى ذو حزن ما لمت فيه على البكاء . فأسقط . « على » كعادة العرب الجارية فى حذف حروف الصفات للإيجاز والاختصار فوصل الفعل إلى البكاء فنصبه . وهذا معنى قريب جداً . ومثل قولهم : جزيتك إحسانك ، أى على إحسانك ، وعن إحسانك . وقولهم نزلتُكَ ، بمعنى نزلت عليك ، ونزلت^(٤) بك . وهذا من أفصح اللغات وأبلغها ، وهو مسطور فى كتبهم . وكذلك شغبتك بمعنى شغبت عليك^(٥) حكاه أبو زيد .

ومما هو جائز [وجار]^(٦) فى كلامهم - كلام أهل البدو والحضر - قولهم : بكيتُ فلاناً ، بمعنى بكيت عليه .

وأنشدنا « أبو الحسن الأخفش » قراءةً عليه فى الكتاب الكامل عن المبرد لأعرابي :

(١) الكامل ١/ ٣٢٠

(٢) الكامل ١/ ٣٢٢

(٣) م « فقلت »

(٤) م « ونزله بك »

(٥) م « شغبت عليك »

(٦) الزيادة من ق

فَمَنْ يَكُ لَمْ يَفَرِّضْ فَلَانِي وَنَاقَتِي بِحَخْرِ إِلَى أَهْلِ الْحِمَى غَرَضَانِ^(١)
تَحْنُ فُتْبَيْدِي مَا بِهَا مِنْ صَبَابَةٍ وَأَخْفِي الذِي لَوْلَا الْأُسَى لَقَضَانِي
أَرَادَ لَقَضَى عَلَى . قَالَ الْمَبْرَدُ : فَأَخْرَجَهُ لِفَصَاحَتِهِ ، وَعَلِمَهُ بِجَوَاهِرِ الْكَلَامِ
أَحْسَنَ مُخْرَجٍ^(٢) .

وَقَالَ عُبْتَرَةُ :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ^(٣)
أَيَ أَظْلٍ عَلَيْهِ .

قَالَ : وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾^(٤) أَيِ
مِنْ قَوْمِهِ .

وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أَمَرْتُ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَسَبٍ^(٥)
أَيِ أَمَرْتُكَ بِالْخَيْرِ .

وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

وَمِنَّا الَّذِي أَخْخِيرَ الرُّجَالَ سَمَاحَةً وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيَّاحُ الرِّعَازِغُ^(٦)
أَيِ مِنَ الرُّجَالِ . وَأَشْبَاهُ لِهَذَا كَثِيرَةٌ .

(١) الكامل ٣١/١ وبعده فيه :

وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَمُخْتَلِفَانِ

هُوَ نَاقَتِي خَلْقِي وَقَدَامِي الْهُوَى

وَقَدْ م « الْحِمَى غَيْرُ صَافٍ »

(٢) الكامل ٣٢/١

(٣) ديبوانه ١٠٠

(٤) سورة الأعراف : ١٥٥

(٥) البيت لأعشى طرود ، واسمه إِيَّاسُ بْنُ عَامِرٍ ، كَمَا فِي الْكَامِلِ ٣٢/١

(٦) ديبوانه ٥١١/١ وَالْكَامِلِ ٣٢/١

وَأَنْشُدْ أَبُو مِسْحَل :

سَقَى اللَّهُ مَنْ يَسْقَى حَمَامَةً دَارَهَا عَلَى فُرْضَةٍ مِنْ مَاءٍ شُرِبَ يَقُومُهَا^(١)
أَرَادَ يَقُومُ عَلَيْهَا . وقال : يقال : قام فلان اليوم الماء بين القوم . إذا
قسمه بينهم . ومعناه : قام على الماء . فلما حذف « على » نصب .

فكذلك قول البحتري : ما لمت فيه البكاء ، أى على البكاء .

والوجه الآخر : أن يكون أراد : لا تلمنى على البكاء فإني ذو حزن ما لمت
فيه ذوى البكاء . وأهل البكاء . فأسقط المضاف فوصل الفعل إلى البكاء
فنصبه . وذلك على عادة العرب المستمرة في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾^(٢) أى أهل ناديه . ﴿ وَأَسْأَلِ
الْقَرْيَةَ ﴾^(٣) أى أهل القرية . وقول مهلهل :

• وَأَسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ^(٤) •

أى أهل المجلس . وقول الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾^(٥) أى
برّ من آمن بالله . وقوله تعالى جده : ﴿ إِذَا لَاذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ
الْمَمَاتِ ﴾^(٦) أى ضعف عذاب الحياة ، وضعف عذاب الممات .
وأؤكد من ذلك كله قول الله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾^(٧) .
أى حب العجل .

وكذلك أراد البحتري : لا تلمنى على البكاء ، فإني ما لُمتُ في هذا الحزن
ذا بُكَاءَ ، أو أهل البكاء . وَأَسْقَطَ . « أهل » ، وأقام البكاء مقامه .

(١) الفُرْضَةُ : المشرقة التي يستقى منها

(٢) سورة الطلق : ١٧

(٣) سورة يوسف : ٨٢

(٤) صدره : « نَبِثْتُ أَنَّ النَّارَ بِمَكَائِكَ أَوْقَدْتُ »

(٥) سورة : البقرة ١٧٧

(٦) سورة : الإسراء ٧٥

(٧) سورة : البقرة ٩٣

وهذا يستوى فيه القدماء والمتأخرون جميعاً ؛ لأنه خارج عن الضرورة .
فهذان وجهان في غاية القوة والصحة . والمعنى : لا تلمنى على البكاء ؛
فلأني ما لمت في هذا الشجور بأكياً . لأنه يحق في مثله البكاء ؛ لعظم تأثيره
في النفس ، وَتَحَوُّنِهِ ^(١) للجلد ، وذهابه بالصبر ، ونحو هذا .

وقوله بعده :

كَيْفَ أَغْدُو مِنَ الصَّبَابَةِ خِلَوًّا بَعْدَ مَا رَاحَتِ الدِّيَارُ خَلَاءَ
أى لا تلمنى على البكاء ؛ فإني [إن] ^(٢) لم أبك وقد خلت الديار من
أهلها فلست ذا صباية . يقول : إنه يكون إن لم يبك والخلي الذي ليس في
قلبه هوى ، بمنزلة واحدة . وإذا خَفَّفَ البكاء من صبايته فقد قضى حق
المحبة على كل حال .

* * *

وقال البحتري أيضاً :

أُخْرَى الْخُطُوبِ بِأَنْ يَكُونَ عَظِيماً قَوْلُ الْجَهْلِ : أَلَا تَكُونُ حَلِيماً ^(٣)
قَبَّحْتَ مِنْ جَزَعِ الشَّجِيِّ مُحَسَّناً وَمَدَحْتَ مِنْ صَبْرِ الْخَلِيِّ ذَمِيماً
وقال أيضاً :

مَاذَا عَلَيْكَ مِنْ أَنْتِظَارِ مُتِمِّمٍ بَلْ مَا تَضُرُّكَ وَفَقَّةٌ فِي مَنْزِلِ ^(٤)
إِنْ رِمِلَ عَى عَنِ الْجَوَابِ فَلَمْ يُطِقْ رَجْعاً فَكَيْفَ يَكُونُ إِنْ لَمْ يُسْأَلِ
لَا تَكْلِفَنَّ لِي الدُّمُوعَ فَإِنْ لِي دَمْعاً يَتِمُّ عَلَيَّ إِنْ لَمْ يَفْضَلِ ^(٥)

(١) م ، ق « وتحوذه » والتخون : التنقص

(٢) الزيادة من ق

(٣) ديوانه ٢٨٦/١ ، ١٩٦٤/٣ وفى م « ألا أن يكون » . وقد سبق الأول ص ٤٦٨

(٤) ديوانه ٧٣١ ، ١٧٤٣/٣

(٥) م « في الدموع » وفي الديوان « يتم عليه »

قوله : « يتم على إن لم يفضل » مثل قوله :
 • ودمع ينفد الحب أجمعاً^(١) .

ومثل قوله أيضاً :

سارت مُقدِّمةُ ، الدُّموعِ وخَلَفَتْ حُرْقاً - تَوَقَّدُ فِي الْحِشَا مَا تَرَحَّلُ^(٢)
 إِنَّ الْفِرَاقَ كَمَا عَلِمْتَ فَخَلَّنِي وَمَدَامِعاً تَسْعُ الْفِرَاقَ وَتَفْضُلُ
 قال : « سارت مقدمة الدموع وخلفت حرقاً » . ثم قال : « فخلني
 ومدامعاً تسع الفراق وتفضل » ومقدمة الشيء ليس هو الشيء بأسره . إنما
 مقدمة الجيش : ما يتقدمه من جملته ، ويبقى سائره متأخراً . فقال :
 « رحلت مقدمة الدموع » . . يعني يوم المفارقة . ثم قال : « فخلني ومدامعاً »
 يريد جملة الدمع المتأخر الذي هو مَقْرُونٌ بِالْحُرْقِ المقيمة التي ذكرها .

وقال في نحوه أيضاً :

خَلَّيَاهُ وَوَقَفَهُ فِي الرُّسُومِ يَخْلُ مِنْ بَعْضِ بَثِّهِ الْمَكْتُومِ^(٣)
 وَدَعَاهُ لَا تُسْعِدَاهُ بِدَمْعٍ حَسْبُهُ فَيَنْضُ دَمْعُهُ الْمَسْجُومِ
 سَفَهُ مِنْكُمَا وَإِفْرَاطُ لُؤْمٍ أَنْ تَلُومَا فِي الْحَبِّ غَيْرَ مُلِيمِ
 وقال في نحوه أيضاً :

إِنْ تِلْكَ الطُّلُولَ مِنْ وَهْمَيْنَا أَحْزَنْتَ خَالِيًا ، وَزَادَتْ حَزِينَا^(٤)
 فَاتْرَكَانِي فَمَا أَطِيعُ عَدُولًا وَأَخْذَلَانِي فَمَا أُرِيدُ مُعِينَا
 وقال أيضاً :

وَمِنْ الْجَهَالَةِ أَنْ تُعْنِفَ بِأَكْيَا وَقَفَ الْغَلِيلُ بِهِ عَلَى مَجْهُولِهَا^(٥)

(١) سبق ص ٥٤٩

(٢) ديوانه ٢٥ . وفيه ١٧٥٣/٣ « سالت »

(٣) ديوانه ٥٩٤

(٤) ديوانه ٢٤٥ . ٢١٦٢/٤ . المعارف

(٥) ديوانه ٣٤٥ وفي ١٧٧١/٣ « وقف الغرام » وفي م « ومن الجهال »

إن الدموع هي الصبابة فاطرِخ بعض الصبابة تستريح بهُمولها
وهذا معنى حسن معروف . والدموع ليست الصبابة ؛ لأن الصبابة ؛ رقة
الشوق ، وإنما يبكي الباكي من شدة صبابته . ولما كانت الصبابة تخف
بالبكاء ، وتذهب بذهاب الدمع - قال : إن الدموع هي الصبابة . أى إنها
تذهب بذهابه . وتمضى بمضيه . أى فدعى أبكى ؛ فلما استريح بهُمول
الدمع .

وقال أيضاً :

وما أنفك رَسْمُ الدارِ حَتَّى نَهَلْتُ دُمُوعِي وَحَتَّى أَكْثَرَ اللُّوْمَ صَاحِبِي^(١)
وَقَفْنَا فَلَلا الْأَطْلَالُ رَدَّتْ لِجَابَةِ وَلَا الْعَذْلُ أَجْدَى فِي الْمَشُوقِ الْمُخَاطِبِ
تَمَادَتْ عَقَابِيلُ الْهَوَى وَتَطَاوَلَتْ لَجَاجَةُ مَعْتُوبٍ عَلَيْهِ وَعَاتِبِ
وهذا معنى حسن ، ولفظ له ماء ورونق ، وهو أجود وأسلم من قول أبي تمام :
وما صارَ يومَ الدَّارِ عَذْلُكَ كُلُّهُ عَدُوِّي حَتَّى صَارَ جَهْلُكَ صَاحِبِي^(٢)

وقال أيضاً :

فِي غَيْرِ شَأْنِكَ بُكْرَتِي وَأَصِيلِي وَسَوَى سَبِيلِكَ فِي السُّلُو سَبِيلِي^(٣)
بَخَلْتُ جَفْوَنُكَ أَنْ تَكُونَ مُسَاعِدِي وَعَلِمْتُ مَا كَلَفَنِي فَصِرْتُ عَدُوِّي^(٤)
جَارَ الْهَوَى يَوْمَ اسْتَخَفَّ صَبَابَتِي لِخَلِيٍّ مَا تَحْتَ الضُّلُوعِ مَلُولِ
أَي جَارِ الْهَوَى عَلَى لِخَلِيٍّ مَا تَحْتَ الضُّلُوعِ . أَي لِخَلِيٍّ مِنَ الْهَوَى . أَي
جَارِ عَلَى لَهُ .

(١) ديوانه ١٥٣ ، ١٠٨ / ١ ، ص ٤٧ فائق ٤٧ ظ

(٢) سبق ص ٥٤٤

(٣) ديوانه ٥١٥ ، ١٨٣٨ / ٢

(٤) في الديوان : « فكننت عفول »

وقال أيضاً :

ما أَنْتَ لِلْكَلِيفِ الْمَشُوقِ بِصَاحِبٍ فَاذْهَبْ عَلَى مَهْلٍ فَلَيْسَ بِذَاهِبٍ^(١)
عَرَفَ الدِّيَارَ وَقَدْ سَتَمَنَ مِنَ الْبَلَى وَمَلِئَنَ مِنْ صَوْبِ السَّحَابِ الصَّائِبِ^(٢)
فَأَرَاكَ جَهْلَ الشُّوقِ بَيْنَ مَعَالِمٍ مِنْهَا وَجِدَ الدَّمْعَ بَيْنَ مَلَاعِبِ

قوله : « على مهل » لست أراه مفيداً شيئاً ، وما أظنها إلا حشواً . وهذا [من مواضع] ^(٣) قولهم : فامض لشأنك ، وامض لسبيلك .

وقال أيضاً :

بَعْضُ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ لَيْسَ ذِمُّ الْوَفَاءِ بِالْمَحْمُودِ^(٤)
مَا بَكَيْنَا عَلَى زُرُودٍ وَلَكِنْ نَا بَكَيْنَا أَيَّامَنَا فِي زُرُودٍ
وَدُمُوعُ الْمُحِبِّ إِنْ عَصَتْ الْعُدَّ ذَالْ كَانَتْ طَوْعَ النَّوَى وَالصَّلُودِ^(٥)

وهذا من إحسانه المشهور ^(٦) .

وقال أيضاً :

فِيمَ ابْتَدَأَرُكُمُ الْمَلَامَ وَلَوْعَا أَبْكَيْتَ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعَا^(٧)
عَدَلُوا فَمَا عَدَلُوا بِقَلْبِكَ عَنْ هَوَى وَنَهَوْا فَمَا وَجَدُوا الشَّجَى سَمِيحَا^(٨)

(١) ديوانه ٦٩٦ . ١ / ١٥٨ معارف

(٢) في الديوان : « من سقيا السحاب »

(٣) الزيادة من ق

(٤) ديوانه ٦٩١ . وسبق ص ٤٦٩

(٥) م « كانت طلوع »

(٦) م « المشهورة »

(٧) ديوانه ٢٥٧ وانظر ص ٩ و ٤٦٧ و ٤٧٦

(٨) في الديوان « بقلبي . . ودعوا فإ »

وقال أيضاً :

يا وَهْبُ هَبْ لِأَخِيكَ وَقْفَةً مُسْعِدٍ يُعْطَى الْأُسَى مِنْ دَمْعِهِ الْمَبْنُولِ^(١)
أَوْ مَا تَرَى الدَّمْنَ الْمُحِيلَةَ تَشْتَكِي غَدَرَاتِ عَهْدٍ لِلزَّمانِ مُجِيلِ
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُهَا فَقَدْ عَرَفَ الْبَلَى قَدْماً مَعَارِفَ رَسْمِهَا الْمَجْهُولِ^(٢)

وقال أيضاً :

وَقَفْنَا فَحَيِّنَا لِأَهْلِكَ بِاللَّوَى رُبُوعَ دِيَارِ دَارِسَاتِ الْمَعَالِمِ^(٣)
ذَكَرْنَا الْهَوَى الْعُذْرَى فِيهَا فَانْسَبَتْ عَزَاهَا مَشُوقَاتُ الْقُلُوبِ الْهَوَانِمِ
خَلَعْنَا بِهَا عُذْرَ الدَّمُوعِ فَأَقْبَلَتْ تَلُومٌ وَتَلَحَّى كُلٌّ لَاحٍ وَلا نَمِ
وهذا كله على اختلاف معانيه ، جيد بالغ ، وحلو نادر .

وقال أيضاً :

ذَاكَ وَادَى الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ صَبَابَةٍ أَوْ مُطِيلًا^(٤)
قِفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَازِرًا ، أَوْ عَتُولًا
قد وسَّع البحتری على هذا الصاحب كل السَّعة . أى قف على أية حال
كنت عليها من هذه الأحوال ، ولو أَنْ تَعْذِلَ بعد أَنْ تَتَلَوَّمَ عَلَى ، ولا تنصرف
حتى فإني أحتمل عذلك . وهذه غاية النِّصفة . ثم أتبع هذا بأن قال :
إِنَّ بَيْنَ الْكُثِيبِ فَالْجِزْعِ فَالْآ رَامَ رَسْمًا لَأَلِ هَذَا مُحِيلًا^(٥)
أَبْلَتْ الرِّيحُ وَالرَّوَانِحُ ، وَالْأَيُّ يَامَ مِنْهُ مَعَالًا ، وَطُلُولًا^(٦)

(١) ديوانه ٦١٠ ، ١٦٦٢/٣ وسبق الأول ص ٤٣٥

(٢) في الديوان « عرف الهوى » وفيه ص ١٦٦٢ « معارف ربمها »

(٣) ديوانه ٤٤٧ . وفي م « وقفنا محبيناً لأهلك بالنوى »

(٤) ديوانه ٦٨٦ ، ١٧٦٦/٣

(٥) في الديوان « ربمها »

(٦) م « أفلت الريح »

وِخْلَافُ الْجَمِيلِ قَوْلُكَ لِلذَّا كِرِ عَهْدَ الْأَحْبَابِ: صَبْرًا جَمِيلًا
 لَا تَلْنُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمْعِ فَلَوْمْ لَوْمُ الْخَلِيلِ الْخَلِيلًا
 عَلَّ مَاءَ الدَّمْعِ يُخَمِّدُ نَارًا مِنْ جَوَى الْحُبِّ، أَوْ يَبُلُّ غَلِيلًا
 وَبُكَاءُ الدِّيَارِ مِمَّا يُرَدُّ الشُّوْ قَ ذِكْرًا، وَالْحُبُّ نِضْوًا ضَّيْلًا
 لَمْ يَكُنْ يَوْمُنَا طَوِيلًا بِنُعْمَا نَ وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا

قوله : « أَبَلَّتِ الرِّيحُ وَالرَّوَاتِحُ » فالروائح : السحائب التي تمطر النهار
 بأسره ، وتروُّحُ عشيا .

وقوله : « مما يرد الشوق ذكرا » أى يُخَفِّفه حتى يصير تذكرا لا يُقْلِقُ ،
 ولا يُزْعِجُ كإفلاق الشوق .

« وَالْحُبُّ نِضْوًا » أى يردُّ الحبَّ نِضْوًا . أى يخفف الهوى ، ويصغِّره ؛
 لأنه يرى الدار ، ويخلوها من أهلها ، ويبأس فيبكي ويستريح . فذلك هو
 تصغيرُ الحب .

وقوله : « لَمْ يَكُنْ يَوْمُنَا طَوِيلًا بِنُعْمَانِ » ينبغى أن يكون هذا اليوم كان
 يومَ توديع لم يكن طويلاً ؛ لأن يوم مشاهدتهم ورؤيتهم لا يستطيله بل
 يستقصره . قال : « وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا » .

وهذا خلاف قول أبي تمام :

* يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا ^(١) *

وأنا أستقصى الكلام فى هذا عند ذكر بيت أبى تمام فى « باب الفراق » .

* * *

ومن جيد هذا الباب قول البحتري :

عَرَجُوا فَالْدُمُوعُ إِنَّ أَبْكَ فِي الرَّبِّ عِ دُمُوعِي ، وَالْاِسْتِثَابُ اسْتِثَابِي^(١)
وَكَمِثْلِ الْأَحْبَابِ - لَوْ يَعْلَمُ الْعَا ذُلُّ - عِنْدِي مَنَازِلُ الْأَحْبَابِ
وهذا نحو قول امرئ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فجعل البكاء للحبيب والمنزل جميعاً .

وَلَا تَزِيدُ زِيَادَةً فِي لَوْنِ الْأَصْحَابِ عَلَى حُسْنِ قَوْلٍ كَثِيرٍ :

يَقُولُ خَلِيلِي : سِرُّ بِنَا أَيْ مَوْقِفِ وَقَفْتُ ، وَجَهْلُ بِالْحَلِيمِ الْمَعْمَمِ
تَلُومُ وَلَمْ تَعْلَمْ بِأَسْرَارِ خُلَّةٍ فَتَعَذَّرَ إِلَّا عَنْ حَدِيثِ مُرْجَمٍ
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَجْهَلُ فَقَدْ لُمْتُ ظَالِمًا وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَزْرَى بِي الْجَهْلُ فَأَحْلَمُ^(٢)
أَرَادَ أَيْ مَوْقِفَ هَذَا الَّذِي وَقَفْتَهُ . يَقُولُ لِي الْأَحْبَابُ : سِرُّ أَيْ مَوْقِفِ .
كَأَنَّهُ يَحْكِي لِنَكَارِ صَاحِبِهِ عَلَيْهِ الْوُقُوفُ .

* * *

(١) ديوانه ٥٦٣

(٢) م « لمت ظلما »

ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه

قال أبو تمام :

إِنْ كَانَ مَسْعُودٌ سَقَى أَطْلَالَهُمْ سَبَلَ الشُّنُونِ فَلَسْتُ مِنْ مَسْعُودٍ^(١)
ظَعَنُوا فَكَانَ بُكَائِي حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ أَرْعَوَيْتُ ، وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيدٍ
أَجْدِرُ بِجِمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَأَوْهَا بِالْدَّمْعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ

قوله : إن كان مسعود . يعني مسعوداً أخا ذى الرمة ، ولا يعرف له بيت واحد بكى فيه على الديار . وهذا من معاني أبي تمام الغامضة التي يُسأل عنها . وما زلت أرى الناس قديماً يَخِيطُونَ فيه . وإنما ذكر مسعوداً : لأنه كان ينهى ذا الرمة عن البكاء على الديار . وذلك قول ذى الرمة :

عَشِيَّةَ مَسْعُودٍ يَقُولُ وَقَدْ جَرَى عَلَى لِحْيَتِي مِنْ وَآكِفِ الدَّمْعِ قَاطِرُ^(٢)
أَفَى الدَّارِ تَبْكِي إِذْ بَكَيْتَ صَبَابَةً وَأَنْتَ أَمْرُؤٌ قَدْ حَلَمْتَكَ الْمَعَاشِرُ

فأراد أبو تمام إن كان مسعود الذى أنكر على ذى الرمة البكاء ونهاه عنه . - قد رأى أن البكاء أحسن بعد أن كان عنده غير حسن - فَلَسْتُ منه . وذلك كقول القائل : إن كان حاتم قد شَعَّ فلست منه . أى إن كان بعد كرمه وجوده قد رأى أن البخل حسن - فَلَسْتُ مقتدياً به .

وكان هذا عند أبي تمام أبلغ من أن يقول : إن كان غَيْلَانُ سَقَى أَطْلَالَهُمْ - يعنى ذا الرمة - فلست منه .

(١) ديوانه ٨٢ وشرح التبريزي ١ / ٣٩٠

(٢) ديوانه ٢٤٠ « من عبرة العين »

وهذا أيضاً من استقصاء أبي تمام ، ومبالغته في المعاني التي يخرجها إلى التَّعْمِيَةِ والانغلاق .

وقوله : « وذاك حُكْمٌ لَبِيدٍ » يريد قول لبيد :

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ أَسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ أَعْتَذَرَ^(١)
وقوله :

أَجْدُرُ بِجِمْرَةٍ لَوْعَةٍ لِّطَفَاوُهَا بِالذَّمِّعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ
- غلط. بَيَّنَّ ؛ لأنه أتى فيه بما يخالف مذهب أهل الجاهلية والإسلام ،
والأُمم كلها ؛ لأنهم مُجْمِعُونَ على أن في البكاء راحةً من الكرب ، وتبريداً
لحرارة الحزن ، وتَخْفِيفاً من لَاعِجِ المصيبة . و « طول خمود » أولى بالصواب
من « طول وقود » لو كان بنى المعنى عليه . وقد ذكرت هذا في أغاليطه^(٢) .

وقال أبو تمام :

فَعَلَيْهِ السَّلَامُ لَا أَشْرِكُ الْأَطَّالَ فِي لَوْعَتِي ، وَلَا فِي نَحْيِي
فَسَوَاءٌ لِإِجَابَتِي غَيْرَ دَاعٍ وَدُعَائِي بِالْقَفْرِ غَيْرِ مُجِيبٍ
قوله : « لَا أَشْرِكُ الْأَطَّلَالَ فِي لَوْعَتِي » أى أجعل ذلك خالصاً لأحبتي ،
أى لا أقول كما قال امرؤ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فاستوقف ليكي على الحبيب والمنزل معاً .

وقوله : « فسواء لإجابتي » معنى لطيف . وقد ذكرته في « باب استعجام
الديار عن الجواب » ، وبيَّتَ البحترى الذى حذا على حذوه^(٣) .

(١) خزائن الأدب ٢/٢١٧ ومجاز القرآن ١٦ وتفسير غريب القرآن ٧

(٢) راجع ص ٢٠٩

(٣) راجع ص ٣٢٤

قال البحتري :

يَسْلُ الْمَنَازِلَ عَنْهُمْ وَعَلَى اللَّوَى دِمْنٌ دَوَارِسُ إِنْ تُسَلِّ لَا تُخْبِرُ^(١)
وَمِنَ السَّفَاهَةِ أَنْ تَظَلَّ مُكْفِكِفًا دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ تَابَدَ مُقْفِرِ

وقال البحتري :

مَا بَكَيْنَا عَلَى زُرُودٍ وَكُنَّا بَكَيْنًا أَيَّامَنَا فِي زُرُودٍ^(٢)

وهذا حسن . وأحسن منه وأحلى وأعذب - قول كثير :

وَمَا بِرَبِّاعِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَا بِالطُّلُولِ الدَّارِسَاتِ أَهِيمِ
هِيَ الدَّارُ وَخَشًا غَيْرَ أَنْ قَدْ يَحُلُّهَا وَيَغْنَى بِهَا شَخْصٌ عَلَى كَرِيمِ

* * *

وقال البحتري :

لَا تَقِفْ بِي عَلَى الدِّيَارِ فَإِنِّي لَسْتُ مِنْ أَرْبَعٍ وَرَسْمٍ مَجِيلِ^(٣)
فِي بَكَاءٍ عَلَى الْأَحْبَةِ شُغْلُ لِأَخِي الْحُبِّ عَنْ بُكَاءِ الطُّلُولِ

وهذا مذهب قد تقدم الناس أيضاً فيه ، إلا أن البكاء على الديار هو المذهب الأقدم ، والأعم الأشهر . قال امرؤ القيس :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *

فجعل البكاء للحبيب والمنزل جميعاً . والرواة تزعم أن هذا البيت أحسن ابتداءات العرب وأبرعها وأجمعها لعدة معان في لفظ قليل . واتبعته الشعراء على هذا ، وأكثروا فيه القول .

(١) ديوانه ١٢٠

(٢) ديوانه ص ٦٩١

(٣) ديوانه ٦٠٣ ، ١٦٧٨/٣ وفي م « لا تقف على . . . أربع في رسم »

وعلى هذا المعنى هذا البحرى قوله :

عَرَجُوا فَالْدُمُوعُ إِنَّ أَبْلَكَ فِي الرَّبِّ دُمُوعِي وَالْاِكْتِثَابُ اِكْتِثَابِي ^(١)
وَكَمِثْلِ الْأَحْبَابِ لَوْ يَعْلَمُ الْعَالَمُ ذَلِكَ عِنْدِي مَنَازِلُ الْأَحْبَابِ
وكانوا يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروعة وكرم العهد ؛ ولذلك

قال أبو تمام :

أَمَوَاقِفَ الْفَتَيَانِ تَطَوَّى لَمْ تَزُرْ شَرْفًا ، وَلَمْ تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدًا ^(٢)
أَذْكَرْتِنَا الْمَلِكَ الْمُضِلَّ فِي الْهَوَى وَالْأَعْشِيَيْنِ وَطَرَفَةً وَلَبِيدًا ^(٣)
حَلُّوا بِهَا عُقْدَ النَّسِيبِ وَنَمْنَمُوا مِنْ وَشِيهَا رَجَزًا بِهَا وَقَصِيدًا ^(٤)
قوله : « لم تَزُرْ شَرْفًا » يريد ارتفاعاً ، « ولم تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعِيدًا » أراد
انخفاضاً وهبوطاً فلم يستقم له ذاك فقال : « صعيداً » لأن الصعيد التراب .
وهو يكون في أغواطِ الأرض ، وما اطمأن منها - أكثر منه فيما علا وارتفع .

ثم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله :

« ذكر الهراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين »

(١) ديوانه ٥٦٣ وقد سبقا ص ٥٦٢

(٢) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزي ٤١٢/١

(٣) الملك المضلل : امرؤ القيس . والأعشيان : أعشى قيس بن ثعلبة ، وأعشى باهلة ، ويرى
« جرولا ولبيداً » وجرول هو : الخطيئة

(٤) « نمنموا : زخرفوا . ويرى : « من وشيها حلالا لها وقصيداً » و« نثرأ لنا » و« نفضا لها » .

المفردات المستعملة

غفر الله له ولوالديه

فهرس موضوعات الجزء الأول

الصفحة	
٥	مقدمة المؤلف
٦	احتجاج الخصمين
٥٧	منهج الكتاب
٥٨	سرقات أبي تمام
١١٢	سرقات أبي تمام التي أخرجها ابن أبي طاهر
١٢٣	الأبيات التي نسبها فيها ابن أبي طاهر إلى السرقة وليست بمسروقة
١٣٧	أول الجزء الثاني من تجزئة المؤلف
	ما غلط فيه أبو تمام من المعاني والألفاظ وأنكره عايه أحمد بن عبيد الله
١٤١	ابن محمد بن عمار
١٥٧	أخطاء أبي تمام في المعاني والألفاظ
	الجزء الثالث في الرذل من ألفاظ أبي تمام والساقط من معانيه والقبيح من
٢٥٩	استعاراته والمستكره المتعمد من نسجه ونظمه
٢٦١	ما في شعر أبي تمام من قبيح الاستعارات
٢٨٢	ما جاء في شعر أبي تمام من قبيح التجنيس
٢٨٨	ما يستكره للطنان من المطابق
٢٩٣	باب في سوء نسجه وتعقيد ووحشي ألفاظه
٣٠٦	باب فيما كثر في شعره من الزحاف واضطراب الوزن
٣١١	جزء في مساوئ البحري
٣١١	سرقات البحري
	ما أخذته البحري من معاني أبي تمام خاصة وخرجه أبو الضياء بشر
٣٢٤	ابن يحيى الكاتب

الصفحة

- ٣٤٥ . لإسراف أبي الضياء بشر بن يحيى فى تكثير سرقات البحرى من أبى تمام .
 ما ادعى فيه أبو الضياء البرقة على البحرى من أبى تمام وليس بمسروق
 ٣٤٦ . لشهرة معناه وابتداله .
 ما جاء به أبو الضياء على أنه مسروق من أبى تمام والمعنيان مختلفان
 ٣٥٨ . ليس بينهما اتفاق ولا تناسق .
 ما ادعى فيه أبو الضياء على البحرى السرقة من أبى تمام وهو غير
 مسروق لأن الاتفاق بينهما إنما هو فى الألفاظ التى ليست
 ٣٦٣ . بمحظورة على أحد .
 ٣٧١ . ما أخطأ فيه البحرى من المعانى .
 ٣٨١ . ما عيب به البحرى وليس بعيب .
 ٤٠٨ . اضطراب الأوزان فى شعر البحرى .
 جزء فى أنواع المعانى التى يتفق فيها الطائيان والموازنة بين معنى ومعنى ،
 ٤١٠ . وبيان نهج الموازنة بينهما .
 ٤٢٠ . باب فى فضل أبى تمام .
 ٤٢٣ . باب فى فضل البحرى .
 ٤٢٦ . صناعة الشعر لا توجد إلا بأربعة أشياء .
 ٤٢٩ . بدء الموازنة وتفصيل الباب الذى ابتدأ به .
 ٤٣٠ . الابتداءات بذكر الوقوف على الديار .
 ٤٤١ . التسليم على الديار .
 ٤٤٥ . ما ابتدأ به من ذكر تعفية الدهور والأزمان للديار .
 ٤٤٧ . فى إقواء الديار وتعفيها .
 ٤٤٩ . فى تعفية الرياح للديار .
 ٤٥١ . البكاء على الديار .
 ٣٥٥ . سؤال الديار واستعجائها عن الجواب .
 ٤٦٠ . ما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وما يقارب .

٤٦٢	.	.	.	.	ما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها .
٤٦٣	.	.	.	.	الدعاء للدار بالسقيا .
٤٦٧	.	.	.	.	لوم الأصحاب في الوقوف على الديار .
٤٧٤	.	.	.	.	ما قالاه في أوصاف الديار والبكاء عليها .
٤٨٣	.	.	.	.	باب في وصف أطلال الديار وأثارها .
٤٨٦	.	.	.	.	أول زيادة هذه الطبعة عن جميع الطبقات السابقة
٤٩٢	.	.	.	.	محو الرياح للديار .
٤٩٩	.	.	.	.	ما قالاه في سؤال الديار واستعجامها عن الجواب والبكاء عليها أيضاً .
٥٠٩	.	.	.	.	باب آخر من وصف الديار وساكنيها .
٥٢٦	.	.	.	.	الدعاء للديار بالسقيا والخصب والنبات .
٥٣٤	.	.	.	.	ما يخلف الظاعنين في الديار من الوحش وغيرها .
٥٤١	.	.	.	.	ما قالاه في الوقوف على الديار وتعنيف الأصحاب إياهما على ذلك .
٥٦٣	.	.	.	.	ما جاء عنهما في ترك البكاء على الديار والنهي عنه .

Handwritten text in Arabic script, mostly illegible due to extreme fading and bleed-through from the reverse side of the page. The text appears to be a continuous paragraph or a list of items.



١٩٩٢ / ٧٦٩٤	رقم الإيداع
ISBN 977-02-3790-6	الترقيم الدولي

١ / ٩٢ / ١٠٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

Handwritten text in Arabic script, mostly illegible due to extreme fading and bleed-through from the reverse side of the page. The text appears to be a continuous paragraph or a list of items.

